

الفضيلة الإسلامية

الإمام المرجع السيد محمد الشيرازي (دام ظلّه)

بسم الله الرحمن الرحيم

الروح والبدن

الإنسان له روح وله بدن، والأول مصدر العلم والفضيلة، والرضا والغضب، والحزن والسرور، والجبن والشجاعة، والسخاء والبخل... وما إليها...

والثاني مصدر الإدراك والذوق، والسمع والبصر، والشباب والهرم، والصحة والسقم وما إليها...
ولكل من هذين استقامة وانحراف: فانحراف الجسد: المرض، واستقامته: العافية، وانحراف الروح: البخل والجبن... وما إليها، واستقامته: الكرم والشجاعة.. وما إليها.

وكما أن بدن الإنسان لا يقوم إلا بالوقود، من أكل وشرب وهواء وضوء...
كذلك روح الإنسان لا تقوم، إلا بعلم وعدل، ومروءة وفضيلة..
وكما أن المريض يحتاج إلى الطبيب الجسماني وإلا هلك..
كذلك المريض النفسي يحتاج إلى الطبيب الروحاني، وإلا هلك.
و(الأخلاق) إنما وضعت لإصلاح الروح، كما إن (الطب) إنما وضع لإصلاح الجسم. فعلينا إذاً أن نزود أنفسنا بالوقود الخلقى، كما نزود أجسامنا بالوقود البدني.
وعلينا أن نعالج أرواحنا المريضة، كما علينا أن نعالج أجسامنا المريضة.

الفضيلة والرذيلة

لكل شيء كمية محدودة من الصلاحية، إن تجاوزها كان وبالاً عليه، مثلاً: من يكون أكله رغيماً من الخبز، إن تجاوزه إلى رغيين كان الرغيث الثاني موجباً لفساد معدته وربما أودى بحياته، وإن تجاوز الرغيث - في طرف القلة - بأن تناول نصف الرغيث، أوجب ذلك ضعفاً في بدنه وربما آل به الأمر إلى المرض... وهكذا.. وهكذا.
والروح ليس بدعاً من الأمور، فلها ميزان خاص وقسطاس مستقيم، إن تعداه الشخص أوجب ذلك اختلالاً في توازنه، وخذ مثلاً: يحتاج الشخص إلى قدر من الشجاعة لمواجهة مصاعب الدهر ومتاعبه وتأمين حياته قبيل الكوارث، فإن زادت الشجاعة إلى القدر المعين كان ذلك (تهوراً) يوجب اقتحام المهالك - بلا جدوى - وإن نقصت عن القدر المعين كان (جبناً) يوجب الفرار عن المشاكل وفيه من المهانة والذلة والهلاك - أحياناً - ما هو معلوم.

إنّ المتهور يلقى بنفسه في الهلكة، والجبان يجبن عن فأرة وهرة.
إذا فالفضيلة هي القدر المعين من الشجاعة.
وهكذا قل: بالنسبة إلى الجود، والغيرة، والحب.. وأضرابها.
ومن هذا نستنتج إنّ الفضيلة هي الحد الوسط بين الزيادة والنقصان وهذان هما الرذيلة. وربما يكون قول نبي
الأخلاق (صلى الله عليه وآله وسلم): (خير الأمور أوسطها)(١) إشارة إلى هذا.

الرذيلة تحجب...

المترف الذي لا يزال يدور في ترفه، محروم عن لذة السيطرة على النفس. والجبان الذي يجبن حتى عن خياله،
محروم عما للشجاعة من فضيلة وثناء. والبخيل الذي لا يعطي لفقير درهماً، محروم من آثار الجود وفوائد السخاء.
وهكذا قل في كل رذيلة.. إنها تحجب عن الفضائل فتكون النفس بها كالغرفة المظلمة التي حرمت من أشعة الضياء،
أو كالأرض القاحلة المحرومة من بهجة الرياض، ونظرة الأزهار.
يقول النبي (صلى الله عليه وآله وسلم): (لولا إنّ الشياطين يحرمون إلى قلوب بني آدم لنظروا إلى ملكوت
السموات والأرض)(٢).

إنّ الجاهل ينظر إلى الهواء، لكن العارف يعلم إنّها ممّا ركبت والغبي يحسب العطاء سفهاً، والعاقل يراه جوداً
وفضلاً، فشياطين المنع والبخل والاستهتار.. تمنع عن إدراك حقائق الأشياء مما خلقها الله في الكون من آثار الملك
ولطيف الصنع، إنها تحتاج إلى قطع دابر الشياطين حتى يرى الإنسان حقائق العالمين.
يقول الله تعالى: (وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا...)(٣) إن العلم سبيل من سبيل الله ولا يحصل بمجرد، انه
يحتاج إلى جهاده مع الجهل والإيثار بسبيل من سبيل الله، ولا يحصل إلا بعد مجاهدة مع النفس الأمارة بالبخل وقل مثل
ذلك في سائر الصفات.

وبهذا نفسر ما يقوله الرسول العظيم (صلى الله عليه وآله وسلم): (من عمل بما علم ورثه الله علم ما لم يعلم)(٤)
وهذا ناموس جار في جميع الكون فإن الأمور كالحلقات يتبع بعضها بعضاً، فمن عمل بما عرف، بأن جعله في موضع
اعتنائه، ازداد شوقاً إلى مجهول آخر وحيث عرفه وعمل به ازداد شوقاً إلى مجهول ثالث وهكذا دواليك.
كما أن من تمرن على رفع عشرين كيلواً، ازداد قوة حتى يتمكن من رفع ثلاثين وهكذا.
وليست الفضيلة مما تلقي على الإنسان بمجرد التمني وإلا لأصبح كل فرد فاضلاً يقول الله: (لَيْسَ بِأَمَانِيكُمْ وَلَا
أَمَانِيَّ أَهْلَ الْكِتَابِ مَنْ يَعْمَلْ سُوءاً يُجْزَ بِهِ...)(٥).
بل إنما تحتاج إلى تبصر في الأمور، واكتساب دائم ودؤوب في التحصيل.

- ١ - الكافي: ج ٦، ص ٥٤١.
- ٢ - جامع السعادات: ٤٤/١.
- ٣ - سورة العنكبوت: آية ٦٩.
- ٤ - جامع السعادات: ٤٤/١.
- ٥ - سورة النساء: آية ١٢٣.

يقول الإمام (عليه السلام): (ليس العلم بكثرة التعلم وإنما هو نور يقذفه الله في قلب من يشاء) لكن لا يقذفه اعتباراً كما لا ينمي الشجرة والأرض مألحة، والماء أجاج، وإنما يقذفه في قلب من أخلص وجد واجتهد. ويفسر ذلك الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام): (إن من أحبّ عباد الله إليه عبداً أعانه الله على نفسه فاستشعر الحزن وتجلبب الخوف. فزهر مصباح الهدى في قلبه).
الى أن قال:

... قد خلع سراويل الشهوات، وتخلّى عن الهموم إلاّ هماً واحداً، انفرد به فخرج من صفة العمى ومشاركة أهل الهوى، وصار من مفاتيح أبواب الهدى ومغاليق أبواب الردى، قد أبصر طريقه، وسلك سبيله وعرف مناره، وقطع غماره واستمسك من العرى بأوثقها ومن الحبال بأمتنها، فهو من اليقين على مثل ضوء الشمس)(٦).
وقال (عليه السلام): (قد أحيا قلبه وأمات نفسه حتى دقّ جليله، ولطف غليظه، وبرق له لامع كثير البرق، فأبان له الطريق وسلك به السبيل وتدافعت الأيواب إلى باب السلامة ودار الإقامة، وثبتت رجلاه لطمانينة بدنه في قرار الأمن والراحة بما استعمل قلبه وأرضى ربه)(٧).

انه كذلك. فالفاضل في قرار وراحة، يرى طريق العمل، ولا تنزل قدمه من المزالق.
ويقول (عليه السلام) في كلام ثالث:

(هجم بهم العلم على حقيقة البصيرة وباشروا روح اليقين واستلانوا ما استوعره المترفون، وأنسوا بما استوحش منه الجاهلون وصحبوا الدنيا بأبدان أرواحها معلقة بالمحل الأعلى)(٨).
لا بأبدان البهائم همتها بطونها، أمّا جارها الجائع، أمّا قريبتها الطاوي، أمّا... أمّا.. فلا تشعر بذلك أبداً. بل أرواحها معلقة بالمحل الأعلى أعلى من ذلك مرّات ومرّات...

دنيا وآخرة

ينسلخ بعض الناس عن الدنيا فيترهب، وينسلخ بعض الناس عن الآخرة فيلحد، وكلاهما على خطأ.
إن البدن والروح إذا شبّها بالحصان وراكبه لم يك بعيداً، والغاية من هذا الوصول إلى دار آخرة هي جنات عرضها السماوات والأرض. وكما أن على الراكب أن يتعاهد أمر فرسه بالعلف والسقي حتى يوصله إلى مقصده، كذلك على الإنسان أن ينظم أمور جسده من أكل وشرب ونوم وراحة حتى يكمل فضائله استعداداً لمقصده.
فأولئك الذين يتكالبون على الحطام دون اعتناء بالناحية الروحية يكون حالهم كراكب أغفل نفسه، واعتنى بأمر دابته، حتى مات جوعاً وعطشاً.. وليس قوله، إلا كما حكى الله عنه: (... يا حسرتى على ما فرطت في جنب الله...)(٩).

وأولئك الذين تبعد أعينهم عن البدن ويشغلون بالآخرة المجردة - في زعمهم - يكون حالهم كالراكب إذا أغفل أمر دابته واشتغل بنفسه فإنه ينقطع في الطريق ولا يصل إلى المقصود وفي ذلك يقول النبي (صلى الله عليه وآله وسلم):
كالراكب المنبت لا سفرأ قطع، ولا ظهرأ أبقي)(١٠).

-
- ٦ - جامع السعادات: ٤٥/١.
 - ٧ - جامع السعادات: ٤٦/١.
 - ٨ - جامع السعادات: ٤٦/١.
 - ٩ - سورة الزمر: آية ٥٦.

وفي الحديث عن الصادق (عليه السلام): (ليس من ترك آخرته لدنياه، وليس من ترك دنياه لآخرته) (١١).

العلم والجهل

قد يتعلم الإنسان العلم، لكن علمه يصبح وبالأعلى عليه لتجاوزه حدود العقل والعرف، فلا يزال يستخرج أشياء - لا واقع لها - حتى يورده العلم المطاطي إلى الوسوسة والفسوسة، وهذا هلاك للروح والجسد والدنيا والآخرة.

وقد لا يتعلم شيئاً فيكون جاهلاً وهذا كأخيه في المصيبة! إلا أن الجاهل الذي يعلم بجهله أهون مصيبة من الجاهل الذي يزعم نفسه عالماً، وهذا ما يسمّى بـ: (الجهل المركب) إذ من يعلم أنه جاهل، ربما يطلب العلم ويستمع إلي كلام العلماء، أما من يرى نفسه عالماً وهو جاهل فإنه لا يزال يرتطم في جهله، وكلما أراد أحد انتشاله من هوته استكبر واستعلا، فيبقى في الجهل.

وينقل عن عيسى المسيح (عليه السلام) أنه قال: (إني لا أعجز عن معالجة الأكمه والأبرص، وأعجز عن معالجة الأحمق) فإن الله سبحانه جعل مفتاح شفاء المرضى في يده، أما شفاء الحمقى فكان بالطرق العادية وانه مما يعجز عنه المسيح!

والعلم في نظر نبي الإسلام وأوصيائه (عليهم السلام) شيء حتى أنه ربما يدهش الإنسان ما ورد في فضله على لسان الرسول والأنمة (عليهم السلام) لكن الحقيقة تنفي الدهشة، أليس بالعلم تقوم الدنيا وتعمر الآخرة؟ إذا فمستوى العلم رفيع جداً وجراداً.

واليك نبذ مما ورد في العلم يقول الله تعالى: (... هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ...) (١٢). انهم لا يستون. وقال: (... وَمَنْ يُؤْتِ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا...) (١٣). وأي خير أعظم. من الحكمة التي هي معرفة وضع كل شيء في موضعه اللائق به؟! وقال: (وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ) (١٤) ضرب المثل عام أما التعقل فهو خاص بأهل العلم، إن الجاهل يمر على الشيء مرور الكرام، أما العاقل العالم فهو وحده يدرك المغزى المراد.

وقال النبي (صلى الله عليه وآله وسلم): (اللهم ارحم خلفائي، قيل: يا رسول الله من خلفاؤك؟ قال: الذين يأتون من بعدي ويروون حديثي وسنتي) (١٥) أليس من يروي الحديث خليفة رسول الله؟ وهل خليفته إلا من يعلم سننه ثم ينشرها بين الناس؟ وهناك حديث قاله الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) لأبي ذر الصحابي الجليل بشأن العلم وربما يستغربه من لا خبرة له: (أما والعلم هو أساس الاجتماع والتمدين، وبه تناط سعادة الآخرة) فلا غرابة فيه وإن كانت الأرقام كبيرة جداً وجراداً.

١٠ - أصول الكافي: ٨٦/٢.

١١ - جامع السعادات: ٢٢/٢.

١٢ - سورة الزمر: آية ٩.

١٣ - سورة البقرة: آية ٢٦٩.

١٤ - سورة العنكبوت: آية ٤٣.

١٥ - جامع السعادات: ١٣٧/١.

قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) لأبي ذر: (جلوس ساعة عند مذاكرة العلم أحب إلى الله تعالى من قيام ألف ليلة يصلي في كل ليلة ألف ركعة وأحب إليه من ألف غزوة ومن قراءة القرآن كله اثني عشر ألف مرة، وخير من عبادة سنة صام نهارها وقام ليلها، ومن خرج من بيته ليلتمس باباً من العلم كتب الله عز وجل له بكل قدم ثواب نبي من الأنبياء وثواب ألف شهيد من شهداء بدر...).

وهنا ينبغي أن نقف قليلاً ثم نعود إلى الحديث.

إن تراب قدم مبتغي العلم تراب قدم نبي وتراب قدم ألف شهيد من شهداء بدر، فلو أخذنا أن نبياً تخطى خطوة واحدة في سبيل العلم كان خطوة هذا الطالب تعادلها وكذا خطى ألف شهيد، أليس بالعلم يحفظ تراث الأنبياء وبالعلم يحفظ ما قصده الشهداء من إعلاء كلمة الله ورفاه البشر وسعادته؟ إذاً ليس ذلك غريباً.

وكذا الأرقام التي ذكرت للعبادات إن العبادة بدون العلم مثلها مثل ما يصنعه الحيوان انه لا قيمة له، أما بالعلم فهو ذو قيمة كبيرة فالعلم أحب من العبادات الكثيرة.

واستطرد الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) في حديثه يقول: (... وأعطاه الله بكل حرف يسمع أو يكتب مدينة في الجنة وطالب العلم يحبه الله وتحبه الملائكة والنبيون، ولا يحب العلم إلا السعيد وطوبى لطالب العلم والنظر في وجه العالم خير من عتق ألف رقبة، ومن أحب العلم وجبت له الجنة، ويصبح ويمسي في رضى الله، ولا يخرج من الدنيا حتى يشرب من الكوثر، ويأكل من ثمرة الجنة، ولا يأكل الدود جسده، ويكون في الجنة رفيق الخضر (عليه السلام)(١٦).

إن العالم الذي كان لعلمه وزن عند الله تعالى لا يأكل جسده الدود، أما كل عالم فلا، ومن هذا السياق يعلم إن هذه المثوبات إنما هي لبعض العلماء؛

قال أمير المؤمنين (عليه السلام): (أيها الناس اعلّموا أن كمال الدين طلب العلم والعمل به ألا وإن طلب العلم أوجب عليكم من طلب المال، إن المال مقسوم مضمون لكم، قد قسمه عادل بينكم وضمنه وسيفي لكم، والعلم مخزون عند أهله قد أمرتم بطلبه من أهله فاطلبوه)(١٧) رأيت حياً بدون رزق؟ أما الجهال فكثيرون فالرزق مقسوم يطلبه كل أحد حتى ينال حصته أما العلم فهو خاص لا يطلبه إلا البعض وهذا هو الفارق الذي يشير إليه الحديث.

وقال (عليه السلام): (إذا مات مؤمن وترك ورقة واحدة عليها علم كانت تلك الورقة ستراً بينه وبين النار، وأعطاه الله بكل حرف عليها مدينة أوسع من الدنيا سبع مرات)(١٨).

وما أحوج الإنسان إلى مدن كثيرة هناك انه يصبح ملكاً - كما في الحديث - وخدمه وحشمه الملائكة، وهل للملك ارتواء من سعة البلاد وكثرة المدن؟.

وقال الإمام زين العابدين (عليه السلام): (لو يعلم الناس ما في طلب العلم، لطلبوه ولو بسفك المهج وخوض اللجج)(١٩).

وقال الإمام الباقر (عليه السلام): (عالم ينتفع بعلمه أفضل من سبعين ألف عابد)(٢٠). إن الكليني والصدوق والشيخ والمفيد والمرتضى وأصراهم لا يقاسون بملء الدنيا عباد، فالعباد ولو كانوا ملايين يذهبون، ولا ينتفع بهم، أما هؤلاء فهم نشروا العلم في ملايين وملايين وملايين، فلو كان أحدهم أفضل من سبعين ألف عابد لم يكن ببعيد.

١٦ - جامع السعادات: ١٣٧/١.

١٧ - أصول الكافي: ٣١/١ - جامع السعادات: ١٣٨/١.

١٨ - جامع السعادات: ١٣٨/١.

١٩ - أصول الكافي: ٣٥/١ - جامع السعادات: ١٣٨/١.

٢٠ - جامع السعادات: ١٣٨/١.

ويروي الإمام الرضا (عليه السلام) عن آبائه (عليهم السلام) عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) أنه قال: (طلب العلم فريضة على كل مسلم، فاطلبوا العلم في مظانّه واقتبسوه من أهله، فإنّ تعلّمه - لله - حسنة، وطلبه عبادة، والمذاكرة به تسبيح، والعمل به جهاد، وتعليمه من لا يعلمه صدقة، وبذله لأهله قربة إلى الله لأنّه معالم الحلال والحرام، ومنار سبيل الجنة، والمؤنس في الوحشة، والصاحب في الغربة والوحدة، والمحدث في الخلوة، والدليل على السراء والضراء والسلاح على الأعداء، والزين عند الإخلاء، يرفع الله به أقواماً ويجعلهم في الخير قادة، تقتبس آثارهم ويقتدى بأفعالهم وينتهى إلى آرائهم، ترغب الملائكة في خلّتهم، وبأجنتها تمسهم، وفي صلاتها تبارك عليهم، ويستغفر لهم كلّ رطب ويابس، حتى حيتان البحر وهوامه وسباع البر وأنعامه.

إنّ العلم حياة القلوب من الجهل، وضياء الأبصار من الظلمة وقوّة الأبدان من الضعف، يبلغ بالعبيد منازل الأخيار ومجالس الأبرار والدرجات العلى في الآخرة والأولى، الذكر فيه يعدل بالصيام، ومدارسته بالقيام، به يطاع الرب ويعبد، وبه توصل الأرحام ويعرف الحلال والحرام، العلم إمام، والعمل تابعه يلهمه السعداء ويحرمه الأشقياء فطوبى لمن لم يحرمه الله من حظّه (٢١).

إذاً: على الإنسان أن يتعلّم ويتعلّم.. حتى تبدو له آفاق جديدة من المعرفة، ويرتقي في مراقبي رفيعة من الإدراك، والعالم بقدر علمه تكون سعة نفسه، ورحابة ذهنه، فالجاهل مطبق الفؤاد كالأعمى الذي لا يبصر.

المعلم والمتعلم

العلم فضيلة، والفضيلة لا تكون فضيلة إلا إذا أريد بها ذاتها، أما لو أريد بها غيرها بأن جعلت قطرة إلى لذة عابرة، أو شهوة طارئة أو مال أو جاه.. فهي بالرديلة أشبه. أليس الجود حسناً؟ ومع ذلك فإذا أراد المنفق غير الجود ذاته بأن أراد مدحاً أو شهرة أو ما إليهما إنقلب الجود رذيلة بعيدة عن القيم الإنسانية والمثل العالية.

وهكذا العلم، فمن تعلم لتكمل نفسه وليخدم الناس أو ما أشبهه، فهو حقاً طلب العلم لذاته وله من الله المثوبة، ولدى الناس الذكر الحسن أما لو طلبه لجاه أو مال، أو مرأه أو مباهاة فيكيل له الناس الإهانة والازدراء، ويجزيه الله الجزاء السيء.

قال الإمام الباقر (عليه السلام): (من طلب العلم ليباهي به العلماء أو يماري به السفهاء، أو يصرف به وجوه الناس فليتبوأ مقعده من النار، إنّ الرياسة لا تصلح إلا لأهلها) (٢٢). فالعلم المراد به المباهاة والمماراة، والجاه، لا يؤهل الإنسان للرياسة، إنّّه بعكس ذلك يبعد عن هذا المقام فالناس تبع لكلّ متواضع مجامل، لا كلّ متكبر مباح... وقد قسم الإمام الصادق (عليه السلام) طلبية العلم إلى ثلاثة أقسام وبينّ علام كل واحد كي لا يغترّ الناس بمن جعل صدره صندوق الكتب وهو فارغ عن بهاء العلم وفضله، ويكون حاله حال من حفظ كتاب البخاري فقيل لأحد العلماء: إنّ فلاناً حفظ كتاب البخاري، قال: ازدادت نسخة في البلد! يريد أنّ حفظه إيّاه ليس إلا كنسخة مطبوعة وما قيمة النسخة: إنّها على أكثر الفروض ثلاثة دناتير أو ما يقاربها.

٢١ - أصول الكافي: ٣٠/١ - جامع السعادات: ١٣٩/١.
٢٢ - أصول الكافي: ٤٧/١ - جامع السعادات: ١٤٠/١.

قال (عليه السلام): (طلبة العلم ثلاثة، فأعرفهم بأعيانهم وصفاتهم، صنف يطلبه للجهل والمرء، وصنف يطلبه للاستطالة والختل، وصنف يطلبه للفقہ والعقل.

فصاحب الجهل والمرء: مؤذ ممار متعرض للمقال في أندية الرجال بتذاكر العلم وصفة الحلم وقد تسربل بالخشوع، وتخلى من الورع، فدىق الله من هذا خيشومه وقطع منه حيزومه.

وصاحب الاستطالة والختل: ذو خب وملق، يستطيل على مثله من أشباهه، ويتواضع للأغنياء من دونه، فهو لحوانهم هاضم، ولدينه حاطم، فأعمى الله على هذا خبره، وقطع من آثار العلماء أثره.

وصاحب الفقه والعقل ذو كآبة وحزن وسهر، قد تحنك في برنسه وقام الليل في حنسه، يعمل ويخشى وجلأ داعياً مشفقاً مقبلاً على شأنه، عارفاً بأهل زمانه، مستوحشاً من أوثق إخوانه، فشدَّ الله من هذا أركانه وأعطاه يوم القيامة أمانه(٢٣).

ونتوقف عند هذا الحديث - لا للشرح فشرحه طويل - بل لأن نقول: إن من الظريف أن الناس بطبيعتهم يعرفون هذه الأقسام فيعكسون الأوكن ويلتقون حول القسم الثالث ومن نظر إلى العلماء في كل زمان رأى صدق ما ذكرناه.

وكفى هذا خزيًا للأوكن ورفعاً وسمواً للثالث!

ثم إن العلم مهما كان نوعه فإنه يحتاج إلى العمل بخط مستقيم لا غير، وإلا فسرعان ما يذهب العلم وتبقى الحسرة، مثلاً: علم الطب والهندسة والرياضيات وما إليها... تحتاج إلى أعمال مباشرة، وعلم أصول الدين والحكمة والفلسفة ونحوها تحتاج إلى الممارسة والتكرار والعمل بمقتضاها، فالعالم ينبغي له أن يراعي هذا الجانب المهم من العلم.

قال الإمام الصادق (عليه السلام): (العلم مقرون إلى العمل، من علم عمل ومن عمل علم، والعلم يهتف بالعمل فإن أجابه! وإلا ارتحل عنه)(٢٤) وكيف لا يرتحل ولا يستمد ما يقضي بقاءه؟ وقال الإمام زين العابدين (عليه السلام): (ومكتوب في الإنجيل: لا تطلبوا علم ما لا تعملون ولما تعملوا بما علمتم، فإن العلم إذا لم يعمل به لم يزد صاحبه إلا كفرًا، ولم يزد من الله إلا بعداً)(٢٥) إن من يعلم أن الشيء الفلاني محرم ثم لا يبالي بفعله إنه يبتعد عن الله أكثر مما يبتعد الجاهل، فمن يعرف القانون ثم يخترقه أكثر جرماً ممن لا يعلم بالقانون.

وقد اشتد اللوم على تارك العمل حتى قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): (العلماء رجلان: رجل عالم أخذ بعلمه فهذا ناج، وعالم تارك لعلمه فهذا هالك، وأن أهل النار ليتأذون من ريح العالم التارك لعلمه، وإن أشد أهل النار ندامةً وحسرةً رجل دعا عبداً إلى الله فاستجاب له، وقيل منه، فأطاع الله، فأدخله الله الجنة، وأدخل الداعي النار بترك علمه واتباعه الهوى وطول الأمل، أما أتباع الهوى فيصد عن الحق، وطول الأمل ينسى الآخرة)(٢٦).

ومما يزيد العلم بهاءً والعالم سودداً أن يتحلى بالحلم والتواضع فالتواضع والحلم يزينان كل شيء، والتكبر والخرق يشينان كل شيء، يقول الإمام الصادق (عليه السلام): (اطلبوا العلم وتزينوا معه بالحلم والوقار، وتواضعوا لمن تعلمونه العلم، وتواضعوا لمن طلبتم منه العلم، ولا تكونوا علماء جبّارين فيذهب باطلكم بحقكم)(٢٧).

وما يجدر الإشارة إليه: إن العلم ثمين جداً فعلى العالم أن يتحرى موضع وضع هذا الجوهر الغالي فكثير من العلوم يسبب الدمار والهلاك إذا وضع بين يدي السفاكين، وبالعكس يسبب العمران والرقى إذا بذل لمن يريد خير البشرية وازدهارها، فمثلاً علم (جراثيم الأوبئة) سبب لنشر الأمراض، إذا تعلمه أعداء البشرية، وبالعكس هو بذاته سبب لقتل الأمراض، ونجاة الناس من فتكها، إذا تعلمه الطبيب الشفيق.

٢٣ - جامع السعادات: ١٤٠/١.

٢٤ - جامع السعادات: ١٤١/١.

٢٥ - أصول الكافي: ٤٤/١ - جامع السعادات: ١٤١/١.

٢٦ - أصول الكافي: ٤٤/١ - جامع السعادات: ١٤١/١.

٢٧ - أصول الكافي: ٣٦/١ - جامع السعادات: ١٤٢/١.

والى هذه النقطة المهمة يشير النبي العظيم عيسى بن مريم (عليه السلام) كما يرويه الإمام الصادق (عليه السلام) قال: (قام عيسى بن مريم خطيباً في بني إسرائيل، فقال: يا بني إسرائيل! لا تحدثوا الجهال بالحكمة فتظلموها ولا تمنعوها أهلها فتظلموهم)(٢٨).

والإسلام يريد الصدق في كل شيء، ويكره الالتواء والزيغ ولاجل هذا يحرم القول بغير العلم ويحرم التجديف بدون دراية قال الإمام الباقر (عليه السلام): (حق الله على العباد أن يقولوا ما يعلمون ويقفوا عندما لا يعلمون)(٢٩) فلا يبخلوا بالعلم - كي يتسع - ولا يسخو بالجهل - كي لا يستشري ضرره - فإن كل جهل ضار وكل علم نافع، وفي معنى ذلك ما عن ولده الإمام الصادق (عليه السلام) قال: (إن الله تعالى خص عباده بآيتين من كتابه: ألا يقولوا حتى يعلموا ولا يردوا ما لم يعلموا فقال: (...ألم يؤخذ عليهم ميثاق الكتاب أن لا يقولوا على الله إلا الحق...)(٣٠) وقال (بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه ولما يأتهم تأويله...)(٣١)(٣٢).

وليس الأمر يقف على هذا الحد بل أبعد من هذا فلا يريد الإسلام أن يقول الرجل ما يوهم أنه يعلم - والحال أنه لا يعلم - تحفظاً على موازين الصدق ومقاييس الاستقامة، قال الإمام الصادق (عليه السلام): (إذا سئل الرجل منكم عما لا يعلم فليقل: لا أدري. ولا يقل: الله أعلم فيوقع في قلب صاحبه شكاً، وإذا قال المسؤول: لا أدري، فلا يتهمه السائل)(٣٣).

ليصفو قلب الطرفين: هذا صادق في قوله، والسائل مصدق له.

الشك واليقين

الإيمان بالله أول الفضائل وهل فضيلة أرقى من الإيمان بالخالق الرازق الحي المميت المعطي الوهاب..؟ لكن النفوس الضعيفة ربما يخالجها الشك كالأبدان الضعيفة التي تمرضها الإسقام، فعلى الشخص أن يتعاهد نفسه كما يتعاهد جسمه كي لا تقع في أحابيل الأوهام حتى تنجر إلى الشك ثم الإنكار، فإنه من أقبح الرذائل، وهل أقبح من نكران الله العظيم الذي بيده أزمة الخلق والأمور، والى هذا التدرج: وسوسة، فشك، فجحود يشير الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام) حيث يقول: (لا ترتابوا، فتشكوا، ولا تشكوا، فتكفروا)(٣٤).

ومن كفر أو شك لا ينفعه عمله، إذ العمل بلا يقين كالبناء من دون أساس ومتى استقام البناء بدون الأساس استقام العمل بدون اليقين، قال الإمام الباقر (عليه السلام): (لا ينفع مع الشك والجحود عمل)(٣٥) وقال ولده الإمام الصادق

-
- ٢٨ - أصول الكافي: ٤٢/١ - جامع السعادات: ١٤٣/١ الهاء.
٢٩ - أصول الكافي: ٤٣/١ - جامع السعادات: ١٤٣/١.
٣٠ - سورة الأعراف: آية ١٦٩.
٣١ - سورة يونس: آية ٣٩.
٣٢ - أصول الكافي: ٤٣/١ - جامع السعادات: ١٤٣/١.
٣٣ - أصول الكافي: ٤٣/١ - جامع السعادات: ١٤٤/١.
٣٤ - أصول الكافي: ٣٩٩/٢ - جامع السعادات: ١٥٢/١.
٣٥ - أصول الكافي: ٤٠٠/٢ - جامع السعادات: ١٥٢/١.

(عليه السلام): (إن الشك والمعصية في النار، ليس منّا ولا إلينا)(٣٦) لم يخرج هذان الأمران الخبيثان، من الأئمة الطيبين، ولا يعودان إليهم (... الخبيثات للخبيثين... والطيبات للطيبين...)(٣٧).

والثالث لا يرجى منه خير، كيف وقد أوصد باب الخير على نفسه؟ وابتلى بمرض لا يرجى له البرء قال (عليه السلام): (من شك في الله تعالى بعد مولده على الفطرة لم يفىء إلى خير أبداً)(٣٨) لكن المحذور ليس هو مجرد الشك إذ ربما يوسوس الشيطان في نفس الإنسان بما لا يريد، وإنما المحذور البقاء على الشك ولذا قال (عليه السلام): (من شك أو ظن فأقام على أحدهما أحبط الله عمله إن حجة الله هي الحجة الواضحة)(٣٩).

وأية حجة أوضح من احتياج هذا الخلق الواسع العظيم، إلى خالق ومدبر؟!.

وكلما يكون الشك موعلاً في الدناءة والخسة فاليقين بعكسه فضيلة لا أفضل منها إذ الفضائل كلها من فروعه، يقول النبي العظيم محمد (صلى الله عليه وآله وسلم): (اليقين الإيمان كله)(٤٠) فالمتيقن لا بد وأن يعمل إذ لا يجتمع اليقين والعطالة، فهل سمعت بمن يتيقن أن خلفه الأسد ولا يفر منه؟ أو هل تعلم أحداً علم دواءه ثم أحجم عن شربه؟ كلا! لا يكون ذلك إلا في السفهاء، والكلام في العاقل. إذ أاليقين هو الإيمان ولو أخذنا أنه لم يعمل بمقتضى اليقين فهو عرض زائل ومثله لا يضر، قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): (ما آدمي إلا وله ذنوب، ولكن من كانت غريزته العقل وسجيته اليقين، لم تضره الذنوب، لأنه كلما أذنب ذنباً، ندم واستغفر، فتكفر ذنوبه، ويبقى له فضل يدخل به الجنة)(٤١).

واليقين بالإضافة إلى ذلك يوجب الهدوء والسكينة إنه يعلم أن مقادير الأمور بيد الله تعالى وأنه لو أصابته مصيبة في مال أو ولد أو نفس فإنما هي بأمر الله تعالى وسيجزيه على ذلك، فلم يحزن؟ قال الإمام الصادق (عليه السلام): (إن الله تعالى بعدله وقسطه جعل الروح والراحة في اليقين والرضا، وجعل الهم والحزن في الشك والسخط)(٤٢).

لكن هذا اليقين بما له من فضل ليس كثير الوجود وإن كثرت دعاوي الناس بأنهم أتوه بل هو قليل وقليل جداً، وقليله أيضاً نافع فهو كالماء قليله يمنع الهلاك وإن كان كثيره أفضل يروي ويوجب النشاط والحياة، قال النبي (صلى الله عليه وآله وسلم): (أقل ما أوتيتم اليقين وعزيمة الصبر، ومن أوتي حظه منهما لم يبال ما فاته من صيام النهار وقيام الليل)(٤٣) إن هذين مستحبان ففوتهما غير مضر أما فوت اليقين فمعناه فوت الإيمان كله، وليست قلة اليقين وعزيمة الصبر لجور القسمة وإنما هي لكون هذين بالاكتماب وقل من يطلبهما.

وأخيراً فالعمل ناشئ عن اليقين فكما ازداد اليقين ازداد العمل وبالعكس فهو كالضوء كلما ازداد، ازداد المضيء، وكيف لا والعمل ناشئ عنه ومن ثمراته؟ قال لقمان لابنه: (يا بني لا يستطاع العمل إلا باليقين، ولا يعمل المرء إلا بقدر يقينه، ولا يقصر عامل إلا حتى ينقص يقينه) ومع ذلك فالعمل القليل باليقين أفضل من العمل الكثير مع الشك إذ العمل لا يقاس حجمه وإنما يقاس روحه، فالأول كالماس والثاني كالحجر وقليل من الماس خير من كثير من الحجر، قال الإمام الصادق (عليه السلام): (إنّ العمل الدائم القليل على اليقين أفضل عند الله تعالى، من العمل الكثير على غير يقين)(٤٤).

٣٦ - أصول الكافي: ٤٠٠/٢ - جامع السعادات: ١٥٢/١.

٣٧ - سورة النور: آية ٢٦.

٣٨ - أصول الكافي: ٤٠٠/٢ - جامع السعادات: ١٥٢/١.

٣٩ - أصول الكافي: ٤٠٠/٢ - جامع السعادات: ١٥٢/١.

٤٠ - جامع السعادات: ١٥٤/١.

٤١ - جامع السعادات: ١٥٤/١.

٤٢ - جامع السعادات: ١٥٤/١٠.

٤٣ - جامع السعادات: ١٥٤/١.

٤٤ - جامع السعادات: ١٥٤،٠/١.

الخواطر والأفكار

الإنسان مركب عجيب تتسع فيه الآفاق وتستحكم فيه الأجهزة فهو ذو أدوات وآلات لا يعرف كنهها، وإنما القدر المعروف هو ظواهرها فله جسم وصفات جسم، وروح وصفات روح، ولكلّ ميدان وسيع وأطراف مترامية رحبة ولا يكاد يعلم من هذه كلها إلا القليل النادر، وإن كان ربما يدّعي أدعياء العلم أنهم وصلوا الكنه، إلا أنّه كلام فارغ تشهد بذلك قرارة أنفسهم، وخذ مثلاً: هذا الذي نسميه خواطر - في اليقظة - وأحلاماً - في النوم - مجهول الكنه إلى يوم الناس هذا، وإن كان (فرويد) ومن حذا حذوه، من المجازفين يرون أنهم وصلوا العمق!.

وهناك حديث عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) يفسر الخواطر نقبله لأنه (صلى الله عليه وآله وسلم) كان يعلم ما وراء الظواهر وإن كنا نحن لا نلمس ذلك لضيق حدود مداركنا وانحصارها في المحسوسات وما إليها، قال (صلى الله عليه وآله وسلم): (في القلب لمتان: لمة من الملك إيعاد بالخير وتصديق بالحق، ولمة من الشيطان إيعاد بالشر وتكذيب بالحق) (٤٥) وقريب منه قوله الآخر (صلى الله عليه وآله وسلم): (قلب المؤمن بين إصبعين من أصابع الرحمن) (٤٦) فكما إن الشيء المحاط بإصبعين يقلب كيف يشاء صاحبها كذلك يقلب قلب المؤمن حسب مشيئة الرحمن وإلقاء الملك المتمركز هناك.

وعلى أي، فالخواطر يلزم أن تهذب وإلا طالت السلسلة حتى تؤدي إلى الوسوسة، وتوجيه الخواطر إلى الخير، هو الذي يسمى بالتفكير، وقد ندب إليه الإسلام لأنه مجلي العلوم، وكاشف الرموز والداعي إلى العمل الصالح، قال النبي (صلى الله عليه وآله وسلم): (التفكر حياة قلب البصير) (٤٧) وقال: (فكرة ساعة خير من عبادة سنة) (٤٨) إن فكرة ساعة ربما أدت إلى خير الدنيا والآخرة، كما نرى ذلك في شهيد الطف (حر الرياحي) فهي إذاً أفضل من عبادة سنوات. قال أمير المؤمنين (عليه السلام): (إن التفكير يدعو إلى البر والعمل به) (٤٩).

وقال (عليه السلام): (نبه بالتفكر قلبك، وجاف عن الليل جنبك واتق الله ربك) (٥٠).

وقال الإمام الباقر (عليه السلام): (باجالة الفكر، يستدر الرأي المعشب) (٥١).

وقال الإمام الصادق (عليه السلام): (الفكر مرآة الحسنات وكفارة السيئات، وضياء للقلوب، وفسحة للخلق، وإصابة في صلاح المعاد، وإطلاع على العواقب، واستزادة في العلم، وهي خصلة لا يعبد الله بمثلها) (٥٢).

وقال الإمام الرضا (عليه السلام): (ليس العبادة كثرة في الصلاة والصوم، إنما العبادة التفكير في أمر الله عز وجل) (٥٣) إذ بالتفكير ترسي دعائم الإيمان، وإلا فكم من صام وصلّى يتزعزع بعاصفة واحدة تهشم إيمانه كما تهشم الريح اليابس من الأعشاب.

٤٥ - جامع السعادات: ١٧٨/١.

٤٦ - جامع السعادات: ١٧٩/١.

٤٧ - جامع السعادات: ٢٠١/١.

٤٨ - جامع السعادات: ٢٠١/١.

٤٩ - أصول الكافي: ٥٥/٢ - جامع السعادات: ٢٠٢/١.

٥٠ - أصول الكافي: ٥٤/٢ - جامع السعادات: ٢٠٢/١.

٥١ - جامع السعادات: ٢٠٢/١.

٥٢ - جامع السعادات: ٢٠٢/١.

٥٣ - أصول الكافي: ٥٥/٢ - جامع السعادات: ٢٠٢/١.

أما الخواطر المذمومة فعلى الإنسان أن يجتنبها مهما هجمت عليه وإلا أودت بجسمه ونفسه، تحطم صحته البدنية والعقلية بالإضافة إلى أنه ربما أوجبت الكفر والإلحاد. وقد أشفق من هذا الأخير أحد الصحابة فعن (الكافي) أنه جاء رجل إلى النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) فقال: (يا رسول الله هلكت، فقال له (صلى الله عليه وآله وسلم): هل أتاك الخبيث، فقال لك: من خلقك؟

فقلت: الله تعالى خلقتني. فقال لك: الله من خلقه؟ فقال له: إي والذي بعثك بالحق كان كذا، فقال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): ذاك والله محض الإيمان(٥٤).

لأنه قطع سلسلة الوسواس، بلجونه إلى النبي (صلى الله عليه وآله وسلم)، لدفع ما دهمه، وكون هذا محض الإيمان واضح إذ لو لم يكن مؤمناً بالله لما اعتقد أن الآتي إبليس يريد أن يخدعه عن دينه.

ثم إن هذه الشبهة، أعني شبهة: من خلق الله؟ سخيقة جداً إذ كل ما بالغير لا بد وأن يستند إلى ما بالذات فهو بنفسه، واليك مثلاً: نور كل شيء وضيائه مستفاد من الشمس - كما أثبت ذلك العلم - أما نور الشمس فهو بنفسه لم تأخذه عن شيء آخر، أي في سلسلة النور هي المصدر دون سواها - أما الخلق فهي مخلوقة كما لا يخفى - وكذا دهونة كل شيء من الدهن، أما الدهن فهو دسم بنفسه لا عن غيره.

وهذا القدر من الخواطر المذمومة معفو عنه إذ لا يخلو عنه أحد قال النبي (صلى الله عليه وآله وسلم): (وضع عن أمتي تسع خصال: الخطأ، والنسيان، وما لا يعلمون، وما لا يطيقون، وما اضطروا إليه، وما استكروها عليه، والطيبة، (والوسوسة في التفكير في الخلق)، (والحسد ما لم يظهر بلسان أو يد)(٥٥) وكتب رجل إلى الإمام الباقر (عليه السلام) يشكو إليه لمما؟ فأجابه (عليه السلام): (إن الله تعالى - إن شاء ثبتك، فلا يجعل لإبليس عليك طريقاً - قد شكى قوم إلى النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) لمما يعرض لهم، لأن تهوي بهم الريح، أو يقطعوا أحب إليهم من أن يتكلموا به فقال لهم رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): (أتجدون ذلك؟ قالوا: نعم، قال: والذي نفسي بيده إن ذلك لصريح الإيمان فإذا وجدتموه قولوا: آمنا بالله ورسوله ولا حول ولا قوة إلا بالله)(٥٦).

والوسوسة معفو عنها حتى عن الكثير منها، لكونها من دون اختيار الشخص، والله أعدل من أن يعاقب أحداً على ما صدر منه كرها، سئل الإمام الصادق (عليه السلام) عن الوسوسة، وإن كثرت؟ فقال: (لا شيء فيها تقول: لا إله إلا الله)(٥٧) وقال جميل بن دراج: قلت للصادق (عليه السلام): إنه يقع في قلبي أمر عظيم! فقال: قل: لا إله إلا الله، قال جميل: فكلما وقع في قلبي، قلت: لا إله إلا الله، فيذهب عني)(٥٨).

المكر والخديعة

ربما يتطلب الإنسان شيئاً لكن لا يتمكن من التوصل إليه بالطرق المستقيمة، وهنا يلتجئ لنيله بالطرق الملتوية وهذه الطرق وإن كانت ربما تهدف المقصد إلا أن بها يلتاث الضمير وتخدش كرامة الحق وهذا الالتواء يسمى بالمكر

٥٤ - أصول الكافي: ٤٢٥/٢ - جامع السعادات: ١٩٥/١.

٥٥ - جامع السعادات: ١٩٦/١.

٥٦ - أصول الكافي: ٤٢٥/٢ - جامع السعادات: ١٩٥/١.

٥٧ - أصول الكافي: ٤٢٤/٢ - جامع السعادات: ١٩٥/١.

٥٨ - أصول الكافي: ٤٢٤/٢ - جامع السعادات: ١٩٦/١.

والخدعة - وقد نهى الإسلام عنهما لما لهما من الضرر، فالإسلام يريد كل شيء مستقيماً صريحاً، أما المكر والخدعة فهما بعيدان عن الحق، فإنه لا بد للماكر من الرياء والنفاق، والكذب والغش.. وما إليها وكلها محرمة في نظر الإسلام. يقول رسول الله (صلى الله عليه واله وسلم): (ليس منا من ماكر مسلماً) (٥٩) ويقول تلميذه الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام): (لولا أن المكر والخديعة في النار لكنت أكر الناس) (٦٠) ولا يزال الماكر يمكر.. ويمكر... حتى يتجلى للناس مكره وخديعته فيجتنب ويرمى بكل شر، وصحيح أن من لا يمكر تفوته منافع عظيمة، إلا إن الإبقاء على طهارة النفس وسلامة الضمير، وحسن السمعة، والذكر الجميل في الأجيال، منافع تتضاعل أمامها كل منفعة.

واليك مثلاً: إن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام) عاصره معاوية وكان الإمام يتجنب عن المكر وربما كان فوّت بعض المنافع عنه (عليه السلام) مستنداً إلى هذا التحرج، أما معاوية فما من طرق ملتوية إلا كان يتبعها رغبة في الاستعلاء وطلباً لعلو الكلمة، حتى إن التاريخ يحدثنا (بأنه كلما غضب على بطريق من علماء الروم - النصارى - كان يهدي إليه هدايا، ويكتب إليه كتاباً يتشكر منه مواقفه تجاه معاوية على ضد حكومته، وكان يوصي الرسول، بأن يتعرض إلى مواقع الشرطة وأمثالهم كي يقع في أيديهم.

وهناك الطامة الكبرى على ذلك البطريق، فرسول معاوية كان يقع في أيدي السلطة، وبعد التفتيش كانوا يظنون بذلك العالم كل شر وله الصلب أو الحبس أو ما إليهما! فيتشفي معاوية ويستلقي ضاحكاً!).

وأخيراً: من حاز حسن الذكر؟ أمعاوية أم الإمام (عليه السلام)؟.

كان الإمام (عليه السلام): (كثيراً ما يتنفس الصعداء ويقول: واويلاه يمكرون بي ويعلمون أنني بمكرهم عالم، وأعرف منهم بوجوه المكر ولكني أعلم إن المكر والخديعة في النار، فأصبر على مكرهم ولا أرتكب مثل ما ارتكبوا) (٦١).

ثم أليس الله رقيب الأعمال؟ وأليس هو لا يصلح عمل المفسدين، وإذا مكر الإنسان فهل يخفى ذلك على الله؟ وإذا مكر الشخص فالله أقوى مكرراً، وهو يقول في كتابه الحكيم: (وَمَكَرُوا وَمَكَرَ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ) (٦٢) وليس المراد من مكر الله معناه المصطلح عندنا بل معناه نقض المكر بما يخفى سببه.

الجبن والتهور

قد يجبن الإنسان حتى عن مواجهة مشكلات الحياة وهذا ليس بإنسان يستحق التقدير، كما أن الشخص قد يكون متهوراً يقتحم المهالك لا لمبرر، وهذا شخص أشبه بالسفاهة منه إلى العقل.

والإسلام حذر منهما جميعاً وإنما يجب الوسط وهو الشجاعة.

يقول الله تعالى: (... وَلَا تُفْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ...) (٦٣) فإن الإنسان الذي يلقي بنفسه في المخاوف والمهالك، لا

لغاية شريفة - كالجهد ونحوه - ألقى بنفسه إلى التهلكة لكنه لهواه لا لأمر عقلاني يستحسن في العرف والشرع.

٥٩ - أصول الكافي: ٣٣٧/٢ - جامع السعادات: ٢٣٧/١.

٦٠ - أصول الكافي: ٣٣٦/٢ - جامع السعادات: ٢٣٧/١.

٦١ - جامع السعادات: ٢٣٨/١.

٦٢ - سورة آل عمران: آية ٥٤.

٦٣ - سورة البقرة: آية ١٩٥.

ويقول نبي الإسلام العظيم (صلى الله عليه وآله وسلم) بصدد الجبن: (لا ينبغي للمؤمن أن يكون بخيلاً ولا جبناً) (٦٤) وقال (صلى الله عليه وآله وسلم) في كلام آخر له: (اللهم إني أعوذ بك من البخل وأعوذ بك من الجبن وأعوذ بك أن أزدل العمر) (٦٥) فهو والبخل بمنزلة واحدة، هذا بخل بماله، وهذا بخل بحركته وكلاهما سبب وقوف الحياة، فبالمال يزدهر العالم ويخطو نحو الأمام، وبالحركة والشجاعة يسحق الظالم ويخلص المظلوم من برائته بكافة ألوانه والجبان لا يخاف إلا مما يخافه البخيل، فالثاني يخاف الفقر، والأول يخاف صدمة جاه أو مال أو نفس، وكلاهما وقعا في ما فرأ منه، فالبخيل - بغريزته - لهم نهم الفقير وأكثر.. والجبان - بفطرته - في صدمة المال والجاه والنفس...

يقول الله تعالى في وصف المؤمنين: (...أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ...) (٦٦).

ويقول: (يا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاَعْلَظْ عَلَيْهِمْ...) (٦٧) إن من يجبن عن الحق معين للظالم، وهو يرسم نصف خطة الظلم، إذ الظلم إقدام من الظالم، وإحجام من المظلوم، فالظالم دبر نصف الخطة، والمظلوم رسم النصف الآخر.

يقول الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام) في وصف المؤمنين (نفسه أصلب من الصلد) (٦٨) ويقول الإمام الصادق (عليه السلام): (المؤمن أصلب من الجبل، إذ الجبل يستقل منه، والمؤمن لا يستقل من دينه) (٦٩) فالمؤمن يحافظ على إيمانه مهما تبدلت الظروف وتغيرت الأحوال أما الجبل فالزمان والفأس فأنهما يستقلان منه ويقطعان بعضه. إذ لا جبن ولا تهور بل شجاعة وإقدام.

وكما أن الجبن مذموم، كذلك الخوف الذي لا سبب له ولا مبرر، كخوف كثير من الناس من الدخول في مواقع الظلمة أو ركوب نحو الطائرة أو خوفهم من الجن أو من الميت أو ما إلى ذلك، وإنما يكون هذا الخوف نقيصة لأنه شل لقسم من الحركة بأوهام وخيالات تدل على خفة النفس، فإن النفس الرزينة، لا تحركها الأوهام، كما إن النفس الراسبة، لا تحركها الحقائق وكلا الطرفين تعد عن الحق، وتجاوز إلى الباطل.

وهناك قسم من الخوف محبوب، وهو الخوف من الله تعالى إذ بذلك تتوازن قوى الخير وتندحر قوى الشر، إن من يخاف الله ويخشى عقابه لا بد وأن يجتنب عما نهى الله عنه، من ظلم وخيانة، وسرقة وغيبة، وفحش وتهمة وأكل أموال الناس بالباطل والجور في الحكم والرشوة والربا والغش والغلول...

فمن يخشى من الحكومة، لا يرتكب ما يخالف القانون، وكذلك من يخشى من الله حق خشيته، والخوف من الله تعالى لا يكون إلا لمن علم أن الله بكل شيء محيط، ولكل شيء رقيب، ولذا ورد في القرآن الحكيم: (... إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ...) (٧٠) فالعلماء بالله هم الذين يخشونه، أما الجاهل بالله فلا يراه رقيباً حتى يخاف منه فهو كمن لا يعرف الأسد فإنه لا يفر منه.

وقد ورد في مدح الخوف من الله تعالى آيات وأخبار..

قال تعالى: (... هُدًى وَرَحْمَةً لِلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ) (٧١).

وقال: (... رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُ) (٧٢).

٦٤ - جامع السعادات: ٢٤١/١.

٦٥ - جامع السعادات: ٢٤١/١.

٦٦ - سورة الفتح: آية ٢٩.

٦٧ - سورة التوبة: آية ٧٣.

٦٨ - جامع السعادات: ٢٤٢/١.

٦٩ - جامع السعادات: ٢٤٢/١.

٧٠ - سورة فاطر: آية ٢٨.

٧١ - سورة الأعراف: آية ١٥٤.

وقال: (إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ...)(٧٣).

فمن لا يخاف من الله ليس بمؤمن، يعمل ما يشاء، أما من يخاف فهو مؤمن، لا يعمل إلا على طبق أوامر الله، التي هي الصلاح الكامل للدنيا والسعادة الرابحة للأخرة.

ولذا ورد في آية أخرى: (... وَخَافُونَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ)(٧٤).

وقال تعالى: (سَيَذَكَّرُ مَنْ يَخْشَى)(٧٥).

والخائفون هم ورثة الجنة لأنهم - وحدهم - هم المطيعون لأوامر الله وقد ورد في الآية الكريمة: (وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ، فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَىٰ)(٧٦). خوف من الله ثم صلاح للنفس ثم جنة وهكذا... يكون ترتيب الخير، ومن الطبيعي أن من يخاف الله في الدنيا لا يخافه في الآخرة، لأن خوفه هنا سبب لعمله الصالح فلم يخاف هناك؟ وبالعكس من لم يخف الله هنا خافه في الآخرة، لأن أمنه هنا سبب فساده وطغيانه فلا أمن له هناك، والى هذا يشير الحديث القدسي عن الله تعالى: (وعزتي لا أجمع على عبدي خوفين، ولا أجمع له أمنين، فإذا آمنني في الدنيا، أخفته يوم القيامة، وإذا خافني في الدنيا، أمنته يوم القيامة)(٧٧).

ثم الإنسان لا يحكم أمره ولا يضع الأمور مواضعها، إلا إذا خاف الله. إن الحكومة التي تستعمر البلاد ظلماً لا تخاف عدل الله وإلا لم تكن تستعمر المظلومين، والقاضي الذي يرتشي لا يخاف الله وإلا كف عن الرشوة، والبنوك التي تخاف الله لا تأخذ الربا - الفاضل - وإلا لم تجمع دماء الفقراء بمحاجم الصكوك... وهكذا الرجل لا يؤذي امرأته لو كان يخاف الله، والمرأة لم تنتز على زوجها لو كانت خائفة من الله.. وهكذا... وهكذا...

فالخوف يوجد الحكمة في الإنسان، حتى يعطي كل شيء حقه ويضع كل شيء موضعه.

يقول النبي العظيم محمد (صلى الله عليه وآله وسلم): (رأس الحكمة مخافة الله)(٧٨) فالمخافة تورث الحكمة والعدل لكل فرد ولكل مجتمع.

وهنا حديث عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) يزعم الغر أنه شطط في الكلام، لكنه عند الذكر في غاية الوضوح، كوضوح الشمس في رابعة النهار، قال (صلى الله عليه وآله وسلم): (من خاف الله أخاف الله منه كل شيء، ومن لم يخف الله أخافه الله من كل شيء)(٧٩) إن الخائف يعمل على الموازين، فلهذا يخافه كل معتد أثيم، وغير الخائف يعمل على خلاف المقاييس فلهذا يخاف من كل أحد، ولذا نرى إن المنافق والغاشم والظالم يخاف حتى من ظله وإذا تصفحت أحوال الحكام الظالمين رأيتهم في خوف دائم وقلق وانهيار ولهذا يظلمون ويظلمون...

وقد ورد لتأكيد هذه المعاني السالفة أحاديث، نسرد منها:

قال الصادق (عليه السلام): (من عرف الله خاف الله ومن خاف الله سخت نفسه عن الدنيا)(٨٠).

وقال (عليه السلام): (إن من العبادة شدة الخوف من الله تعالى يقول سبحانه وتعالى: (... إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ

الْعُلَمَاءُ...)(٨١) وقال: (... فَلَا تَخْشَوُا النَّاسَ وَآخِشُونَهُ...)(٨٢) وقال: (... وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجاً)(٨٣)(٨٤).

٧٢ - سورة البينة: آية ٨.

٧٣ - سورة الأنفال: آية ٢.

٧٤ - سورة آل عمران: آية ١٧٥.

٧٥ - سورة الأعلى: آية ١٠.

٧٦ - سورة النازعات: آية ٤٠ و ٤١.

٧٧ - جامع السعادات: ٢٥٩/١.

٧٨ - جامع السعادات: ٢٥٩/١.

٧٩ - جامع السعادات: ٢٥٩/١.

٨٠ - جامع السعادات: ٢٦١/١.

٨١ - سورة فاطر: آية ٢٨.

وقال (عليه السلام): (إن حب الشرف والذكر لا يكونان في قلب الخائف الراهب)(٨٥).

اليأس والرجاء

الرجاء هو توقع الشيء المطلوب، مع تهينة الشخص كل مقدمة يتمكن من الحصول عليها: الزارع، يزرع الأرض، ثم يسقي البذر ثم يحفظ الزرع من الآفات ويأتي بكل ما لديه من حول وطول، للحفاظ على الثمار... وبعد ذلك يرجو لطف الله في بلوغ الثمرة كمالها المنشود. وإنما ذلك: لأن عوامل الطبيعة التي سخرها الله تعالى ليست تحت قدرة الإنسان وطوع إرادته فهناك إعصار يتلف الزروع، وحشرات تفسد البذور، وبرد ينزل أحياناً فيقصف الأشجار، ودود يأكل الثمار... وهكذا.

أما من لا يزرع ثم يرجو الحاصل، فهو أحمق، أو من يزرع ثم لا يهيئ المقدمات المقدورة ومع ذلك يقول: إني أرجو، فهو كاذب أو مخدوع.

إن الكون يبدره الله تعالى بقدرته الكاملة، ولكن جعل لكل شيء سبباً والأسباب منها ما في متناول الشخص، ومنها ما هو خارج عن إرادته، فالراجي هو الذي يعمل ما في متناوله، ثم يرجو جريان المقادير على الإلفة والعادة، حتى يوتي كل شيء حاصله، ويصل كل سبب إلى نتيجته.

وهكذا الرجاء بالنسبة إلى المقامات العليا، والدرجات الرفيعة في الآخرة والأولى مثلاً: لو بعد الشخص عن طلب العلم، ثم رجا أن يصبح عالماً فهذا حمق كما أنّ تهاونه في العمل ورجاءه التقدم جهل.. والعبادة هكذا فمن لم يطع الله ثم يقول: أرجو أن أكون من أصحاب الدرجات الرفيعة، أو ذوي المراتب السامية لدى الله تعالى جاهل أو مغرور. كما إن من يعمل قدر المقدور، ثم لا يرجو بعيد عن العادة والعقل.

وكلاهما خارج عن الحد المقرر لدى العقل والشرعية: من يرجو ولا يعمل، ومن يعمل ثم ييأس.

وقد وردت طائفتان من الآثار لتقويم هذين الرجلين من لا يرجو ومن لا يعمل.

قال تعالى: (قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ...) (٨٦)

وقال علي (عليه السلام) - لرجل أخرجته الخوف إلى القنوط، لكثرة ذنوبه -: (أيا هذا! يأسك من رحمة الله أعظم من ذنوبك)(٨٧).

ورأى (عليه السلام) رجلاً عند النزاع كان يقول: أجدني أخاف ذنوبي، وأرجو رحمة ربي، فقال (عليه السلام): (ما اجتمعا في قلب عبد في هذا الموطن إلا أعطاه الله ما رجاه وأمنه مما يخاف)(٨٨).

وقال الباقر (عليه السلام): وجدنا في كتاب علي (عليه السلام): أن رسول الله (صلى الله عليه واله وسلم) قال وهو على منبره: (والذي لا إله إلا هو ما أعطي مؤمن قط خير الدنيا والآخرة إلا بحسن ظنه بالله ورجاءه له وحسن خلقه،

٨٢ - سورة المائدة: آية ٤٤ .

٨٣ - سورة الطلاق: آية ٢ .

٨٤ - جامع السعادات: ٢٦١/١ .

٨٥ - جامع السعادات: ٢٦١/١ .

٨٦ - سورة الزمر: آية ٥٣ .

٨٧ - جامع السعادات: ٢٨٢/١ .

٨٨ - جامع السعادات: ٢٨٢/١ .

والكف عن اغتياح المؤمنين. والذي لا إله إلا هو لا يعذب الله مؤمناً بعد التوبة والاستغفار إلا بسوء ظنه بالله وتقصيره من رجاءه وسوء خلقه واغتيابه للمؤمنين والذي لا إله إلا هو لا يحسن ظن عبد مؤمن بالله إلا كان الله عند ظن عبده المؤمن لأن الله كريم بيده الخيرات يستحي أن يكون عبده المؤمن قد أحسن به الظن ثم يخلف ظنه ورجاءه فأحسنوا بالله الظن وارغبوا إليه(٨٩).

هذا وأضرابه إنما ورد لتثبيت الرجاء في القلوب الواهنة والنفوس الضعيفة التي لم تذق حلاوة رجاء رحمة ربها. وأما ما ورد لئلا تجر النفوس المتكاسلة التي لا تعمل وترجو نهياً عن غيرها وإرشاداً لها إلى الصراط المستقيم فكثيرة وقد حصر الله الرجاء الصحيح في قوله: (إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ اللَّهِ...)(٩٠) وذم أفعالاً يرجون بلا عمل بقوله تعالى: (فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ وَرِثُوا الْكِتَابَ يَأْخُذُونَ عَرَضَ هَذَا الْأَدْنَى وَيَقُولُونَ سَيُغْفَرُ لَنَا...)(٩١) ومثل هذا في لسان نبي الإسلام يسمي به (الأحمق) قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): (الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت والأحمق من أتبع نفسه هواها وتمنى على الله الجنة)(٩٢) وكيف لا يكون أحمق ويريد الثمرة بدون غرس الشجرة؟.

قيل للإمام الصادق (عليه السلام): (قوم يعملون بالمعاصي ويقولون نرجوا فلا يزالون كذلك حتى يأتيهم الموت؟ فقال (عليه السلام): هؤلاء قوم يترجحون في الأمانى كذبوا ليس براجين إن من رجا شيئاً طلبه ومن خاف من شيء هرب منه)(٩٣).

ولقد صدق الإمام (عليه السلام) إن من يرجو منصباً إنما يصح أن يقال له: راج إذا طلبه، أما من يقصد ويتمنى فهو كاذب غير راج، ومن يخاف من الأسد يهرب منه أما من يقول: أخاف، وهو يعترضه فهو كاذب، فمن يقول: أخاف الذنوب ثم يعملها، فهو كاذب ومن يقول: أرجو الرحمة، ثم يعمل ضدّها فهو مخدوع. وقد بين الإمام (عليه السلام) مقياس الخوف والرجاء حيث قال: (لا يكون المؤمن مؤمناً حتى يكون خائفاً راجياً ولا يكون خائفاً راجياً حتى يكون عاملاً لما يخاف ويرجو)(٩٤).

كبر النفس وصغرها

النفس كالوعاء، منها واسعة، ومنها ضيقة، فالواسعة لا يملأها شيء قليل، من مال أو علم أو منصب أو ما إليها. والضيقة تفيض منها مقادير قليلة، حتى تبدو على أطرافها، مثلاً: إذا تعلم بعض العلم، يقوم بإظهاره في كل مجتمع ومنتهى، وإذا رزقه الله قليلاً من المال، أعرض وتكبر، وحسب لنفسه ألف حساب، وإذا تسلم رتبة متواضعة، رأته وكأنه يمشي على الهواء، يصغر خده للناس وهكذا يكون صغير النفس وبالعكس من ذلك من كبرت نفسه، واتسع أفق فكره، فإنه كلما نال من خير، رأى بعده أفقاً، وفوقه متسعاً فتتضاعف لديه نفسه، ويزدري بما حصل، لا ازدرأ الكافر

-
- ٨٩ - أصول الكافي: ٧١/٢ - جامع السعادات: ٢٨٣/١.
 ٩٠ - سورة البقرة: آية ٢١٨.
 ٩١ - سورة الأعراف: آية ١٦٩.
 ٩٢ - جامع السعادات: ٢٨٨/١.
 ٩٣ - أصول الكافي: ٦٨/٢ - جامع السعادات: ٢٨٨/١.
 ٩٤ - أصول الكافي: ٧١/٢ - جامع السعادات: ٢٨٨/١.

للنعم، الجاحد للفضل، بل ازدراء الفطن الحكيم، فلا يقيم لما أوتي وزناً، كي تبطره النعمة، انه يطلب المزيد من العلم، والزيادة من الفضل... فكيف يجتمع هذا مع كونه يرى ما عنده عظيماً كثيراً؟.

إن كل أحد رأى في حياته، رجلاً ازداد مالاً، فلم يزد ذلك إلا تواضعاً وألفةً، كما رأى من ازداد علماً، فلم يزد ذلك إلا طلباً واجتهاداً، كما رأى من ارتفع منصبه، ووصل إلى مقام عال، فلم يزد ذلك إلا عملاً بالخير وحلاً للمشاكل، وبشاشة وابتسامة.

وبالعكس رأى آخرين كافرين على طرفي نقيض مع هؤلاء...!

فالأولون كبراء النفس، والآخرون صغراءها.

والإسلام يحب الأولين، يقول الإمام الباقر (عليه السلام): (المؤمن أصلب من الجبل)(٩٥) لا ينهار بمصيبته، ولا تبطره نعمة، كالجبل الذي لا يتحرك بالعواصف، فكيف بالرياح الاعتيادية؟ وفي حديث آخر عنه (عليه السلام) قال: (إن الله تعالى أعطى المؤمن ثلاث خصال: العز في الدنيا والآخرة، والفلاح في الدنيا والآخرة، والمهابة في صدور الظالمين)(٩٦).

فلولا كبر نفسه لم يكن عزيزاً مهاباً.

إن صغير النفس ذليل مهان.

وكما يحث الإسلام على العزة وكبر النفس، فهو يزرع عن صغر النفس والمهانة، فقد قال الإمام الصادق (عليه السلام): (إن الله عز وجل فوض إلى المؤمن أمره كلها. ولم يفوض إليه أن يكون ذليلاً، أما تسمع الله تعالى يقول: (... وَاللَّهُ الْعَزْزُ وَكَرْسُؤُهُ وَلِلْمُؤْمِنِينَ...)(٩٧)(٩٨).

والإنسان وان خلق مختلفاً في جميع شؤونه، إلا إن صغير النفس يتمكن من استبدال ملكته، فيجبر نفسه على الكبر، والاتزان، حتى لا تحركه كل ريح، والعزة وكبر النفس متلازمان، كما أن الذلة وصغر النفس قرينان.

الغيرة

للإنسان في الحياة شؤون ومتعلقات، نفسية وبدنية.. وأضرابهما وحيث إن في الاجتماع تجاذب وتدافع، فلا بد لكل من صفة دافعة تحفظ كيانه وتدافع عن متعلقاته حتى لا تقع نهبا في أيادي الطامعين، وفرضاً لكل منتهز.

فالدين، والفضيلة، والأهل والولد، والمال والعرض، وما إليها من شؤون الإنسان ولوازمه، فاللزم المدافعة عنها والوقوف أمام الناهبين والطامعين وإلا لم يمض زمان إلا يكون حاله كحال (خواجة نصر الدين) في الأسطورة المشهورة:

(حيث كانت له زوجة ودار ونعجة وملابس فاتفقت اللصوص على أن يسلبوه ممتلكاته فجاء الأول وأقام عليه الدعوى حول زوجته وحيث مالت مع اللص الشاب سقط في يد الخواجة وإذا هو بلا زوجة وجاء الثاني ونازعه في داره وأقام اللصين شاهدين فلم يمض زمان إلا وهو بلا دار وجاء الثالث مهرجاً: إن النعجة خيالية وإنما هي كلب اشتبه

٩٥ - جامع السعادات: ٢٩٦/١.

٩٦ - جامع السعادات: ٢٩٦/١.

٩٧ - سورة المنافقون: آية ٨.

٩٨ - جامع السعادات: ٢٩٥/١.

على الخواجة. وحيث شهد له لصوص آخر أطلق سراح النعجة إلى حيث أخذها اللص الثالث!! وجاء دور الرابع فقع على بنر في طريق الخواجة ولما أن مر على البنر قال له الرابع: بالله عليك خذ مني هذا الدينار وغص في البنر كي تخرج خاتمي الثمين الذي وقع فيها فاخذ الدينار ثم نزع ثيابه وفيها ديناره المعطى له فاخذ اللص الملابس وهو بعد في البنر ولما أن خرج علم بالمكيدة فاخذ عصا وجعل يدور حول نفسه فقيل له: ما السر في ذلك؟ قال: خوفاً من أن يسرقني الخامس!

وهذه الصفة المحافظة على الشؤون، تسمى بالغيرة، والإسلام يحرص الحرص كله على تحلي الشخص بها فهناك سلسلتان من الأحاديث تمدح الغيرة وتذم عدمها:

قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): (إذا لم يغر الرجل فهو منكوس القلب)(٩٩).
وقال (صلى الله عليه وآله وسلم): (وكان إبراهيم غيوراً وأنا أغير منه وجدع الله أنف من لا يغار على المؤمنين والمسلمين)(١٠٠).

وقال (صلى الله عليه وآله وسلم) في حديث عجيب، يمثل كيفية نداء الضمير بالإنسان ثم خمود صوته حتى لا يسمع له ركزاً: (إذا غيّر الرجل في أهله أو بعض مناكحه من مملوكته فلم يغر، بعث الله إليه طائراً يقال له: القنذر حتى يسقط على عارضة بابه ثم يمهله أربعين يوماً يهتف به: إن الله غيور، يحب كل غيور فإن هو غار وغير وأنكر ذلك أكبره، وإلا طار حتى يسقط على رأسه فيخفق بجناحيه على عينيه ثم يطير عنه، فينزع الله منه بعد ذلك روح الإيمان وتسميه الملائكة: الديوث)(١٠١).

وهكذا تكون الصفات الفاضلة: إنها إذا دبست تحت الأقدام لا يزال الضمير يهتف ويهتف، حتى ييأس وهناك يستحوذ الشيطان، ويخد الضمير فلا يزال يرتطم في الرذيلة حتى يرتكس فيها فلا منجي له ولا ملاذ، أريت من يعمل القبيح؟ إنه لأول مرة يأبى عليه ضميره، وتزجره نفسه، ثم يقلّ الإباء والزجر في الثانية والثالثة حتى يكون القبيح لديه حسناً جميلاً!

وقد شدد الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام) النكير على بعض الرجال، الذين سلبت منهم الغيرة، فقال في كلام له: يا أهل العراق نبنت إن نساءكم يدافعن الرجال في الطريق أما تستحون.. وقال (عليه السلام): (أما تستحون؟! ولا تغارون؟! نساؤكم يخرجن إلى الأسواق ويزاحمن العلوج...؟!)(١٠٢).

قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) لفاطمة عليها السلام: (أي شيء خير للمرأة؟ قالت: أن لا ترى رجلاً ولا يراها رجل) فضمها إليه، وقال: (ذرية بعضها من بعض).

لكن ربما أفرط الجاهل فيضع الغيرة في غير موضعها ولذا قال النبي (صلى الله عليه وآله وسلم):

(من الغيرة غيرة يبغضها الله ورسوله: وهي غيرة الرجل على أهله، من غير ريبة).

وقال أمير المؤمنين (عليه السلام): (لا تكثر الغيرة على أهلك، فترمي بالسوء من أجلك)(١٠٣).

وقال (عليه السلام) لولده الحسن (عليه السلام): (إياك والتغاير في غير موضع الغيرة فإن ذلك يدعو منهن إلى السقم، ولكن احكم أمرهن فإن رأيت عيباً فعجل النكير على الصغير والكبير بأن تعاقب منهن البرينة فتعظم الذنب وتهون العيب)(١٠٤).

-
- ٩٩ - جامع السعادات: ٣٠٠/١.
١٠٠ - جامع السعادات: ٣٠٠/١.
١٠١ - جامع السعادات: ٣٠٠/١.
١٠٢ - جامع السعادات: ٣٠٠/١.
١٠٣ - جامع السعادات: ٣٠٤/١.
١٠٤ - جامع السعادات: ٣٠٤/١.

الأناء والعجلة

إذا هبت الرياح اضطربت الحشائش أما الأشجار الباسقة فإنها لا تهاب الإعصار فكيف بالريح؟ والنفوس مثلها كمثل غيرها من الأشياء، فيها الرزين المتين وفيها الأجوف الهواء. فمن النفوس ما يحركه أقل شيء فتستعجل بالأمر ومنها ما تعمل بتروي وأناة وذو الأناة في غالب الأحيان يدرك ما لا يدركه ذو العجلة إذ بالتأني يرى الإنسان طريقه ويهتدي لصالحه والمستعجل محروم عن هذه الفائدة فكثيراً ما ينزلق حيث لا ينجيه ولقد أحسن الشاعر حيث قال:

قد يدرك المتأني بعض حاجته***وقد يكون مع المستعجل الزلل

والأناء غير التكاثل، فالتكاثل بعد معرفة طريق الحركة لا يتحرك، والمتأني إنما لا يقدم حتى يعرف وجه الحركة وكيف ينبغي. والإسلام يحب الأناة ويكره العجلة، قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): (العجلة من الشيطان والتأني من الله) (١٠٥).

وفي الحديث: انه لما ولد عيسى (عليه السلام) أتت الشياطين إبليس فقالوا: أصبحت الأصنام قد نكست رؤوسها؟ فقال: هذا حادث قد حدث، مكانكم! فطار حتى جاء خافقي الأرض فلم يجد شيئاً، ثم وجد عيسى قد ولد، وإذا الملائكة قد حقت حوله، فرجع إليهم، فقال: إن نبياً قد ولد البارحة ما حملت أنثى قط ولا رضعت إلا وأنا بحضرتها إلا هذا فأيأسوا أن تعبد الأصنام بعد هذه الليلة، ولكن انتوا بني آدم من قبل العجلة والخفة) (١٠٦).

فإن من يعجل في الكلام أو الحركة أو العمل ربما أفسد أكثر مما يفسد عبادة الأصنام وكثيراً ما يقع العجول في أغلاط ومشكلات لا ينجو منها مدى عمره فاللزم أن يجنح الإنسان العاقل إلى الأناة والتأني ويترك الاستعجال والخفة.

حسن الظن

القلب كالأرض منها مالحة أجاجة، ومنها عذبة طيبة فالأرض المالحة لا تنبت إلا نكداً والطيبة تؤتي نباتاً خضراً... وهكذا القلب منه طيب لا ينبت إلا الطيب ومنه خبيث لا يخرج إلا الخبيث، فالقلب الطيب قوله طيب ونبته طيب وفكره طيب والخبيث، بالعكس.

ومن شؤون القلب الظن بالنسبة إلى الناس وإلى خالق الناس، فذو القلب الطيب لا يظن بالناس إلا خيراً ولا يظن بباله الناس إلا خيراً وعلى ضده خبيث القلب.

إن رأى الأول شيئاً مريباً حملته على محمل صحيح وإن سمع كلاماً بذيئاً قال: لعلي لم أفهم معنى الكلام والمتكلم يريد غير ما فهمت، وإن نظر إلى سيئة عفى وقال في صاحبه خيراً.. وهكذا وبذلك يصفو قلبه وتنير نفسه ويخلص ذهنه

١٠٥ - جامع السعادات: ٣٠٩/١.

١٠٦ - جامع السعادات: ٣٠٩/١.

فهو في راحة والناس منه في راحة وكذا بالنسبة إلى خالق الأرض والسماء الإله الحكيم العليم. وإن سمع شيئاً سلّم أمره إلى الله وقال: الله أعلم بما يعمل وإن ذاق شيئاً مرّاً قال: (.. وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئاً وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ...) (١٠٧) وهكذا... وهكذا...

وذو القلب الخبيث على الضد من ذلك كله، فهو سيء الظن بالناس، سيء الظن بالله تعالى وهو بهذا يؤذي نفسه أكثر مما يؤذي من أساء بهم الظن.

والإسلام يحب الطيب من كل شيء: (وَهْدُوا إِلَى الطَّيِّبِ مِنَ الْقَوْلِ) (١٠٨) وهكذا يريد أن يكون المسلم حسن الظن، يقول الله تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ...) (١٠٩) اجتنبوا الكثير من الظن لأن بعضه رديء، كمن يجتنب أدوية معينة، لأنه يعلم أن فيها سمّاً قاتلاً وقال تعالى في آية أخرى: (... وَظَنَّتُمْ ظَنُّ السَّوِّءِ وَكُنْتُمْ قَوْمًا بُورًا) (١١٠) هذا بالنسبة إلى سوء الظن بالناس، أما سوء الظن بالله تعالى فاستمع: (وَذَلِكُمْ ظَنُّكُمُ الَّذِي ظَنَنْتُمْ بِرَبِّكُمْ أَرْدَاكُمْ...) (١١١) ، إن الظن السيء بالرب يردي الإنسان!

ثم ماذا يستفيد سيء الظن، إنّه يسيء إلى نفسه من حيث يحتسب أنّه يحسن فإذا استفسرت منه! عن وجه هذه الظنون؟ يقول: لنلا أقع في البئر! عجباً، انه في البئر وقع، وافترسه الأسد الذي هرب منه إذ لا يزال الإنسان ليسيء الظن حتى يظهر أمره على الناس وعند ذلك ينفر منه كل قريب وبعيد ويبقى في وحشة وعزلة...

ولو نظرت إلى أحوال الناس، رأيت هذا الكلام صادقاً فكل سيء الظن، بعيد متنفر منه، وبالعكس، كل حسن الظن قريب محبوب لدى الجميع.

فإذ يوصينا الإسلام بحسن الظن، لا يريد من وراء ذلك الإحسان إلى الآخرين فقط، وإنما يهتم بالإحسان إلينا، أكثر.. فأكثر.

يقول الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام): (ضع أمر أخيك على أحسنه حتى يأتيك ما يغلبك منه ولا تظن بكلمة خرجت من أخيك سوءاً، وأنت تجد لها في الخير محملاً) (١١٢).

ولا يزال سيء الظن يماذي في غيّه حتى يظن كل خير شراً فمن سلّم عليه راه هازناً، أو متكبراً في سلامه ومن ترك السلام عليه أقام الدنيا وأقعدتها نقمة عليه فبالله قل له: ماذا يصنع من يلاقيك إذاً؟ وهذا بالعكس من وصية الإمام (على أحسنه) فإن ترددت: إنّه سبّك أو رحبّ بك، أو سلّم عليك، فقل: سلام، لأنه أحسن من الترحيب.. وهكذا يلقي السلام في القلوب المحبة ويحصد الشوك والحسد كي يسلم المجتمع من الانهيار واليوار.

والى جنب ما وصّى الإسلام بحسن الظن، يوصي بالتنكّب عن مواضع التهمة، فهذا لا يضع نفسه موضعاً مثيراً للشكوك وذلك لا يسيء الظن، آية جنة أحسن من هذه؟ قال النبي (صلى الله عليه وآله وسلم): اتقوا مواقع التهم) (١١٣) وفي الحديث (ومن جلس مجالس السوء أتهم).

وفي الحديث الآتي أروع الأمثلة، لحياطة الإسلام عن مثار الشكوك.

-
- ١٠٧ - سورة البقرة: آية ٢١٦.
 - ١٠٨ - سورة الحج: آية ٢٤.
 - ١٠٩ - سورة الحجرات: آية ١٢.
 - ١١٠ - سورة الفتح: آية ١٢.
 - ١١١ - سورة فصلت: آية ٢٣.
 - ١١٢ - جامع السعادات: ٣١٥/١.
 - ١١٣ - جامع السعادات: ٣١٧/١.

روي: (أن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) كان يكلم زوجته صفية بنت حي بن أخطب فمر به رجل من الأنصار فدعاه رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وقال: يا فلان! هذه زوجتي صفية، فقال: يا رسول الله، أفنظن بك إلا خيراً؟! قال: إن الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم، فخشيت أن يدخل عليك)(١١٤).

وقد حدث قريباً حادث يدل على مدى الاشتباهاات التي تقع من جراء سوء الظن، واليك القصة: (كنت رجلاً أسكن إحدى الغرف في المحلات المعدة للسكنى وذات ليلة بينما كنت نائماً، سمعت صوتاً رقيقاً كأنه صوت شاب يستغيث استغاثة مشجبة ويقول: لا تفعل لا تفعل آخ آخ خلني خلني. احترقت احترقت وهكذا كان يكرر مثل هذه العبارات.. فلم أشك في أنه عمل قبيح فقممت من فراشي وذهبت إلى الغرفة التي كانت فيها القصة، ومن شق الباب نظرت فإذا رجل يقلع الزفت الذي كان وضعه على قرعة ولده! قال: وهناك تيقنت أن كل شيء هو خلاف الواقع).

لكن ينبغي للعاقل أن لا يوقع نفسه في مثل هذه المآزق حتى يساء به الظن وإن فعل فهو السبب ولذا ورد عن الإمام (عليه السلام): (من عرض نفسه للتهمة فلا يلومن من أساء به الظن)(١١٥).
إنه هو السبب فكيف يلوم غيره؟

الحلم والغضب

إذا هبت الرياح طارت الأوراق وما شابهاها من الأشياء الرقاق.. أما الثقال فلا تحركها الرياح ولا الأعاصير.. وكذلك النفس منها حليلة لا تتحرك بشتم شاتم أو نهب لص أو إيذاء أحمق.. ومنها خفيفة تزعجها أدق شوكة وأقل كلمة.. والإنسان كالغطاء على مواهبه وكوامنه وربما رأى الشخص غطاء براقاً وقالباً مزخرفاً فإذا بحث تحته أنهله ما انطوى عليه من شيء تافه وأمر لا ثمن له والعكس صحيح وكذلك الإنسان فقد يكون مزوداً بمنظر جميل ولباقة أخاذاً وإذا به عند الشدائد كحشيش في بحر موج لا يقر له قرار ولا يسكن له هانج وقد يكون على الضد من ذلك فلا منظر له بهيج ولا منطق له خلال وهو في الشدائد والمشكلات كالجبل الراسي، لا يتحرك كأنما فطر من صلد، وكأن فواده من زبر الحديد.

والإسلام يريد من الإنسان، تنقية ملكاته، وتقويم ما أعوج منها، حتى يكون إنساناً... ولذا يحرص على كل فضيلة وينفر عن كل رذيلة..

وبما أن الحلم من أفضل الفضائل نرى الأحاديث كالفطر تنهال على مسامع البشر من النبي وآله الطاهرين تحريضاً على هذه الفضيلة وتحذيراً عن الغضب، قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) في دعائه: (اللهم أغنني بالعلم وزيني بالحلم) فإنه زينة ونعم الزينة هي إن الإنسان بالحلم يرتقي مستوى اجتماعياً ولهذا زود الله أنبياءه بالحلم فيما زودهم بها من فضائل ومحاسن ولذا قال النبي (صلى الله عليه وآله وسلم): (خمس من سنن المرسلين... وعد منها الحلم)(١١٦) إن الناس ليفرون من الغضوب فرارهم من الأسد فإنه ينكد عيشهم ويكدر صفوهم ويحرق هدوءهم بأخلاقه الشرسة فكيف يكون مثله نبياً؟ أم كيف يرتفع مثله عند الله منزلة وعند الناس مكانة، قال رسول الله (صلى الله

١١٤ - جامع السعادات: ٣١٧/١.

١١٥ - جامع السعادات: ٣١٧/١.

١١٦ - جامع السعادات: ٣٣١/١.

عليه وآله وسلم): (ابتغوا الرفعة عند الله! قالوا: وما هي يا رسول الله؟ قال: تصل من قطعك وتعطي من حرمك وتحلم
عمن جهل عليك)(١١٧).

إنها جواهر الأخلاق أن يقطعك إنسان وأنت تصله؟! إننا لا نصل من يصلنا فكيف بمن يقطع عنا؟! وإننا لنحرم من
يعطينا فكيف بمن يحرمانا؟! وإننا نجعل على من يحلم عنا فكيف بمن يجهل علينا؟! ولكن الإسلام يريدنا على غير ما
نكون عليه من صفات ذميمة وأنه يريد أن نكون من عباد الله الصالحين والبشر الخيرين.

فهذا هو الذي يحبه الإسلام ويريد أن يكون المسلم هكذا ويحبه الله تعالى قال النبي (صلى الله عليه وآله وسلم):
(إن الله يحب الحيي الحليم ويبغض الفاحش البذيء)(١١٨) وهذا ليس لله فقط. بل عامة الناس يحبون الحيي الحليم،
ويبغضون الفاحش البذيء، ولو لم يقابلوه سوى مرة في عمرهم، رأيت لو قيل لك: فلان حليم، فأنت تحبه لهذه الصفة
الحسنة، ولو قيل: فلان فاحش أبغضته ولو لم تعرفه!

والحلم يؤدي بالإنسان إلى درجة العبادة، وأية عبادة أفضل من الحلم؟ قال النبي (صلى الله عليه وآله وسلم): (إن
الرجل المسلم ليدرك بالحلم درجة الصائم القائم)(١١٩) بل العبادة منوطة بالحلم فمن لا حلم له لا يعد عابداً لله تعالى
وإن صلى وصام، قال الإمام الرضا (عليه السلام): (لا يكون الرجل عابداً حتى يكون حليماً)(١٢٠) وبهذا المعنى ما ورد
عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم): (ثلاث من لم تكن فيه واحدة منهن فلا تعدوا بشيء من عمله: تقوى تحجزه
عن معاصي الله، وحلم يكف به السفية، وخلق يعيش به في الناس)(١٢١) إن من لا تقوى له يعصى والعاصي لا يقبل
منه قال تعالى: (... إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ)(١٢٢) وإن من لا يحلم، لا بد وأن يقع في سباب وافتراء وباطل، ومن
لا خلق له يعيش مع الناس في جو مكفهر من سوء الأخلاق وكل هذه نقص في الإسلام وتلم لتعاليمه.

والناس غالباً يرون أن الخير في كثرة المال والولد، كلا! إن كثير المال والولد ربما يعيش نكداً في الدنيا بسوء خلقه
وفي الآخرة بسوء عمله ولذا يقول الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام): (ليس الخير أن يكثر مالك وولدك ولكن الخير
أن يكثر علمك ويعظم حلمك)(١٢٣).

ومن الظريف أن الدنيا حليف الحليم وإن تزود ضده بكل نشب وسبب وهذا مودع في فطرة الإنسان، فإذا رأيت أحداً
يسب صاحبه ويغلظ في الكلام معه، ورأيت صاحبه يحلم، لا بد وأن تميل إلى جانب الحليم، قال الإمام الصادق (عليه
السلام): (كفى بالحلم ناصراً)(١٢٤) وفي الحقيقة أنه أفضل الناصرين، إن من يرد، وإن تشقى صدره، لكنه في خاتمة
المطاف لم يربح، أما من يحلم فإنه لم يتشف، لكن له عاقبة الأمر!
وقد ذم الإسلام الغضب وزجر الغاضب ونصحه بترك هذه الصفة الخبيثة.

قال الإمام الباقر (عليه السلام): (إن هذا الغضب جمرة من الشيطان توقد في قلب ابن آدم. وإن أحدكم إذا غضب
احمرّت عيناه، وانتفخت أوداجه، ودخل الشيطان فيه، فإذا خاف أحدكم ذلك من نفسه فليزِم الأرض فإن رجز الشيطان
ليذهب عنه عند ذلك)(١٢٥).

ولزوم الأرض لنلا يصطدم الطرفان فيحدث من ذلك جرح أو قتل أو ما إليها.

١١٧ - جامع السعادات: ٣٣١/١.

١١٨ - جامع السعادات: ٣٣١/١.

١١٩ - جامع السعادات: ٣٣١/١.

١٢٠ - أصول الكافي: ١١١/٢ - جامع السعادات: ٣٣٢/١.

١٢١ - جامع السعادات: ٣٣١/١.

١٢٢ - سورة المائدة: آية ٢٧.

١٢٣ - جامع السعادات: ٣٣١/١.

١٢٤ - جامع السعادات: ٣٣١/١.

١٢٥ - أصول الكافي: ٣٠٤/٢ - جامع السعادات: ٣٢٣/١.

وربما جرّ الغضب أشياء لم يكن بالحسبان حتى انه لو خير الغاضب بين كظم غضبه وبين هذه العواقب السيئة لرأى الأول أهون بكثير، قال الإمام الصادق (عليه السلام): (كان أبي (عليه السلام) يقول: أي شيء أشدّ من الغضب؟ إن الرجل ليغضب فيقتل النفس التي حرم الله، ويقذف المحصنة)(١٢٦).

والغالب إن القتل لا يقع إلا من جرّاء غضب، وهكذا كل مفسدة ومكروه، ولذا قال الإمام الصادق (عليه السلام): (الغضب مفتاح كل شر)(١٢٧) بمعنى: إن الغضب ينتهي إلى كل شر، لا أن كل شرّ ينتهي إلى الغضب.

والغضب إذا فسح له المجال سيطر على جميع القوى فشلها حتى انه لا يبقي معه سلطان للعقل إذ إي عاقل يقدم على ما يقدم عليه الغضبان من سب وقذف وجرح وضرب وقتل وما يظهر في ملامحه من آثار منكرة؟ ولذا يقول الإمام (عليه السلام): (من لم يملك غضبه لم يملك عقله)(١٢٨) ويقول في كلام آخر: (الغضب ممحقة لقلب الحكيم) إن قلب الحكيم وعاء للحكمة فإذا طاف به الغضب لم يبق للحكمة مجال.

إنه يظهر في الدنيا بأبشع منظر ويكون في الآخرة من أصحاب النار، قال (عليه السلام): (إن الرجل ليغضب فما يرضى أبداً حتى يدخل النار)(١٢٩) انه لو رضي ورجع وتخلص مما اقترفه من آثام لكنه يمتد به الغضب فيرتكب إجرامات أخر وهكذا.. حتى يرد الجحيم.

هذا حال الغضب للأمور الدنيوية - كما هو الغالب - أما الغضب لله تعالى - حسب حدوده - فهو من الفضائل: قال أمير المؤمنين (عليه السلام) - في وصف النبي (صلى الله عليه وآله وسلم): (كان النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) لا يغضب للدينا، وإذا أغضبه الحق لم يصرفه أحد، ولم يقم لغضبه شيء حتى ينتصر له)(١٣٠) والانتصار يكون - طبعاً - بإعلاء كلمة الله.

كظم الغيظ

الإنسان بطبعه يحتاج بما لا يلائمه، قديساً كان أو شريراً إذ لكل أحد ما لا يلائم ملكاته ونظرياته، وهذا التوتر والاهتياج أول سلسلة من العمل فالرجل الهائج لا بد وان يبدي ما يكنه عصبه بلسان أو يد أو منجل أو تغيير قيافة. وإذا كان الشخص مالكا لأعصابه، مسيطراً على أجهزته يتمكن من إخماد هذه الثائرة: حتى تصبح النار رماداً تذروه الرياح وهذا ما يسمى بكظم الغيظ فهو تحلم لا حلم.

وكظم الغيظ فضيلة كما أن الحلم والعلم.. وما إليهما فضيلة، يمدح الله عباده المؤمنين. بقوله: (... وَالكَاطِمِينَ الْغَيْظِ...)(١٣١). ويقول نبي الإسلام العظيم: من كظم غيظاً ولو شاء أن يمضيه أمضاه، ملأ الله قلبه يوم القيامة رضاً)(١٣٢).

-
- ١٢٦ - أصول الكافي: ٣٠٢/٢ - جامع السعادات: ٣٢٣/١.
١٢٧ - أصول الكافي: ٣٠٣/٢ - جامع السعادات: ٣٢٣/١.
١٢٨ - أصول الكافي: ٣٠٣/٢ - جامع السعادات: ٣٢٣/١.
١٢٩ - أصول الكافي: ٣٠٢/٢ - جامع السعادات: ٣٢٣/١.
١٣٠ - جامع السعادات: ٣٢٥/١.
١٣١ - سورة آل عمران: آية ١٣٤
١٣٢ - أصول الكافي: ١١٠/٢ - جامع السعادات: ٣٣٢/١.

وكظم الغيظ يعقب روحاً وراحة، وبالعكس الطيش والهياج فأنهما يعقبان حسرة وندامة إذ لا أقل: من انهيار النفس وتعب البدن ودع عنك ما ينجم عن ذلك كثيراً.. من جرح وأذى وربما حبس وقتل ولذا يقول الإمام السجاد (عليه السلام): (ما تجرعت جرعة أحب إلي من جرعة غيظ لا أكافئ بها صاحبها)(١٣٣) ويقول ولده الإمام الباقر (عليه السلام) - لبعض ولده -: (يا بني ما من شيء أقرّ لعين أبيك من جرعة غيظ عاقبتها صبر وما يسرّني أن لي بذل نفسي حُمر النعم)(١٣٤).

فإن في شفاء الصدر ذلاً عاجلاً في الدنيا ومرارةً آجلةً في الآخرة فإن من ينفذ غيظه لا بد وان يقابل بالمثل وفيه مذلة قال الإمام الصادق (عليه السلام): (ما من عبد كظم غيظاً إلا زاده الله عز وجل عزاً في الدنيا والآخرة، وقد قال الله عز وجل (... وَالْكَاطِمِينَ الْغَيْظِ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ)(١٣٥) وأتابه الله مكان غيظه ذلك)(١٣٦).

أما ثواب الآخرة فحدث ولا حرج:

قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): (ما جرع عبد جرعة أعظم أجراً من جرعة غيظ كظمها ابتغاء وجهه الله تعالى)(١٣٧).

وقال (صلى الله عليه وآله وسلم): (إن لجهنم باباً لا يدخله إلا من شفي غيظه بمعصية الله تعالى)(١٣٨) وانه كذلك فربما هاجه أحد فيريد الانتقام منه بالغيبة والتهمة وكيل اللوم والذم والتشهير والقذف، وما إليها.. إلى من أغضبه فهو شفاء للغيظ بالمعصية ولا يكون محل هذا إلا النار.

الانتقام والعفو

الإنسان قد ينقصه الغير في عرض أو مال أو ما أشبهه، فيحتاج لما فعله ويريد الانتقام منه لكن للانتقام في نظر العقل والعاطفة معياران مختلفان، فالعقل لا يجيزه في كل مورد إذ كثيراً ما يكون دليلاً على صغر النفس ومهانة الذات، مثلاً: الرجل الحكيم لا يقابل السب بالسب، ولا القذف بالقذف، انه أمر سيئ سواء صدر بدءاً أو مقابلة، وهذا بخلاف العاطفة فإنها تميل نحو التنكيل بالبادئ، وإن كان في ذلك خطأ من قدر المنتقم نفسه.

والإسلام النظيف لا يحب الانتقام إلا في حدود معقولة انه لا يجب الانتقام حسب العاطفة، وإنما يحبه حسب العقل يقول النبي (صلى الله عليه وآله وسلم): (إن امرؤ عيرك بما فيك فلا تعيره بما فيه)(١٣٩) وفي حديث آخر قال (صلى الله عليه وآله وسلم): (المتسابان شيطانان يتهاثران)(١٤٠).

١٣٣ - أصول الكافي: ١٠٩/٢ - جامع السعادات: ٣٣٣/١.

١٣٤ - أصول الكافي: ١١٠/٢ - جامع السعادات: ٣٣٣/١.

١٣٥ - سورة آل عمران: آية ١٣٤.

١٣٦ - أصول الكافي: ١١٠/٢ - جامع السعادات: ٣٣٣/١.

١٣٧ - جامع السعادات: ٣٣٢/١.

١٣٨ - جامع السعادات: ٣٣٢/١.

١٣٩ - جامع السعادات: ٣٣٤/١.

١٤٠ - جامع السعادات: ٣٣٤/١.

نعم لا يريد الإسلام أن يكون الإنسان خنوعاً ذليلاً خصوصاً إذا كان سكوته موجباً لتجري المعتدي ولذا يقرر الله الحكيم رد الاعتداء بالمثل يقول: (فَمَنْ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ...) (١٤١) (أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ...) (١٤٢).

ومع ذلك... فكلما كان مجال للعفو، فهو أفضل في نظر الإسلام وأسمى في نظر الدين يقول الله تعالى: (خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ) (١٤٣) فليعفوا وليصفحوا (... وَأَنْ تَعْفُوا أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى...) (١٤٤). إن المنتقم ربما يجاوز قدر الاعتداء، فيكون عمله أبعد عن التقوى، أما العافي فإنه في نجوة من الإفراط، فهو أقرب إلى التقوى وأبعد عن نوازع النفس.

وقد حرّض نبي الإنسانية وآله الأطهار، على العفو، مهما وجد الإنسان سبيلاً إليه، يقول رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): (ثلاث - والذي نفسي بيده إن كنت حالفاً لحلفت عليهن - ما نقصت صدقة من مال فتصدقوا، ولا عفا رجل عن مظلمة يبغى بها وجه الله إلا زاده الله بها عزاً يوم القيامة، ولا فتح رجل على نفسه باب مسألة إلا فتح الله عليه باب فقر) (١٤٥).

إن أقبلت الدنيا فلا تنقص الصدقة مالا، وإن أدبرت فهو في نقص تصدق أم لا. والعفو محبوب لله فهو تعالى يزيد عز الرجل ليس في الآخرة فحسب بل في الدنيا أيضاً - وإن كان النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) لم يذكره هنا لعله لأمر - حتى إن الظالم ليجل العافي، ويعلم زنة نفسه ورجاحة عقله، ولذا قال (صلى الله عليه وآله وسلم): (العفو لا يزيد العبد إلا عزاً فاعفوا يعزكم الله) (١٤٦) وقال (صلى الله عليه وآله وسلم): (قال موسى: يا رب أيّ عبادك أعزّ عليك؟ قال: الذي إذا قدر عفى).

وقال (صلى الله عليه وآله وسلم): (ألا أخبركم بخير خلائق الدنيا والآخرة؟! العفو عمّن ظلمك وصلة من قطعك، والإحسان إلى من أساء إليك، وإعطاءك من حرمك) (١٤٧) أما ما يراه مثل هذا المتخلق في الدنيا فهو شيء ملموس عزّ ورفعة حتى عند الأعداء والخصماء وعيش هنيء رغد... وأما ما يراه في الآخرة فيقول الإمام السجاد (عليه السلام): (إذا كان يوم القيامة جمع الله الأولين والآخرين في صعيد واحد ثم ينادي مناد: أين أهل الفضل؟! قال: فيقوم عنق من الناس، فتلقاهم الملائكة فيقولون: وما فضلكم؟ فيقولون: كنا نصل من قطعنا ونعطي من حرمننا ونعفو عن ظلمنا، قال: فيقال لهم: صدقتم ادخلوا الجنة) (١٤٨).

ولذا قال الإمام الصادق: (ثلاث من مكارم الدنيا والآخرة: تعفو عمّن ظلمك، وتصل من قطعك، وتحلم إذا جهل عليك) (١٤٩).

ومهما فعل الإنسان من عفو أو انتقام فإنه كثيراً ما يندم: لماذا ما عفوت؟! أو: لماذا ما عاقبت؟! لكن ندم العفو أيسر، إنّه ندم ولم يجرح عواطف، ولم يؤذ أحداً، بخلاف ندم العقوبة، قال الإمام الباقر (عليه السلام): (الندامة على العفو أفضل وأيسر من الندامة على العقوبة) (١٥٠).

١٤١ - سورة البقرة: آية ١٩٤.

١٤٢ - سورة المائدة: آية ٤٥.

١٤٣ - سورة الأعراف: ١٩٩.

١٤٤ - سورة البقرة: ٢٣٧.

١٤٥ - جامع السعادات: ٣٣٦/١.

١٤٦ - أصول الكافي: ١٠٩/٢ - جامع السعادات: ٣٣٦/١.

١٤٧ - أصول الكافي: ١٠٧/٢.

١٤٨ - جامع السعادات: ٣٣٧/١.

١٤٩ - أصول الكافي: ١٠٩/٢ - جامع السعادات: ٣٣٧/١.

١٥٠ - أصول الكافي: ١٠٨/٢ - جامع السعادات: ٣٣٧/١.

والعافي ينتصر أخيراً، وإن كان المنتقم يشفي غيظه، لكن ما فائدة تشقي لا يعقبه نصر؟ قال أبو الحسن (عليه السلام): (ما التقت فنتان قط إلا نُصر أعظمهما عفواً) (١٥١).

رفق و عنف

ربما يعالج الإنسان الأمور - أياً ما كان - برفق ومداراة وخلق بهذا الإنسان أن ينجح آخر الأمر وإن بدأ في النظر بطيئاً أو سخيلاً وربما يعالجه بشدة وعنف وجدير بمثله أن يخفق ولو نجح. فإنه أتعب نفسه وعنف وأزعج الآخرين، فالنجاح لا يقدر بما يقدر به نجاح الرفيق وفي غالب الأحيان يكون العنيف مبتعداً مجاناً فلا يحظى بما حظي به اللين المداري ولذا يقول الله تعالى - مخاطباً لرسوله -: (فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ...) (١٥٢) إن اللين والرفق يفعلان ما لا يفعله الدينار والدرهم إن الفظ العنيف لا صديق له وإن أنفق حتى أسرف، واللين الرفيق يكتفه الأخلاء وإن كان فقيراً معدماً كيف لا والدينار حظ الجسم، واللين حظ الروح. وفي أحاديث النبي والأئمة (عليهم الصلاة والسلام) كثرة مهولة من الحث على الرفق والمداراة لأنهما أساس كثير من السعادات الدنيوية والأخروية واليك بعضها:

قال (صلى الله عليه وآله وسلم): (لو كان الرفق خلقاً يرى، ما كان فيما خلق الله شيء أحسن منه) (١٥٣).
وقال (صلى الله عليه وآله وسلم): (إن الرفق لم يوضع على شيء إلا زانه، ولا ينزع من شيء إلا شانه) (١٥٤).
وقال (صلى الله عليه وآله وسلم): (إن لكل شيء قفلاً وقفل الإيمان الرفق) (١٥٥) فمن رفق أقفل على إيمانه لا يسرقه شيطان أو نفس أما العنيف فإيمانه عرضة للسرقة والنهب.
ويقول (صلى الله عليه وآله وسلم): (إن الله عز وجل رفيق يحب الرفق ويعطي على الرفق ما لا يعطي على العنف) (١٥٦).
ويقول (صلى الله عليه وآله وسلم): (ما اصطحب اثنان إلا كان أعظمهما أجراً وأحبهما إلى الله عز وجل: أرفقهما بصاحبه) (١٥٧).
ويقول (صلى الله عليه وآله وسلم): (الرفق يمن والخرق شؤم) (١٥٨).
ويقول (صلى الله عليه وآله وسلم): (من كان رفيقاً في أمره، نال ما يريد من الناس) (١٥٩).

-
- ١٥١ - أصول الكافي: ١٠٨/٢ - جامع السعادات: ٣٣٧/١.
١٥٢ - سورة آل عمران: آية ١٥٩.
١٥٣ - أصول الكافي: ١٢٠/٢ - جامع السعادات: ٣٣٨/١.
١٥٤ - أصول الكافي: ١١٩/٢ - جامع السعادات: ٣٣٨/١.
١٥٥ - أصول الكافي: ١١٨/٢ - جامع السعادات: ٣٣٨/١.
١٥٦ - أصول الكافي: ١١٩/٢ - جامع السعادات: ٣٣٨/١.
١٥٧ - أصول الكافي: ١٢٠/٢ - جامع السعادات: ٣٣٩/١.
١٥٨ - أصول الكافي: ١١٩/٢ - جامع السعادات: ٣٣٩/١.
١٥٩ - أصول الكافي: ١٢٠/٢ - جامع السعادات: ٣٣٩/١.

ويقول (صلى الله عليه وآله وسلم): (إذا أحبَّ الله أهل بيت أدخل عليهم الرفق)(١٦٠).
ويقول (صلى الله عليه وآله وسلم): (من أعطي حظه من الرفق، أعطي حظه من خير الدنيا والآخرة، ومن حُرِّم حظه من الرفق حرم حظه من الدنيا والآخرة)(١٦١).
وقال (صلى الله عليه وآله وسلم): (إنَّ في الرفق الزيادة والبركة، ومن يُحرم الرفق يُحرم الخير)(١٦٢).
وقال (صلى الله عليه وآله وسلم): (أندرون من يحرم على النار؟ كل هين لين سهل قريب)(١٦٣).
وقال الامام الكاظم (عليه السلام): (الرفق نصف العيش)(١٦٤) إذ العيش بالروح والجسد والرفق يؤمن الناحية الروحية، فتبقى الناحية الجسدية.
وجرى بين رجل وبين قوم كلام فقال له (عليه السلام): (إرفق بهم فإن كفر أحدكم في غضبه، ولا خير فيمن كان كفره في غضبه)(١٦٥).
وهذه الأحاديث لا تحتاج إلى تحليل فلسفي، أو تقريب منطقي إنها أمور محسوسة ملموسة، منتهى الأمر: إنَّ تطبيق الرفق العملي صعب جداً.

المداراة

ومن الرفق المداراة مع الناس بحسن صحبتهم واحتمال أذاهم، وعدم مجابتهم بما يكرهون، وليس هذا من النفاق كما يزعمه الغرّ، فالنفاق هو أن يكون الإنسان ذا وجهين، يلقي صاحبه بوجه ويغيب عنه بوجه... والمداراة ليست منه في شيء، إنها اللين مع الناس.
والمداراة تحتاج إلى نفس جسور، وعقل رزين، وججى راجح، فإنه كيف يتسنى للإنسان أن يلاقي الناس برفق، وفيهم الخرق والتحامل؟ ولكن عاقبة المداراة حلوة، كعواقب الأخلاق الفاضلة بصورة عامة. إنَّ من لا يتحمل من الناس جفاهم وخرقهم لا بد وان يختار أحد طرفين: إما الفرار عن الناس، وفيه كبت مواهب نفسه التي تنمو بالاجتماع والتعاون، وانسحاب عن ميدان الإنسانية، إلى غاب الحيوان! وإما الاصطدام بالناس في كل صغيرة وكبيرة وفيه من الإرهاق والنصب قدر كبير، يضلل أمامه تحمل خرقتهم.
ثم إن المداري نفسه في راحة إذ النفس المتفضلة فرحة مسرورة، أما غيره فقد خسر راحة الروح وفضيلة النفس.
ولذا نرى الإسلام حث على هذه الفضيلة أكد الحث قال النبي (صلى الله عليه وآله وسلم): (المداراة نصف الإيمان والرفق بهم نصف العيش)(١٦٦) وقال (صلى الله عليه وآله وسلم): (ثلاث من لم يكن فيه لم ير له عمل: ورع يحجزه

١٦٠ - جامع السعادات: ٣٣٩/١.

١٦١ - جامع السعادات: ٣٣٩/١.

١٦٢ - أصول الكافي: ١١٩/٢.

١٦٣ - جامع السعادات: ٣٣٩/١.

١٦٤ - أصول الكافي: ١٢٠/٢ - جامع السعادات: ٣٣٩/١.

١٦٥ - أصول الكافي: ١١٩/٢ - جامع السعادات: ٣٣٩/١.

١٦٦ - بحار الأنوار: ٤٤٠/٧٥ - جامع السعادات: ٣٤٠/١.

عن معاصي الله، وخلق يداري به الناس، وحلم يردّ به جهل الجاهل(١٦٧) وقال:(أمرني ربي بمداراة الناس كما أمرني بأداء الفرائض)(١٦٨).

وقال الباقر (عليه السلام): (في التوراة مكتوب: فيما ناجى الله عز وجل به موسى بن عمران (عليه السلام): يا موسى! اكنم مكتوم سري في سريرتك واظهر في علانيتك المداراة عني لعدوي وعدوك من خلقي...)(١٦٩).

وقال الصادق (عليه السلام): (جاء جبرائيل إلى النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) فقال: يا محمد! ربك يفرؤك السلام ويقول: دار خلقي)(١٧٠).

وقال (عليه السلام): (إنّ قوماً من الناس قلت مداراتهم للناس فالحقوا من قريش، وأيم الله ما كان بأحسابهم بأس. وإن قوماً من غير قريش حسنت مداراتهم فالحقوا بالبيت الرفيع... ثم قال: من كف يده عن الناس، فإنما يكف عنهم يداً واحدة ويكفون عنه أيدي كثيرة)(١٧١).

إنه الحق، فإن المداري يداري وهو واحد ويداويه كثيرون. وكذلك من خرق مع الناس جرّ على نفسه خرق جماعات، وإن قابلهم بخرقه وهو فرد.. ومن كان على شك من مدى صدق هذا الكلام فليُنظر إلى المداري وغيره ثم يرى أيهما في راحة وسعادة وأيهما في شقاء وهدى.

حسن الخلق

الصفات الحسنة تجمعها ملكة في النفس تبعث على الاستقامة في كل مورد وتسمى تلك بـ (حسن الخلق) كما إن الصفات الذميمة تشملها صفة عامة هي (سوء الخلق).

والإسلام كما يحث على كل صفة صفة من الفضائل ويزجر عن كل صفة صفة من الرذائل. كذلك يحرض على تجميع الصفات الحسنة وينهي عن تجميع الصفات الذميمة.

وهذه الصفة أعني (حسن الخلق) من أشد الملكات الحسنة صعوبة على النفس إذ طيب الكلام وحسن الجوار والرفق والمداراة وحسن العشرة، وما إليها كلها تتحمل مسؤولية نفسها أما حسن الخلق فإنه يتحمل مسؤولية جميع الصفات. ولذا ورد في مدحه الشيء الكثير:

قال النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) - لأم حبيبة -: (إن حسن الخلق ذهب بخير الدنيا والآخرة)(١٧٢).

وقال (صلى الله عليه وآله وسلم): (إن حسن الخلق يبلغ بصاحبه درجة الصائم القائم)(١٧٣).

وقال (صلى الله عليه وآله وسلم): (أكثر ما تلج به أمتي الجنة، تقوى الله، وحسن الخلق)(١٧٤).

وقال (صلى الله عليه وآله وسلم): (أفاضلكم: أحسنكم أخلاقاً الموطؤون أكنافاً الذين يألفون ويؤلفون)(١٧٥).

١٦٧ - بحار الأنوار: ٤٣٧/٧٥ - جامع السعادات: ٣٤٠/١.

١٦٨ - بحار الأنوار: ٤٤٠/٧٥ - جامع السعادات: ٣٤٠/١.

١٦٩ - بحار الأنوار: ٤٣٨/٧٥ - جامع السعادات: ٣٤٠/١.

١٧٠ - بحار الأنوار: ٤٣٨/٧٥ - جامع السعادات: ٣٤٠/١.

١٧١ - بحار الأنوار: ٤٤١/٧٥ - جامع السعادات: ٣٤٠/١.

١٧٢ - جامع السعادات: ٣٤٣/١.

١٧٣ - أصول الكافي: ١٠٣/٢ - جامع السعادات: ٣٤٣/١.

١٧٤ - أصول الكافي: ١٠٠/٢ - جامع السعادات: ٣٤٤/١.

وقال (صلى الله عليه وآله وسلم): (حسن الخلق خلق الله الأعظم)(١٧٦).

وقال (صلى الله عليه وآله وسلم): (إن أحبكم إليّ وأقربكم مني مجلساً يوم القيامة أحسنكم خلقاً)(١٧٧).

وقال (صلى الله عليه وآله وسلم): (إن الخلق الحسن يميت الخطيئة، كما تميت الشمس الجليد)(١٧٨) ومعنى يميت الخطيئة: يذيبها.

وقال (صلى الله عليه وآله وسلم): (إن العبد ليبلغ بحسن خلقه عظيم درجات الآخرة وأشرف المنازل وإنه يضعف العبادة)(١٧٩).

وقال (صلى الله عليه وآله وسلم): (ما يوضع في ميزان امرئ يوم القيامة أفضل من حسن الخلق)(١٨٠).

وقال (صلى الله عليه وآله وسلم): (يا بني عبد المطلب إنكم لن تسعوا الناس بأموالكم، فالقوهم بطلاقة الوجه وحسن البشر)(١٨١).

وقال (صلى الله عليه وآله وسلم): (إن الله استخلص هذا الدين لنفسه، ولا يصلح لدينكم إلا السخاء وحسن الخلق ألا فزينا دينكم بهما)(١٨٢).

وقال (صلى الله عليه وآله وسلم): (ثلاث من لم يكن فيه واحدة منهن فلا يعتد بشيء من علمه: تقوى تحجزه عن معاصي الله، وحلم يكف به السيئة، وخلق يعيش به في الناس)(١٨٣). وسألته أم حبيبة: عن امرأة، يكون لها زوجان في الدنيا، فتموت ويموتان، ويدخلان الجنة لأيهما هي؟ فقال (صلى الله عليه وآله وسلم): (إنها لأحسنهما خلقاً)(١٨٤).

وقد مثل (صلى الله عليه وآله وسلم) لحسن الخلق وسوء الخلق أروع الأمثلة: قال (صلى الله عليه وآله وسلم): لما خلق الله الإيمان قال: اللهم قوني! فقواه بحسن الخلق والسخاء. ولما خلق الله الكفر، قال: (اللهم قوني! فقواه بالبخل وسوء الخلق)(١٨٥) فالإيمان يتقوى بحسن الخلق والسخاء، ولم لا يكون كذلك؟ أليس من الإيمان. والكفر يتقوى بسوء الخلق والبخل، ولم لا يكون كذلك؟ أليس من رغبات النفس والشيطان.

ولا يقف الأمر عند هذا الحد، بل فوق ذلك إن الأخلاق السيئة لا بد وأن تجر الإنسان إلى النار، قيل للنبي (صلى الله عليه وآله وسلم): إن فلاتة تصوم النهار وتقوم الليل وهي سيئة الخلق تؤذي جيرانها بلسانها؟ قال (صلى الله عليه وآله وسلم): (لا خير فيها هي من أهل النار)(١٨٦) ولم لا؟ أليست الأذية محرمة والحرام يجزى إلى النار.

وقال (صلى الله عليه وآله وسلم): (إن العبد ليبلغ من سوء خلقه أسفل درك جهنم)(١٨٧).

وقال (صلى الله عليه وآله وسلم): (سوء الخلق ليفسد العمل كما يفسد الخل العسل)(١٨٨).

وقال (صلى الله عليه وآله وسلم): (سوء الخلق ذنب لا يغفر)(١٨٩) لأنه لا يقلع صاحبه عنه فيموت عاصياً.

- ١٧٥ - أصول الكافي: ١٠٢/٢ - جامع السعادات: ٣٤٤/١.
- ١٧٦ - جامع السعادات: ٣٤٣/١.
- ١٧٧ - جامع السعادات: ٣٤٣/١.
- ١٧٨ - أصول الكافي: ١٠٠/٢ - جامع السعادات: ٣٤٣/١.
- ١٧٩ - جامع السعادات: ٣٤٣/١.
- ١٨٠ - أصول الكافي: ٩٩/٢ - جامع السعادات: ٣٤٣/١.
- ١٨١ - أصول الكافي: ١٠٣/٢ - جامع السعادات: ٣٤٣/١.
- ١٨٢ - جامع السعادات: ٣٤٣/١.
- ١٨٣ - جامع السعادات: ٣٤٣/١.
- ١٨٤ - جامع السعادات: ٣٤٣/١.
- ١٨٥ - جامع السعادات: ٣٤١/١.
- ١٨٦ - جامع السعادات: ٣٤١/١.
- ١٨٧ - جامع السعادات: ٣٤٢/١.
- ١٨٨ - أصول الكافي: ٣٢١/٢ - جامع السعادات: ٣٤١/١.

وقال (صلى الله عليه وآله وسلم): (أبى الله عزّ وجلّ لصاحب الخلق السيء بالتوبة! قيل: وكيف ذلك يا رسول الله؟ قال: لأنه إذا تاب من ذنب وقع في ذنب أعظم منه) (١٩٠) إنّه يتوب من إيدانه أهله، ويتوب من ذلك فيقع في إيداء أبويه... وهكذا.. وليس هذا من الترتيب العقلي بل الترتيب الطبيعي الخارجي، ولذا فليس له غفران إلا بالانقلاع عن أصل سوء الخلق.

وفي كلام الأئمة (عليهم السلام) الشيء الكثير عن هذين الوصفين.

قال الإمام الباقر (عليه السلام): (إن أكمل المؤمنين إيماناً أحسنهم خلقاً) (١٩١).

وقال (عليه السلام): (أتى رجل رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)

فقال: يا رسول الله أوصني فكان في ما أوصاه أن قال: إلق أخاك بوجه منبسطة) (١٩٢).

وقال الإمام الصادق (عليه السلام): (ما يقدم المؤمن على الله عزّ وجلّ بعمل بعد الفرائض أحبّ إلى الله تعالى من

أن يسع الناس بخلقه) (١٩٣).

وقال (عليه السلام): (البر وحسن الخلق يعمران الديار، ويزيدان في الأعمار) (١٩٤).

وقال (عليه السلام): (إن الله تبارك وتعالى، ليعطي العبد من الثواب على حسن الخلق، كما يعطي المجاهد في سبيل

الله، يغدو عليه ويروح) (١٩٥).

وقال (عليه السلام): (ثلاث من أتى الله بواحدة منهن أوجب الله له الجنة: الإنفاق من إقتار، والبشر لجميع العالم،

والإنصاف من نفسه) (١٩٦).

وقال (عليه السلام): (صنائع المعروف وحسن البشر، يكسبان المحبة ويدخلان الجنة، والبخل وعبوس الوجه،

يبعدان من الله ويدخلان النار) (١٩٧).

إلى غير ذلك من الأحاديث الكثيرة.

العداوة وفروعها

١٨٩ - جامع السعادات: ٣٤٢/١.

١٩٠ - أصول الكافي: ٣٢١/٢ - جامع السعادات: ٣٤٢/١.

١٩١ - أصول الكافي: ٩٩/٢ - جامع السعادات: ٣٤٤/١.

١٩٢ - أصول الكافي: ١٠٣/٢ - جامع السعادات: ٣٤٤/١.

١٩٣ - أصول الكافي: ١٠٠/٢ - جامع السعادات: ٣٤٤/١.

١٩٤ - أصول الكافي: ١٠٠/٢ - جامع السعادات: ٣٤٤/١.

١٩٥ - أصول الكافي: ١٠٠/٢ - جامع السعادات: ٣٤٤/١.

١٩٦ - أصول الكافي: ١٠٣/٢ - جامع السعادات: ٣٤٤/١.

١٩٧ - أصول الكافي: ١٠٣/٢ - جامع السعادات: ٣٤٤/١.

الإيمان الكبير لا يشتغل بالمحقرات إته أكبر من ذلك ولا وقت له يصرفه في التوافه، إن وقته أثن منها ولذا نرى إن العظمة لا يابهون بكلمة تجرح كرامة النفس أو عداوة أورثتها نفس صغيرة، وكلما كانت النفس أكبر وكان الشخص أعظم كان عفوه وصفحه أكثر، وبالعكس صغار الناس ذو نفوس ضيقة وعقول خفيفة لا تشتغل إلا بمعادة فلان وتتبع عورات فلان...

والعداوة غالباً لا تقطن إلا في النفوس العفنة ولا تورق إلا في الأرواح القذرة وهي وفروعها، من حقد وضرب وفحش ولعن وطعن وتربص للانتقام إلى غيرها.. كلها دليل على وساخة النفس والتياؤها بالأقذار مما ليس إلا من شأن رجل الشارع العديم الشرف.

قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): (المؤمن ليس بحقود)(١٩٨).

وقال (صلى الله عليه وآله وسلم): (ما كان جبرائيل يأتيني إلا قال: يا محمد اتق شحناء الرجال وعداوتهم)(١٩٩).

وقال (صلى الله عليه وآله وسلم): (ما عهد إلى جبرائيل قط في شيء ما عهد إلي في معادة الرجال)(٢٠٠).

الرجل العادي يحتاج إلى اتقاء شحناء الرجال حتى يعيش فكيف بنبي عظيم يريد أن يبث الدعاية إلى كل خير وفضيلة؟ وهذا تعليم جليل لمن يريد توجيه الناس، إته يلزم جهده أن يجتنب عن معاداتهم، إذ القيام بالتوجيه كاف في جلب عداوات من صغار النفوس وضعاف الأرواح، فليتنق عن جلب العداوات بما يصنعه بنفسه!

ثم إن العداوة لا تسبب إلا الخسارة يقول الشاعر: إنك لا تجني من الشوك العنب، ولذا قال الإمام الصادق (عليه السلام): (من زرع العداوة حصد ما بذر)(٢٠١).

وقد أرصد الإسلام لمكافحة العداوة وثمراتها أحاديث كثيرة ترغيبية وترهيبية ليأمن المجتمع الإسلامي من هذه الثمار البشعة.

قال النبي (صلى الله عليه وآله وسلم): (ليس المؤمن بالطعان، ولا اللعان، ولا الفاحش، ولا البذيء)(٢٠٢).

وقال (صلى الله عليه وآله وسلم): (اياكم والفحش، فإن الله لا يحب الفحش والتفحش)(٢٠٣).

وقال (صلى الله عليه وآله وسلم): (الجنة حرام على كل فاحش أن يدخلها)(٢٠٤).

وقال (صلى الله عليه وآله وسلم): (إن الفحش والتفحش ليسا من الإسلام في شيء)(٢٠٥).

وقال (صلى الله عليه وآله وسلم): (البذاء والبيان شعبتان من شعب النفاق)(٢٠٦) والبيان كشف ما لا يجوز كشفه.

وقال (صلى الله عليه وآله وسلم): (أربعة يؤذون أهل النار على ما بهم من الأذى - وعدّ منهم - رجلاً يسيل فوه قيحاً وهو من كان في الدنيا فاحشاً)(٢٠٧).

وقال (صلى الله عليه وآله وسلم): (لا تسبوا الناس فتكسبوا العداوة منهم)(٢٠٨).

وقال (صلى الله عليه وآله وسلم): (إن الله حرم الجنة على كل فحاش بذيء، قليل الحياء لا يبالي ما قال ولا ما قيل له...)(٢٠٩).

-
- ١٩٨ - جامع السعادات: ٣٤٦/١.
١٩٩ - أصول الكافي: ٣٠١/٢ - جامع السعادات: ٣٤٧/١.
٢٠٠ - أصول الكافي: ٣٠١/٢ - جامع السعادات: ٣٤٧/١.
٢٠١ - أصول الكافي: ٣٠٢/٢ - جامع السعادات: ٣٤٧/١.
٢٠٢ - جامع السعادات: ٣٤٩/١.
٢٠٣ - جامع السعادات: ٣٤٩/١.
٢٠٤ - جامع السعادات: ٣٤٩/١.
٢٠٥ - جامع السعادات: ٣٤٩/١.
٢٠٦ - جامع السعادات: ٣٤٩/١.
٢٠٧ - جامع السعادات: ٣٤٩/١.
٢٠٨ - أصول الكافي: ٣٦٠/٢ - جامع السعادات: ٣٤٩/١.

وقال (صلى الله عليه وآله وسلم): (إذا رأيتم الرجل لا يبالي ما قال ولا ما قيل فيه فإنه لغيره أو شرك شيطان)(٢١٠).

وقال (صلى الله عليه وآله وسلم): (إن الله ليبغض الفاحش البذيء والسائل الملحف)(٢١١).

وقال (صلى الله عليه وآله وسلم): (إن من شرار عباد الله من تكره مجالسته لفحشه)(٢١٢).

وقال (صلى الله عليه وآله وسلم): (سباب المؤمن كالمشرف على الهلكة)(٢١٣).

وقال (صلى الله عليه وآله وسلم): (المتسابان شيطانان متعاديان ومتهاتران)(٢١٤).

وقال (صلى الله عليه وآله وسلم): (سباب المؤمن فسوق وقتاله كفر وأكل لحمه معصية وحرمة ماله كحرمة دمه)(٢١٥).

وقال (صلى الله عليه وآله وسلم): (شر الناس عند الله تعالى يوم القيامة الذين يكرمون اتقاء شرهم)(٢١٦).

وقال (صلى الله عليه وآله وسلم): (المؤمن ليس بلعان)(٢١٧).

أتريد أكثر من هذا؟ إن من يقوم الحق تكفيه واحدة منها، ومن لا يعتدل لم تكفه مجلدات.

وللائمة من أهل البيت (عليهم السلام) أحاديث بهذا النسق وإليك بعضها:

قال الصادق (عليه السلام): (من علامات شرك الشيطان الذي لا يشك فيه أن يكون فحاشاً لا يبالي ما قال ولا ما قيل فيه)(٢١٨).

وقال (عليه السلام): (البذاء من الجفاء، والجفاء في النار)(٢١٩).

وقال (عليه السلام): (من خاف الناس لسانه فهو في النار)(٢٢٠).

وقال (عليه السلام): (إن أبغض خلق الله تعالى عبد اتقى الناس لسانه)(٢٢١).

وقال الكاظم (عليه السلام): (في رجلين يتسابان البادئ منهما أظلم ووزره ووزر صاحبه عليه ما لم يتعد المظلوم)(٢٢٢).

وقال الباقر (عليه السلام): (إن اللعنة إذا خرجت من فم صاحبها ترددت بينهما فإن وجدت مساعاً وإلا رجعت إلى

صاحبها)(٢٢٣).

وقال (عليه السلام): (إياكم والطعن على المؤمنين)(٢٢٤).

وقال (عليه السلام): (ما من إنسان يطعن في عين مؤمن إلا مات شر ميتة وكان قمناً ألا يرجع إلى خير)(٢٢٥).

٢٠٩ - أصول الكافي: ٣٢٣/٢ - جامع السعادات: ٣٤٩/١.

٢١٠ - جامع السعادات: ٣٤٩/١.

٢١١ - أصول الكافي: ٣٢٥/٢ - جامع السعادات: ٣٤٩/١.

٢١٢ - أصول الكافي: ٣٢٥/٢ - جامع السعادات: ٣٤٩/١.

٢١٣ - أصول الكافي: ٣٥٩/٢ - جامع السعادات: ٣٥٠/١.

٢١٤ - جامع السعادات: ٣٥٠/١.

٢١٥ - مكارم الأخلاق: ٤٧٠ - جامع السعادات: ٣٤٩/١.

٢١٦ - أصول الكافي: ٣٢٧/٢ - جامع السعادات: ٣٥٠/١.

٢١٧ - جامع السعادات: ٣٥١/١.

٢١٨ - أصول الكافي: ٣٢٣/٢ - جامع السعادات: ٣٥٠/١.

٢١٩ - أصول الكافي: ٣٢٥/٢ - جامع السعادات: ٣٥٠/١.

٢٢٠ - أصول الكافي: ٣٢٧/٢ - جامع السعادات: ٣٥٠/١.

٢٢١ - جامع السعادات: ٣٥٠/١.

٢٢٢ - أصول الكافي: ٣٦٠/٢ - جامع السعادات: ٣٥٠/١.

٢٢٣ - أصول الكافي: ٣٦٠/٢ - جامع السعادات: ٣٥١/١.

٢٢٤ - أصول الكافي: ٣٦١/٢ - جامع السعادات: ٣٥٥/١.

وليس عدم اللعن والظعن مختصاً بالإحسان بل الإسلام ينزّه الفرد من أن يخرج من فيه لعن أصلاً وإن كان على حيوان أو جماد، أليس الإسلام دين النظافة والطهارة في اللسان والعمل والقلب؟ وأليس اللعن قذراً مهما كان الملعون جماداً أو حيواناً أو إنساناً؟ إذا فالإسلام يمنع عنه فقد روي: إن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) أنكر على امرأة لعنت ناقة وعلى رجل لعن بغيراً (٢٢٦) بل فوق ذلك، ففي الحديث: (انه ما لعن أحد الأرض إلا قالت: اللعن على أعصانا لله) (٢٢٧) ومن أعصاهما؟ انه اللاعن، فالأرض مطيعة لأمر ربها: (... فقال لها ولا أرض انثيا طوعاً أو كرهاً قالتا أتينا طائعين) (٢٢٨).

وهكذا يريد الإسلام أن يهذب أمته حتى لا يبدر منهم ولا لفظ جاف وليس هذا فحسب، بل يأخذ الإسلام جانب الإيجاب شوطاً آخر، فيحبذ دعاء الشخص للآخر وبذلك تتأكد الاخوة وتقوى الصلة وينقلع جذر العداوة عن النفوس، فإن من يتعاهد نفسه بالدعاء لشخص لا بد وأن تلين نفسه إلى ذكره، وتتصل بنفسه، فللنفوس أمواج تتصل كما إن إلقاء الحجر في الماء يحدث أمواجاً، ولذا من دعا لأخيه بظهر الغيب، لا يمضي زمان، حتى يحبه وبذلك يريح خير الآخرة، مع ارتياح النفس في الدنيا: (المؤمن يدعو لأخيه بظهر الغيب فيقول له الملك: آمين ويقول العزيز الجبار: ولك مثلاً ما سألت وقد أعطيت ما سألت بحبك إياه) (٢٢٩).

وقال (صلى الله عليه وآله وسلم): (يستجاب للرجل في أخيه، ما لا يستجاب له في نفسه) (٢٣٠). وقال علي بن الحسين (عليهما السلام): (إن الملائكة إذا سمعوا المؤمن يدعو لأخيه المؤمن بظهر الغيب، أو يذكره بخير قالوا: نعم الأخ أنت لأخيك تدعو له بالخير وهو غائب عنك وتذكره بالخير وقد أعطاك الله عز وجل مثلي ما سألت له وأنتى عليك مثلي ما أثنت عليه، ولك الفضل عليه) (٢٣١).

وأفضل من الدعاء للحي الدعاء للميت إذ إنه انقطع عن الدنيا ويتحسر على ما قدمت يداه، وليس له مغيب ولا مجير، ولذا قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): (مثل الميت في قبره مثل الغريق، يتعلق بكل شيء، ينتظر دعوة من ولد أو والد أو أخ أو قريب، وانه ليدخل على قبور الأموات من دعاء الأحياء من الأنوار مثل الجبال، وهو للأموات: بمنزلة الهدايا للأحياء، فيدخل الملك على الميت، معه طبق من نور عليه منديل من نور فيقول: هذه هدية لك من عند أخيك فلان أو من عند قريبك فلان فيفرح كما يفرح الحي بالهدية) (٢٣٢).

وبالعكس الدعاء على الأموات ولعنهم فإن وزره عظيم! قال النبي (صلى الله عليه وآله وسلم): (لا تسبوا الأموات فإنهم قد أفضوا إلى ما قدموا) (٢٣٣). ثم لعن الميت والدعاء عليه: يدل على خسة نفس الداعي اللاعن وإلما يأتي من الميت؟ وأي نفع في الدعاء عليه ولعنه؟.

-
- ٢٢٥ - أصول الكافي: ٣٦١/٢ - جامع السعادات: ٣٥٥/١.
 - ٢٢٦ - جامع السعادات: ٣٥٤/١.
 - ٢٢٧ - جامع السعادات: ٣٥٤/١.
 - ٢٢٨ - سورة فصلت: آية ١١.
 - ٢٢٩ - أصول الكافي: ٥٠٧/٢.
 - ٢٣٠ - جامع السعادات: ٣٥٤/١.
 - ٢٣١ - أصول الكافي: ٥٠٨/٢ - جامع السعادات: ٣٥٤/١.
 - ٢٣٢ - جامع السعادات: ٣٥٥/١.
 - ٢٣٣ - جامع السعادات: ٣٥٤/١.

العجب

الإنسان مجبول على حب الخير والسعي على تحصيله أيما كان نوعه دنيوياً أو أخروياً فهو يسعى لتحصيل الشرف والمجد والعز والجاه كما يسعى لتحصيل الثواب والرضوان والفضيلة والملكات الحسنة وهذه الفطرة هي التي تسوق الإنسان نحو الكمال وتسبب رقي المجتمعات، وتباري الأمم في الفضيلة أو الجاه ولولاها لاندثر عقد الاجتماع وتلاشت المدنية وأخذت الإنسانية تتقهقر إلى حيث الفناء والانهيار.

والإسلام يحث على تربية هذه الفطرة في النفس مع توجيهها نحو الخير فهو يرغب في أن يرى الإنسان نفسه دون كماله المنشود، حتى يجاهد ويجتهد ويكد ويعمل مدى حياته وقد أرصد الإسلام لهذه الغاية آيات وروايات وذم ما يخالف هذه الفطرة التي تسمى بـ (العجب) ومعناه: أن يرى الإنسان لنفسه كمالاً من غير فرق بين أن يكون متخيله حاصلاً له أم مجرد خيال!.

إن العجب يشل القوى الخيرة ويوجب الكسل والبطالة ويوقف النشاط عن العمل وبذلك يتدهور الإنسان إلى حيث النقص! أليس من يرى أنه علم القدر الكافي من العلوم يقف عند حده ولا يتعلم؟ أم أليس من يرى أنه حصل كماله المنشود، لا يجري نحو الكمال؟ أم أليس من يتخيل أنه عبد الله حق عبادته، يتكاسل عن الطاعة بعد ذلك؟ وهكذا.

إذاً فليس عجباً من الإسلام أن يجعل العجب من المهلكات، إنه مهلكة للدين والدنيا قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): (ثلاث مهلكات شح مطاع، وهوى متبع، وإعجاب المرء بنفسه) (٢٣٤) ويلزم على الإنسان أن يفر من هؤلاء، حتى لا يتلوث بجرعتهم، ولا يكتسب من أخلاقهم، قال النبي (صلى الله عليه وآله وسلم): (إذا رأيت شحاً مطاعاً وهوى متبعاً، وإعجاب كل ذي رأي برأيه فعليك نفسك) (٢٣٥).

والعجب في نظر الإسلام أعظم من الذنب إنَّ المذنب يذنب وهو يعلم انه مذنب فلا يفتي حتى ينقلع ويتوب. أما المعجب بنفسه، فإنه لا يرى لنفسه ذنباً حتى يتوب فهو كالجاهل جهلاً مركباً الذي يرى نفسه عالماً فلا يتعلم! وخير منه الجاهل جهلاً بسيطاً المعترف بجهله، قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): (لو لم تذنبوا لخشيت عليكم ما هو أكبر من ذلك: العجب العجب) (٢٣٦) المذنب يرى نفسه مقصراً فيجاهد لرفع ذنبه ويتذكر ربه أما ذو العجب فهو لا يتذكر الله إلا قليلاً!.

والأحاديث في ذم العجب كثيرة واليك نبذة منها:

في الحديث: (بينما موسى (عليه السلام) جالس إذ أقبل عليه إبليس وعليه برنس ذو ألوان، فلما دنا منه خلع البرنس وقام إلى موسى (عليه السلام) فسلم عليه فقال له موسى (عليه السلام): من أنت؟ فقال: أنا إبليس. قال (عليه السلام): أنت؟! فلا قرب الله دارك، قال: إني إنما جئت لأسلم عليك لمكانك من الله، فقال له موسى (عليه السلام): فما

٢٣٤ - أصول الكافي: ٣١٣/٢ - جامع السعادات: ٣٥٨/١.

٢٣٥ - جامع السعادات: ٣٥٨/١.

٢٣٦ - جامع السعادات: ٣٥٨/١.

هذا البرنس؟ قال: به أختطف قلوب بني آدم، فقال موسى (عليه السلام): فأخبرني بالذنب الذي إذا أنذبه ابن آدم استحوذت عليه؟ قال: إذا أعجبتة نفسه واستكثر عمله وصغر في عينيه ذنبه(٢٣٧).

وفي حديث عن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): (قال الله عز وجل يا داود بشر المذنبين وأنذر الصديقين؟! قال: كيف أبشر المذنبين، وأنذر الصديقين؟! قال: يا داود بشر المذنبين: أتى أقبل التوبة وأعفو عن الذنب! وأنذر الصديقين أن لا يعجبوا بأعمالهم، فإنه ليس عبد أنصبه للحساب إلا هلك)(٢٣٨) والصديق ما لم يبلغ العصمة لا بد وأنه اقترب إنما في حضرة الملك العلي الكبير والإثم إذا أخذ به هلك صاحبه.

قال الإمام الباقر (عليه السلام): (دخل رجلان المسجد أحدهما عابد والآخر فاسق فخرجا من المسجد، والفاسق صديق، والعابد فاسق. وذلك أنه يدخل العابد المسجد مدلاً بعبادته يدل بها فتكون فكرته في ذلك، وتكون فكرة الفاسق في الندم على فسقه ويستغفر الله عز وجل مما صنع من الذنوب)(٢٣٩) فيأثم العابد، ويظهر الفاسق. وقال الإمام الصادق (عليه السلام): (إن الله علم أن الذنب خير للمؤمن من العجب ولولا ذلك ما ابتلي مؤمن بذنوب أبداً)(٢٤٠) وقال (عليه السلام): (من دخله العجب هلك)(٢٤١) وقال (عليه السلام): (إن الرجل ليذنب الذنب فيندم عليه.. ويعمل العمل فيسرّه ذلك، فيتراخى عن حاله تلك... فلئن يكون على حاله تلك خير له مما دخل فيه)(٢٤٢) وقال (عليه السلام): (العجب ممن يعجب بعمله وهو لا يدري بما يختم له!!)(٢٤٣).

وقيل له (عليه السلام): (الرجل يعمل العمل وهو خائف مشفق ثم يعمل شيئاً من البر فيدخله شبه من العجب به؟ فقال (عليه السلام): هو في الحالة الأولى وهو خائف أحسن منه في حال عجبه)(٢٤٤).

وبالعكس من العجب انكسار النفس ورؤيتها دون مرتبة الكمال فإنه فطري للبشر، وهو سبب رقيهم في ميادين العلم والعمل والعبادة والزهادة... في الحديث: (أن الله تعالى أوحى إلى موسى (عليه السلام) أن يا موسى أتدري لم اصطفيتك بكلامي دون خلقي؟ قال: يا رب ولم ذلك فأوحى الله تبارك وتعالى إليه: أتى قلبت عبادي ظهراً لبطن فلم أجد فيهم أحداً أدلّ نفساً لي منك، يا موسى، إنك إذا صليت وضعت خدك على التراب)(٢٤٥).

التكبر والتواضع

إن النفس البشرية تحب السمو المادي والأدبي. ولا يخلو من هذه الغريزة فرد ولا جماعة.. ولكنه قد يسيء في استغلال هذه الملكة، فيصرفها في مصارف ضارة لا توتي ثمارها إلا بشعة مرة وكأنها من رؤوس الشياطين، وبذلك تتقهقر الكمالات والملكات الخيرة إلى الوراء بالعكس مما زعم صاحبها من إنها تدفعه إلى الإمام.

-
- ٢٣٧ - أصول الكافي: ٣١٤/٢ - جامع السعادات: ٣٥٨/١.
٢٣٨ - أصول الكافي: ٣١٤/٢ - جامع السعادات: ٣٥٨/١.
٢٣٩ - أصول الكافي: ٣١٤/٢ - جامع السعادات: ٣٥٩/١.
٢٤٠ - أصول الكافي: ٣١٣/٢ - جامع السعادات: ٣٥٩/١.
٢٤١ - أصول الكافي: ٣١٣/٢ - جامع السعادات: ٣٥٩/١.
٢٤٢ - أصول الكافي: ٣١٣/٢ - جامع السعادات: ٣٥٩/١.
٢٤٣ - جامع السعادات: ٣٥٩/١.
٢٤٤ - أصول الكافي: ٣١٤/٢ - جامع السعادات: ٣٥٩/١.
٢٤٥ - أصول الكافي: ١٢٣/٢ - جامع السعادات: ٣٧٨/١.

وللنفس ميزان يوزن بها السمو والاحطاط والرفعة والضعفة فإذا دخله نقص أو انحراف، أوجب خللاً في الكيل والوزن وخيلاً في المقايسة والموازنة... إن كل نفس لا بد وأن يكون لها مقدار من الثقل أو الخفة، فإرادة أن ترى أثقل أو أخف مدارات ورياء ومع ذلك فصعوبة يتحملها الإنسان بلا أي فائدة.
ومصيبة المتكبر هذه:

انه ضيع مقياس نفسه، فيريد أن ينفعها من حيث يعاكسه القدر، فيضرها.
ولا يقال: كبر أو تكبر أو كبرياء، إلا إذا زاد الشخص في مقداره زيادة باطلة لا يسندها الحق ولا يقرها المنطق... كما لا يقال: مهانة وذلة وابتذال، إلا إذا نقص الشخص في مقداره نقصاناً مخالفاً للحقيقة والواقع.. وكلاهما انحراف عن الواقع وزيع عن الوسط العدل ولا يجران إلى المتصف بهما إلا ضعفة وانحطاطاً!
فالتكبر يريد أن يسمو بنفسه، حيث يضعها برغمه. والمتبذل يريد أن يخدم ذاته حيث ينقصها.
وفرق بين العزة والتكبر، كما انه فرق بين التواضع والابتذال فالأولان ممدوحان والآخران مذمومان.
والإسلام حيث يتطلب الحقيقة ويأمر بها، ويكره كل مدارات ورياء وكذب وانحراف، يأمر بالعزة (...وللَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ...) (٢٤٦) من غير كبر وينهي عن الابتذال والمهانة دون التواضع.
ونسرد بعض الآثار في ذم التكبر والتكبر.

قال الله تعالى: (... كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى كُلِّ قَلْبٍ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٌ) (٢٤٧).
وقال تعالى: (سَأَصْرَفُ عَنْ آيَاتِي الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ...) (٢٤٨).
وقال تعالى: (... وَالْمَلَائِكَةُ بَاسِطُوا أَيْدِيهِمْ أَخْرَجُوا أَنْفُسَكُمْ... وَكُنْتُمْ عَنْ آيَاتِهِ تَسْتَكْبِرُونَ) (٢٤٩).
وقال تعالى: (ادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَبِئْسَ مَثْوًى الْمُتَكَبِّرِينَ) (٢٥٠).
وقال تعالى: (فَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ قُلُوبُهُمْ مُنْكَرَةٌ وَهُمْ مُسْتَكْبِرُونَ) (٢٥١).
وقال تعالى: (... إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ) (٢٥٢).
وقال تعالى: (... إِنَّ فِي صُدُورِهِمْ إِلَّا كِبْرًا مَا هُمْ بِبَالِغِيهِ...) (٢٥٣).
قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): (لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال حبة من خردل من كبر) (٢٥٤).
وقال (صلى الله عليه وآله وسلم): (من تعظم في نفسه واختال في مشيئته لقي الله وهو عليه غضبان) (٢٥٥).
وقال (صلى الله عليه وآله وسلم): (لا ينظر الله إلى رجل يجر إزاره بطراً) (٢٥٦).
وقال (صلى الله عليه وآله وسلم): (قال الله تعالى: الكبرياء ردائي والعظمة إزاري، فمن نازعني في واحد منهما ألقيته في جهنم) (٢٥٧).

-
- ٢٤٦ - سورة المنافقون: آية ٨.
٢٤٧ - سورة غافر: آية ٣٥.
٢٤٨ - سورة الأعراف: آية ١٤٦.
٢٤٩ - سورة الأنعام: آية ٩٣.
٢٥٠ - سورة الزمر: آية ٧٢.
٢٥١ - سورة النحل: آية ٢٢.
٢٥٢ - سورة غافر: آية ٦٠.
٢٥٣ - سورة غافر: آية ٥٦.
٢٥٤ - أصول الكافي: ٣١٠/٢ - جامع السعادات: ٣٨١/١.
٢٥٥ - جامع السعادات: ٣٨١/١.
٢٥٦ - جامع السعادات: ٣٨١/١.
٢٥٧ - جامع السعادات: ٣٨١/١.

وقال (صلى الله عليه وآله وسلم): (لا يزال الرجل يذهب بنفسه حتى يكتب في الجبارين فيصيبه ما أصابهم من العذاب)(٢٥٨).

وقال (صلى الله عليه وآله وسلم): (ألا أخبركم بأهل النار؟ كل عتل جواز جعظري)(٢٥٩) متكبر)(٢٦٠).

وقال (صلى الله عليه وآله وسلم): (لا يدخل الجنة جبار، ولا بخيل، ولا سيئ الملكة)(٢٦١).

وقال (صلى الله عليه وآله وسلم): (يخرج من النار عنق له أذنان تسمعان، وعينان تبصران، ولسان ينطق، يقول:

وكلت بثلاثة: بكل جبار عنيد، وبكل من دعا مع الله إلهاً آخر، وبالمصورين)(٢٦٢)

وقال (صلى الله عليه وآله وسلم): (ثلاثة لا يكلمهم الله، ولا ينظر إليهم يوم القيامة، ولا يزكّيهم ولهم عذاب أليم:

شيخ زان، وملك جبار، ومقل مختال)(٢٦٣).

وقال (صلى الله عليه وآله وسلم): (بئس العبد عبد تجبر واعتدى ونسى الجبار الأعلى، بئس العبد عبد تبختر

واختال ونسي الكبير المتعال، بئس العبد عبد غفل وسها ونسي المقابر والبلى، بئس العبد عبد عتا وبغى ونسي المبدأ

والمنتهى)(٢٦٤).

وقال (صلى الله عليه وآله وسلم): (إن أبغضكم إلينا وأبعدكم عنا في الآخرة الشترارون المتشدقون

المتفيقهون)(٢٦٥) أي المتكبرون.

وقال (صلى الله عليه وآله وسلم): (يحشر الجبارون والمتكبرون يوم القيامة في صور الذر تطأهم الناس لهوانهم

على الله تعالى)(٢٦٦).

انهم أرادوا أن يظهروا للأعين فوق حقانقهم التي هم عليها فعاكستهم الأقدار، فهم في الدنيا مهانون يجتنب عنهم

لكبرهم ونخوتهم فلا يوقر لهم مجلس ولا يحترم لهم مشهد ولا يحفظ فيهم مغيبهم بل تشرع عليهم الألسنة من كل مكان

بالذم والازدراء وفي الآخرة في صورة الذر تطأهم الناس! يا للحقارة والهون!!

وقال (صلى الله عليه وآله وسلم): (يحشر المتكبرون يوم القيامة في مثل صور الذر تطأهم الناس ذراً في مثل صور

الرجال يعلوهم كل شيء من الصغار، ثم يساقون إلى سجن في جهنم يقال له (بولس) تعلوهم نار شر أنيار، يسقون، من

طينة الخبال وعصارة أهل النار)(٢٦٧).

وقال (صلى الله عليه وآله وسلم): (إن في جهنم وادياً يقال له (هيهب) حق على الله أن يسكنه كل جبار)(٢٦٨).

وقال (صلى الله عليه وآله وسلم): (إن في النار قصراً يجعل فيه المتكبرون، ويطبق عليهم)(٢٦٩). وقال (صلى الله

عليه وآله وسلم): (إذا مشت أمتي المطيطاء (مشية فيها اختيال) وخدمتهم فارس والروم سلط الله بعضهم على

بعض)(٢٧٠).

٢٥٨ - جامع السعادات: ٣٨١/١.

٢٥٩ - والجواز: المتكبر الجافي، والجعظري: الفظ الغليظ.

٢٦٠ - جامع السعادات: ٣٨٢/١.

٢٦١ - جامع السعادات: ٣٨٢/١.

٢٦٢ - جامع السعادات: ٣٨١/١.

٢٦٣ - أصول الكافي: ٣١١/٢ - جامع السعادات: ٣٨٢/١.

٢٦٤ - جامع السعادات: ٣٨٢/١.

٢٦٥ - جامع السعادات: ٣٨٢/١.

٢٦٦ - جامع السعادات: ٣٨٢/١.

٢٦٧ - جامع السعادات: ٣٨٢/١.

٢٦٨ - جامع السعادات: ٣٨٢/١.

٢٦٩ - جامع السعادات: ٣٨٢/١.

٢٧٠ - جامع السعادات: ٣٨٢/١.

وقد ضرب المسيح (عليه السلام) أروع الأمثلة لقبول قلوب المتواضعين الحكمة دون المتكبرين.
قال (عليه السلام): (كما إن الزرع ينبت في السهل ولا ينبت على الصفاء، كذلك الحكمة تنبت في قلب المتواضع، ولا تعمر في قلب المتكبر، ألا ترون أنه من يتشمخ برأسه إلى السقف شجّه ومن يطأ طيء أظله وأكثه)(٢٧١).
وليس التحذير عن الكبر خاصاً بنبينا محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) أو المسيح (عليه السلام) وإنما حذر منه كل الأنبياء لعواقبه الوخيمة ومضادته للفطرة الإنسانية.

في الحديث: (إن نوحاً (عليه السلام) لما حضرته الوفاة، دعا ابنه فقال: إني أمركما باثنتين، وأنهاكما عن اثنتين: أنها كما عن الشرك والكبر، وأمركما بلا إله إلا الله، وسبحان الله ويحمده)(٢٧٢).

ثم المتكبر لماذا يتكبر؟ انه يجد خفة في وزنه فيريد أن يسدها بالكبر، ولكن الأقدار تعاكسه دائماً، قال الإمام الصادق (عليه السلام): (ما من رجل تكبر أو تجبر إلا لذلة وجدها في نفسه)(٢٧٣) فهو ذليل يريد أن يتعزز بالكبر ولكن هيهات!...

وبالعكس من التكبر: التواضع، فهو رأس الفضائل، ودليل على كبر النفس وسموها، ولذا كان النبي العظيم محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) متصفاً بهذه الصفة الرفيعة وينبغي للمسلم أن يجتهد كي يحتذي به (صلى الله عليه وآله وسلم).

قال أبو سعيد الخدري:

(كان (صلى الله عليه وآله وسلم) يعلف الناضح.

ويعقل البعير.

ويقم البيت.

ويحلب الشاة.

ويخصف النعل.

ويرقع الثوب.

ويأكل مع خادمه.

ويطحن عنه إذا أعبى.

ويشتري الشيء من السوق ولا يمنعه الحياء أن يعلقه بيده أو يجعله في طرف ثوبه وينقلب إلى أهله.

يصافح الغني والفقير والصغير والكبير.

ويسلم مبتدئاً على كل من استقبله من صغير أو كبير، أسود أو أحمر، حر أو عبد: من أهل الصلاة.

ليست له حلة لمدخله ولا لمخرجه.

لا يستحي من أن يجيب إذا دعي وإن كان أشعث أغبر.

ولا يحقر ما دعي إليه وإن لم يجد إلا حشف الرّقل.

لا يرفع غداً لعشاء ولا عشاءً لغداً.

هيّن المؤنة.

لين الخلق.

كريم الطبيعة.

٢٧١ - جامع السعادات: ٣٨٢/١.

٢٧٢ - جامع السعادات: ٣٨٣/١.

٢٧٣ - جامع السعادات: ٣٨٣/١.

جميل المعاشرة.

طلق الوجه.

بساماً من غير ضحك.

محزوناً من غير عبوس.

شديداً في غير عنف.

متواضعاً في غير مذلة.

جواداً من غير سرف.

رحيماً لكل ذي قربي.

قريباً من كل ذمي ومسلم.

رقيق القلب.

دائم الإطراق.

لم يبشم قط من شبع.

ولا يمدّ يده إلى طمع(٢٧٤).

وهذه الملكات الفاضلة كانت بعض ما اتصف به نبي الإسلام العظيم، الذي يجب على المسلم أن يقتدي به كما يقول الله تعالى: (... لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ...)(٢٧٥).

وحيث إن التواضع من الصفات الحسنة أرصد الإسلام له جملة من الأحاديث.

قال النبي (صلى الله عليه وآله وسلم): (ما تواضع أحد الله إلا رفعه الله)(٢٧٦).

وقال (صلى الله عليه وآله وسلم): (طوبى لمن تواضع في غير مسكنة وأنفق مالاً جمعه من غير معصية، ورحم أهل الذلة والمسكنة وخالط أهل الفقه والحكمة)(٢٧٧).

وقال (صلى الله عليه وآله وسلم) - لأصحابه -: (مالي لا أرى عليكم حلاوة العبادة؟! قالوا: وما حلاوة العبادة؟ قال (صلى الله عليه وآله وسلم): (التواضع)(٢٧٨).

وقال (صلى الله عليه وآله وسلم): (إذا تواضع العبد رفعه الله إلى السماء السابعة)(٢٧٩) كناية عن مرتبة ليست فوقها مرتبة.

وقال (صلى الله عليه وآله وسلم): (إذا هدى الله عبداً للإسلام حسن صورته، وجعله في موضع غير شأنن له، وورقه مع ذلك تواضعاً، فذلك من صفوة الله)(٢٨٠).

وقال (صلى الله عليه وآله وسلم): (أربع لا يعطيهن الله إلا من يحبه: الصمت وهو أول العبادة، والتوكل على الله، والتواضع، والزهد في الدنيا)(٢٨١).

وقال (صلى الله عليه وآله وسلم): (ليعجبني أن يحمل الرجل الشيء في يده يكون مهنة لأهله يدفع به الكبر عن نفسه)(٢٨٢).

٢٧٤ - جامع السعادات: ٣٩٢/١.

٢٧٥ - سورة الأحزاب: آية ٢١.

٢٧٦ - بحار الأنوار: ١٢٠/١ ب ٥١ - جامع السعادات: ٣٩٤/١.

٢٧٧ - جامع السعادات: ٣٩٤/١.

٢٧٨ - جامع السعادات: ٣٩٤/١.

٢٧٩ - جامع السعادات: ٣٩٤/١.

٢٨٠ - جامع السعادات: ٣٩٤/١.

٢٨١ - جامع السعادات: ٣٩٤/١.

وقال (صلى الله عليه وآله وسلم): (من تواضع لله رفعه الله، ومن تكبر خفضه الله، ومن اقتصد في معيشته رزقه الله، ومن بذر حرمة الله، ومن أكثر ذكر الموت أحبّه الله، ومن أكثر ذكر الله أظله الله في جنته)(٢٨٣).

وفي الحديث: (أتى رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ملك فقال: إن الله تعالى يخبرك أن تكون عبداً رسولاً متواضعاً أو ملكاً رسولاً؟ فنظر إلى جبرائيل (عليه السلام) فأومى بيده أن تواضع، فقال: عبداً متواضعاً رسولاً فقال الملك: مع أنه لا ينقصك مما عند ربك شيئاً، قال: ومعه مفاتيح خزائن الأرض)(٢٨٤).

وقال (صلى الله عليه وآله وسلم): (إن التواضع يزيد صاحبه رفعة فتواضعوا يرفعكم الله)(٢٨٥).

وقال عيسى بن مريم (عليه السلام): (طوبى للمتواضعين في الدنيا، هم أصحاب المنابر يوم القيامة، طوبى للمصلحين بين الناس في الدنيا، هم الذين يرثون الفردوس يوم القيامة، طوبى للمطهرة قلوبهم في الدنيا هم الذين ينظرون إلى الله تعالى (أي إلى رحمته وفضله) يوم القيامة)(٢٨٦).

وفي الحديث أوحى الله تعالى إلى داود: (يا داود كما أن أقرب الناس إلى الله المتواضعون، كذلك أبعد الناس من الله المتكبرون)(٢٨٧).

وروي: (أن سليمان بن داود إذا أصبح تصفح وجوه الأغنياء والأشراف حتى يجيء إلى المساكين، فيقعد معهم ويقول: مسكين مع مساكين)(٢٨٨).

وأمة المسلمين عليهم السلام كانوا الزم الناس لهذه الخصلة الحميدة قولاً وعملاً.

فقد روي: (انه ورد على أمير المؤمنين (عليه السلام) أخوان مؤمنان: أب وابن فقام إليهما وأكرمهما وأجلسهما في صدر مجلسه وجلس بين أيديهما ثم أمر بطعام فأحضر فأكل منه، ثم جاء قنبر بطست وإبريق خشب ومنديل وجاء ليصب على يد الرجل فوثب أمير المؤمنين (عليه السلام) واخذ الإبريق ليصب على يد الرجل فتمرغ الرجل في التراب وقال: يا أمير المؤمنين الله يراني وأنت تصب على يدي؟! قال: اقعد واغسل فإن الله عز وجل يراك وأخوك الذي لا يتميز منك ولا يتفضل عليك يخدمك يريد بذلك في خدمته في الجنة مثل عشرة أضعاف عدد أهل الدنيا، فقعد الرجل وقال له علي (عليه السلام): أقسمت عليك بعظيم حقي الذي عرفته وبخلته وتواضعك لله حتى جازاك عنه بأن ندبني لما شرفك به من خدمتي لك، لما غسلت مطمئناً كما كنت تغسل لو كان الصاب عليك قنبر، ففعل الرجل ذلك فلما فرغ ناول الإبريق (إبنيه) محمد بن الحنفية وقال: يا بني لو كان هذا الابن حضرنى دون أبيه لصببت على يده ولكن الله عز وجل يأبى أن يساوي بين ابن وأبيه، إذا جمعهما مكان، لكن قد صبّ الأب على الأب، فليصبّ الابن على الابن، فصبّ محمد بن الحنفية على الابن)(٢٨٩).

والتواضع لا يزال متواضعاً حتى يكون من الصديقين.

قال الإمام العسكري (عليه السلام): (أعرف الناس بحقوق إخوانهم وأشدهم قضاءً لها، أعظمهم عند الله شأنًا، ومن تواضع في الدنيا لإخوانه فهو عند الله من الصديقين ومن شيعه علي بن أبي طالب حقاً)(٢٩٠).

وقد حدد الإسلام التواضع تحديداً دقيقاً حتى لا يقال: ما هو؟ ولا يعتذر بتركه معتذراً قائلاً: لم أك أعرفه.

٢٨٢ - جامع السعادات: ٣٩٤/١.

٢٨٣ - أصول الكافي: ١٢٢/٢ - جامع السعادات: ٣٩٤/١.

٢٨٤ - بحار الأنوار: ١٢٨/٧٥ ب ٥١ - جامع السعادات: ٣٩٤/١.

٢٨٥ - أصول الكافي: ١٢١/٢.

٢٨٦ - جامع السعادات: ٣٩٤/١.

٢٨٧ - أصول الكافي: ١٢٣/٢ - جامع السعادات: ٣٩٥/١.

٢٨٨ - جامع السعادات: ٣٩٥/١.

٢٨٩ - بحار الأنوار: ١١٨/٧٥ ب ٥١ - جامع السعادات: ٣٩٥/١.

٢٩٠ - جامع السعادات: ٣٩٧/١.

سئل أبو الحسن (عليه السلام): (عن حد التواضع الذي إذا فعله العبد كان متواضعاً؟ فقال: التواضع درجات منها: أن يعرف المرء قدر نفسه فينزلها منزلتها بقلب سليم، لا يحب أن يأتي إلى أحد إلا مثل ما يوتى إليه أن رأى سينة درأها بالحسنة كاظم الغيظ، عاف عن الناس، والله يحب المحسنين)(٢٩١).

وفي حديث آخر قال (عليه السلام): (التواضع أن تعطي الناس ما تحب أن تعطاه)(٢٩٢).

وإذا كان التواضع ممدوحاً فإن المذلة مذمومة فإن كلا طرفي التواضع خارج عن الاعتدال وعن الموازين الإنسانية فإفراطهما: التكبر، وتفريطهما: المذلة، واللازم على الإنسان أن لا يبذل نفسه حتى يهان ويحتقر، بل يكون متواضعاً في غير مهانة ولذا فإذا كان هناك متكبر طاغ يذل الإنسان ويزدرية فالأليق أن لا يبالي به الشخص ويتكبر عليه، اعتزازاً بالنفس عن مساقط الهوان وإرغاماً لكبريائه المصطنع.

والى هذا ينظر ما ورد عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم): (إذا رأيت المتواضعين من أمتي، فتواضعوا لهم وإذا رأيت المتكبرين، فتكبروا عليهم فإن ذلك لهم مذلة وصغاراً)(٢٩٣).

ترفيه النفس

والتكبر لا بد وأن ينفس عن كبريائه، بقول أو عمل، فيجر ذيل الخيلاء، ويتصدر المجلس ويستتهن بكل أحد ويفتخر، ويبغي ويزكي نفسه. و... و...

وكلها من فروع شجرة الكبر المرة، وتوجب هوناً وضعة في أعين الناس.

وقد ورد النهي الأكيد في الإسلام عن جميع ذلك.

في الحديث: (إن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) صعد المنبر - يوم فتح مكة - فقال: أيها الناس، إن الله قد

أذهب عنكم نخوة الجاهلية، وتفاخرها بأبائها ألا إنكم من آدم وآدم من طين، ألا أن خير عباد الله عبد اتقاه)(٢٩٤).

وقال له (صلى الله عليه وآله وسلم) عقبة بن بشير الأسدي: أنا في الحسب الضخم عزيز في قومي فقال له (صلى

الله عليه وآله وسلم): (تمنّ علينا بحسبك؟! إن الله تعالى رفع بالإيمان من كان الناس يسمونه وضيعاً، إذا كان مؤمناً

ووضع بالكفر من كان الناس يسمونه شريفاً، إذا كان كافراً، فليس لأحد فضل على أحد إلا بتقوى الله)(٢٩٥).

وأتى رجل إلى النبي (صلى الله عليه وآله وسلم): (فقال: يا رسول الله، أنا فلان بن فلان... حتى عدّ تسعة، فقال

رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): أما إنك عاشرهم في النار)(٢٩٦).

لم يتكبر الفخور، هل لأنه صاحب مال أو جاه أو أولاد أو نفوذ؟؟ إنها كلها طوارئ، ألا ينظر إلى نفسه المليئة

بالأفكار؟! قال سيد الساجدين (عليه السلام): (عجباً للمتكبر الفخور الذي كان بالأمس نطفة، ثم هو غداً جيفة)(٢٩٧).

٢٩١ - بحار الأنوار: ١٣٥/٧٥ ب ٥١ - جامع السعادات: ٣٩٣/١.

٢٩٢ - بحار الأنوار: ١٣٥/٧٥ ب ٥١ - جامع السعادات: ٣٩٣/١.

٢٩٣ - جامع السعادات: ٣٩٨/١.

٢٩٤ - جامع السعادات: ٣٩٨/١.

٢٩٥ - أصول الكافي: ٣٢٨/٢ - جامع السعادات: ٣٩٩/١.

٢٩٦ - أصول الكافي: ٣٢٩/٢ - جامع السعادات: ٣٩٩/١.

٢٩٧ - أصول الكافي: ٣٢٨/٢ - جامع السعادات: ٣٩٨/١.

وقال ولده الباقر (عليه السلام): (عجباً للمختال الفخور! وإنما خلق من نطفة، ثم يعود جيفة وهو فيما بين ذلك لا يدري ما يصنع به)(٢٩٨).

ولقد فهم الإسلام سلمان الفارسي أحسن فهم ولذا ورد إن قريشاً تفاخروا عنده فقال: (ولكني خلقت من نطفة قذرة، ثم أعود جيفة منتنة، ثم إلى الميزان، فإن ثقل فأنا كريم وإن خف فأنا لنيم)(٢٩٩).

وتنجم عن ترفيع النفس خلال كلها قذرة وكلها تنافي الإنسانية الرفيعة والنفس الكريمة. من تلك الخلال: البغي، فيصعب للإنسان أن ينقاد لكبيره، ويكون طوع أمره ونهيه وبذلك يضيع على نفسه وعلى رئيسه ثمرات الطاعة الحلوة، ولذا يكون عقاب البغي مزدوجاً: عقاب الهلاك وعقاب تضييع الحقوق.

قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): (إنَّ أعجل الشر عقوبة البغي)(٣٠٠) وهذا أمر مشاهد: إن من لا يطيع أمره لا بد وإن يتضرر حسب الوقت المحدد للضرر الناجم من العصيان، وقال (صلى الله عليه وآله وسلم): (حق على الله أن لا يبغى شيء على شيء، إلا أذله الله، ولو أن جبلاً بغى على جبل لهدَّ الله الباغي منهما)(٣٠١). لكن هذا البغي هو قسم من الظلم ليس بالمعنى الأول.

وعلى أي فكلا البغيين تعد على الحق وسدور في الغي بغى على الأمر أو بغى على الغير.

قال أمير المؤمنين (عليه السلام): (أيها الناس إن البغي يقود أصحابه إلى النار - إلى أن قال:

وقد قتل الله الجبابرة على أفضل أحوالهم، وآمن ما كانوا)(٣٠٢).

ومن هنا المثل المشهور: (السلطنة مع الكفر تدوم، ومع الظلم لا تدوم).

وهذا منطقي مائة في المائة: إن الظالم لا بد وأن يأتي يوم يثور عليه المظلوم أو من يقظ مضجعه تفشّي الظلم وكم

أطاحت الظلمات بالتيجان ونكست بالعروش!

قال الإمام الصادق (عليه السلام): (يقول إبليس لجنوده: ألقوا بينهم الحسد والبغي، فأنهما يعدلان عند الله

الشرك)(٣٠٣). وكتب (عليه السلام) إلى بعض أصحابه: (انظر ألا تكلمن بكلمة بغى أبداً، وإن أعجبتك نفسك وعشيرتك)(٣٠٤).

وهكذا يريد الإسلام مجتمعاً خالياً من البغي ويريد الفرد مهذباً عن الظلم لا يبغى ولا يظلم!.

ومن الخلال الناجمة عن ترفيع النفس: تزكية الذات بذكر المحاسن، ونفي القبانح، فهناك جملة من الناس بل كثرة

غالبية منهم، لا يفتنون من ذكر مناقبهم، ونفي المساوئ عن أنفسهم تعطشاً إلى الرفعة ومن الجدير بهم أن يسقطوا عن

الأعين فإن كل مدح للنفس يورث صدمة في نفوس الآخرين فتريد أن تعاكس المادح حتى فيما له من المزايا، ولذا قيل:

(إذا أردت أن يمدحك الناس فامسك عن مدح نفسك، وإذا مدحت نفسك فلا تترجّ قبول الناس).

قال الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام): (تزكية المرء لنفسه قبيحة)(٣٠٥).

ومن الخلال الناجمة عن ترفيع النفس: العصبية، فتهاجم الأعصاب لنيل محبوب أو دفع مكروه مهما كلف الأمر إن

حقاً وإن باطلاً.

٢٩٨ - أصول الكافي: ٣٢٩/٢ - جامع السعادات: ٣٩٨/١.

٢٩٩ - جامع السعادات: ٣٩٩/١.

٣٠٠ - أصول الكافي: ٣٢٧/٢ - جامع السعادات: ٣٩٩/١.

٣٠١ - جامع السعادات: ٣٩٩/١.

٣٠٢ - جامع السعادات: ٤٠٠/١.

٣٠٣ - أصول الكافي: ٣٢٧/٢ - جامع السعادات: ٤٠٠/١.

٣٠٤ - جامع السعادات: ٤٠٠/١.

٣٠٥ - جامع السعادات: ٤٠١/١.

والإنسان قد يتعصب لنفسه وقد يتعصب لما يتعلق به من أثاث أو ريش، أو ذوي لحمه وقرابة، أو أهل محلة أو بلد أو قطر... أو ما إلى ذلك...

قال النبي (صلى الله عليه وآله وسلم): (من تعصب أو تُعصب له فقد خلع ربق الإيمان من عنقه)(٣٠٦) إته مؤمن ما دام يمشي بالإنصاف ويضع الحق في نصابه أما إذا تعصب فخرج عن الحق أو تُعصب له فرضي فهو يسلك سبيل الباطل، وأجدر به أن يخرج عن عداد المؤمنين.

قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): (من كان في قلبه حبة من خردل من عصبية بعثه الله يوم القيامة مع أعراب الجاهلية)(٣٠٧) وقال الإمام السجاد (عليه السلام): (لم يدخل الجنة حمية غير حمية حمزة بن عبد المطلب، وذلك حين أسلم عصباً للنبي (صلى الله عليه وآله وسلم) في حديث السلا الذي ألقى على النبي (صلى الله عليه وآله وسلم)) (٣٠٨) إنها دخلت الجنة لما ترتب عليها من نصره الإسلام إذ هو غريب وتعزيز مقام النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) إذ هو كالمنفرد، وإعلاء كلمة الله في الأرض، حيث لم يكن يعبد إلا بالاضطهاد.

وكثيرا ما تكون الحمية مقدمة لسلسلة من الأثام والجرائم فيلزم على الإنسان أن يجتثها من جذورها حتى لا يقع في موبقات لا منجي منها قال الإمام الصادق (عليه السلام): (إن الملائكة كانوا يحسبون إن إبليس منهم وكان في علم الله انه ليس منهم فاستخرج ما في نفسه بالحمية والعصب، فقال: (... خَلَقْتِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ)(٣٠٩)(٣١٠).

الإنصاف

جدير بمن دخل في الإسلام أن ينتهج على منواجه ويمشي في سبيله وإلا فليس المسلم بـ (م. س. ل. م) إنما هو من يمتثل أو امره ويتحلّى بمثله وقيمه.

ومن أفضل المثل الإسلامية التي يجب أن يتحلّى بها المرء: الإنصاف، أنه يساير الإنسان من يوم عقل إلى حين يقبر، فالانحراف عنه معناه الانحراف عن الحق طول الخط وليس هو بالأمر الهين، انه صفة وملكة ومن لا يتصف بها يجنح إلى الباطل كل يوم مائة مرة والإنسان يحتاج إليها في الدار وفي السوق وفي الطريق وفي المدرسة.. مع الأهل والصديق والمعلم والمتعلم والحاكم والمحكوم.. و... و...

ولذا أرصد الإسلام لها أكبر قدر ممكن من الترغيب والترهيب.

قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): (يا علي ثلاث من دقائق الإيمان: الإنفاق من الإقتار، وإنصاف الناس من نفسك، وبذل العلم للمتعلم)(٣١١).

وقال (صلى الله عليه وآله وسلم): (طوبى لمن طاب خلقه وظهرت سجيته وصلحت سريرته، وحسنت علاقته وأنفق الفضل من ماله وأمسك الفضل من قوله وأنصف الناس من نفسه)(٣١٢).

-
- ٣٠٦ - أصول الكافي: ٣٠٨/٢ - جامع السعادات: ٤٠١/١ .
٣٠٧ - أصول الكافي: ٣٠٨/٢ - جامع السعادات: ٤٠١/١ .
٣٠٨ - أصول الكافي: ٣٠٨/٢ - جامع السعادات: ٤٠٢/١ .
٣٠٩ - سورة الأعراف: آية ١٢ .
٣١٠ - أصول الكافي: ٣٠٨/٢ - جامع السعادات: ٤٠٢/١ .
٣١١ - بحار الأنوار: ٢٧/٧٥، ب ٣٥ .

وقال (صلى الله عليه وآله وسلم): (سيد الأعمال: إنصاف الناس من نفسك)(٣١٣) إن الأعمال بدون الإنصاف فوضى، كما إن الناس بدون السيد المطاع فوضى.

وقال (صلى الله عليه وآله وسلم): (من واسى الفقير من ماله وأنصف الناس من نفسه فذلك المؤمن حقاً)(٣١٤).
وقال (صلى الله عليه وآله وسلم): (ثلاث خصال، من كن فيه أو واحدة منهن، كان في ظل عرش الله، يوم لا ظل إلا ظله: رجل أعطى الناس من نفسه ما هو سائلهم... الحديث)(٣١٥).

وقال أمير المؤمنين (عليه السلام): (... إلا إنه من ينصف من نفسه، لم يزد الله إلا عزاً)(٣١٦).
وقال حفيده الإمام الصادق (عليه السلام): (من يضمن لي أربعة بأربعة أبيات في الجنة؟ أنفق ولا تخف فقراً! وأفش السلام في العالم! واترك المراء وإن كنت محقاً! وأنصف الناس من نفسك) (٣١٧) إنها جماع خير الدنيا والآخرة بها يتحبب المرء إلى الله وإلى الناس ولكن هل العمل بها هين؟ إنها تحتاج إلى تدريب طويل وقوة في النفس حديدية.
وقال (عليه السلام) - في كلام آخر له -: (ألا أخبركم بأشد ما فرض الله على خلقه؟! - فذكر ثلاثة أشياء - أولها: إنصاف الناس من نفسك)(٣١٨).

وقال (عليه السلام): (من أنصف الناس من نفسه، رضي به حكماً لغيره)(٣١٩).
وقال (عليه السلام): (ما تدارى إثنان في أمر قط فأعطى أحدهما النصف صاحبه فلم يقبل منه إلا أدباً منه)(٣٢٠).
وقال (عليه السلام): (ثلاثة هم أقرب الخلق إلى الله تعالى يوم القيامة حتى يفرغ من الحساب: رجل لم تدعه قدرة في حال غضبه على أن يحيف على من تحت يده، ورجل مشى بين اثنين فلم يمل مع أحدهما على الآخر بشعيرة، ورجل قال بالحق فيما له وعليه)(٣٢١) إنها أثقل من الجبال الراسيات وهل هناك من يتمكن من حملها؟!
وقال (عليه السلام): (إن لله جنة لا يدخلها إلا ثلاثة: أحدهم من حكم في نفسه بالحق)(٣٢٢).
والإنسان كثيراً ما يحاول أن لا يدين نفسه لكنه يرجع بعكس ما يتوخاه، فيبوء بالضععة عوض ما كان يترقبه من الرفعة.. أما إذا أنصف، وقال ما له وما عليه، وأدان ذاته كما يدين غيره، فلا تذهب أيام وليال إلا ويأخذ في السمو ويكون موضع ثقة الناس وأي مقصد أنبل من هذا؟.

-
- ٣١٢ - بحار الأنوار: ٣٠/٧٥، ب: الإنصاف والعدل - جامع السعادات: ٤٠٣/١.
٣١٣ - بحار الأنوار: ٣١/٧٥، ب: الإنصاف والعدل - جامع السعادات: ٤٠٣/١.
٣١٤ - بحار الأنوار: ٢٥/٧٥، ب: الإنصاف والعدل - جامع السعادات: ٤٠٣/١.
٣١٥ - بحار الأنوار: ٣٩/٧٥، ب: ٣٥ - جامع السعادات: ٤٠٣/١.
٣١٦ - بحار الأنوار: ٣٣/٧٥، ب: الإنصاف والعدل - جامع السعادات: ٤٠٣/١.
٣١٧ - بحار الأنوار: ٣٠/٧٥، ب: الإنصاف والعدل - جامع السعادات: ٤٠٣/١.
٣١٨ - بحار الأنوار: ٣٤/٧٥، ب: ٣٥ - جامع السعادات: ٤٠٣/١.
٣١٩ - بحار الأنوار: ٢٥/٧٥، ب: الإنصاف والعدل - جامع السعادات: ٤٠٣/١.
٣٢٠ - بحار الأنوار: ٤٠/٧٥، ب: ٣٥ - جامع السعادات: ٤٠٣/١.
٣٢١ - بحار الأنوار: ٢٦/٧٥، ب: الإنصاف والعدل - جامع السعادات: ٤٠٤/١.
٣٢٢ - بحار الأنوار: ٤٠/٧٥، ب: الإنصاف والعدل - جامع السعادات: ٤٠٤/١.

الرحمة

هي مبعث الخيرات، ومعدن الفضائل، فبالرحمة تتجمع الصلوات وتتوحد البشرية، بها يبر الولد أباه، وبها يصل المرء قريبه، وبها يألف الزوجان أحدهما على الآخر... وبها.. ولشد ما يدهش الإنسان لو يتأمل في أول السور: (بسم الله الرحمن الرحيم) فلم تبتدأ الآية إلا بصفتين كلتاها من الرحمة، وكذلك سورة الحمد: (الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ)(٣٢٣).

والإسلام يهتم بإيجاد هذه الصفة في القلوب، ويؤكد لتركيزها في أعماق النفس، حتى تعطي ثمارها الحلوة: صلة الرحم، بر الوالدين، العطف على الأولاد، إشباع الأفواه الجائعة، إكساء الأجساد العارية، حسن الجوار.. وكلّ خير.. وكلّ خير...

قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): (يقول الله تعالى: اطلبوا الفضل من الرحماء من عبادي! تعيشوا في أكنافهم، فإني جعلت فيهم رحمتي ولا تطلبوه من القاسية قلوبهم، فإني جعلت فيهم سخطي)(٣٢٤).

وقال الإمام الصادق (عليه السلام): (اتقوا الله، وكونوا إخوة بررة متحابين في الله متواصلين، متراحمين)(٣٢٥).

وقال (عليه السلام): (تواصلوا وتباروا وتراحموا، وكونوا إخوة بررة كما أمركم الله)(٣٢٦).

وقال (عليه السلام): (يحق على المسلمين الاجتهاد في التوصل، والتعاون على التعاطف، والمواساة لأهل الحاجة، وتعاطف بعضهم على بعض، حتى تكونوا كما أمركم الله عزّ وجلّ (رحماء بينكم) متراحمين مقيمين لما غاب عنكم من أمرهم، على ما مضى عليه معشر الأنصار، على عهد رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)) (٣٢٧) إلى أحاديث وأحاديث.

وبالعكس من الرحمة: القساوة، فهي مبعث القذارات الروحية، ومجمع الرذائل الخلقية، ولذا ورد في الحديث القدسي المتقدم: (ولا تطلبوها من القاسية قلوبهم فإني جعلت فيهم سخطي). والله لا يجعل سخطه في أحد اعتباطاً، وإنما هو لما ران على قلبه وتبع شهوته وأسلم قياده إلى المعاطب والمهالك، وبذلك يستحق اللعنة في الدنيا بما يطبع عليه من القساوة التي هي منبع لذمانم الصفات.

العفة والشره

الإنسان بطبعه ميال، إلى ملاذ الدنيا، تَوَاق إلى تحصيل أكبر، قدر ممكن منها، فالبطن لا يمل من الطعام، كالاتون المتطلب للوقود.. والغريزة الجنسية دائمة الاشتعال، تستعمل ما تجد، وتطلب ما لا تجد. حتى إنّه كثيراً ما يعجز عن الزيادة في الأكل أو الغريزة، ولكنه يدخر أعظم قدر ممكن منهما لمجرد الشره.

٣٢٣ - سورة الحمد: الآيتان ١ - ٢ .

٣٢٤ - جامع السعادات: ٤٠٤/١ .

٣٢٥ - بحار الأنوار: ٤٠١/٧٤، ب ٢٨ - جامع السعادات: ٤٠٤/١ .

٣٢٦ - بحار الأنوار: ٣٩٩/٧٤، ب ٢٨ - جامع السعادات: ٤٠٤/١ .

٣٢٧ - جامع السعادات: ٤٠٥/١ .

أرأيت من يجمع الطعام قدر ما يسد به جوعه بلدة؟ وهل سمعت أن أحداً من الملوك كانت له من الأزواج اثنتي عشرة ألف؟!.

وكما إن النقيصة في هذين تورث خللاً في الأجهزة الحيوية من الجسم فيسبب الجوع الزائد ضعفاً وخبالاً في البدن، والكفّ الناهز عن الجنس أمراضاً فتاكاً، من جراء اختزان المواد المنوية في الأجهزة بل وانقطاعا للنسل وخراباً للعمران.

كذلك الزيادة فيهما، فإنها مفسدة للجسم، ومورثة للضعف والاختلال في التوازن.

والإسلام يحب الوسط في كل شيء وفي هذين فلا شيء يفسد، ولا كفّ يخلّ.

وربما يتراءى للغر تضارب في الأحاديث، فمن مانع عن الشهوات الدنيا إلى حد التفريط.. كأخبار الزهد والجوع وحفظ الفرج وما إليها ومن دافع إلى الملاذ إلى حد الإفراط. كأخبار أكل الطيب ونكاح النبي والأنمة بعديد من الزوجات، وما إليها، لكن هذا نظر خاطئ يتلاشى أمام التدقيق، فالإنسان حيث بطبعه يميل إما إلى طرف أو إلى آخر لا بد وأن يصلح طرفاه مرة هذا وأخرى ذلك إلى أن يعتدل كالميزان الذي تميل إحدى كفتيه، ثقلاً وخفة إلى أن يعتدل ويستقيم. فأحاديث الزهد للمكثرين وأخبار التمتع للمقلين.. وهناك آثار للوسط وهو الاعتدال: (... وَكَلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا...)(٣٢٨).

وعلى أي حال، فقد ورد الذم الأكيد، من تسليم القيادة إلى البطن والفرج.. إلى حيث يشاء واليك نبذ منها:

قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): (من وقى شرقبته وذئبته ولقلقه فقد وقى)(٣٢٩) والأول البطن والثاني الفرج والثالث اللسان.

وقال (صلى الله عليه وآله وسلم): (ويل للناس من القبقبين. فقيل: وما هما يا رسول الله؟ قال: الحلق والفرج)(٣٣٠).

وقال (صلى الله عليه وآله وسلم): (أكثر ما تلج به أمتي النار الأجوفان: البطن والفرج)(٣٣١).

وقال (صلى الله عليه وآله وسلم): (ثلاث أخافهن على أمتي من بعدي: الضلالة بعد المعرفة ومضلات الفتن وشهوة البطن والفرج)(٣٣٢).

وقال (صلى الله عليه وآله وسلم): (ما ملأ ابن آدم وعاءً شراً من بطنه، فحسب ابن آدم لقيماً يقمن صلبه فإن كان لا بد فاعلاً فثلت لطعامه، وثلت لشرابه، وثلت لنفسه)(٣٣٣).

وقال (صلى الله عليه وآله وسلم): (لا تميتوا القلوب بكثرة الطعام والشراب، فإن القلب كالزرع يموت إذا كثر عليه الماء)(٣٣٤).

وقال (صلى الله عليه وآله وسلم): (أفضلكم منزلة عند الله: أطولكم جوعاً وتفكيراً وأبغضكم عند الله تعالى: كل نؤوم أكول شروب)(٣٣٥).

وقال (صلى الله عليه وآله وسلم): (المؤمن يأكل في معاء واحد، والمنافق يأكل في سبعة أمعاء)(٣٣٦) فالمؤمن لا يملأ إلا سبع بطنه، والمنافق يملأ بطنه كله.

٣٢٨ - سورة الأعراف: آية ٣١.

٣٢٩ - جامع السعادات: ٦/٢.

٣٣٠ - جامع السعادات: ٦/٢.

٣٣١ - أصول الكافي: ٧٩/٢ - جامع السعادات: ٦/٢.

٣٣٢ - أصول الكافي: ٧٩/٢ - جامع السعادات: ٦/٢.

٣٣٣ - جامع السعادات: ٧/٢.

٣٣٤ - جامع السعادات: ٧/٢.

٣٣٥ - جامع السعادات: ٧/٢.

وقال (صلى الله عليه وآله وسلم): (إنَّ أبغض الناس إلى الله المتخمون الملاء، وما ترك عبد أكلة يشتهيها إلا كانت له درجة في الجنة)(٣٣٧).

وقال (صلى الله عليه وآله وسلم): (بئس العون على الدين: قلب نخيب، وبطن رغيب، ونعظ شديد)(٣٣٨).

وقال (صلى الله عليه وآله وسلم): (أطول الناس جوعاً يوم القيامة: أكثرهم شبعاً في الدنيا)(٣٣٩).

وقال (صلى الله عليه وآله وسلم): (لا يدخل ملكوت السموات من ملأ بطنه)(٣٤٠).

وقال (صلى الله عليه وآله وسلم): (جاهدوا أنفسكم بالجوع والعطش، فإن الأجر في ذلك كأجر المجاهد في سبيل الله، وأنه ليس من عمل أحب إلى الله من جوع وعطش)(٣٤١).

وقال (صلى الله عليه وآله وسلم): (أفضل الناس من قلّ مطعمه وضحكه ورضي بما يستر عورته)(٣٤٢).

وقال (صلى الله عليه وآله وسلم): (سيد الأعمال: الجوع، وذلل النفس: لباس الصوف)(٣٤٣).

وقال (صلى الله عليه وآله وسلم): (اشربوا واكلوا في أنصاف البطون، فإنه جزء من النبوة)(٣٤٤) فإن بعض النبوة مجموعة كمالات نفسية، ومنها قلة الأكل والشرب.

وقال (صلى الله عليه وآله وسلم): (قلة الطعام هي العبادة)(٣٤٥).

وقال (صلى الله عليه وآله وسلم): (إن الله يباهي الملائكة بمن قلّ مطعمه في الدنيا، يقول: انظروا إلى عبدي ابتليته بالطعام والشراب في الدنيا فصبر وتركهما، اشهدوا يا ملائكتي ما من أكلة يدعها إلا أبدلته بها درجات في الجنة)(٣٤٦).

وقال (صلى الله عليه وآله وسلم): (أقرب الناس من الله عز وجل يوم القيامة من طال جوعه وعطشه وحزنه في الدنيا)(٣٤٧).

ولم يكن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) ككثير من القادة يقول ما لا يعمل، بل كان أشدّ الناس ورعاً والتزاماً بما يقول ولذا كان أسوة للمسلمين (لكم في رسول الله أسوة حسنة)(٣٤٨).

قالت بعض أزواج النبي (صلى الله عليه وآله وسلم): (إن رسول الله لم يمتلأ قط شبعاً، وربما بكيت رحمة مما أدى به من الجوع، فامسح بطنه بيدي وأقول: نفسي لك الفداء، لو تبلّغت من الدنيا بقدر ما يقويك ويمنعك من الجوع؟ فيقول: (إخواني من أولي العزم من الرسل، قد صبروا على ما هو أشدّ من هذا، فمضوا على حالهم فقدموا على ربهم، فأكرم مآبهم وأجزل ثوابهم فأجدني استحي إن ترفهت في معيشتي أن يقصر بي غداً دونهم، فأصير أياماً يسيرة، أحبّ إلي من أن ينقص بي حظي غداً في الآخرة، وما من شيء أحبّ إلي من اللحوق بأصحابي وإخواني)(٣٤٩).

٣٣٦ - جامع السعادات: ٧/٢.

٣٣٧ - جامع السعادات: ٧/٢.

٣٣٨ - جامع السعادات: ٧/٢.

٣٣٩ - جامع السعادات: ٧/٢.

٣٤٠ - جامع السعادات: ٧/٢.

٣٤١ - جامع السعادات: ٩/٢.

٣٤٢ - جامع السعادات: ٩/٢.

٣٤٣ - جامع السعادات: ٩/٢.

٣٤٤ - جامع السعادات: ٩/٢.

٣٤٥ - جامع السعادات: ٩/٢.

٣٤٦ - جامع السعادات: ٩/٢.

٣٤٧ - جامع السعادات: ٩/٢.

٣٤٨ - سورة الأحزاب: آية ٢١.

٣٤٩ - جامع السعادات: ٩/٢.

وفي خبر: (أنَّ فاطمة (عليها السلام) جاءت ومعها كسيرة من خبز، فدفعتها إلى النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) فقال: ما هذه الكسيرة؟ قالت: قرص خبزته للحسن والحسين جنتك منه بهذه الكسيرة، فقال: اما إنَّه أول طعام دخل فم أبيك منذ ثلاث)(٣٥٠).

ومن الناس من يتعجب من هذا الحديث: فكيف يمكن للإنسان الإمساك عن الطعام ثلاث؟ لكن أولئك غافلون عن مبادئ الصحة والطب!. وأعجب من هؤلاء: من يصدّق أن (غاندي) مثلاً صام تسعة أيام.. وأكثر، ويشكّ في صحة إمساك النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) ثلاثة أيام!

وقال الإمام الباقر (عليه السلام): (إذا شبع البطن طغى)(٣٥١).

وقال (عليه السلام): (ما من شيء أبغض إلى الله عز وجل من بطن مملوء)(٣٥٢).

وقال الإمام الصادق (عليه السلام): (إن البطن ليطنى من أكلة، وأقرب ما يكون العبد إلى الله: إذا خفّ بطنه، وأبغض ما يكون العبد إلى الله: إذا امتلأ بطنه)(٣٥٣).

وليست قلة الأكل زهداً في الدنيا، وورعاً فحسب، وإنما هي مصحّة للبدن، فإنّ القلب لا بد وأن يعمل، ويعمل لتشغيل الأجهزة والحواس، وكلما كان عمله أقل كان أنشط في الشغل، وأبعد عن التعب، مثله مثل العامل الذي يحمل حملاً إلى مسافات، فإنه كلما كان الحمل أخف يكون العامل أبعد عن التعب، وأكبر استعداداً للاستمرار.

قال الصادق (عليه السلام): (كل داء من التخمّة إلا الحمى فإنها ترد وروداً) والمعلوم إن كل واحد من المستثنى والمستثنى منه غالبى لا دائمى.

وقال (عليه السلام): (الأكل على الشبع يورث البرص)(٣٥٤).

وقد قال أحد الحكماء: (لا ينبغي للإنسان أن يأكل لاشتهاء فكّه، بل يأكل لاشتهاء جسده) وقال حكيم آخر: (الأكل للبقاء لا أن البقاء للأكل).

ومن الناس من يسلم قياده إلى الشهوة الجنسية، فتراه يكثر من التزود بها، حتى ليكاد يجعل نفسه من الهالكين، تضعف قواه وتركد نشاطاته. ومنهم من يزعم هذا النشاط بزم من المنع والتجنب فيبقى عزباً. أو قريباً منه إلى أن يدركه الأجل المحتوم.

وكلاهما خارجان عن نطاق الاعتدال، مانلان إلى اليمين أو اليسار. والإسلام يحب الإكثار من الشهوة الجنسية - لا بحدّ الإفراط - بل في حدود المصلحة والتوقي من المحرمات، فإن الشهوة الجنسية لو لم تشبع من الحلال لطلب الحرام. ولو بنظرة أو لمسة أو كلمة.

ولذا منع الشريعة عن أسبابها ومهيجاتها.. قال تعالى: (قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَعْضُوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ... وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَعْضُنَّ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ...)(٣٥٥).

وقال النبي (صلى الله عليه وآله وسلم): (لكل عضو من أعضاء ابن آدم حظ من الزنا: فالعينان تزنيان وزناهما النظر)(٣٥٦).

٣٥٠ - جامع السعادات: ٩/٢.

٣٥١ - جامع السعادات: ٧/٢.

٣٥٢ - جامع السعادات: ٧/٢.

٣٥٣ - جامع السعادات: ٨/٢.

٣٥٤ - جامع السعادات: ٨/٢.

٣٥٥ - سورة النور: الآيتان ٣٠ - ٣١.

٣٥٦ - جامع السعادات: ١٤/٢.

وقال (صلى الله عليه وآله وسلم): (لا تدخلوا على المغيبات: أي التي غاب عنها زوجها، فإن الشيطان يجري من أحدكم مجرى الدم)(٣٥٧).

إلى غير ذلك. هذا كله بالنسبة إلى الوقاية، أما العلاج فالإسلام يحبذ التزويج ويكره العزوبة كراهة شديدة. قال تعالى: (وَأَنْكِحُوا الْأَيَامَىٰ مِنْكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ...)(٣٥٨).

وقال النبي (صلى الله عليه وآله وسلم): (النكاح سنتي فمن رغب عن سنتي فليس مني).

وقال (صلى الله عليه وآله وسلم): (من تزوج فقد أحرز نصف دينه، فليتق الله في النصف الباقي)(٣٥٩).

وقال (صلى الله عليه وآله وسلم): (أراذل موتاكم العزّاب)(٣٦٠).

وقال (صلى الله عليه وآله وسلم): (ليتخذ أحدكم لساناً ذاكرًا، وقلباً شاكراً وزوجة مؤمنة صالحة تعينه على آخرته)(٣٦١). إلى غيرها.

و أخيراً: فإن العفة التي هي وسط بين تسليم القياد للبطن والفرج.. وذهمها بالمنع من المقدار المعتاد، أفضل الأمور:

قال أمير المؤمنين (عليه السلام): (أفضل العبادة العفاف)(٣٦٢).

وقال الإمام الباقر (عليه السلام): (ما من عبادة أفضل من عفة بطن وفرج)(٣٦٣).

وقال (عليه السلام): (ما عبد الله بشيء أفضل من عفة بطن وفرج)(٣٦٤).

وقال (عليه السلام): (أي الاجتهاد أفضل من عفة بطن وفرج)(٣٦٥).

الدنيا

عرّف أمير المؤمنين (عليه السلام) الدنيا في كلمة وجيزة، فقال: (الدنيا تغرّ وتضرّ، وتمرّ)، فإيا لها من عبارة ليس فوقها تعريف!

وهكذا تكون الدنيا في الأغلب: سبباً للظلم والعدوان، والتعدي عن الموازين، والجري وراء الشهوات! أما الدنيا التي هي مزرعة العلم والعمل والفضيلة والعدل. فهي ممدوحة ومن لوازم البشرية. إن الدنيا كالكهرباء إن أحسن الفرد استعماله انتفع بضيائه ودفنه ومروحته ومسجلته وإن أساء استعماله: أهلك نفسه وبدّد جمعه، أو كالماء إن شربه العطشان على قدر ارتوى وانتعش جسمه، وجرت الحياة في عروقه وشرايينه، وإن أغرق نفسه فيه فنصيبه الموت وعاقبته وبال.

٣٥٧ - جامع السعادات: ١٤/٢.

٣٥٨ - سورة النور: آية ٣٢.

٣٥٩ - مكارم الأخلاق: ١٩٦ - جامع السعادات: ١٦/٢.

٣٦٠ - مكارم الأخلاق: ١٩٧.

٣٦١ - جامع السعادات: ١٦/٢.

٣٦٢ - أصول الكافي: ٧٩/٢ - جامع السعادات: ١٨/٢.

٣٦٣ - أصول الكافي: ٨٠/٢ - جامع السعادات: ١٨/٢.

٣٦٤ - أصول الكافي: ٧٩/٢ - جامع السعادات: ١٨/٢.

٣٦٥ - أصول الكافي: ٧٩/٢ - جامع السعادات: ١٨/٢.

وهكذا الدنيا ولذا قال الإمام زين العابدين (عليه السلام): (الدنيا دنيان: دنيا بلاغ، ودنيا ملعونة)(٣٦٦). وما ورد من الأحاديث في مدح الدنيا فإنها ناظرة إلى دنيا البلاغ، وما ورد في ذمها فهي ناظرة إلى دنيا الظلم والعدوان والخروج عن المقاييس...

فمن الأخبار المادحة للدنيا وطلبها:

قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): (العبادة سبعون جزءاً: أفضلها طلب الحلال)(٣٦٧).

وقال (صلى الله عليه وآله وسلم) - بصدد طلبها -: (ملعون من ألقى كفه على الناس)(٣٦٨).

وقال الإمام الباقر (عليه السلام): (من طلب الدنيا استعفاً عن الناس وسعيًا على أهله وتعطفًا على جاره لقي الله عز وجل يوم القيامة ووجهه مثل القمر ليلة البدر)(٣٦٩).

وقال الإمام الصادق (عليه السلام): (الكاد على عياله كالمجاهد في سبيل الله)(٣٧٠).

وقال (عليه السلام): (إن الله تبارك وتعالى ليحب الاغتراب في طلب الرزق)(٣٧١).

وقال (عليه السلام): (ليس منا من ترك دنياه لأخرته ولا أخرته لدنياه)(٣٧٢).

وقال (عليه السلام): (لا تكسلوا في طلب معاشكم، فإن آباءنا كانوا يركضون فيها ويطلبونها)(٣٧٣).

وقال رجل له (عليه السلام): (إنا لنطلب الدنيا ونحب أن نوتأها فقال (عليه السلام): تحب أن تصنع بها ماذا؟ قال: أعود بها على نفسي وعيالي وأصل بها وأتصدق، وأحج واعتمر فقال أبو عبد الله (عليه السلام): ليس هذا طلب الدنيا، هذا طلب الآخرة)(٣٧٤).

وهكذا يرى الإسلام الدنيا المطلوب منها أعمال البر والتعفف من طلب الآخرة، فإنه لا فرق بين الدنيا وبين الآخرة فكلتاها مملكة ملك قدير وإله عظيم وإنما قضاء الدنيا والآخرة في أعمال الشر والإثم، فهذه الدنيا ليست من الله، وإنما هي من الشيطان: (... إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ...)(٣٧٥).

وقد كان النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وهو الشخصية الإسلامية العظيمة يعمل تاجرًا، وأمير المؤمنين (عليه السلام) يعمل زارعًا، وفاطمة، (عليها السلام) تعمل غازلة.

وفي الحديث: أن أبا الحسن (عليه السلام) كان يعمل في أرض وقد استنقعت قدماه في العرق فقيل له: (جعلت فداك أين الرجال؟ فقال: قد عمل باليد من هو خير مني - في أرضه - ومن أبي فقيل: ومن هو؟ فقال: رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وأمير المؤمنين وأبائي كلهم كانوا قد عملوا بأيديهم وهو من عمل النبيين والمرسلين والأوصياء والصالحين)(٣٧٦).

ألم يزرع آدم (عليه السلام)؟ ألم يخيط إدريس (عليه السلام)؟ ألم يتجر نوح (عليه السلام)؟ ألم يصنع الدرع داود (عليه السلام)؟.

وهناك أحاديث كثيرة تذم الدنيا وهي ناظرة إلى الدنيا الفاتنة الخادعة، منها:

٣٦٦ - أصول الكافي: ١٣٠/٢ - جامع السعادات: ٢١/٢.

٣٦٧ - جامع السعادات: ٢١/٢.

٣٦٨ - جامع السعادات: ٢١/٢.

٣٦٩ - جامع السعادات: ٢١/٢.

٣٧٠ - جامع السعادات: ٢٢/٢.

٣٧١ - جامع السعادات: ٢٢/٢.

٣٧٢ - جامع السعادات: ٢٢/٢.

٣٧٣ - جامع السعادات: ٢٢/٢.

٣٧٤ - جامع السعادات: ٢٢/٢.

٣٧٥ - سورة المائدة: آية ٩٠.

٣٧٦ - جامع السعادات: ٢٢/٢.

قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): (لو أن الدنيا كانت تعدل عند الله جناح بعوضة أو ذبابة ما سقى الكافر منها شربة ماء)(٣٧٧).

وقال (صلى الله عليه وآله وسلم): (الدنيا ملعونة، ملعون ما فيها، إلا ما ابتغي به وجه الله)(٣٧٨).

وقال (صلى الله عليه وآله وسلم): (الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر)(٣٧٩).

وقال (صلى الله عليه وآله وسلم): (من أصبح والدنيا أكبر همه فليس من الله في شيء، وألزم الله قلبه أربع خصال: همماً لا ينقطع عنه أبداً وشغلاً لا يتفرغ منه أبداً، وفقراً لا ينال غناه أبداً، وأملاً لا ينال منتهاه أبداً)(٣٨٠).

وقال (صلى الله عليه وآله وسلم): (يا عجباً كل العجب للمصدق بدار الخلود، وهو يسعى لدار الغرور)(٣٨١).

وقال (صلى الله عليه وآله وسلم): (لتأتينكم بعدي دنيا، تأكل إيمانكم كما تأكل النار الحطب)(٣٨٢).

وقال (صلى الله عليه وآله وسلم): (ألهاكم التكاثر، يقول ابن آدم: مالي مالي... وهل لك من مالك إلا ما تصدقت

فأبقيت؟ أو أكلت فأفنيت؟ أو لبست فأبليت؟)(٣٨٣).

وقال (صلى الله عليه وآله وسلم): (أوحى الله تعالى إلى موسى: لا تركزن إلى حب الدنيا فن تأتينا بكبيرة هي أشد

عليك منها)(٣٨٤).

وقال (صلى الله عليه وآله وسلم): (حب الدنيا رأس كل خطيئة)(٣٨٥).

وقال (صلى الله عليه وآله وسلم): (من أحب دنياه أضرب بأخترته ومن أحب آخرته أضرب بدنياه، فأثروا ما يبقى على

ما يفنى)(٣٨٦).

وقال (صلى الله عليه وآله وسلم): (إن الله لم يخلق خلقاً أبغض إليه من الدنيا وإنه لم ينظر إليها منذ

خلقها)(٣٨٧).

ومر (صلى الله عليه وآله وسلم) على مزبلة فوقف عليها، وقال: (هلموا إلى الدنيا، وأخذ خرقاً قد بليت على تلك

المزبلة، وعظماً قد نخرت، فقال: هذه الدنيا)(٣٨٨).

وقال (صلى الله عليه وآله وسلم): (الدنيا دار من لا دار له، ومال من لا مال له، ولها يجمع من لا عقل له، وعليها

يعادي من لا علم عنده، وعليها يحسد من لا فقه له، ولها يسعى من لا يقين له)(٣٨٩).

وقال (صلى الله عليه وآله وسلم): (لما هبط آدم من الجنة إلى الأرض قيل له: ابن للخراب ولد للفناء)(٣٩٠).

وقال (صلى الله عليه وآله وسلم): (لتجئتن أقوام يوم القيامة وأعمالهم كجبال تهامة فيؤمر بهم إلى النار) فقيل: يا

رسول الله، أمصّلين؟ قال: (نعم كانوا يصومون ويصلّون، ويأخذون هنيئة من الليل، فإذا عرض لهم من الدنيا شيء

وثبوا عليه)(٣٩١).

٣٧٧ - مكارم الأخلاق: ٤٦٢ - جامع السعادات: ٢٧/٢.

٣٧٨ - مكارم الأخلاق: ٤٦٢ - جامع السعادات: ٢٧/٢.

٣٧٩ - مكارم الأخلاق: ٤٦١ - جامع السعادات: ٢٧/٢.

٣٨٠ - جامع السعادات: ٢٧/٢.

٣٨١ - جامع السعادات: ٢٧/٢.

٣٨٢ - جامع السعادات: ٢٧/٢.

٣٨٣ - جامع السعادات: ٢٧/٢.

٣٨٤ - جامع السعادات: ٢٧/٢.

٣٨٥ - أصول الكافي: ١٣١/٢ - جامع السعادات: ٢٧/٢.

٣٨٦ - جامع السعادات: ٢٧/٢.

٣٨٧ - جامع السعادات: ٢٧/٢.

٣٨٨ - جامع السعادات: ٢٧/٢.

٣٨٩ - جامع السعادات: ٢٨/٢.

٣٩٠ - جامع السعادات: ٢٨/٢.

وقال (صلى الله عليه وآله وسلم): (هل منكم من يريد أن يذهب الله عنه العمى، ويجعله بصيراً؟ ألا إنّه من رغب في الدنيا وطل فيها أمله أعمى الله قلبه على قدر ذلك ومن زهد في الدنيا وقصر أمله فيها أعطاه الله علماً بغير تعلم وهدى بغير هداية)(٣٩٢).

وقال (صلى الله عليه وآله وسلم): (فو الله ما الفقر أخشى عليكم ولكن أخشى عليكم إن تبسط عليكم الدنيا، كما بسطت على من كان قبلكم فتنافسوها كما تنافسوها وتهلككم كما أهلكتهم)(٣٩٣).

ولقد صدق ما قاله (صلى الله عليه وآله وسلم): فلقد اختزن بعض من كان يدعي خلافته أموالاً تريبو على كنوز قارون، ووقعت المنافسات العجيبة بين أرباب الأموال من المسلمين بما سوّد صفحات حياة أولئك النفوس. وقد توارث أولئك الشواذ نفر من أثرياء المسلمين في هذه العصور، منتكبين طريقة الإسلام في الأموال والثروة، فتراهم يتهاكفون ويتنافسون على زهرة الحياة الدنيا ولا يتورعون عن أية معصية، يستغلون ويحتكرون ويستثمرون، وو. كل ذلك تكالفاً على الحطام وبهذا انحطت نفوس كثير منهم عن الموازين الإسلامية وأخيراً كانوا هم السبب في إستعمار كثير من بلاد المسلمين فكرياً ومادياً.

وقال (صلى الله عليه وآله وسلم): (أكثر ما أخاف عليكم ما يخرج الله لكم من بركات الأرض، فقيل: ما بركات الأرض؟ قال: زهرة الدنيا)(٣٩٤).

وقال (صلى الله عليه وآله وسلم): (دعوا الدنيا لاهلها من أخذ من الدنيا فوق ما يكفيه فقد أخذ حتفه وهو لا يشعر)(٣٩٥).

وقال (صلى الله عليه وآله وسلم): (سيأتي قوم بعدي يأكلون أطيب الطعام وأنواعها وينكحون أجمل النساء وألوانها ويلبسون ألين الثياب وألوانها ويركبون أقوى الخيل وألوانها، لهم بطون من القليل لا تشبع، وأنفس بالكثير لا تقنع، عاكفين على الدنيا يغدون ويروحون إليها، اتخذوها آلهة دون إلههم، ورباً دون ربهم، إلى أمرهم ينتهون وهوامهم يلعبون، فعزيمة من محمد بن عبد الله لمن أدرك ذلك الزمان: من عقب عقبكم وخلف خلفكم، أبداً لا يسلم عليهم ولا يعود مرضاهم ولا يتبع جنازهم ولا يوقر كبيرهم ومن فعل ذلك فقد أعان على هدم الإسلام)(٣٩٦).

وقال (صلى الله عليه وآله وسلم): (مالي وللدنيا؟! إنما مثلي ومثلها: كمثل راكب رفعت له شجرة في يوم صائف فقال تحتها، ثم راح وتركها)(٣٩٧).

وقال (صلى الله عليه وآله وسلم): (احذروا الدنيا، فإنها أسحر من هاروت وماروت)(٣٩٨).

وقال (صلى الله عليه وآله وسلم): (حق على الله أن لا يرفع شيئاً من الدنيا إلا وضعه)(٣٩٩).

إلى غير ذلك من إرشادات. وإرشادات.

فهل ترى المسلمين عملوا بذلك وساروا على الوسط؟ إن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) لا زال يوعظ ويجر المسلمين إلى الزهد كي يتوسطوا كمن تغلب عليه الحمى، فيصف له الطبيب المبردات الكثيرة، كي يعتدل مزاجه.. فهل توسط المسلمون واعتدلوا؟ كلا إلا من عصمه الله تعالى.

٣٩١ - جامع السعادات: ٢٨/٢.

٣٩٢ - جامع السعادات: ٢٨/٢.

٣٩٣ - جامع السعادات: ٢٨/٢.

٣٩٤ - جامع السعادات: ٢٨/٢.

٣٩٥ - جامع السعادات: ٢٨/٢.

٣٩٦ - جامع السعادات: ٢٨/٢.

٣٩٧ - أصول الكافي: ١٣٤/٢ - جامع السعادات: ٢٨/٢.

٣٩٨ - جامع السعادات: ٢٩/٢.

٣٩٩ - جامع السعادات: ٢٩/٢.

وليس التزهيد في الدنيا خاصاً بنبي الإسلام (صلى الله عليه وآله وسلم) بل يشاركه في هذا سائر إخوانه، من الرسل. وأهل بيته الطاهرين.

في الحديث: (مر موسى (عليه السلام) برجل وهو يبكي، ورجع وهو يبكي، فقال موسى (عليه السلام): يا رب عبدك يبكي من مخافتك؟! فقال تعالى: يا ابن عمران لو نزل دماغه مع عينيه ورفع يديه حتى تسقطا لم أغفر له وهو يحب الدنيا)(٤٠٠).

ويروى عن عيسى بن مريم (عليهما السلام) قال: (ويل لصاحب الدنيا كيف يموت ويتركها! ويأمنها وتغره؟! ويثق بها وتخذله؟! ويل للمغتربين كيف ألزمهم ما يكرهون؟! وفارقهم ما يحبون؟! وجاءهم ما يوعدون؟! ويل لمن أصبحت الدنيا همه، والخطايا عمله، كيف يفتضح غداً بذنبه)(٤٠١).

أما الأئمة (عليهم السلام) وفي مقدمتهم أمير المؤمنين (عليه السلام) فما أكثر كلماتهم في التزهيد في الدنيا ومنع الناس من أن يقعوا في حباتها، مما تؤدي بدنياهم وآخرتهم.

قال أمير المؤمنين (عليه السلام) - بعد ما قيل له: صف لنا الدنيا -:

(وما أصف لك من دار من صحّ فيها سقم، ومن أمن فيها ندم، ومن افتقر فيها حزن، ومن استغنى فيها افتتن، في حلالها الحساب وفي حرامها العقاب!)(٤٠٢)

وقال (عليه السلام): (إنما مثل الدنيا كمثل الحية: ما ألين مسّها، وفي جوفها السم النافع، يحذرها الرجل العاقل، ويهوي إليها الصبي الجاهل)(٤٠٣).

وقال (عليه السلام): (ما أصف من دار أولها عناء، وآخرها فناء، في حلالها حساب، وفي حرامها عقاب، من استغنى فيها فتن، ومن افتقر فيها حزن، ومن ساعاها فاتته، ومن قعد عنها أتته، ومن بصر بها بصرتة، ومن أبصر إليها أعمته)(٤٠٤).

وقال (عليه السلام): (أرفض الدنيا فإنّ حبّ الدنيا يعمي ويصم، ويبكم ويذلّ الرقاب، فتدرك ما بقي من عمرك، ولا تقل غداً وبعد غد! فإنما هلك من كان قبلك بإقامتهم على الأمانى والتسويق، حتى أتاهم أمر الله بغتة وهم غافلون، فنقلوا على أعوادهم إلى قبورهم المظلمة الضيقة، وقد أسلمهم الأولاد والأهلون، فانقطع إلى الله بقلب منيب من رفض الدنيا وعزم ليس فيه انكسار ولا انخزال)(٤٠٥).

وقال (عليه السلام): (لا تغرنكم الحياة الدنيا فإنها دار بالبلاء محفوفة، وبالفناء معروفة، وبالغدر موصوفة، فكل ما فيها إلى زوال، وهي بين أهلها دول وسجال، لا تدوم أحوالها ولا يسلم من شرّها نزّالها، بينا أهلها منها في رخاء وسرور، إذا هم منها في بلاء وغرور، أحوال مختلفة وتارات متصرّمة، العيش فيها مذموم والرخاء فيها لا يدوم.

وإنما أهلها فيها أغراض مستهدفة، ترميهم بسهامها، وتفنيهم بحمامها.

واعلموا عباد الله: إنكم وما أنتم فيه من هذه الدنيا على سبيل من قد مضى، ممن كان منكم أطول أعماراً، وأشد منكم بطشاً، وأعمر دياراً، وأبعد آثاراً، فأصبحت أصواتهم هادمة خادمة من بعد طول تقلبها، وأجسادهم بالية وديارهم على عروشها خاوية وأثارهم عافية، استبدلوا بالقصور المشيدة والنمارق الممهدة، الصخور والأحجار المسندة، في

٤٠٠ - جامع السعادات: ٢٩/٢.

٤٠١ - جامع السعادات: ٢٩/٢.

٤٠٢ - جامع السعادات: ٢٩/٢.

٤٠٣ - أصول الكافي: ١٣٦/٢ - جامع السعادات: ٢٩/٢.

٤٠٤ - جامع السعادات: ٢٩/٢.

٤٠٥ - أصول الكافي: ١٣٦/٢ - جامع السعادات: ٣٠/٢.

القبور اللاطنة الملحدة فمحلهما مقرب وساكنها مغرب بين أهل عمارة موحشين، وأهل محلة متشاغلين، لا يستأنسون بالعمران، ولا يتواصلون تواصل الجيران والأخوان على ما بينهم من قرب الجوار ودنو الدار.

وكيف يكون بينهم تواصل وقد طحنهم بكله البلاء، وأكلتهم الجنادل والثرى وأصبحوا بعد الحياة أمواتاً وبعد نضارة العيش رفاتاً؟ فجمع بهم الأحباب وسكنوا تحت التراث وظعنوا فليس لهم إياب، هيهات! هيهات.

(... كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا وَمِنْ وَرَائِهِمْ بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ)(٤٠٦).

فكأن قد صرتم إلى ما صاروا إليه من البلى والوحدة في دار المثلوى وارتهنتم في ذلك المضجع وضمكم ذلك المستودع وكيف بكم لو عاينتم الأمور، وبعثت القبور وحصل ما في الصدور وأوقفتم للتحصيل بين يدي الملك الجليل، فطارت القلوب لإشفاقها من سالف الذنوب، وهتكت عنكم الحجب والأستار وظهرت منكم العيوب والأسرار؟! هنالك (... وکَلْجَزَىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ...)(٤٠٧)(٤٠٨).

وقال (عليه السلام): (أوصيكم بتقوى الله، والترك للدنيا التاركة لكم وإن كنتم لا تحبون تركها، المبلىة أجسامكم، وأنتم تريدون تجديدها فإنما مثلكم ومثلها: كمثل قوم في سفر، سلكوا طريقاً وكانهم قد قطعوه وأفضوا إلى علم فكأنهم قد بلغوه، وكم عسى أن يجري المجرى حتى ينتهي إلى الغاية، وكم عسى أن يبقى من له يوم في الدنيا، وطالب حثيث يطلبه حتى يفارقها، فلا تجزعوا لبؤسها وضرائها، فإنه إلى انقطاع، ولا تفرحوا بمتاعها ونعماتها فإنه إلى زوال، وعجبت لطالب الدنيا والموت يطلبه. وغافل وليس بمغفول عنه!!)(٤٠٩).

وقال الإمام زين العابدين (عليه السلام): (إن الدنيا قد ارتحلت مدبرة، وإن الآخرة قد ارتحلت مقبلة، ولكل واحدة منهما بنون، فكونوا من أبناء الآخرة، ولا تكونوا من أبناء الدنيا، ألا وكونوا من الزاهدين في الدنيا الراغبين في الآخرة، ألا إن الزاهدين في الدنيا: اتخذوا الأرض بساطاً، والتراب فراشاً، والماء طيباً، وقرضوا من الدنيا تقريضاً، ألا ومن اشتاق إلى الجنة سلا عن الشهوات، ومن أشفق من النار رجع عن المحرمات، ومن زهد في الدنيا هانت عليه المصيبات!

ألا أن لله عبداً كمن رأى أهل الجنة في الجنة مخلدين، وكمن رأى أهل النار في النار معذبين، شرورهم مأمونة، وقلوبهم محزونة، وأنفسهم عفيفة، وحوائجهم خفيفة، صبروا أياماً قليلة، فصاروا بعقبى راحة طويلة، أما الليل فصافون أقدامهم، تجري دموعهم على خدودهم، يجأرون إلى ربهم يسعون في فكاك رقابهم، وأما النهار فحلما علماء، بررة أتقياء كأنهم القداح قد برأهم الخوف من العبادة، ينظر لهم الناظر فيقول: مرضى، وما بالقوم من مرض، أم خولطوا؟! فقد خالط القوم أمر عظيم: من ذكر النار وما فيها)(٤١٠).

وقال (عليه السلام): (ما من عمل بعد معرفة الله عز وجل، ومعرفة رسوله (صلى الله عليه وآله وسلم) أفضل من بغض الدنيا، وأن لذلك لشعباً كثيرة، وللمعاصي شعباً: فأول ما عصي الله به: الكبر معصية إبليس حين أبى واستكبر وكان من الكافرين، ثم الحرص: وهي معصية آدم وحواء حين قال الله عز وجل لهما: (... فُكُلًا مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا

٤٠٦ - سورة المؤمنون: آية ١٠٠.

٤٠٧ - سورة الجاثية: آية ٢٢.

٤٠٨ - جامع السعادات: ٣٠/٢.

٤٠٩ - جامع السعادات: ٣١/٢.

٤١٠ - أصول الكافي: ١٣١/٢ - جامع السعادات: ٣٢/٢.

تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ)(٤١١) فأخذوا ما لا حاجة بهما إليه، فدخل ذلك على نريتهما إلى يوم القيامة، وذلك إن أكثر ما يطلب ابن آدم ما لا حاجة به إليه(٤١٢).

ثم الحسد: وهي معصية ابن آدم، حيث حسد أخاه فقتله، فتشعب من ذلك حب النساء، وحب الدنيا، وحب الرئاسة، وحب الراحة، وحب الكلام، وحب العلو والثروة، فصرن سبع خصال فاجتمعن كلهن في حب الدنيا فقال الأنبياء والعلماء - بعد معرفة ذلك -: حب الدنيا رأس كل خطيئة.

والدنيا: (دنيا: دنيا بلاغ، ودنيا ملعونة)(٤١٣).

وقال الإمام الباقر (عليه السلام) لجابر: (يا جابر! انه من دخل قلبه صافي خالص دين الله شغل قلبه عما سواه، يا جابر ما الدنيا وما عسى أن تكون الدنيا؟؟ هل هي إلا طعام أكلته أو ثوب لبسته أو امرأة أصبتها؟؟ يا جابر إن المؤمنين لم يطمئنوا إلى الدنيا ببقائهم فيها ولم يأمنوا قلوبهم الآخرة، يا جابر الآخرة دار قرار والدنيا دار فناء وزوال ولكن أهل الدنيا أهل غفلة وكان المؤمنون - وهم الفقهاء - أهل فكرة وعبرة، لم يصمهم عن ذكر الله جل اسمه ما سمعوا بأذانهم، ولم يعمهم عن ذكر الله ما رأوا من الزينة بأعينهم ففازوا بثواب الآخرة كما فازوا بذلك العلم)(٤١٤).

وقال الإمام الصادق (عليه السلام): (مثل الدنيا كمثّل ماء البحر كلما شرب منه العطشان ازداد عطشاً، حتى يقتله)(٤١٥).

وقال (عليه السلام): (فيما ناجى الله عز وجل به موسى: يا موسى لا تركز إلى الدنيا ركون الظالمين وركون من اتخذها أباً وأماً، يا موسى لو وكلتك إلى نفسك لتتظر لها إذن لغلب عليك حب الدنيا وزهرتها، يا موسى نافس في الخير أهله واستبقهم إليه فإن الخير كأسمه! وارك من الدنيا ما بك الغنى عنه، ولا تنظر عينك إلى كل مفتون بها وموكل إلى نفسه، واعلم إن كل فتنة بدوها حب الدنيا، ولا تغبط أحداً بكثرة المال فإن مع كثرة المال تكثر الذنوب لواجب الحقوق ولا تغبطن أحداً يرضى الناس عنه حتى تعلم إن الله راض عنه، ولا تغبطن مخلوقاً بطاعة الناس له فإن طاعة الناس له واتباعهم إياه على غير الحق هلاك له ولمن تبعه)(٤١٦).

و أوحى الله إلى موسى وهارون - لما أرسلهم إلى فرعون - (ولو شئت أن أزيّنكما بزينة من الدنيا، يعرف فرعون - حين يراها - إن مقدرتها تعجز عما أوتيتما لفعلت ولكن أرغب لكما عن ذلك وأزوي ذلك عنكما وكذلك أفعّل بأوليائي إني لأزويهم عن نعيمها كما يزوي الراعي الشفيق غنمه عن مواقع الهلكة وإني لأجنبهم عيش سلوتها كما يجنب الراعي الشفيق إبله عن مواقع الغرة، وما ذلك لهوانهم علي ولكن ليستكملوا نصيبهم من كرامتي سالماً موفراً. إنما يتزوّن لي أوليائي بالذلّ والخشوع والخوف والتقوى)(٤١٧).

وقال الإمام الكاظم (عليه السلام): (قال أبو ذرّ رحمه الله: جرى الله الدنيا عني مذمة، بعد رغيّين من الشعير: أتعدى بأحدهما، وأتعشى بالآخر، وبعد شملتني الصوف: اتزّر بإحدهما، وأتردى بالأخرى)(٤١٨).

وقال لقمان لابنه: (يا بني بع دنياك بأخرتك تريحهما جميعاً ولا تبع أخرتك بدنياك فتخسرهما جميعاً).

٤١١ - سورة الأعراف: آية ١٩.

٤١٢ - (العصيان في اللغة مخالفة الأمر ولو كان إرشادياً كما يقول الطبيب أمرته فعصاني، والأمر بتجنب الشجرة كان إرشادياً للبقاء في الجنة كما في سورة طة: (إن لك ألا تجوع فيها ولا تعرى وانك لا تظلم فيها ولا تضحي).

٤١٣ - أصول الكافي: ١٣٠/٢ - جامع السعادات: ٣٢/٢.

٤١٤ - أصول الكافي: ١٣٢/٢ - جامع السعادات: ٣٣/٢.

٤١٥ - أصول الكافي: ١٣٦/٢ - جامع السعادات: ٣٣/٢.

٤١٦ - أصول الكافي: ١٣٥/٢ - جامع السعادات: ٣٣/٢.

٤١٧ - جامع السعادات: ٣٤/٢.

٤١٨ - أصول الكافي: ١٣٤/٢ - جامع السعادات: ٣٤/٢.

وقال له: (يا بني إن الدنيا بحر عميق قد غرق فيها أناس كثير، فلتكن سفينتك فيها تقوى الله عز وجل، وحشوها بالإيمان، وشراعها التوكل على الله، لعلك ناج.. وما أراك ناجياً!!!)(٤١٩).

وقال أبو عبد الله (عليه السلام): (كان فيما وعظ به لقمان ابنه: يا بني إن الناس قد جمعوا قبلك لأولادهم فلم يبق ما جمعوا ولم يبق من جمعوا له وإنما أنت عبد مستأجر قد أمرت بعمل، ووعدت عليه أجراً فأوف عملك واستوف أجره، ولا تكن في هذه الدنيا بمنزلة شاة وقعت في زرع أخضر فأكلت حتى سمنت فكان حتفها عند سمنها، ولكن اجعل الدنيا بمنزلة قنطرة على نهر، جزت عليها وتركتها ولم ترجع إليها آخر الدهر، أخرجها ولا تُعمر فانك لم تؤمر بعمارتهها)(٤٢٠).

واعلم إنك ستسأل غداً إذا وقفت بين يدي الله عز وجل عن أربع:

شبابك فيما ابليت؟

وعمرك فيما أفنيت؟

ومالك مما اكتسبته؟

وفيما أنفقت؟

فتأهب لذلك! وأعد له جواباً! ولا تأس على ما فاتك من الدنيا فإن قليل الدنيا لا يدوم بقاؤه وكثيرها لا يؤمن بلاؤه فخذ حذرک وجد في أمرک واكشف الغطاء عن وجهك وتعرض لمعروف ربك، وجدد المتوبة في قلبك واكمش في فراغك قبل أن يقصد قصدك ويقضي قضاؤك ويحال بينك وبين ما تريد)(٤٢١).

أتريد أكثر من هذا؟ وإن تعجب.. فأعجب من الإنسان كيف يصم عن جميع هذه الحكم... ويسرع وراء هلاكه؟! يجمع الدنيا من الغش والخيانة.. والربا والغلول.. والغضب والفجور.. والعاقبة: القبر والنهاية: الحساب...

المال الحلال والمال الحرام

وهل هناك أحد لا يحب المال؟ كلا! كلّ يحبّ المال ولكن فرق بين حب المال بميزان وحب للمال بغير ميزان!! إن الحب الذي يكون في إطار من الحكمة: بأداء الحقوق، وعدم السرف وعدم جعله شبكة لصيد أموال المعوزين فضيلة، وإلا لم يكن تقام الدنيا، أما الحب الذي يعمي ويصم ويفسد ويخبل، فإنه رأس الرذائل.

وقد حدد الإسلام موقف المال من السعادة الأخروية بكلمات قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): (يجاء بصاحب الدنيا الذي أطاع الله فيها وما له بين يديه كلما يكفأ به الصراط قال له ماله: امض وقد أديت حق الله فيّ. ثم جاء بصاحب الدنيا الذي لم يطع الله فيها، وما له بين كفيه كلما يكفأ به الصراط قال له ما له: ويلك أما أديت حق الله فيّ؟! فما يزال كذلك حتى يدعو بالويل والثبور!!)(٤٢٢).

وفي الآيات والآثار كثرة هائلة من الطرفين، ففي جملة منها مدح للمال، ويقصد به القسم الأول.. وفي جملة ذم له، ويقصد به القسم الثاني.

٤١٩ - جامع السعادات: ٣٤/٢.

٤٢٠ - عمارة المترفين من كل حل وحرام.

٤٢١ - أصول الكافي: ١٣٤/٢ - جامع السعادات: ٣٤/٢.

٤٢٢ - جامع السعادات: ٤٨/٢.

يقول الله تعالى: (... إِنَّ تَرَكَ خَيْرًا...)(٤٢٣) فالخير هو المال.

ويقول تعالى - ممتناً على البشر -: (وَيُمَدِّدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَيَبَيِّنْ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَارًا)(٤٢٤).

ويقول الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم): (نعم المال الصالح للرجل الصالح)(٤٢٥). إلى غير ذلك.

وأما القسم الثاني فإليك جملة منها: يقول تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَالِكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ)(٤٢٦).

ويقول: (وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا انْقَضُوا إِلَيْهَا وَتَرَكَوْكَ قَانِمًا قُلْ مَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ مِنَ اللَّهْوِ وَمِنَ التِّجَارَةِ...)(٤٢٧).

ويقول: (... إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ...)(٤٢٨).

ويقول: (الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا...)(٤٢٩).

وقد رأيت التلميح في جميعها إلى المال الشانن، أما الأخبار في ذم هكذا أموال فهذه نبذة منها:

قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): (حب المال والشرف: ينبتان النفاق كما ينبت الماء البقل)(٤٣٠).

وقال (صلى الله عليه وآله وسلم): (ما ذنبان ضاريان أرسلا في زريبة غنم بأكثر فساداً من حب المال والجاه في دين الرجل المسلم)(٤٣١).

وقال (صلى الله عليه وآله وسلم): (شرّ أمّتي الأغنياء)(٤٣٢) أتدري لم ذاك؟ لأنك لا تجد من كل ألف منهم إلا بعض نفر يؤدون الحقوق التي فرضتها الشريعة الإسلامية.

وقال (صلى الله عليه وآله وسلم): (يقول الله تعالى: يقول ابن آدم: مالي مالي، وهل لك من مالك إلا ما تصدقت فأبقيت؟! أو أكلت فأفنيت؟ أو لبست فأبليت؟)(٤٣٣).

وقال (صلى الله عليه وآله وسلم): (اخلاء ابن آدم ثلاثة: واحد يتبعه إلى قبض روحه: وهو ماله، وواحد يتبعه إلى قبره: وهو أهله، وواحد يتبعه إلى محشره: وهو عمله)(٤٣٤).

وقال (صلى الله عليه وآله وسلم): (إنّ الدينار والدرهم أهلكا من كان قبلكم وهما مهلكاكم)(٤٣٥).

وقال (صلى الله عليه وآله وسلم): (لكلّ أمة عجل، وعجل هذه الأمة: الدينار والدرهم)(٤٣٦).

وقال (صلى الله عليه وآله وسلم): (يؤتى برجل يوم القيامة، وقد جمع مالاً من حرام، وأنفقه في حرام، فيقال: اذهبوا به إلى النار.

ويؤتى برجل قد جمع مالاً من حلال، وأنفقه في حرام، فيقال: اذهبوا به إلى النار.

-
- ٤٢٣ - سورة البقرة: آية ١٨٠ .
٤٢٤ - سورة نوح: آية ١٢ .
٤٢٥ - جامع السعادات: ٥١/٢ .
٤٢٦ - سورة المنافقون: آية ٩ .
٤٢٧ - سورة الجمعة: آية ١١ .
٤٢٨ - سورة الأنفال: آية ٢٨ .
٤٢٩ - سورة الكهف: آية ٤٦ .
٤٣٠ - جامع السعادات: ٤٨/٢ .
٤٣١ - جامع السعادات: ٤٨/٢ .
٤٣٢ - جامع السعادات: ٤٨/٢ .
٤٣٣ - جامع السعادات: ٤٨/٢ .
٤٣٤ - جامع السعادات: ٤٨/٢ .
٤٣٥ - جامع السعادات: ٤٩/٢ .
٤٣٦ - جامع السعادات: ٤٩/٢ .

ويؤتى برجل قد جمع مالاً من حرام، وأنفقه في حلال، فيقال: اذهبوا به إلى النار، ويؤتى برجل قد جمع مالاً من حلال، وأنفقه في حلال، فيقال له: قف!!

لعلك قصرت في طلب هذا لشيء مما فرضت عليك من صلاة لم تصلها لوقتها، وفرطت في شيء من ركوعها وسجودها ووضونها؟! فيقول: لا يا رب كسبت من حلال وأنفقت في حلال ولم أضيع شيئاً مما فرضت!!

فيقال: لعلك اختلت في هذا المال في شيء، من مركب أو ثوب باهيت به؟! فيقول: لا يا رب لم أباه في شيء!!
فيقال: لعلك منعت حق أحد أمرتك أن تعطيه من نوي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل؟! فيقول: لا يا رب لم أضيع حق أحد أمرتي أن أعطيه!! فيجيء أولئك فيخاصمونهم، فيقولون: يا رب أعطيته وجعلته بين أظهرنا وأمرته أن يعطينا؟!
فيقال: لعلك منعت حق أحد أمرتك أن تعطيه من نوي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل؟! فيقول: لا يا رب لم أضيع شيئاً مما فرضت!!

فإن كان قد أعطاهم، وما ضيع مع ذلك شيئاً من الفرائض، ولم يختل في شيء، فيقال: قف الآن، هات شكر نعمته أنعمتها عليك: من أكلة أو شربة أو لقمة أو لذة...!! فلا يزال يُسئل)(٤٣٧).

أكل هذا حق؟ فأين نحن من هذا الحق؟

ولا يزعم أحد إن هذه الروايات تزهد في اكتساب المال، إنها ليست كذلك بل تزهد في الاكتساب المحظور. قال أمير المؤمنين (عليه السلام): (لو أن رجلاً أخذ جميع ما في الأرض وأراد به وجه الله، فهو زاهد!! ولو ترك الجميع، ولم يرد وجه الله، فليس بزاهد).

الزهد

جاء أحد الزهاد إلى سلطان مترف وهو في بذخه وسرفه وجاهه وإمرته فالتفت إليه السلطان قائلاً: أنت زاهد؟ قال الزاهد: وأنت أزهدي مني! قال الملك: وكيف؟ قال الزاهد: لأنني زهدت في الدنيا الفانية، وأنت زهدت في الآخرة الباقية!
إن القصة على قصرها تعرفنا بمعنى الزهد: إنه ترك لشيء رغبة عنه... ويراد من الزهد في الدنيا، الانصراف عن ملاذها المحظورة وشهواتها الممقوتة.. أما ترك الدنيا فليس من الزهد، إنما هو حرق وانحراف.

ولكن حيث إن الناس يتهافتون على الدنيا ولذاتها تهافتت الفراش في النار، جذب الأنبياء والأئمة عليهم الصلاة والسلام الزمام كثيراً حتى يعتدل السير، كراكب الدابة الجاذب زمامها بشدة في مواطن الهلكة.

قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): (من أصبح وهمه الدنيا شئت الله عليه أمره وفرق عليه صنيعته، وجعل فقره بين عينيه ولم يؤته من الدنيا إلا ما كتب له، ومن أصبح وهمه الآخرة جمع الله له همه، وحفظ عليه ضيعته، وجعل غناه في قلبه، وأتته الدنيا وهي راغمة)(٤٣٨).

وقال (صلى الله عليه وآله وسلم): (إذا رأيت أخاك قد زهد في الدنيا فاستمع منه فإنه يلقي الحكمة)(٤٣٩).
وقال (صلى الله عليه وآله وسلم): (من أراد أن يؤتاه الله علماً بغير تعلم وهدى بغير هداية فليزهد في الدنيا)(٤٤٠).

٤٣٧ - جامع السعادات: ٤٩/٢.

٤٣٨ - جامع السعادات: ٥٩/٢.

٤٣٩ - مكارم الأخلاق: ٤٦٣.

وقال (صلى الله عليه وآله وسلم): (إزهد في الدنيا يحبك الله، وازهد فيما في أيدي الناس يحبك الناس)(٤٤١).
وقال (صلى الله عليه وآله وسلم): (يا علي، من عرضت له دنياه وأخرته، فاختار الآخرة وترك الدنيا، فله الجنة،
ومن اختار الدنيا إستخفافاً بأخرته فله النار)(٤٤٢).

وقال (صلى الله عليه وآله وسلم): (سيأتي على الناس زمان لا ينال الملك فيه إلا بالقتل والتجبر، ولا الغنى إلا
بالغصب والبخل، ولا المحبة إلا باستخراج الدين واتباع الهوى، ألا فمن أدرك ذلك الزمان منكم، فصبر على الفقر، وهو
يقدر على الغنى، وصبر للبغضاء وهو يقدر على المحبة، وصبر على الذل، وهو يقدر على العز، لا يريد بذلك إلا وجه
الله، أعطاه الله ثواب خمسين صديقاً ممن صدق بي)(٤٤٣).

قال (صلى الله عليه وآله وسلم): (يا ابن مسعود! فمن شرح الله صدره للإسلام فهو على نور من ربه فإن النور إذا
وقع في القلب انشرح وانفسح، قيل يا رسول الله: وهل لذلك من علامة؟ قال: نعم.. التجافي عن دار الغرور والإجابة إلى
دار الخلود والاستعداد للموت قبل نزوله)(٤٤٤).

وقال (صلى الله عليه وآله وسلم): (استحيوا من الله حق الحياء، قالوا: إنا لنستحي منه تعالى! قال: ليس كذلك،
تبنون ما لا تسكنون؟ وتجمعون ما لا تأكلون؟)(٤٤٥).

وقدم إليه (صلى الله عليه وآله وسلم) بعض الوفود.. فقالوا: إنا مؤمنون! قال (صلى الله عليه وآله وسلم): (وما
علامة إيمانكم؟) فذكروا: الصبر عند البلاء، والشكر عند الرخاء، والرضا بمواقع القضاء، وترك الشماتة بالمصيبة إذا
نزلت بالأعداء!! فقال (صلى الله عليه وآله وسلم): (إن كنتم كذلك فلا تجمعوا ما لا تأكلون، ولا تبنوا ما لا تسكنون، ولا
تنافسوا فيما عنه ترحلون)(٤٤٦).

فهذه الخصال هي الزهد وقد جعلها (صلى الله عليه وآله وسلم) من مكملات الإيمان.

وقال (صلى الله عليه وآله وسلم): (من جاء بـ (لا إله إلا الله) لا يخلط معها غيرها وجبت له الجنة)(٤٤٧).
وفسر (غيرها) بحب الدنيا وطلبها.

وقال (صلى الله عليه وآله وسلم): (ما زهد عبد في الدنيا إلا أنبت الله الحكمة في قلبه، فأنطق بها لسانه، وبصره
بعيوب الدنيا ودائها ودوائها، وأخرجه منها سالماً إلى دار السلام)(٤٤٨).

وروي: (إن بعض زوجاته بكت مما رأت به من الجوع، وقالت له: يا رسول الله ألا تستطعم الله فيطعمك؟ فقال:
والذي نفسي بيده لو سألت ربي أن يجري معي جبال الدنيا ذهباً لأجراها حيث شئت من الأرض، ولكني اخترت جوع
الدنيا على شبعها وفقر الدنيا على غناها وحزن الدنيا على فرحها، إن الدنيا لا تنبغي لمحمد ولا لآل محمد، إن الله لم
يرض لأولي العزم من الرسل إلا الصبر على مكروه الدنيا، والصبر عن محبوبها، ثم لم يرض لي إلا أن يكلفني مثل ما

٤٤٠ - جامع السعادات: ٥٩/٢.

٤٤١ - جامع السعادات: ٥٩/٢.

٤٤٢ - جامع السعادات: ٥٩/٢.

٤٤٣ - أصول الكافي: ٩١/٢ - جامع السعادات: ٥٩/٢.

٤٤٤ - مكارم الأخلاق: ٤٤٧ - جامع السعادات: ٥٩/٢.

٤٤٥ - جامع السعادات: ٦٠/٢.

٤٤٦ - جامع السعادات: ٦٠/٢.

٤٤٧ - جامع السعادات: ٦٠/٢.

٤٤٨ - مكارم الأخلاق: ٤٦٣ - جامع السعادات: ٦٠/٢.

كلفهم فقال: (فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أَوْلَاؤَا الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ...)(٤٤٩) والله ما لي بد من طاعته وإتي والله لأصبرن كما صبروا بجهدى ولا قوّة إلا بالله)(٤٥٠).

وقال (صلى الله عليه وآله وسلم): (لا يستكمل العبد الإيمان، حتى يكون ألا يعرف أحب إليه من أن يعرف، وحتى يكون قلة الشيء أحب إليه من كثرتة)(٤٥١).

وقال (صلى الله عليه وآله وسلم): (إذا أراد الله بعبد خيراً ففقهه في الدين، وزهده في الدنيا، وبصره بعيوب نفسه)(٤٥٢).

وقال (صلى الله عليه وآله وسلم): (من اشتاق إلى الجنة سارع إلى الخيرات، ومن خاف من النار ترك الشهوات، ومن ترقب الموت أعرض عن اللذات، ومن زهد في الدنيا هانت عليه المصيبات)(٤٥٣).

وقال (صلى الله عليه وآله وسلم): (إن ربي عز وجل عرض علي: أن يجعل لي بطحاء مكة ذهباً؟ فقلت: لا يا رب، ولكن أجوع يوماً وأشبع يوماً، فأما اليوم الذي أجوع فيه، فأتضرع إليك، وأدعوك، وأما اليوم الذي أشبع فيه، فأحمدك وأثني عليك)(٤٥٤).

وقال (صلى الله عليه وآله وسلم): (قال الله تعالى: إن من أغبط أوليائي عندي: رجلاً خفيف الحال، ذا حظ من صلاة، أحسن عبادة ربه بالغيب وكان غامضاً في الناس، جعل رزقه كفافاً فصبر عليه عجلت منيته فقلّ تراثه وقلّ بواكيه)(٤٥٥).

وقال أمير المؤمنين (عليه السلام): (ثلاثة: زاهد، وصابر، وراغب، فأما الزاهد فقد خرجت الأحزان والأفراح من قلبه، فلا يفرح بشيء من الدنيا، ولا يأسى بشيء منها فاتته فهو مستريح، وأما الصابر فإنه يتمناها بقلبه، فإذا نال منها ألجم نفسه عنها بسوء عاقبتها وشنأتها ولو اطلعت على قلبه، لعجبت من عفته وتواضعه وحزمه، وأما الراغب فلا يبالي من أين جاءت الدنيا من حلها أو حرامها، ولا يبالي ما دنس فيها عرضه وأهلك نفسه وأذهب مروءته فهم في غمرتهم يعمهون ويضطربون)(٤٥٦).

وقال (عليه السلام): (إن من أعوان الأخلاق على الدين: الزهد في الدنيا)(٤٥٧).

وقال (عليه السلام): (من جمع ست خصال، لم يدع للجنة مطلباً ولا عن النار مهرباً: عرف الله فأطاعه، وعرف الشيطان فعصاه، وعرف الدنيا فتركها، وعرف الآخرة فطلبها، وعرف الباطل فاتقاه، وعرف الحق فاتبعه)(٤٥٨).

وقال (عليه السلام): (من اشتاق إلى الجنة سارع إلى الخيرات ومن خاف النار لهى عن الشهوات ومن ترقب الموت ترك اللذات ومن زهد في الدنيا، هانت عليه المصيبات)(٤٥٩).

وقال (عليه السلام): (إن علامة الراغب في ثواب الآخرة: زهده في عاجل زهرة الدنيا. أما إن زهد الزاهد في هذه الدنيا لا ينقصه مما قسم الله عز وجل له فيها وإن زهد، وإن حرص الحريص على عاجل زهرة الدنيا لا يزيده فيها وإن حرص، فالمغبون من حرم حظّه من الآخرة)(٤٦٠).

٤٤٩ - سورة الأحقاف: آية ٣٥.

٤٥٠ - جامع السعادات: ٦٠/٢.

٤٥١ - جامع السعادات: ٦٠/٢.

٤٥٢ - مكارم الأخلاق ٤٦٣ - جامع السعادات: ٦١/٢.

٤٥٣ - مكارم الأخلاق ٤٤٧ - جامع السعادات: ٦١/٢.

٤٥٤ - جامع السعادات: ٦١/٢.

٤٥٥ - أصول الكافي: ١٤٠/٢ - جامع السعادات: ٦١/٢.

٤٥٦ - جامع السعادات: ٦٢/٢.

٤٥٧ - جامع السعادات: ٦٢/٢.

٤٥٨ - جامع السعادات: ٦٢/٢.

٤٥٩ - جامع السعادات: ٦٢/٢.

وقال زين العابدين (عليه السلام): (ما من عمل بعد معرفة الله عز وجل ومعرفة رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) أفضل من بغض الدنيا)(٤٦١).

وقال الباقر (عليه السلام): (أكثر ذكر الموت فإنه لم يكثر إنسان ذكر الموت إلا زهد في الدنيا)(٤٦٢).

وقال (عليه السلام): (قال الله تعالى: وعزتي وجلالي وعظمتي وبهائي وعلو ارتفاعي لا يؤثر عبد مؤمن هواي على هواه في شيء من أمر الدنيا إلا جعلت غناه في نفسه، وهمة في آخرته، وضمنت السماوات والأرض رزقه، وكنت له من وراء تجارة كل تاجر)(٤٦٣).

وقال (عليه السلام): (أعظم الناس قدراً من لا يتناول الدنيا في يد من كانت، فمن كرمت عليه نفسه صغرت الدنيا في عينيه، ومن هانت عليه نفسه كبرت الدنيا في عينيه)(٤٦٤).

وقال الصادق (عليه السلام): (جعل الخير كله في بيت وجعل مفتاحه الزهد في الدنيا)(٤٦٥).

وقال (عليه السلام): (ما أعجب رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) شيء من الدنيا إلا أن يكون فيها خائفاً جانحاً)(٤٦٦).

وقال (عليه السلام): (إذا أراد الله بعبد خيراً: زهده في الدنيا وفقهه في الدين، وبصره عيوبها ومن أوتيهن فقد أوتي خير الدنيا والآخرة)(٤٦٧).

وقال (عليه السلام): (لم يطلب أحد الحق بباب أفضل من الزهد في الدنيا، وهو ضد لما طلب أعداء الحق)(٤٦٨) أي الرغبة فيها.

وقال (عليه السلام): (ألا من صبار كريم؟ فأنما هي أيام قلائل إلا أنه حرام عليكم إن تجدوا طعم الإيمان حتى تزهدوا في الدنيا)(٤٦٩).

وقال (عليه السلام): (الزهد مفتاح باب الآخرة والبراءة من النار، وهو ترك كل شيء يشغلك عن الله من غير تأسف على فوتها، ولا إعجاب في تركها، ولا انتظار فرج منها، ولا طلب محمدة عليها، ولا عوض منها، بل يرى فوتها راحة، وكونها آفة، ويكون أبدأ هارباً من الآفة معتصماً بالراحة. والزاهد الذي يختار الآخرة على الدنيا، والذل على العز، والجهد على الراحة، والجوع على الشبع، وعافية الأجل على محبة العاجل، والذكر على الغفلة، وتكون نفسه في الدنيا وقلبه في الآخرة)(٤٧٠).

وقال الرضا (عليه السلام): (من أصبح وأمسى معافاً في بدنه، آمناً في سربه، عنده قوت يومه، فكأنما حيزت له الدنيا)(٤٧١).

هذه جملة من روايات الزهد.

-
- ٤٦٠ - أصول الكافي: ١٢٩/٢ - جامع السعادات: ٦٣/٢.
٤٦١ - أصول الكافي: ١٣٠/٢ - جامع السعادات: ٦٣/٢.
٤٦٢ - أصول الكافي: ١٣١/٢ - جامع السعادات: ٦٣/٢.
٤٦٣ - أصول الكافي: ١٣٧/٢ - جامع السعادات: ٦٣/٢.
٤٦٤ - جامع السعادات: ٦٣/٢.
٤٦٥ - أصول الكافي: ١٢٨/٢ - جامع السعادات: ٦٣/٢.
٤٦٦ - أصول الكافي: ١٢٩/٢ - جامع السعادات: ٦٣/٢ (نحوه).
٤٦٧ - أصول الكافي: ١٣٠/٢ - جامع السعادات: ٦٣/٢.
٤٦٨ - جامع السعادات: ٦٣/٢.
٤٦٩ - أصول الكافي: ١٣٠/٢ - جامع السعادات: ٦٤/٢.
٤٧٠ - جامع السعادات: ٦٤/٢.
٤٧١ - جامع السعادات: ٦٤/٢.

وقد أكثر الأنبياء والأئمة (عليهم السلام) قولاً وعملاً في هذا الباب حتى ليظن الظان أنهم يسوقون الناس إلى تخريب الدنيا كما زعمت الصوفية، ولكن الأمر بالعكس إنهم يريدون عمارة الدنيا عمارة معتدلة لا غلو فيها ولا تفريط فكل غلو وتفريط تنكب عن الطريق وإهلاك عاجل مع الغض عما يترتب عليه من خسارة الدار الآخرة.

فالماديون يتكالبون على الحطام وبذلك تصبح الدنيا بؤرة من القذارات الخلقية، وأتوفاً من الحروب المدمرة والكنيسيون الراهيون وأهل التصوف يطوون عن الدنيا كشحاً، وبذلك تخرب الأرض وقد أرادها الله عامرة.

أما الإسلام فإنه يحب الوسط وفي سيرة الرسول والأئمة (عليهم السلام) خير شاهد لذلك أنهم (عليهم السلام) وإن أخذوا أنفسهم بالزهد ولكنهم لم ينسوا نصيبتهم من الدنيا.

وفي ظل من عمّرت الدنيا وازدهرت الحضارة الحقيقية التي لم ير العالم لها مثيلاً قبل الإسلام ولا من حين خلعت ربيعة الإسلام من عنقه منذ نصف قرن - تقريباً -؟! إنه في ظل الإسلام (... رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الآخِرَةِ حَسَنَةً...)(٤٧٢).

وليس معنى هذه الأحاديث ترك الدنيا وإنما معناها عدم التكالب عليها وهذا هو مقتضى الجمع بين هذه الأخبار وبين غيرها أما من ينظر إلى هذه فقط أو تلك - مما تدل على الغنى والدنيا - فقط فهو كبتاء يريد أن يبني داراً من الآجر فقط أو الجص فقط، عمارته موهومة وبنائه مزعوم.

(سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ، وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ)(٤٧٣).

الغنى والفقر بين المدح والذم

الإسلام لا يبغض الغنى، ولا يحب الفقر بذاتهما.. وإنما يبغض ويحب ما يقارنهما فالغنى - أكثرياً - بعيد عن المثل الإسلامية يبخل بمعروفه ويمنع رفقده ويؤذي الناس بثروته، إنه بما أوتي من ثروة، يزعم أن له وزناً، فيتعالى ويتكبر، ويجثم على الدنيا والدرهم، كالأفقى فوق الكنز. وهكذا غنى عدمه خير من وجوده، وأي عاقل يرجح لنفسه المثل السفلى، ولعمامة الناس الإيذاء والإهانة؟ مما يصاحب الغنى دائماً.

وهناك الفقر، يصهر في الإنسان غالب الصفات الذميمة: كالكبر والنخوة والغرور... كما يمنع الإنسان عن كثير من الموبقات: كالفساد والرياء والاعتلاء بالإضافة إلى أنه لا يؤدي المجتمع.

إن هاتين لما كانت ملازمتين - في الأغلب - للغنى والفقر وردت الأحاديث بدم الغنى ومدح الفقر. لا لذاتهما بل لعوارضهما يقول القرآن الحكيم: (... إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُفٍ، أَنْ رَأَاهُ اسْتَعْتَى)(٤٧٤) فالطغيان علة ذم الغنى لا بذاته، بل الغنى محبوب في نظر الإسلام بذاته، والفقر مذموم بذاته، إذ الغنى بنفسه سبب لكل بر وخير، والفقر سبب للحرمان من كثير من المثوبات.

فالصدقة، والضيافة، وعمارة المساجد، وبناء المدارس، والخمس، والزكاة، والصلة، والبر، وتشبيد الملاجئ والمستشفيات، وإعلاء شعائر المشاهد والحج والزيارات، وما إليها لا تكون إلا بالمال. والفقر محروم من غالبها ولذا

٤٧٢ - سورة البقرة: آية ٢٠١.

٤٧٣ - سورة الصافات: الآيات ١٨٠ إلى ١٨٢.

٤٧٤ - سورة العلق: الآيتان ٦ - ٧.

يقول الرسول الأعظم (صلى الله عليه وآله وسلم): (نعم العون على الدين الغنى) وفي الحديث (كاد الفقر إن يكون كفراً) (٤٧٥).

أما حيث ان طبيعة الغنى والفقر يتلازمان - في الأغلب - صفات ذميمة بالنسبة إلى الأول، وخصال حسنة بالنسبة إلى الثاني، كما يشهد بذلك أقل نظرة إلى المجتمعات، قورن الغنى في كثير من الأحاديث بالضعفة، والفقر بالرفعة. وهاك جملة من الأحاديث التي ترى في كثير منها الإلماح إلى ما ذكر:

قيل لرسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): (أي أمتك أشرف؟ قال (صلى الله عليه وآله وسلم) الأغنياء) (٤٧٦).

وقال (صلى الله عليه وآله وسلم) لبلال: (إلى الله فقيراً ولا تلقه غنياً) (٤٧٧).

وقال (صلى الله عليه وآله وسلم): (يدخل فقراء أمتي الجنة قبل أغنيائهم بخمسمائة عام) (٤٧٨).

وقال (صلى الله عليه وآله وسلم): (إطلعت على الجنة، فرأيت أكثر أهلها الفقراء، وإطلعت على النار، فرأيت أكثر أهلها الأغنياء) (٤٧٩).

وقال (صلى الله عليه وآله وسلم): (خير هذه الأمة فقراؤها، وأسرعها تصعداً في الجنة ضعفاؤها) (٤٨٠).

وقال (صلى الله عليه وآله وسلم): (اللهم أحيني مسكيناً وأمتي مسكيناً، واحشرنى في زمرة المساكين) (٤٨١).

وقال (صلى الله عليه وآله وسلم): (إن لي حرفتين اثنتين، فمن أحبهما فقد أحببني ومن أبغضهما فقد أبغضني: الفقر والجهاد) (٤٨٢).

وقال (صلى الله عليه وآله وسلم): (الفقر أزين للمؤمنين من العذار الحسن على خد الفرس) (٤٨٣).

وسئل (صلى الله عليه وآله وسلم) عن الفقير؟ فقال: (خزانة من خزائن الله) (٤٨٤).

وسئل ثانياً؟ فقال (صلى الله عليه وآله وسلم): (كرامة من الله) (٤٨٥).

وسئل ثالثاً؟ فقال (صلى الله عليه وآله وسلم): (شيء لا يعطيه الله إلا نبياً مرسلأ أو مؤمناً كريماً على الله) (٤٨٦).

وقال (صلى الله عليه وآله وسلم): (إن في الجنة غرفة من ياقوتة حمراء ينظر إليها أهل الجنة، كما ينظر أهل الأرض إلى نجوم السماء، لا يدخل فيها إلا نبي فقير أو مؤمن فقير) (٤٨٧).

وقال (عليه السلام): (الناس كلهم مشتاقون إلى الجنة، والجنة مشتاقاة إلى الفقراء) (٤٨٨).

وقال (عليه السلام): (الفقر فخري) (٤٨٩).

وقال (صلى الله عليه وآله وسلم): (تحفة المؤمن في الدنيا الفقر) (٤٩٠).

٤٧٥ - أصول الكافي: ٣٠٧/٢ - جامع السعادات: ٨٢/٢.

٤٧٦ - جامع السعادات: ٧٨/٢.

٤٧٧ - جامع السعادات: ٧٨/٢.

٤٧٨ - جامع السعادات: ٧٨/٢.

٤٧٩ - جامع السعادات: ٧٨/٢.

٤٨٠ - جامع السعادات: ٨٣/٢.

٤٨١ - جامع السعادات: ٨٣/٢.

٤٨٢ - جامع السعادات: ٨٣/٢.

٤٨٣ - أصول الكافي: ٢٦٥/٢ - جامع السعادات: ٨٤/٢.

٤٨٤ - جامع السعادات: ٨٤/٢.

٤٨٥ - جامع السعادات: ٨٤/٢.

٤٨٦ - جامع السعادات: ٨٤/٢.

٤٨٧ - جامع السعادات: ٨٤/٢.

٤٨٨ - جامع السعادات: ٨٤/٢.

٤٨٩ - جامع السعادات: ٨٤/٢.

٤٩٠ - جامع السعادات: ٨٤/٢.

وقال (صلى الله عليه وآله وسلم): (يؤتى بالعبد يوم القيامة، فيعتذر الله تعالى إليه كما يعتذر الأخ إلى أخيه في الدنيا، فيقول: وعزتي وجلالي، ما زويت الدنيا عنك لهوانك علي، ولكن لما أعددت لك من الكرامة والفضيلة أخرج يا عبدي إلى هذه الصفوف، فمن أطعمك فيّ أو كساك فيّ، يريد بذلك وجهي، فخذ بيده فهو لك، والناس يومئذ قد أجمعهم العرق، فيتخلّل الصفوف، وينظر من فعل ذلك به ويدخله الجنة)(٤٩١).

وقال (صلى الله عليه وآله وسلم): (أكثروا معرفة الفقراء، واتخذوا عندهم الأيدي فإن لهم دولة، وقالوا: يا رسول الله، وما دولتهم؟ قال: إذا كان يوم القيامة فقبل لهم: انظروا إلى من أطعمكم كسرة. أو سقاكم شربة أو كساكم ثوباً، فخذوا بيده، ثم امضوا به إلى الجنة)(٤٩٢).

وقال (صلى الله عليه وآله وسلم): (ألا أخبركم بملوك أهل الجنة؟)(٤٩٣) قالوا: بلى يا رسول الله، قال: (كل ضعيف مستضعف، أغبر أشعث ذي ظمرين، لا يؤبه به لو أقسم على الله لأبره)(٤٩٤).

ودخل رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) على رجل فقير، ولم ير له شيئاً فقال: (لو قسم نور هذا على أهل الأرض لوسعهم)(٤٩٥).

وقال (صلى الله عليه وآله وسلم): (إذا أبغض الناس فقراءهم، وأظهروا عمارة الدنيا، وتكالبوا على جمع الدراهم والدنانير، رماهم الله بأربع خصال: بالقحط من الزمان، والجور من السلطان، والجنانية من ولاة الحكام، والشوكة من الأعداء)(٤٩٦).

وروي: إنه ما من يوم إلا وملك ينادي من تحت العرش: يا ابن آدم قليل يكفيك خير من كثير يطغيك.

وروي عن عيسى المسيح (عليه السلام) أنه قال: (بشدة يدخل الغني الجنة)(٤٩٧).

وقال (عليه السلام): (إن أحب الأسماء إليّ: أن يقال: يا مسكين)(٤٩٨).

وقال لقمان لابنه: (لا تحقرن أحداً لخرقان ثيابه، فإن ربك وربيه واحد).

وقال الإمام الباقر (عليه السلام): (إذا كان يوم القيامة أمر الله تعالى منادياً ينادي بين يديه)(٤٩٩) أين الفقراء؟ فيقوم عنق من الناس كثير فيقول: عبادي فيقولون: لبيك ربنا، فيقول: إني لم أفقركم لهون بكم عليّ ولكن إنما اخترتكم لمثل هذا اليوم، تصفحوا وجوه الناس فمن صنع إليكم معروفاً لم يصنعه إلا فيّ، فكافوه عني بالجنة)(٥٠٠).

وقال الإمام الصادق (عليه السلام): (لولا إلهاح المؤمنين على الله في طلب الرزق لنقلهم من الحال التي هم فيها إلى حال أضيّق منها)(٥٠١).

وقال (عليه السلام): (إن فقراء المؤمنين ينقلون في رياض الجنة قبل أغنيانهم بأربعين خريفاً. ثم قال (عليه السلام): سأضرب لك مثل ذلك. إنما مثل ذلك مثل سفينتين مرّ بهما على عاشر، فنظر في أحدهما فلم ير فيها شيئاً، فقال: إسربوها ونظر في الأخرى، فإذا هي موقرة، فقال: احبسوها)(٥٠٢).

٤٩١ - جامع السعادات: ٨٤/٢.

٤٩٢ - جامع السعادات: ٨٥/٢.

٤٩٣ - جامع السعادات: ٨٥/٢.

٤٩٤ - جامع السعادات: ٨٥/٢.

٤٩٥ - جامع السعادات: ٨٥/٢.

٤٩٦ - جامع السعادات: ٨٥/٢.

٤٩٧ - جامع السعادات: ٧٨/٢.

٤٩٨ - جامع السعادات: ٨٨/٢.

٤٩٩ - أي من الناحية التي يتوجه الأمر منها.

٥٠٠ - أصول الكافي: ٢٦٣/٢ - جامع السعادات: ٨٥/٢.

٥٠١ - أصول الكافي: ٢٦١/٢ - جامع السعادات: ٨٦/٢.

٥٠٢ - أصول الكافي: ٢٦٠/٢ - جامع السعادات: ٨٦/٢.

وقال (عليه السلام): (إن الله جل ثناؤه ليعتذر إلى عبده المؤمن المحوج في الدنيا، كما يعتذر الأخ من أخيه فيقول: وعزتي وجلالي، ما أحوجتك في الدنيا من هون كان بك علي، فأرفع هذا السجف فانظر إلى ما عوضتك من الدنيا قال: فيرفع فيقول: ما ضرني ما منعتني مع ما عوضتني؟!)(٥٠٣).

وقال (عليه السلام): (إذا كان يوم القيامة قام عنق من الناس حتى يأتوا باب الجنة، فيضربوا باب الجنة، فيقال لهم: من انتم؟ فيقولون: نحن الفقراء، فيقال لهم: أقبِلوا الحساب، فيقولون: ما أعطيتمونا شيئاً حتى تحاسبونا عليه فيقول الله عز وجل: صدقوا. ادخلوا الجنة)(٥٠٤).

وقال (عليه السلام) - لبعض أصحابه -: (أما تدخل السوق؟ أما ترى الفاكهة تباع والشيء مما تشتهيهِ؟ فقلت: بلى، فقال: أما إن لك بكل ما تراه فلا تقدر على شرائه، حسنة)(٥٠٥).

وقال الإمام الكاظم (عليه السلام): (إن الله عز وجل يقول: اني لم أعن الغني لكرامة به علي ولم أفقر الفقير لهوان به علي، وهو مما ابتليت به الأغنياء بالفقراء ولولا الفقراء لم يستوجب الأغنياء الجنة)(٥٠٦).

وقال الإمام الرضا (عليه السلام): (من لقي فقيراً مسلماً وسلّم عليه خلاف سلامه على الغني لقي الله يوم القيامة وهو عليه غضبان)(٥٠٧).

ولكن اللازم على الفقير أن يكون صابراً راضياً بقسم الله تعالى ولا يكسل عن التحصيل. وإلا فليس الفقر بمجرد ممدوحاً، وإنما مدحه لما يلزمه من رقة القلب وصفاء الروح، والتواضع وما إليها أما إذا كان الفقير ناقماً على الله أو جزوعاً أو يكسل عن الطلب، ويلقي كُله على الناس فهو من مصداق ما ورد (الفقر سواد الوجه في الدارين).

ولذا قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): (يا معشر الفقراء أعطوا الرضا من قلوبكم تظفروا بثواب فقركم فإن لم تفعلوا فلا ثواب لكم)(٥٠٨).

وقال (صلى الله عليه وآله وسلم): (إن أحبّ العباد إلى الله الفقير القانع برزقه الراضي عن الله تعالى)(٥٠٩).

وقال (صلى الله عليه وآله وسلم): (لا أحد أفضل من الفقير إذا كان راضياً)(٥١٠).

وقال (صلى الله عليه وآله وسلم): (يقول الله تعالى - يوم القيامة - أين صفوتي من خلقي؟ فيقول الملائكة: من هم يا ربنا؟ فيقول: فقراء المسلمين القانعين بعبادتي الراضين بقدرتي أدخلوهم الجنة فيدخلونها ويأكلون ويشربون والناس في الحساب يترددون)(٥١١).

وقال (صلى الله عليه وآله وسلم): (طوبى للمساكين بالصبر، وهم الذين يرون ملكوت السموات والأرض)(٥١٢).

وقال (صلى الله عليه وآله وسلم): (من جاع أو احتاج فكنمه عن الناس، أفشاه إلى الله تعالى، كان حقاً على الله: أن يرزقه رزق السنة من الحلال)(٥١٣).

وقال (صلى الله عليه وآله وسلم): (إن لكل شيء مفتاحاً ومفتاح الجنة حبّ المساكين والفقراء والصابرين وهم جلساء الله يوم القيامة)(٥١٤) بمعنى أنهم كالجليس الذي يقدر حق قدره.

٥٠٣ - أصول الكافي: ٢٦٥/٢ - جامع السعادات: ٨٧/٢.

٥٠٤ - أصول الكافي: ٢٦٤/٢ - جامع السعادات: ٨٧/٢.

٥٠٥ - أصول الكافي: ٢٦٥/٢ - جامع السعادات: ٨٧/٢.

٥٠٦ - أصول الكافي: ٢٦٤/٢ - جامع السعادات: ٨٧/٢.

٥٠٧ - جامع السعادات: ٨٧/٢.

٥٠٨ - جامع السعادات: ٨٨/٢.

٥٠٩ - جامع السعادات: ٨٨/٢.

٥١٠ - جامع السعادات: ٨٨/٢.

٥١١ - جامع السعادات: ٨٨/٢.

٥١٢ - جامع السعادات: ٨٨/٢.

٥١٣ - جامع السعادات: ٨٨/٢.

وقال (صلى الله عليه وآله وسلم) - لعلي أمير المؤمنين (عليه السلام) -: (يا عليّ إنّ الله جعل الفقر أمانة عند خلقه، فمن ستره أعطاه الله تعالى مثل أجر الصائم القائم، ومن أفشاه إلى من يقدر على قضاء حاجته، فلم يفعل فقد قتله! أما أنه ما قتله بسيف ولا برمح ولكنه قتله بما نكى من قلبه)(٥١٥).

وروي: (إن الله أوحى إلى إسماعيل (عليه السلام): اطلبني عند المنكسرة قلوبهم من أجلي، قال: ومن هم؟ قال: الفقراء الصادقون)(٥١٦).

وقال أمير المؤمنين (عليه السلام): (إن لله عقوبات بالفقر ومثوبات بالفقر فمن علامات الفقر إذا كان مثوبة: أن يحسن عليه خلقه ويطيع به ربه، ولا يشكو حاله ويشكر الله تعالى على فقره، ومن علاماته إذا كان عقوبة أن يسوء عليه خلقه، ويعصى ربه بترك طاعته ويكثر الشكاية ويتسخط بالقضاء)(٥١٧).

السؤال

يكره الإسلام السؤال أشد كراهية ويذمّ السائل ذمّاً كبيراً، ولم يسأل الإنسان؟ وقد أتاح له القدر فرصة الاكتساب والخدمة نعم إذا اضطر فلا بأس عملاً بقوله تعالى: (إلّا ما اضطررتم) (٥١٨) وفي الحديث: (ما من شيء حرّمه الله تعالى إلا وقد أحلّه لمن اضطر إليه).

أما غالب الفقراء الذين يسعهم الكسب والعمل ويحبون البطالة ويلقون كلهم على الناس، فهم في نظر الإسلام مجرمون من حيث البطالة ومن حيث إلقاء أنفسهم على الناس.

ومن ظرائف ما ينقل: (إن الميرزا الشيرازي الكبير الحاج السيد محمد حسن (رحمه الله) مرّ على فقير تام الخلقة، وافر النشاط، فأعطاه درهماً ليمد يده، ففعل ودرهماً ثانياً ليمد رجله ففعل، ودرهماً ثالثاً ليقوم ويمشي ففعل، فقال له الميرزا: فلماذا تكسل عن العمل وتلقي كلك على الناس!؟).

أما الإعانة مع مثل هؤلاء - إن علم الشخص بحالهم لا أن يعمل بالظن - فإن لم يكن من الإعانة على الحرام فإنه إعانة على المكروه وموجبة لتماديهم في الغنى وعلى أي فالإسلام ينهي عن هكذا سؤال.

قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): (مسألة الناس من الفواحش)(٥١٩).

٥١٤ - جامع السعادات: ٨٨/٢.

٥١٥ - أصول الكافي: ٢٦٠/٢ - جامع السعادات: ٨٩/٢.

٥١٦ - جامع السعادات: ٨٨/٢.

٥١٧ - جامع السعادات: ٩٤/٢.

٥١٨ - سورة الأنعام: آية ١١٩.

٥١٩ - جامع السعادات: ٩٧/٢.

وقال (صلى الله عليه وآله وسلم): (من سأل عن ظهر غنى فإنما يستكثر من جمر جهنم، ومن سأل وله ما يغنيه جاء يوم القيامة ووجهه عظم يتقعقع ليس عليه لحم)(٥٢٠).

وقال (صلى الله عليه وآله وسلم): (من سأل الناس وعنده قوت ثلاثة أيام لقي الله يوم يلقاه وليس على وجهه لحم)(٥٢١).

وقال (صلى الله عليه وآله وسلم): (ما من عبد فتح على نفسه باباً من المسألة إلا فتح الله عليه سبعين باباً من الفقر)(٥٢٢).

وقال (صلى الله عليه وآله وسلم): (إن المسألة لا تحل إلا لفقر مدقع أو غرم مفضع)(٥٢٣).

وقال (صلى الله عليه وآله وسلم): (السؤال عن ظهر غنى: صداع في الرأس وداء في البطن)(٥٢٤).

وقال (صلى الله عليه وآله وسلم): (من سأل الناس أموالهم تكثرأ، فإنما هي جمرة، فليستقل منه أو ليستكثر)(٥٢٥).

وكان (صلى الله عليه وآله وسلم) غالباً يأمر بالتعفف عن السؤال ويقول: (من سألنا أعطيناها ومن استغنى أغناه الله ومن لم يسألنا فهو أحب إلينا)(٥٢٦).

وقال (صلى الله عليه وآله وسلم): (ما قل من السؤال فهو خير) قالوا: ومنك يا رسول الله؟ قال: (ومني ولو أن أحدكم أخذ حبلاً فبأتي بجمرة حطب على ظهره فبييعها ويكف بها وجهه خير له من أن يسأل)(٥٢٧).

وتدري لم السؤال مكروه حتى من النبي (صلى الله عليه وآله وسلم)؟ إنه يوجب مهانة النفس وضعف الثقة بالذات، أما من يعتمد على نفسه، ويلقي بذاته في ضوضاء العمل فإنه قلما يفلح، ولو كان العمل الاحتطاب والاحتشاش أما رأيت عمياناً يعملون؟ إنهم لنقتهم بأنفسهم وصلوا إلى هذا الحد وأمام نظري الآن صورة رجل عمي بالجدري في الرابعة من عمره ومع ذلك فهو يعد من أكبر الكتاب الآن وله كتب جنى منها ثروة طائلة.

وقال الإمام السجاد (عليه السلام): (ضمنت على ربي انه لا يسأل أحد أحدًا من غير حاجة، إلا اضطرته المسألة يوماً إلى أن يسأل من حاجة)(٥٢٨).

ونظر (عليه السلام) يوم عرفة إلى رجال ونساء يسألون فقال: (هؤلاء شرار خلق الله!! الناس مقبلون على الله، وهم مقبلون على الناس)(٥٢٩).

وقال الإمام الباقر (عليه السلام): (أقسم بالله وهو حق: ما فتح رجل على نفسه باب مسألة إلا فتح الله عليه باب فقر)(٥٣٠).

وقال الإمام الصادق (عليه السلام): (من سأل من غير حاجة فكأنما يأكل الجمر)(٥٣١).

٥٢٠ - جامع السعادات: ٩٧/٢.

٥٢١ - جامع السعادات: ٩٧/٢.

٥٢٢ - جامع السعادات: ٩٨/٢.

٥٢٣ - جامع السعادات: ٩٨/٢.

٥٢٤ - جامع السعادات: ٩٨/٢.

٥٢٥ - جامع السعادات: ٩٨/٢.

٥٢٦ - جامع السعادات: ٩٨/٢.

٥٢٧ - جامع السعادات: ٩٨/٢.

٥٢٨ - جامع السعادات: ٩٩/٢.

٥٢٩ - جامع السعادات: ٩٩/٢.

٥٣٠ - مكارم الأخلاق: ١٣٧ - جامع السعادات: ٩٩/٢.

٥٣١ - جامع السعادات: ٩٩/٢.

والإسلام يكره السؤال مطلقاً ولو سؤال عن المال باستثناء العلم، الذي مدح السؤال فيه كما قال تعالى: (... فَسْئَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ...)(٥٣٢) وذلك لأن الإسلام يريد من الناس النشاط والعمل والاعتماد على النفس والاعتزاز بالذات أما السؤال عن السؤال وإلقاء النصب عليهم فهو خلاف الرجولة والمروءة.

روي: (انه جاء فخذ من الأنصار إلى رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فسلموا عليه فرد عليهم السلام فقالوا: يا رسول الله إن لنا إليك حاجة؟ فقال: هاتوا حاجتكم، فقالوا: إنها حاجة عظيمة؟ فقال: هاتوها ما هي؟ قالوا: تضمن لنا على ربك الجنة! فنكس رأسه ثم نكث في الأرض ثم رفع رأسه، فقال: أفعل ذلك بكم على ألا تسألوا أحداً شيئاً)(٥٣٣). فكان الرجل منهم يكون في السفر فيسقط سوطه فيكره أن يقول لإنسان: ناولنيه، فراراً من المسألة وينزل فيأخذه ويكون على المائدة فيكون بعض الجلساء أقرب إلى الماء منه، فلا يقول: ناولني حتى يقوم فيشرب. وبابيع (صلى الله عليه وآله وسلم) قوماً على الإسلام، فاشتراط عليهم السمع والطاعة ثم قال (صلى الله عليه وآله وسلم) لهم خفية: (ولا تسألوا الناس شيئاً.. فكان بعد ذلك تقع المخرصة من يد أحدهم، فينزل لها، ولا يقول لأحد: ناولنيها).

وقد حدثني سماحة السيد محسن الحكيم (دام ظله): (انه كان بخدمة الميرزا الشيرازي الثاني الشيخ ميرزا محمد تقى (رحمه الله)، حين تشرّفه إلى السهلة، ومعه جمّ غفير، قال: ولما خرج من المسجد ومشى ما يقرب من غلوة سهم وإذا به يرجع قافلاً وسألوا عنه: هل من حاجة؟ فلم يقل شيئاً حتى وصل إلى مكانه الذي بارحه - من المسجد - وإذا به قد نسي شيئاً هناك فأخذه وخرج إلى مقصده وكان ذلك منه (رحمه الله) كراهية أن يكلف أحداً ولو بمثل هذا التكليف البسيط).

قال الإمام الصادق (عليه السلام): (طلب الحوائج إلى الناس استلاب للعرز مذهبة للحياء، واليأس مما في أيدي الناس عز للمؤمن في دينه، والطمع هو الفقر الحاضر)(٥٣٤).

وقد يأخذ بعض الناس - وخصوصاً الأغنياء - هذه الأحاديث حجة لبخلهم وعدم إعطائهم للفقير والسائل شيئاً. فليتذكروا هؤلاء قولته تعالى: (وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ)(٥٣٥) وقوله تعالى: (فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَعْلُومٌ، لِّلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ)(٥٣٦) وقوله تعالى: (وَأَطْعِمُوا الْقَانِعَ وَالْمُعْتَرَّ)(٥٣٧).

قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): (لا تردوا السائل ولو بشقّ تمرّة)(٥٣٨). وقال (صلى الله عليه وآله وسلم): (لولا أن السائل يكذب ما قدّس من رده)(٥٣٩). وقال (صلى الله عليه وآله وسلم): (للسائل حق وان جاء على فرس)(٥٤٠). وقال (صلى الله عليه وآله وسلم): (لا تردوا السائل ولو بظلف محترق)(٥٤١). وقال الإمام الصادق (عليه السلام): (لو يعلم السائل ما عليه من الوزر ما سأل أحد أحداً ولو يعلم المسؤول ما عليه إذا منع ما منع أحد أحداً)(٥٤٢).

٥٣٢ - سورة النحل: آية ٤٣.

٥٣٣ - جامع السعادات: ٩٨/٢.

٥٣٤ - جامع السعادات: ٩٩/٢.

٥٣٥ - سورة الضحى: آية ١٠.

٥٣٦ - سورة المعارج: الأيتان ٢٤ - ٢٥.

٥٣٧ - سورة الحج: آية ٣٦.

٥٣٨ - جامع السعادات: ٩٩/٢.

٥٣٩ - جامع السعادات: ٩٩/٢.

٥٤٠ - جامع السعادات: ٩٩/٢.

٥٤١ - جامع السعادات: ٩٩/٢.

فهناك تكليفان:

١ - الشخص أن لا يسأل.

٢ - المسؤول أن لا يمنع.

أما أن يعتذر به البخلاء من أن الفقراء يكذبون ويلفقون لذلك قصصاً وخرافات فليس ذلك إلا التستر وراء المعاذير تبريراً لموقفهم السلبي وشحهم الكامن وهل ليس في السائلين من لا يملك شيئاً وقد اضطرتهم الظروف إلى السؤال؟. يقال: (إنّ فقيراً سأل غنياً فنهره وبعد أيام تفقده الغني وإذا به في غرفته ميتاً من الجوع وقد أغلق على نفسه الباب!!).

القناعة والحرص

من الناس من تمكن الفقر من قلبه، فلا يزال يطلب المزيد وإن كانت مفاتيح خزائنه تنوء بالعصبة ذات القوة وإن سألته: لم هذا الطلب؟ رأيتك يتمتم في الجواب وأي جواب له؟ ولو كشفت عن أحشائه لرأيتها مطوية على الفقر. وبالعكس من هذا من تمكن الغنى في قلبه إنه غني وإن صفرت يده عن حطام الدنيا فتراه لا يبالي بما فات منه إذا حصل على أيسر عيش وما أهناه من معيشة؟!.

والشخص الأول يسمى بـ (الحريص) كما أن الشخص الثاني يسمى بـ (القنوع).

و الإسلام يذم الحرص أبلغ ذم.

كما وإنه يمدح القناعة أفضل مدح.

إنه يريد أن يقلع جذور الفقر من القلب، حتى لا يكون للشخص باعث داخلي يوخز ضميره ويقلق راحته ويسهد ليله ثم ما المنفعة؟ إنها لا شيء!!.

قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): (لو كان لابن آدم واديان من ذهب لتمنى وادياً ثالثاً! ولا يملأ جوف ابن آدم إلا التراب ويتوب الله على من تاب)(٥٤٣).

وقال (صلى الله عليه وآله وسلم): (منهومان لا يشبعان: منهوم العلم، ومنهوم المال)(٥٤٤).

وقال (صلى الله عليه وآله وسلم): (يشيب ابن آدم وتشب فيه خصلتان: الحرص وطول الأمل)(٥٤٥).

وقد مثل الإمام الباقر (عليه السلام) للحريص بأحسن مثال:

قال (صلى الله عليه وآله وسلم): (مثل الحريص على الدنيا كمثل دودة القز كلما ازدادت على نفسها لقا كان أبعد لها من الخروج حتى تموت غماً)(٥٤٦).

وقال (صلى الله عليه وآله وسلم): (رب حريص على أمر قد شقي به حين أتاه ورب كاره لأمر قد سعد به حين أتاه)(٥٤٧).

٥٤٢ - جامع السعادات: ٩٩/٢.

٥٤٣ - جامع السعادات: ١٠١/٢.

٥٤٤ - جامع السعادات: ١٠٢/٢.

٥٤٥ - جامع السعادات: ١٠٢/٢.

٥٤٦ - جامع السعادات: ١٠٢/٢.

وقال الإمام الصادق (عليه السلام): (إن فيما ينزل به الوحي من السماء لو أن لابن آدم واديين يسيلان ذهباً وفضة لابتغى لهما ثالثاً، يا ابن آدم، إنما بطنك بحر من البحور وواد من الأودية لا يملأه شيء إلا التراب)(٥٤٨). إلى غيرها...

وليس الفرق بين الحريص والقنوع إن الأول يركض في طلب الدنيا دون الثاني إنما الفرق: إن الحريص يجمع قواه لطلب الدنيا ويمنع رفده خوفاً من الإنفاق وليس هكذا القنوع إنه يطلب الدنيا بقدر ويؤدي مما يُحمد إداؤه فالحريص يضر نفسه أولاً، وغيره ثانياً، بينما القنوع ينفع نفسه ويفيد غيره.

وقد وردت الآثار في مدح القناعة إنها صحة للجسم، وراحة للنفس، وبذل للغير فلم لا تكون ممدوحة؟.

قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): (طوبى لمن أسلم وكان عيشه كفافاً)(٥٤٩).

وقال (صلى الله عليه وآله وسلم): (ما من أحد من غني ولا فقير إلا ود يوم القيامة أنه كان أوتي قوتاً في الدنيا)(٥٥٠).

وقال (صلى الله عليه وآله وسلم): (أيها الناس أجملوا في الطلب فإنه ليس للعبد إلا ما كتب له في الدنيا ولن يذهب عبد من الدنيا حتى يأتيه ما كتب له في الدنيا وهي راغمة)(٥٥١).

وقال (صلى الله عليه وآله وسلم): (نفث روح القدس في روعي: انه لن تموت نفس حتى تستكمل رزقها فاتقوا الله وأجملوا في الطلب)(٥٥٢).

وقال (صلى الله عليه وآله وسلم): (كن ورعاً تكن أعبد الناس وكن قانعاً تكن أشكر الناس وأحب للناس ما تحب لنفسك تكن مؤمناً)(٥٥٣).

وفي الخبر القدسي إحتجاج ظريف قال: (يا ابن آدم لو كانت الدنيا كلها لك لم يكن لك منها إلا القوت، فإذا أنا أعطيتك منها القوت وجعلت حسابها على غيرك فأنا إليك محسن)(٥٥٤).

وفي الحديث: (أن موسى (عليه السلام) سأل ربه تعالى، وقال: أي عبادك أغنى؟ قال: أقتعهم لما أعطيتهم)(٥٥٥).

وقال أمير المؤمنين (عليه السلام): (ابن آدم إن كنت تريد من الدنيا ما يكفيك، فإن أيسر ما فيها يكفيك وإن كنت إنما تريد ما لا يكفيك، فإن كل ما فيها لا يكفيك)(٥٥٦).

وقال الإمام الباقر (عليه السلام): (إياك أن تطمح بصرك إلى من هو فوقك فكفى بما قال الله عز وجل لنبيه (صلى الله عليه وآله وسلم): (فلا تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ...) (٥٥٧) وقال: (وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا...) (٥٥٨) فإن دخلك من ذلك شيء فاذكر عيش رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فإتما كان

٥٤٧ - جامع السعادات: ١٠٢/٢.

٥٤٨ - جامع السعادات: ١٠٢/٢.

٥٤٩ - أصول الكافي: ١٤٠/٢ - جامع السعادات: ١٠٣/٢.

٥٥٠ - جامع السعادات: ١٠٣/٢.

٥٥١ - جامع السعادات: ١٠٣/٢.

٥٥٢ - جامع السعادات: ١٠٣/٢.

٥٥٣ - جامع السعادات: ١٠٣/٢.

٥٥٤ - جامع السعادات: ١٠٣/٢.

٥٥٥ - جامع السعادات: ١٠٣/٢.

٥٥٦ - جامع السعادات: ١٠٣/٢.

٥٥٧ - سورة التوبة: آية ٥٥.

٥٥٨ - سورة طه: آية ١٣١.

قوته الشعير وحلواه التمر ووقوده السعف إذا وجدته(٥٥٩) وقال (صلى الله عليه وآله وسلم): (من قنع بما رزقه الله فهو من أغنى الناس)(٥٦٠).

وهذه قاعدة عامة لراحة الدنيا: فإن من نظر إلى من فوقه لا يزال يبغض عيشه ويراه نكدًا فهو في عذاب دائم، وقلق مستمر فإن الأفراد لا يزالون مختلفين من حسب المراتب والمعيشة.. أما من رضي بما قسم الله له فهو في رضى وراحة ويا لها من معيشة هنيئة سائغة؟!.

وقال الإمام الصادق (عليه السلام): (من رضي من الله بالقليل من الرزق قبل الله منه اليسير من العمل ومن رضي باليسير من الحلال حقت مؤنته وزكت مكسبته وخرج من حدة الفجور)(٥٦١).

وقال (عليه السلام): (مكتوب في التوراة: ابن آدم كن كيف شئت؟ كما تدين تدان، من رضي من الله بالقليل من الرزق قبل الله منه اليسير من العمل)(٥٦٢).

وقال (عليه السلام): (إن الله عز وجل يقول: يحزن عبدي المؤمن إن قترت عليه، وذلك أقرب له مني، ويفرح عبدي المؤمن إن وسعت عليه وذلك أبعد له مني)(٥٦٣).

وغيرها... وغيرها

وربما يسأل الإنسان: وما علاج الحرص لمن أبتلي به؟.

والجواب: إنَّ علاجه علاج سائر الملكات الرديئة فإن النفس كالورق الأبيض، يلوثه المجتمع والمحيط وما يتطبع فيها من المدرسة والكتب وما إليها... وربما ساعدت ذلك الهواية النفسية، فإن الأشخاص مختلفون من حيث الفطرة. وإذا تلونت النفس بلون، فلا بد من المجاهدة لإزالتها، والحرص بما إنَّه يلائم الطباع الزائفة وما أكثرها؟! فالجهاد لإزالتها كبير....

فليذكر الحريص: إنه لا ينال ما يريد بالحرص فلم الحرص؟.

وليراجع الآيات والروايات الناهية عن الحرص، ولينظر إلى من هو دونه في المعيشة كي يرضى بعيشه.

قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): (إذا نظر أحدكم إلى من فضله الله عليه في المال والخلق، فليتنظر إلى من هو أسفل منه)(٥٦٤).

وقال أبو ذر (رحمه الله): (أوصاني خليلي رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وقال: انظر إلى من هو تحتك ولا تنظر إلى من هو فوقك، فإنه أجدد أن لا تزدرى نعمة الله عليك)(٥٦٥).

-
- ٥٥٩ - أصول الكافي: ١٣٧/٢ - جامع السعادات: ١٠٣/٢.
٥٦٠ - أصول الكافي: ١٣٩/٢ - جامع السعادات: ١٠٤/٢.
٥٦١ - أصول الكافي: ١٣٨/٢ - جامع السعادات: ١٠٤/٢.
٥٦٢ - أصول الكافي: ١٣٨/٢ - جامع السعادات: ١٠٤/٢.
٥٦٣ - جامع السعادات: ١٠٤/٢.
٥٦٤ - جامع السعادات: ١٠٧/٢.
٥٦٥ - مكارم الأخلاق: ٤٧٣ - جامع السعادات: ١٠٧/٢.

الاستغناء والطمع

قد يبتلي الإنسان بمرض الطمع. كما قد يبتلي بمرض الجذام فينظر في أيدي الناس، ويترقب عونهم، ويراقب حركة أيديهم إذا تحركت نحو صناديقهم. ولا يفرق في المبتلي بهذا الداء أن يكون غنياً أو فقيراً، فهو مرض ينشأ في النفس، كما أن الجذام ينشأ في الجسم، فيفسد الأعضاء: فإذا رأى مالا تمتأه، أو لمس شيئاً أخذه أو سمع بدار طلبها وطمع فيها، وهكذا.

والمبتلي بهذا الداء مهان في المجتمع، معذب النفس، دائم الحركة نحو الأوهام. ولذا ينهى الإسلام عنه أشدّ النهي:

قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): (إياك والطمع، فإنه الفقر الحاضر) (٥٦٦).
وقال أمير المؤمنين (عليه السلام): (استغن عمّن شئت تكن نظيره، واحتج إلى من شئت تكن أسيره، وأحسن إلى من شئت تكن أميره) (٥٦٧).

وقال الإمام الباقر (عليه السلام): (بنس العبد: عبد له طمع يقوده، وبنس العبد: عبد له رغبة تذله) (٥٦٨).
وقيل للإمام الصادق (عليه السلام): (ما الذي يثبت الإيمان في العبد؟ قال: الورع، والذي يخرج منه: الطمع) (٥٦٩).

وبالعكس من هذه الصفة الخبيثة: الاستغناء عن الناس فإنه عزّ الدنيا، وراحة النفس، ومبعث الأمن والاطمئنان. ولذا رغب إليه الإسلام أكد ترغيب.

قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): (ليس الغنى عن كثرة العروض، إنما الغنى غنى النفس) (٥٧٠).
وطلب أعرابي منه موعظة، فقال (صلى الله عليه وآله وسلم): (إذا صليت فصل صلاة مودع ولا تحدثن بحديث تعتذر منه غداً، واجمع اليأس عما في أيدي الناس) (٥٧١).

وقال أبو جعفر الباقر (عليه السلام): (اليأس مما في أيدي الناس عزّ المؤمن في دينه) (٥٧٢).
وقال أمير المؤمنين (عليه السلام): (ليجتمع في قلبك الافتقار إلى الناس والاستغناء عنهم! فيكون افتقارك إليهم في لين كلامك، وحسن بشرتك، ويكون استغناؤك عنهم في نزاهة عرضك وبقاء عزك) (٥٧٣).

٥٦٦ - أصول الكافي: ١٤٩/٢ - جامع السعادات: ١٠٨/٢.

٥٦٧ - جامع السعادات: ١٠٨/٢.

٥٦٨ - أصول الكافي: ٣٢٠/٢ - جامع السعادات: ١٠٨/٢.

٥٦٩ - أصول الكافي: ٣٢٠/٢ - جامع السعادات: ١٠٨/٢.

٥٧٠ - جامع السعادات: ١٠٨/٢.

٥٧١ - جامع السعادات: ١٠٩/٢.

٥٧٢ - أصول الكافي: ١٤٩/٢ - جامع السعادات: ١٠٩/٢.

٥٧٣ - بحار الأنوار: ١٠٦/٧٥، ب٤٩ - جامع السعادات: ١٠٩/٢.

وهذا من أعاجيب الأخلاق وقلما يتصف به الناس. فإن كثيراً ممن يستغنون عن الناس بالمال يثني استغناؤه ذاك باستغناؤه عنهم في اللين والبشاشة، فلا يعتني بهم، وهكذا كثير ممن يربط الكلام ويفتح أسارير وجهه للناس يعقبه بالمسألة وإراقة ماء العز.

أما لين الكلام وطيب المجالسة مقروناً بالتعفف والاستغناء فذاك خلق كريم، ودأب العظماء، وقليل ما هم!.
وقال الإمام السجاد (عليه السلام): (رأيت الخير كله قد اجتمع في قطع الطمع عما في أيدي الناس، ومن لم يرج الناس في شيء ورد أمره إلى الله تعالى في جميع أموره، استجاب الله تعالى له في كل شيء)(٥٧٤).
وليس معنى هذا عدم التوسل بالأسباب - كما ربما يتوهم - بل معناه عدم الطمع كما قال الإمام، فإن الطمع شيء، والتوسل بالأسباب اللانقطة شيء آخر.

وقال الإمام الباقر (عليه السلام): (سخاء المرء عما في أيدي الناس أكثر من سخاء النفس والبذل. ومروءة الصبر في حال الفاقة والحاجة والتعفف والغنى أكثر من مروءة الإعطاء. وخير المال: الثقة بالله، واليأس مما في أيدي الناس)(٥٧٥).

وقال (عليه السلام): (اليأس مما في أيدي الناس عز المؤمن في دينه)(٥٧٦).
وقال الإمام الصادق (عليه السلام): (شرف المؤمن قيام الليل وعزه استغناؤه عن الناس)(٥٧٧).
وانظر إلى هذا الحديث واعجب! قال الإمام الصادق (عليه السلام): (شيئتنا من لا يسأل الناس ولو مات جوعاً)(٥٧٨).

ولم؟ لأنه أبي النفس، رفيع الشأن، شريف عزيز، وهل يوجد هكذا شيعي؟
وكم عدده؟.

وقال (عليه السلام): (ثلاث هن فخر المؤمن، وزينته في الدنيا والآخرة: الصلاة في آخر الليل، ويأسه مما في أيدي الناس، وولايته للإمام من آل محمد عليهم السلام)(٥٧٩).
وقال (عليه السلام): (إذا أراد أحدكم أن لا يسأل ربّه شيئاً إلا أعطاه فليأس من الناس كلهم، ولا يكون له رجاء إلا عند الله.. فإذا علم الله ذلك من قلبه، لم يسأل الله شيئاً إلا أعطاه)(٥٨٠).

بخل وسخاء

لو سألت البخيل: لماذا تبخل؟ لأجابه:

- لآتي أخشى على نفسي وعلى عقبي الفقر.

- لآتي أحتاج إلى زيادة سمعة، والمال يوقرها لي.

٥٧٤ - بحار الأنوار: ١١٠/٧٥، ب ٤٩ - جامع السعادات: ١٠٩/٢.

٥٧٥ - جامع السعادات: ١٠٩/٢.

٥٧٦ - بحار الأنوار: ١٠٨/٧٥، ب ٤٩ - جامع السعادات: ١٠٩/٢.

٥٧٧ - بحار الأنوار: ١٠٩/٧٥، ب ٤٩ - جامع السعادات: ١٠٩/٢.

٥٧٨ - جامع السعادات: ١٠٩/٢.

٥٧٩ - بحار الأنوار: ١٠٧/٧٥، ب ٤٩ - جامع السعادات: ١٠٩/٢.

٥٨٠ - بحار الأنوار: ١٠٧/٧٥، ب ٤٩ - جامع السعادات: ١٠٩/٢.

- لأني أحبّ المال لذاته.

إنّ ثالث الأقسام هو البخيل (رقم ١) فلماذا يحب الإنسان المال ولا يحب الإحسان والمدح والأجر؟.

إنّه إذا كان للأولين بعض المنطق - المزعوم - فليس للثالث أي منطق، ثمّ نأتي على الأوّلين:

فهل الفقر والغنى بيدك؟ كلا.. إنّ أناساً بخلوا، ولكن لم يغن بخلهم شيئاً فوقعوا فريسة فقر مدقع.. وأناساً كرموا ولم

يسيء إليهم كرمهم، بل زادهم مالاً ومالاً.

يقول الشاعر:

إذا جادت الدنيا عليك فجد بها***على الناس طراً قبل أن تتفلت

فلا الجود مفيها إذا هي أقبلت***ولا البخل مبقياها إذا هي أدبرت

- ثم هل السمعة تزاد بالغنى فقط؟ أليست السمعة من عوامل وفرتها ذكرى حسنة وحب من الناس وولاء؟.

وهناك:

١ - سرف..

٢ - وبخل..

٣ - وجود...

وكلا الأوّلين مذمومان، فمن يبسط يده، حتى لا يبقى له شيء يسد به رمقه، ويقيم به أوده مملقاً منحرفاً... كما إنّ

من يقبض يده، فلا يرحم حتى أصحاب الصفة، بعيد عن موازين الإنسانية مقلوب الفؤاد.

والإسلام يريد العدل والوسط من كل شيء يقول القرآن الحكيم: (وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ

الْبَسْطِ...)(٥٨١).

ويقول: (وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا)(٥٨٢).

أما البخل، فالإسلام يصب نقمته عليه.

(وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخُلُونَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ هُوَ خَيْرًا لَّهُمْ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخُلُوا بِهِ يَوْمَ

الْقِيَامَةِ...)(٥٨٣).

قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): (إياكم والشح! فإنه أهلك من كان قبلكم دعاهم ففسكوا دعاهم، ودعاهم

فاستحلوا محارمهم، ودعاهم فقطعوا أرحامهم)(٥٨٤).

وقال (صلى الله عليه وآله وسلم): (لا يدخل الجنة بخيل، ولا خب، ولا خائن، ولا سيئ الملكة)(٥٨٥).

وقال (صلى الله عليه وآله وسلم): (البخيل بعيد من الله، بعيد من الناس، بعيد من الجنة، قريب من النار، وجاهل

سخي أحب إلى الله من عابد بخيل، وأدوى الداء البخل)(٥٨٦).

وقال (صلى الله عليه وآله وسلم): (الموبيقات ثلاث: شح مطاع، وهوى متبع، وإعجاب المرء بنفسه)(٥٨٧).

وقال (صلى الله عليه وآله وسلم): (إن الله يبغض الشيخ الزاني، والبخيل المنان، والمعيل المختال)(٥٨٨).

٥٨١ - سورة الإسراء: آية ٢٩.

٥٨٢ - سورة الفرقان: آية ٦٧.

٥٨٣ - سورة آل عمران: آية ١٨٠.

٥٨٤ - جامع السعادات: ١١١/٢.

٥٨٥ - جامع السعادات: ١١١/٢.

٥٨٦ - جامع السعادات: ١١١/٢.

٥٨٧ - جامع السعادات: ١١١/٢.

٥٨٨ - جامع السعادات: ١١١/٢.

هذه الأحاديث كلها جليّة الفلّسفة، لا تحتاج إلى شرح وإيضاح ولذا نسردها سرداً وما أجمل هذا الحديث الأخير: إن الشيخ أبعد ما يكون عن الشهوات الجسدية.. فلم يزني؟ والبخيل مبتعد عن الناس لبخله، فما امتنانه والفقير ليس فيه من دواعي الكبر شيء فما اختياله؟.

وقال (صلى الله عليه وآله وسلم): (إياكم والشح فإنما هلك من كان قبلكم بالشح أمرهم بالكذب فكذبوا، وأمرهم بالظلم، فظلموا، وأمرهم بالقطيعة فقطعوا)(٥٨٩) إذ من أركان الصلّة والعدل: المال، فالشح قطع وظلم!.

وقال (صلى الله عليه وآله وسلم): (البخل شجرة تنبت في النار، فلا يلج النار إلا بخيل)(٥٩٠).

وقال (صلى الله عليه وآله وسلم): (خلق البخل من مقت، وجعل رأسه راسخاً في أصل شجرة الزقوم، ودلي بعض أغصانها إلى الدنيا، فمن تعلق بغصن منها أدخله النار، ألا إن البخل من الكفر، والكفر في النار)(٥٩١).

قتل في الجهاد رجل من أصحاب رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فيكته باكية وقالت: وشهيداه، فقال النبي (صلى الله عليه وآله وسلم): (وما يدريك إته شهيد؟ فلعله كان يتكلم بما لا يعنيه، أو يبخل بما لا ينقصه)(٥٩٢).

وقال (صلى الله عليه وآله وسلم): (إن الله يبغض البخيل في حياته والسخي عند موته)(٥٩٣).

وقال (صلى الله عليه وآله وسلم): (السخي الجهول أحبُّ إلى الله عزّ وجل من العابد البخيل)(٥٩٤).

وقال (صلى الله عليه وآله وسلم): (الشح والإيمان لا يجتمعان في قلب واحد)(٥٩٥).

وقال (صلى الله عليه وآله وسلم): (خصلتان لا تجتمعان في مؤمن: البخل وسوء الخلق)(٥٩٦).

وقال (صلى الله عليه وآله وسلم): (لا ينبغي للمؤمن أن يكون بخيلاً ولا جباناً)(٥٩٧).

وقال (صلى الله عليه وآله وسلم): (يقول قائلكم: الشحيح أعذر من الظالم! وأي ظالم أظلم عند الله من الشح؟ حلف الله بعزته وعظمته وجلاله لا يدخل الجنة شحيح ولا بخيل)(٥٩٨).

وقال (صلى الله عليه وآله وسلم): (اللهم إني أعوذ بك من البخل)(٥٩٩).

وقال (صلى الله عليه وآله وسلم): (البخيل مبغض في السماوات، مبغض في الأرضين خلق من طينة سبخة، وماء عينيه من ماء عوسج)(٦٠٠).

وفي الحديث: (إن الله تعالى وكل ملكين، يناديان في كل صباح، اللهم اجعل لكل ممسك تلفاً، ولكل منفق خلفاً).

إلى غيرها.. وغيرها..

والبخل قد يكون تطبّعاً. أما التطبّع فأمره هين، ليس أكثر من تشذيب شجره واجتثاث أصله، والطبع وإن كان صعب العلاج، لكنه ليس عديمه فعلى الإنسان أن يجاهد ويجاهد، حتى يفك أسره من هذه الصفة الخبيثة، التي ما تأتي على شيء إلا تذرّه كالرميم.

-
- ٥٨٩ - جامع السعادات: ١١٢/٢.
 - ٥٩٠ - جامع السعادات: ١١٢/٢.
 - ٥٩١ - جامع السعادات: ١١٢/٢.
 - ٥٩٢ - جامع السعادات: ١١٢/٢.
 - ٥٩٣ - جامع السعادات: ١١٢/٢.
 - ٥٩٤ - جامع السعادات: ١١٢/٢.
 - ٥٩٥ - جامع السعادات: ١١٢/٢.
 - ٥٩٦ - جامع السعادات: ١١٢/٢.
 - ٥٩٧ - جامع السعادات: ١١٢/٢.
 - ٥٩٨ - جامع السعادات: ١١٢/٢.
 - ٥٩٩ - جامع السعادات: ١١٢/٢.
 - ٦٠٠ - جامع السعادات: ١١٦/٢.

أما الجود فما أحسنه من صفة، وأجمله من أرومة ينتحله حتى البخيل ويعذب لفظه عند الجميع، وبعد ذلك كله لا يزيد المرء إلا علواً، ولا يحصل الرجل المتّصف به إلا ارتفاعاً.

والإسلام يحرص عليه، حرصه على مكارم الصفات ومحاسن الأخلاق.

قال النبي (صلى الله عليه وآله وسلم): (إن الله جواد يحب الجود، ويحب معالي الأخلاق ويكره سفاسفها)(٦٠١).

وقال (صلى الله عليه وآله وسلم): (إن السخي قريب من الله، قريب من الناس قريب من الجنة، بعيد من

النار)(٦٠٢).

وقال (صلى الله عليه وآله وسلم): (الشاب سخي مرهق في الذنوب، أحب إلى الله من شيخ عابد بخيل)(٦٠٣).

ولا غرابة في ذلك فإن البخل مرض قاس، ومن ينتقل بين أمراض يرجى له الأبلال، أما من لازمه مرض فلا يرجى

له زوال...

وقال (صلى الله عليه وآله وسلم): (السخاء شجرة من شجر الجنة أغصانها متدلّية إلى الأرض، فمن أخذ منها

غصناً، قاده ذلك الغصن إلى الجنة)(٦٠٤).

وقال (صلى الله عليه وآله وسلم): (إن السخاء من الإيمان، والإيمان في الجنة)(٦٠٥).

وقال (صلى الله عليه وآله وسلم): (السخاء شجرة تنبت في الجنة فلا يلج الجنة إلا سخي)(٦٠٦).

وقال (صلى الله عليه وآله وسلم): (قال الله سبحانه: إن هذا دين ارتضيته لنفسي ولن يصلحه إلا السخاء، وحسن

الخلق، فأكرموه بهما ما استطعتم)(٦٠٧).

وقال (صلى الله عليه وآله وسلم): (ما جعل الله أولياءه إلا على السخاء وحسن الخلق)(٦٠٨).

وقال (صلى الله عليه وآله وسلم): (إن من موجبات المغفرة بذل الطعام، وإفشاء السلام وحسن الكلام)(٦٠٩).

وقال (صلى الله عليه وآله وسلم): (تجافوا عن ذنب السخي، فإن الله أخذ بيده كلما عثر)(٦١٠).

وهكذا يكون في المجتمع، فإن السخي يغطي سخاؤه سيئاته، وبالعكس تماماً من البخيل فإن البخل يبدي العورات.

أرأيت لو زاحمك أحد في المجلس لكنه كان محسناً إليك، تبدو مزاحمته كلا شيء وبالعكس من ذلك لو كان بخيلاً لم يسد

إليك معروفاً أبداً، فإنك تراه أثقل من الجبال، وهكذا... وهكذا..

وقال (صلى الله عليه وآله وسلم): (طعام الجواد دواء، وطعام البخيل داء)(٦١١).

إن نفسه تؤثر في الطعام، وللنفس تأثير كبير، كما ثبت في علم النفس بالإضافة إلى التأثيرات الواقعية.

وقال (صلى الله عليه وآله وسلم): (أفضل الأعمال الصبر والسماحة)(٦١٢).

وقال (صلى الله عليه وآله وسلم): (خلقان يحبهما الله وهما: حسن الخلق، والسخاء)(٦١٣).

٦٠١ - جامع السعادات: ١١٥/٢.

٦٠٢ - جامع السعادات: ١١٥/٢.

٦٠٣ - مكارم الأخلاق: ١٣٦ - جامع السعادات: ١١٥/٢.

٦٠٤ - جامع السعادات: ١١٤/٢.

٦٠٥ - جامع السعادات: ١١٤/٢.

٦٠٦ - جامع السعادات: ١١٤/٢.

٦٠٧ - جامع السعادات: ١١٤/٢.

٦٠٨ - جامع السعادات: ١١٤/٢.

٦٠٩ - جامع السعادات: ١١٤/٢.

٦١٠ - جامع السعادات: ١١٥/٢.

٦١١ - جامع السعادات: ١١٥/٢.

٦١٢ - جامع السعادات: ١١٥/٢.

٦١٣ - جامع السعادات: ١١٥/٢.

وقال (صلى الله عليه وآله وسلم): (الرزق إلى مطعم الطعام أسرع من السكين إلى ذروة البعير، وإن الله تعالى ليباهي مطعم الطعام الملائكة عليهم السلام)(٦١٤).

وقال (صلى الله عليه وآله وسلم): (إن لله عباداً يخصصهم بالنعم لمنافع العباد، فمن بخل بتلك المنافع من العباد، نقلها الله عنه، وحوّلها إلى غيره)(٦١٥).

وقال (صلى الله عليه وآله وسلم): (الجنة دار الأسخياء)(٦١٦).

وهل يريد الشخص أكثر من هذا حتى يكون سخيّاً؟ إنّه ينفعه في دينه ودنياه حسناً، مع الغض عن هذه الأحاديث. وما أجمل قوانين الإسلام وشرائع السماء.. وهل فوق هذا مزيد؟ نعم فاسمع:

وقال (صلى الله عليه وآله وسلم): (اصنع المعروف إلى من هو أهله وإلى من ليس بأهله، فإن أصبت أهله، فقد أصبت أهله، وإن لم تصب أهله، فأنت من أهله)(٦١٧).

إن هذا الحديث - على وجازته - يستوقف الإنسان ليتأمل مدى إصابته لكبد الحق، وكيف أنه يسد طريق البخلاء وتاركي المعروف لعل مختلفة تفيدهم الفرار عن إسداء العون إلى العباد.

وقال (صلى الله عليه وآله وسلم): (إن بدلاء أمتي لم يدخلوا الجنة بصلاة ولا صيام ولكن دخلوها بسخاء الأتفس، وسلامة الصدور، والنصح للمسلمين)(٦١٨).

وقال (صلى الله عليه وآله وسلم): (إن الله عز وجل جعل للمعروف وجوهاً من خلقه، حيب إليهم المعروف وحبب إليهم فعالة ووجه طلاب المعروف إليهم ويسر عليهم إعطاءه كما يبسر الغيث إلى البلدة الجدبة فيحييها ويحيي بها أهلها)(٦١٩).

وقال (صلى الله عليه وآله وسلم): (السخي محبب في السماوات ومحبب في الأرضين خلق من طينة عذبة، وخلق ماء عينيه من ماء الكوثر)(٦٢٠).

وقال (صلى الله عليه وآله وسلم): (إن أفضل الناس إيماناً: أبسطهم كفاً)(٦٢١).

وقال (صلى الله عليه وآله وسلم): (يوثى يوم القيامة برجل، فيقال: احتج، فيقول: يا رب، خلقتني وهديتني وأوسعت علي، فلم أزل أوسع على خلقك وأنشر عليهم لكي تنشر عليّ هذا اليوم رحمتك وتيسره، فيقول الرب تعالى ذكره: صدق عبدي أدخلوه الجنة)(٦٢٢).

وقال (صلى الله عليه وآله وسلم): (كل معروف صدقة، والodal على الخير كفاعله، والله تعالى يحب إغاثة اللهفان)(٦٢٣).

وقال (صلى الله عليه وآله وسلم): (كل معروف صدقة، وكلما أنفق الرجل على نفسه وأهله كتب له صدقة، وما وقى المرء به عرضه فهو له صدقة، وما أنفق الرجل من نفقة فعلى الله خلفها)(٦٢٤).

٦١٤ - جامع السعادات: ١١٥/٢.

٦١٥ - جامع السعادات: ١١٥/٢.

٦١٦ - جامع السعادات: ١١٥/٢.

٦١٧ - جامع السعادات: ١١٥/٢.

٦١٨ - جامع السعادات: ١١٥/٢.

٦١٩ - جامع السعادات: ١١٥/٢.

٦٢٠ - جامع السعادات: ١١٦/٢.

٦٢١ - جامع السعادات: ١١٦/٢.

٦٢٢ - جامع السعادات: ١١٦/٢.

٦٢٣ - جامع السعادات: ١١٧/٢.

٦٢٤ - جامع السعادات: ١١٦/٢.

وفي الحديث: (إن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) أتاه وفد من اليمن وفيهم رجل كان أعظمهم كلاماً، وأشدهم استقصاءً في محاجة النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) حتى التوى عرق الغضب بين عينيه، وتربد وجهه وأطرق إلى الأرض فأتاه جبرائيل (عليه السلام) فقال: ربك يقروك السلام ويقول لك: هذا رجل سخي يطعم الطعام، فسكن عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) الغضب ورفع رأسه، وقال:

لولا أن جبرائيل أخبرني عن الله عز وجل إنك سخي تطعم الطعام لشردت بك، وجعلتك حديثاً لمن خلفك! فقال له الرجل: إن ربك يحب السخاء؟ فقال: نعم.

فقال: إني أشهد أن لا إله إلا الله، وإنك رسول الله، والذي بعثك بالحق لا رددت عن مالي أحداً (٦٢٥). ويعضد هذا الحديث ما روي:

(إن الله أوحى إلى موسى (عليه السلام): لا تقتل السامري فإنه سخي) (٦٢٦).

وقال المسيح (عليه السلام): (استكثروا من شيء لا تأكله النار، قيل: وما هو؟ قال: المعروف) (٦٢٧).

وقال أمير المؤمنين (عليه السلام): (ومن يبسط يده بالمعروف إذا وجده يخلف الله له ما أنفق في دنياه، ويضاعف له في آخرته) (٦٢٨).

وقال الإمام الباقر (عليه السلام): (إن الشمس لتطلع ومعها أربعة أملاك: ملك ينادي: يا صاحب الخير أتم وأبشر. وملك ينادي: يا صاحب الشر أنزع واقصر. وملك ينادي: أعط منفقاً خلفاً وأت ممسكاً تلفاً. وملك ينضح الأرض بالماء ولولا ذلك اشتعلت الأرض) (٦٢٩).

وربما ينبري بعض المثقفين! قانلاً: وما الملك؟ فإنا لا نراه ثم ما نزع الأرض بالماء، والإجابة بسيطة جداً: فليس كل شيء يرى. فما هو العقل؟ وما هي الروح التي يستحضرها التنويم؟ وما هو الأثير؟ وما هو؟ وما هو؟! ونضح الأرض بالماء بواسطة هذه المياه التي تتكون في الليل وتتساقط بالنهار وغيرها.. إن لهذه الأمور عللاً، وما المانع من أن يكون الفاعل لهذه ملكاً؟.

إن من يؤمن بالله واليوم الآخر لا يتردد في قبول كل ما جاء به الوحي أو فاه به الرسول والأنمة (عليهم السلام) وإن لم يعرفه وكيف له حق الإنكار، وهو لا يعلم أكثر ما في السماوات والأرض ولا يعرف أجزاء بدنه الذي هو هو؟! وقال الإمام الصادق (عليه السلام) - لبعض جلسائه -: (ألا أخبرك بشيء تقرب به من الله، وتقرب من الجنة وتباعد من النار) (٦٣٠).

فقال: بلى، فقال: عليك بالسخاء).

وقال: (خياركم سمحاؤكم وشراركم بخلاؤكم ومن خالص الأيمان: البر بالإخوان والسعي في حوائجهم. وإن البار بالإخوان ليحبّه الرحمن، وفي ذلك مرغمة للشيطان، وتزحزح عن النيران، ودخول الجنان) (٦٣١).

وقال الإمام الكاظم (عليه السلام): (السخي الحسن الخلق في كنف الله لا يستخلي الله منه حتى يدخل الجنة، وما بعث الله نبياً ولا وصياً إلا سخيّاً، ولا كان أحد من الصالحين إلا سخيّاً، وما يزال أبي يوصيني بالسخاء حتى مضى) (٦٣٢).

٦٢٥ - جامع السعادات: ١١٦/٢.

٦٢٦ - جامع السعادات: ١١٧/٢.

٦٢٧ - جامع السعادات: ١١٧/٢.

٦٢٨ - جامع السعادات: ١١٧/٢.

٦٢٩ - جامع السعادات: ١١٧/٢.

٦٣٠ - جامع السعادات: ١١٧/٢.

٦٣١ - مكارم الأخلاق: ١٣٦ - جامع السعادات: ١١٧/٢.

أما السرف فإنه حمق وتعريض بالنفس إلى المذلة والمهانة وتحطيم للمستقبل، إن من أسرف لا يزال يسرف، حتى تخلو يده من المال وهنا لا بد له من سؤال لقمة العيش وكم في ذلك من ذلة ومهانة. ولذا فإن الإسلام يذم السرف على حد ذمه للترف، إته يريد إنساناً وسطاً لا متلاًفاً ولا ممسكاً، وعلى ضوء هذه القاعدة نرى إن الإسلام جعل قانوناً لإبقاء المال في صناديق المبذرين على حد جعله قانوناً لآخراج المال من صناديق البخلاء فمن يسرف سفهاً يحجر عليه، كما إن من يمنع عن الزكاة والخمس يؤخذ منه المال قسراً.

وإذا فكر المسرف قليلاً، واستجوب نفسه ساعة:

لم يسرف؟ لم يبدد ثروته شذراً مذبذباً؟ لم يضع المال في غير موضعه؟ لم يجد إلا لأنه سفيه والعمل سفهائي. إن المال قيام الأنفس، به يصلح الإنسان معاشه ومعاذه ومنه يحصل غذاءه ولباسه ومسكنه فلماذا يهدره في ما لا يصلح بل يفسد والى هذا تشير الآية الكريمة:

(وَلَا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ الَّتِي جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ قِيَامًا...)(٦٣٣).

الإيثار

الإنسان قد يجود بشيء من مال أو كساء أو غذاء وهو غني عن ذلك وهذا هو الجود الممدوح عند العقل والشرع وقد يجود الإنسان بشيء وهو محتاج إليه وهذا أفضل من الأول لأنه جاد عن ظهر غنى، وهذا جاء عن واقع حاجته، ويعبر عن هذه الخصلة بـ (الإيثار).

وما أجملها من صفة وأكرمها من فضيلة: انه يعطي ما يحتاج إليه! وكم بين هذا الشخص وبين من لا يعطي وهو لا يحتاج!

والإسلام يؤكد على الإيثار تأكيداً بليغاً ويعد عليه من الثواب والجزاء ما لا يجده للأسخياء يقول القرآن الحكيم في الثناء على هؤلاء:

(وَيُؤْتِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ)(٦٣٤).

وقال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): (أبما إمريء اشتهى شهوة فرد شهوته وأثر على نفسه، غفر له)(٦٣٥).

وسئل عن الصادق (عليه السلام): أي الصدقة أفضل؟ قال (عليه السلام):

(جهد المقل، أما سمعت قول الله عز وجل: (ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة)(٦٣٦).

إن المقل الذي يجهد فيبذل ما عنده لمرضاة الله وبه خصاصة واحتياج لهو من أفضل الناس إنه أثر غيره على نفسه.

٦٣٢ - جامع السعادات: ١١٧/٢.

٦٣٣ - سورة النساء: آية ٥.

٦٣٤ - سورة الحشر: آية ٩.

٦٣٥ - جامع السعادات: ١٢٠/٢.

٦٣٦ - جامع السعادات: ١٢٠/٢.

وقد كان النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وعلي والزهراء والأئمة (عليهم السلام) من أروع الأمثلة للإيثار فقد كانوا يؤثرون على أنفسهم بقوتهم ولباسهم ومسكنهم وضياعهم مما هو مذكور في كتب السير والتواريخ فعلى المسلم أن يقتدي بهم: (لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ) (٦٣٧).

الثروة

يرى الإسلام المال مال الله، جعل عباده مستخلفين فيه، ليمتحنهم أيهم أحسن عملاً؟. وقد جعل سبحانه - حسب حكمته البالغة - المال موزعاً بين الناس توزيعاً متفاضلاً. فمنهم من لا يملك ومنهم من يملك قليلاً ومنهم من يملك كثيراً، ذلك ليتسبب النظام ويصلح المجتمع، فلو كان الكل أغنياء بقيت كثرة من الأعمال بلا عامل، فمن يكنس ومن يغسل ومن يرحض ومن يسهر ليله كله لدراهم قليلة؟؟ ومن؟ ومن؟ ولو كان الكل فقراء فمن يجلب الطعام؟ ومن يستورد البضائع؟ ومن يصدر الفائض من الأموال؟ ومن؟ ومن؟. وبمثل هذه النسبة تتعطل الأعمال لو كان الكل متوسطين، فإن ذلك يوجب وقوف بعض الأعمال المتطلبة لطائل الثروة وبعض الأعمال التي لا يأتيها إلا من اشتدت فاقته وبأي حال يقف رحي الكون ودولاب الاجتماع عن الدوران. وهكذا جعل الله وهكذا تقتضي الحكمة.

ولكن قد علم الله سبحانه إن هذا التوزيع ينجم عنه أمران يسببان انهيار المجتمع:

١ - ترف الأغنياء.

٢ - مسكنة الفقراء.

فإن الغني إذا رأى ثروته الطائلة لا بد وأن يطغى ويصرف فاضل ماله في اللهو واللعب، والخمور والفجور وأحضان الترف وأعطاف السرف.

والفقير إذا لم يحصل على عمل أو مرض أو عطب لا بد وأن يبقى بلا غذاء وكساء ومسكن ومصح ومن جراء هذين العاملين يتوزع المجتمع إلى طبقتين دانية وقاصية، لا بد وأن ينجم عن ذلك حزازات وشحناء وعداء وبغضاء بالإضافة إلى أن بقاء الفقير يكابد المسكنة تعداً وظلم، وإطلاق سراح الغني يعمل ما يشاء جور وإجحاف بالمجتمع. فما هو العلاج؟.

إن الله كان قد عرف الأمرين وحل المشكلتين من يوم أن خلق العالم. وكيف الحل؟.

انه تعالى - أولاً - حرم السرف والترف، والخمور والفجور، وصب كل لعنته ونقمته على من يتعاطى هذه الأمور، وذلك ليس لأجل الفقير والمجتمع فحسب، بل لأجل الغني نفسه، إن الترف والسرف يوجبان الترهل، والبطالة مفتاح الآفات.. والخمور والفجور توجبان الأمراض والأسقام والأدواء والآلام، فتحريمها وجعل العقوبات الصادقة لمتعاطيها وقاية للغني والفقير والمجتمع على حد سواء عن كل انحراف ومرض.

و - ثانياً - أوجب للفقراء والمساكين والمصالح العامة حقوقاً، في أموال الأغنياء تتكافأ وحوانجهم، فلا يبقى، في المجتمع فقير ولا مصلحة معطلة.

وبهذه الخطة الحكيمة، جمع الإسلام بين:

- ١ - حرية العمل والتجارة وجمع الثروة.
- ٢ - والمسايرة مع الرغبة الأصلية في النفس من حب المال.
- ٣ - وحفظ الأغنياء من الإفراط في الترف والترهل.
- ٤ - وضمان الطبقة الضعيفة فقيراً كان أم مريضاً أم عاجزاً.
- ٥ - سد فراغ المصالح العامة حتى لا تبقى مصلحة من غير رصيد فيا لها من خطة حكيمة، وشريعة عادلة وقانون عظيم!!!.

الزكاة

إنها إحدى تشريعات الإسلام التي جعلها لسد فراغ الفقر والمصالح العامة وهي تتعلق - على نحو الوجوب - بتسعة أشياء وهي:

الغلات الأربع: الحنطة، الشعير، التمر، الزبيب.

الأنعام الثلاثة: الإبل، البقر، الغنم.

النقدان: الذهب، والفضة.

وتستحب في مال التجارة، والخيل وغيرهما.

ولها مقادير معينة، وأنصبة معلومة وأوقات محدودة ومصارف خاصة، يفصلها الفقه الإسلامي.. وليس هنا محل تفصيلها وإنما القصد الإلماح إلى أصل وجوب هذه الفريضة المالية التي قررها الإسلام كضريبة على هذه الأشياء المعينة.

وفي الآيات القرآنية والسنة المطهرة تأكيدات حول هذا التشريع وقد كانت الزكاة - أيام الدولة الإسلامية التي انهارت منذ نصف قرن - تجنى بصورة منظمة تحت نظام الدولة. أما بعد دخول المستعمرين بلاد المسلمين وتبديلهم قوانين الأجانب بقوانين الإسلام! فقد تخلت مكانها ليقع شاغراً: وتجبي بدلها الضرائب المستوردة!!.

وعلى أي فقد حث الإسلام على هذه الفريضة العظيمة.

وقال سبحانه: (وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ...) (٦٣٨).

وقال تعالى: (...وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يُنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ، يَوْمَ يُحْمَى عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَى بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ هَذَا مَا كُنْتُمْ لَأَنْفُسِكُمْ تَدْبُرُونَ) (٦٣٩).

وعن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) أنه قال: (إذا منعت الزكاة منعت الأرض بركاتها) (٦٤٠).

إن منع الأرض بركاتها طبيعية بمقدار كونه بإرادة خارقة من الله تعالى إذ الزكاة نظام الاجتماع وبها ينظر الفقير - ومنه الفلاح ونحوه - إلى المثري نظر احترام، وتنشطه إلى العمل أكثر فأكثر وهذه بدورها سبب لزيادة النشاط الذي يسبب وفرة الإنتاج.

٦٣٨ - سورة البقرة: آية ١١٠.

٦٣٩ - سورة التوبة: الآيتان ٣٤ - ٣٥.

٦٤٠ - جامع السعادات: ١٢٥/٢.

وقال الإمام الباقر (عليه السلام): (إن الله عز وجل قرن الزكاة بالصلاة فقال: (وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة) فمن أقام الصلاة ولم يؤت الزكاة، فلم يقيم الصلاة)(٦٤١).

وقال الإمام الصادق (عليه السلام): (ما من ذي مال ذهب وفضة، يمنع زكاة ماله، إلا حبسه الله يوم القيامة بقاع قرقر! وسلط عليه شجاعاً أقرع يريد به وهو يحيد عنه، فإذا رأى أنه لا يتخلص منه، أمكنه من يده، ففضمها كما يفضم الفجل! ثم يصير طوقاً في عنقه وذلك قول الله عز وجل: (... سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ...)(٦٤٢).

وما من ذي مال إبل أو غنم أو بقر، يمنع زكاة ماله إلا حبسه الله يوم القيامة بقاع قرقر تطأه كل ذات ظلف بظلفها وتنهشه كل ذات ناب بنابها.

وما من ذي مال نخل أو كرم أو زرع يمنع زكاتها إلا طوقه الله تعالى ربيعة أرضه إلى سبع أرضين إلى يوم القيامة)(٦٤٣).

وقال (عليه السلام): (ما فرض الله على هذه الأمة شيئاً أسد من الزكاة وفيها تهلك عامتهم)(٦٤٤).

انه مال! ومتى يسخو الإنسان بماله؟ وهذا الكلام من الصدق بمكان: إنا نرى الناس - اليوم - يحجون ويصومون وهكذا - بكثرة - أما المزكي فقليل وقليل جداً.

وقال (عليه السلام): (من منع قيراطاً من الزكاة، فليس بمؤمن ولا مسلم وهو قوله تعالى: (... قَالَ رَبِّ ارْجِعُون، لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحاً فِيمَا تَرَكْتُ...)(٦٤٥)(٦٤٦).

ولا عجب من هذا الحديث فإن المؤمن هو الذي يعمل بشرائط الإيمان والمسلم هو الذي يعمل بشرائط الإسلام والزكاة من الإسلام ومن الإيمان فتاركها ليس بهما.

وقال (عليه السلام): (إن الزكاة ليس يحمد بها صاحبها، وإنما هي شيء ظاهر، حقن بها دمه وسمي بها مسلماً ولو لم يؤدها لم تقبل له صلاة)(٦٤٧).

وقال (عليه السلام): (إنما وضعت الزكاة اختباراً للأغنياء، ومعونة للفقراء ولو أن الناس أدوا زكاة أموالهم ما بقي مسلم فقيراً محتاجاً ولا استغنى بما فرض الله له وإن الناس ما افتقروا ولا احتاجوا ولا جاعوا ولا عروا إلا بذنوب الأغنياء، وحقيق على الله أن يمنع رحمته ممن منع حق الله في ماله.

وأقسم بالذي خلق الخلق، وبسط الرزق: إنه ما ضاع مال في بر ولا بحر إلا بترك الزكاة، وما صيد صيد في بر ولا بحر إلا بتركه التسبيح في ذلك اليوم.

وإن أحب الناس إلى الله تعالى: أسخاكم كفاً وأسخرى الناس من أدى زكاة ماله، ولم يبخل على المؤمنين بما افترض الله لهم في ماله)(٦٤٨).

إلى غير ذلك من الروايات الكثيرة.

ولكن.. كم تقدر من يؤدي هذا الواجب؟ إنه قليل وأقل من القليل!

وهل نفع المنع؟ كلا بل عاد بالضرر على المالك وعلى الفقير - على حد سواء - فالمالك يعاني الضرائب المرهقة

وغيض الفقراء وغضبهم وانتقامهم في ثارات. والفقير يعاني آلام الفقر ووخزات المسكنة.

٦٤١ - جامع السعادات: ١٢٥/٢.

٦٤٢ - سورة آل عمران: آية ١٨٠.

٦٤٣ - جامع السعادات: ١٢٥/٢.

٦٤٤ - جامع السعادات: ١٢٥/٢.

٦٤٥ - سورة المؤمنون: الآيتان ٩٩ - ١٠٠.

٦٤٦ - جامع السعادات: ١٢٦/٢.

٦٤٧ - جامع السعادات: ١٢٦/٢.

٦٤٨ - جامع السعادات: ١٢٦/٢.

ولماذا يمنعون - بعد كل ذلك -؟ ليس له سبب إلا الشره والتكالب على الحطام!!

كيف تعطي

قد حد الإسلام حدود كل شيء، لم يترك صغيراً ولا كبيراً إلا أحصاه وهذا من خواص الإسلام وحده. فلا الأديان ولا المبادئ بهذا الشمول والاستيعاب!

وقد جعل الإسلام لكل من معطي الزكاة وسائر الصدقات ومن أخذها موازين وحدوداً نذكر بعضها استطراداً: من اللازم على من يدفع الصدقة أن يجتنب المن والأذى فلا يمن على الفقير ولا يؤذيه بيد ولا لسان ولا همز ولا لمز، حتى إنه يكره له أن يتوقع من الفقير احتراماً فوق ما كان يتوقع منه حال عدم دفعها له ولم يتوقع؟ إنه جلب لنفسه مرضاة الله وخير الدنيا. إنك إذا أعطيت المهندس ثمناً لتعبه على دارك فهل تتوقع منه احترامك؟ كلا! لأنه ثمن إزاء عمل وكذا الصدقة إنها مال إزاء أجر في الأولى والأخرى فلماذا المن والأذى؟
إنه ترك الصدقة بقول حسن أفضل من الصدقة بإيذاء!

يقول الله تعالى: (قَوْلٌ مَعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِنْ صَدَقَةٍ يَتَّبَعُهَا أَدَى...) (٦٤٩).

وهو كذلك: إن الصدقة لقلع الغلّ من الصدور وثواب الآخرة والإيذاء يكثر الغل، ويذهب بالأجر، فتركها أفضل. قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): (إن الله تبارك وتعالى كره لي ست خصال، وكرهتهن للأوصياء من ولدي وأتباعهم من بعدي:

١ - العبث في الصلاة.

٢ - والرفث في الصوم.

٣ - والمن بعد الصدقة.

٤ - وإتيان المساجد جنباً.

٥ - والتطلع في الرfid.

٦ - والضحك بين القبور) (٦٥٠).

وقال أمير المؤمنين (عليه السلام): (ومن علم إن ما صنع إنما صنع لنفسه، لم يستبطنه الناس في شكرهم، ولم يستزدهم في مودتهم، فلا تلمس من غيرك شكر ما أتيت إلى نفسك، ووقيت به عرضك، واعلم إن الطالب إليك لحاجة لم يكرم وجهه عن وجهك، فأكرم وجهك عن رده) (٦٥١).

وقال الإمام الصادق (عليه السلام): (رأيت المعروف لا يصلح إلا بثلاث خصال: تصغيره، وتسنيره وتعجيله!!!).

فأنت إذا صغرته عظمته عند من تصنعه إليه.

و إذا سترته تمته.

وإذا عجلته هئأته.

وإن كان غير ذلك محقته ونكدته) (٦٥٢).

وقال (عليه السلام): (إذا أعطيته فأغنه).

وقال أمير المؤمنين (عليه السلام): (إذا ناولتم السائل، فليرد الذي ناوله يده إلى فيه فليقبلها فإن الله عز وجل يأخذ

الصدقات) (٦٥٣).

٦٤٩ - سورة البقرة: آية ٢٦٣.

٦٥٠ - جامع السعادات: ١٣١/٢.

٦٥١ - جامع السعادات: ١٣٢/٢.

٦٥٢ - جامع السعادات: ١٣٣/٢.

ومعنى أخذه تعالى أنه يتقبلها بقبول حسن، ولذا ورد في الحديث: إن الصدقة تقع في يد الله!!
قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): (ما تقع صدقة المؤمن في يد السائل حتى تقع في يد الله)(٦٥٤).
ثم تلا هذه الآية: (أَمْ لَمْ يَعْمُوا أَنَّ اللَّهَ هُوَ يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَأْخُذُ الصَّدَقَاتِ...)(٦٥٥).
وقال الإمام الصادق (عليه السلام): (إن الله تعالى يقول: ما من شيء إلا وكلت به من يقبضه غيري، إلا الصدقة فإني أتلقفها بيدي تلقفاً، حتى إن الرجل ليتصدق بالتمر أو بشق تمر، فأربيها له كما يربي الرجل فلوله وفصيله. فتأتي يوم القيامة وهي مثل أحد وأعظم من أحد)(٦٥٦).
ثم إن الإسلام قد ندب إلى المعطي أن يطلب من السائل الدعاء له. وفي ذلك فائدتان: طبيعته وتفضيلته، أما الطبيعة فلأن للكلام إحياءً نفسياً، يسير على هديه الإنسان - ولو كان قلبه، بادئ ذي بدء مخالفاً لما فاه به - فإن للكلام أثراً في القلب من غير فرق بين الملقى والملقى إليه وهذا - بدوره - يكفي لغسل السخائم، ودحض البغضاء، وقلع الشحناء عن القلوب، وتكرار مثل هذا الإحياء كفيلاً بأن يفيض على النفس ملكة للمجتمع وأكبر بهذا من أثر عظيم!!
وأما التفضيلة فلأن الله تعالى وعد بذلك وهو لا يخلف الميعاد:
روي: (كان علي بن الحسين (عليهما السلام) يقول للخادم إذا أعطى السائل أن يأمره بأن يدعو بالخير.
وكان يقول - للخادم -: أمسك قليلاً حتى يدعو فإن دعوة السائل الفقير لا ترد)(٦٥٧).
وعن أحد الباقرين عليهما السلام: (إذا أعطيتهم فلقنوهم الدعاء فإنه يستجاب لهم فيكم ولا يستجاب لهم في أنفسهم)(٦٥٨).
والأفضل تخصيص الأقارب والأرحام والمؤمنين ومن أشبه بالصدقات قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم):
(لا يأكل طعامك إلا تقي)(٦٥٩).
وقال (صلى الله عليه وآله وسلم): (إطعموا طعامكم الأتقياء)(٦٦٠).
وقال (صلى الله عليه وآله وسلم): (أضف بطعامك من تحبه في الله)(٦٦١).
وقال أمير المؤمنين (عليه السلام): (لئن أصل أحمأ من إخواني بدرهم، أحب إلي من أن أتصدق بعشرين درهماً، ولئن أصله بعشرين درهماً أحب إلي من أن أتصدق بمائة درهم، ولئن أصله بمائة درهم أحب إلي من أن أعتق رقبة)(٦٦٢).
وفي الخبر: (لا صدقة وذو رحم محتاج)(٦٦٣).
وفي خبر آخر: (إن أفضل الصدقات الإنفاق على ذي الرحم الكاشح)(٦٦٤) والكاشح: هو الذي طوى كشحه معرضاً وأفضليته معلومة إنه رحم وكاشح وفقير فالإنفاق عليه يزيح عنته وصلة لرحمه ودحض لغضبه ودخيلة نفسه!!

- ٦٥٣ - جامع السعادات: ١٣٤/٢.
٦٥٤ - جامع السعادات: ١٣٤/٢.
٦٥٥ - سورة التوبة: آية ١٠٤.
٦٥٦ - جامع السعادات: ١٣٥/٢.
٦٥٧ - جامع السعادات: ١٣٥/٢.
٦٥٨ - جامع السعادات: ١٣٥/٢.
٦٥٩ - جامع السعادات: ١٣٦/٢.
٦٦٠ - جامع السعادات: ١٣٦/٢.
٦٦١ - جامع السعادات: ١٣٦/٢.
٦٦٢ - جامع السعادات: ١٣٧/٢.
٦٦٣ - جامع السعادات: ١٣٧/٢.
٦٦٤ - جامع السعادات: ١٣٧/٢.

ثم إنه ينبغي للفقير الأخذ: أن يشكر المعطي ويدعو له، إنه إحسان في مقابلة إحسان وتأليف للقلوب وتبادل للوداد فالغني يشبع حاجة الفقير الجسدية والفقير يشبع روح المعطي فرحاً وابتهاجاً.

ولذا قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): (من لم يشكر الناس لم يشكر الله) (٦٦٥).

فإنه لم يشكر الله لأنه أمره بالشكر فلم يمتثل ثم النفس الشكور تشكر كل منعم ومتفضل فعدم الشكر كاشف عن ملكة سيئة في النفس وهي تبعث على عدم شكر الله وبين هذين الشكرين تلازم كما إن بين كفران نعم الخالق وكفران فضل المخلوق أيضاً تلازماً!!

وقال الإمام الصادق (عليه السلام): (لعن الله قاطعي سبيل المعروف قيل: وما قاطعو سبل المعروف؟ قال: الرجل يصنع إليه المعروف فيكفره فيمنع صاحبه من أن يصنع ذلك إلى غيره) (٦٦٦).

وليس هذا خاصاً بالفقير بل الإسلام يرى المكافأة بالحسنى أدباً راقياً ويأمر به حتى تستحكم وشائج الاجتماع المتحاب وأنما يأمر بالشكر اللساني وما أشبهه من حيث لا يتمكن الفقير على مزيد من ذلك وإلا فيندب إلى المكافأة بالمثل وأكثر:

(وَإِذَا حَبِيْبٌ بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوْهَا...)(٦٦٧) هكذا يقول القرآن الحكيم!!!.

ويقول الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام): (من صنع بمثل ما صنع إليه فإنما كافاه، ومن ضعفه كان شكوراً ومن شكر كان كريماً) (٦٦٨).

تزكية البدن

لكل ما وهب للإنسان من بدن وروح ومال تزكية وتنمية.

وليس القصد من تنمية البدن وتزكيته التوصل إلى اكتناز العضلات بالرياضة البدنية وإنما القصد تطهير الجسم عن القذارات المعنوية وتطهير الروح بالآلام والأسقام فإن من يصرف أجهزة جسمه إلى حيث الفضيلة والأخلاق يزكي جسمه وروحه ومن يصاب بالآم وأوصاب يزكي روحه ونفسه ولذا يتوسم الإسلام الخير في الطوارئ المؤذية إذا تمكن الشخص من الاستفادة منها والاستقاء من وحيها الأليم.

قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) - يوماً لأصحابه -: (ملعون كل مال لا يزكى، ملعون كل جسد لا يزكى، ولو في كل أربعين يوماً مرة).

قيل له: يا رسول الله أما زكاة المال فقد عرفناها، فما زكاة الأجساد؟

قال (صلى الله عليه وآله وسلم): (أن يصاب بأفة!!)

فتغيرت وجوه الذين سمعوا منه ذلك.

فلما رأهم قد تغيرت ألوانهم قال:

(هل تدرون ما عنيت بقولي؟)

٦٦٥ - جامع السعادات: ١٣٨/٢.

٦٦٦ - جامع السعادات: ١٣٨/٢.

٦٦٧ - سورة النساء: آية ٨٦.

٦٦٨ - جامع السعادات: ١٣٨/٢.

فقالوا: لا يا رسول الله!؟

قال (صلى الله عليه وآله وسلم): (إن الرجل يخدش الخدشة وينكب النكبة، ويعثر العثرة، ويمرض المرضى ويشاك الشوكة وما أشبه هذا.. حتى ذكر في حديثه اختلاج العين)(٦٦٩).

إنها زكاة الأبدان وتطهير لها عن الغلظة والقسوة والتهور.. إنها تعلم الإنسان الرأفة والرقّة والرحمة إنها توحى إلى الإنسان بالهدوء والسكينة وحب المسكين والأرملة.

وإضافة إلى ذلك. إن الإنسان إذا علم بهذه الحقيقة المهمة استغلها لتشفيف روحه وترقيتها بالفضيلة والخير، وترقية مشاعره وترقيق حواسه وما أعظمها - إذًا - من نعمة وزكاة!!.

والى هذا يشير النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) في قوله: (لكل شيء زكاة وزكاة الأبدان الصيام)(٦٧٠).

إن الصيام ترقيق وتطهير وتنمية!!.

ويروى عن الإمام الصادق (عليه السلام) تفصيل لهذه الحقيقة قال (عليه السلام): (على كل جزء من أجزائك زكاة واجبة لله عزّ وجلّ).

بل على كل منبت شعر من شعرك.

بل على كل لحظة من لحظاتك زكاة!

فزكاة العين: النظرة بالعبرة، والغض عن الشهوات، وما يضاهاها

وزكاة الأذن إستماع العلم، والحكمة، والقرآن، وفوائد الدين من الموعظة والنصيحة، وما فيه نجاتك، وبالإعراض عمّا هو ضدّه من الكذب والغيبة وأشباههما!

وزكاة اللسان: النصح للمسلمين، والתיقظ للغافلين، وكثرة التسبيح، والذكر، وغيرها!

وزكاة اليد: البذل، والعطاء، والسخاء بما أنعم الله عليك به، وتحريكها بكتابة العلم ومنافع ينتفع بها المسلمون في طاعة الله تعالى، والقبض عن الشر!

وزكاة الرجل: السعي في حقوق الله: من زيارة الصالحين، ومجالس الذكر، وإصلاح الناس، وصلة الأرحام، والجهاد، وما فيه صلاح قلبك وسلامة دينك)(٦٧١).

هذه الأمور زكاة، وشكر، وترقية - على حدّ سواء -

وما أحوج للمسلمين - اليوم - إلى هذه التعاليم الحية المتحركة. التي هي أساس سعادة الآخرة ورفاه الدنيا وبها يتكون المجتمع الصالح العام، ولكن!

الخمس

من الفرائض المالية التي جعلها الله تعالى لمحو الفقر وإصلاح المجتمع: الخمس.

وذلك ضريبة بسيطة واضحة مصدرها وموردها ومقدارها.

فمصدرها الغنائم وكل فائدة يستفيدها الإنسان والغوص والكنز والمعدن وقسم من الأرض، وما اختلط من الحلال والحرام.

وموردها: اليتامى والمساكين وأبناء السبيل من ذرية الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) والمصالح الإسلامية

بنظر الإمام ونائبه - على تفصيل -

ومقدارها: من الخمسة واحد!

٦٦٩ - جامع السعادات: ١٣٩/٢.

٦٧٠ - جامع السعادات: ١٣٩/٢.

٦٧١ - جامع السعادات: ١٣٩/٢.

يقول القرآن الحكيم: (وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ إِنْ كُنْتُمْ آمَنْتُمْ بِاللَّهِ وَمَا أُنزَلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا...) (٦٧٢).

وقال الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام): (هلك الناس في بطونهم فروجهم لأنهم لا يؤدون إلينا حقنا) (٦٧٣).

يأكلون حراماً.. وينكحون بمال حرام إذا يهلكون!!

وربما يظن الغرّ إنه مجعول لذرية الرسول جزافاً! كلا إن الإسلام الحكيم لا يشرع أمراً جزافياً. بل جعلت الزكاة لسائر الفقراء وجعل الخمس لفقراء آل بيت الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) وبهذين الغرضين سدت خلة الفقراء عامة. وسهم الإمام: الذي هو نصف الخمس يصرف في مصالح المسلمين على حد صرف الزكاة فيها، فهما:

فريضتان تقومان بتنظيم المصالح المالية خير قيام.

وهنا أمر لا بأس بإيراده استطراداً في الموضوع وهو:

إن الإسلام حبّذ إلى الناس توقير ذرية الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) واحترامهم ولكن ليس ذلك جزافاً بل لأمرين:

أ - توجيه الناس إلى ناحية الرسول فإنه احترام أحد مثار السؤال عن سائر الناس: لم يوقر؟ فيقال: إته من ذرية الرسول.. ومن الرسول؟ وبهذا يحيي الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) في الأذهان ويتحرك الشخص نحو الاقتداء به (صلى الله عليه وآله وسلم) طلباً للسمو، وبذلك يكون تقريب للناس نحو الخير والفضيلة والسلام والإسلام. وأعظم بها من فائدة!.

ب - حفظ مقام النبوة في الذرية وهذا أمر منطقي معقول، أن الإنسان يرى احترام الأولاد من لوازم احترام الآباء كما أن إهانتهم إهانة بالنسبة إلى الآباء وبهذا ينظر الحديث: (المرء يحفظ في ولده).

إذا فليس الإحترام لذرية الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) جزافاً بل إته نوع من الدعوة إلى الفضيلة والخير.

كما إن الإسلام لا يغفل عن طبيعة البشر التي تتعالى إذا وجد جاهاً وتوقيراً فيتقدّم إلى النهي الأكيد عن الكبرياء والبطالة بالنسبة إلى السادة وقد نهى نبي الإسلام (صلى الله عليه وآله وسلم) إياهم عن أن يأتوا بأنسابهم بينما يأتي سائر الناس بأعمالهم. وأبو لهب القرشي عم النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) خير مثال لنظرة الإسلام إلى الأشخاص انه قد ورد فيه أي من الذكر الحكيم ذماً له ولزوجته: (تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ) (٦٧٤).

ولتفصيل الكلام مجال آخر وانما المقصود الإشارة إلى بعض ما ورد في احترام السادة من آل الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم): قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): (حقّت شفاعتي لمن أعان ذريتي بيده ولسانه وماله) (٦٧٥).

وقال (صلى الله عليه وآله وسلم): (أربعة أنا لهم شفيع يوم القيامة: المكرم لذريتي، والقاضي لهم حوائجهم، والساعي لهم في أمورهم عند ما اضطروا إليه، والمحب لهم بقلبه ولسانه) (٦٧٦).

وقال (صلى الله عليه وآله وسلم): (من اصطنع إلى أحد من أهل بيتي يداً، كافيته يوم القيامة) (٦٧٧).

وقال الإمام الصادق (عليه السلام): (إذا كان يوم القيامة نادى مناد: أيها الخلاق أنصتوا فإن محمداً يكلمكم فتنصت الخلاق).

-
- ٦٧٢ - سورة الأنفال: آية ٤١ .
٦٧٣ - جامع السعادات: ١٤٠/٢ .
٦٧٤ - سورة المسد: آية ١ .
٦٧٥ - جامع السعادات: ١٤٠/٢ .
٦٧٦ - جامع السعادات: ١٤١/٢ .
٦٧٧ - جامع السعادات: ١٤١/٢ .

فيقوم النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) فيقول: يا معشر الخلائق من كانت له عندي يد، أو منة، أو معروف فليقم حتى أكافيه؟.

فيقولون: بآبائنا وأمهاتنا وأي يد، وأي منة، وأي معروف لنا؟! بل اليد والمنة والمعروف لله ولرسوله على جميع الخلائق فيقول لهم: بلى من أوى أحداً من أهل بيتي، أو برّهم أو كساهم من عري أو أشبع جائعهم فليقم حتى أكافيه. فيقوم أناس قد فعلوا ذلك.

فيأتي النداء من عند الله: يا محمد يا حبيبي قد جعلت مكافأتهم إليك فأسكنهم من الجنة حيث شئت، قال: فيسكنهم في (الوسيلة) حيث لا يحجبون عن محمد وأهل بيت محمد، صلوات الله عليهم (٦٧٨).

وهذا الحديث للعاملين بالإسلام المتقين عن المحارم أما من يعمل ما يعمل! ثم يحترم سيّداً أو يكسوه أو يطعمه فلا يقبل ذلك منه أسمعت قول الله تعالى: (إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ) (٦٧٩) وإثماً: كلمة حصر!!

الإنفاق على العيال

ان الإنفاق على العائلة في نظر الاسلام من الواجبات.. لكن مع ذلك يرى الاسلام له أجراً كبيراً، وثواباً عظيماً، كما هو شأن الاسلام في جميع واجباته ومندوباته، فإنه لا يُلزم بشيء، إلا إذا كان ذا فائدة دنيوية وأخروية.. وذلك جلي لدى من درس الاسلام باستيعاب وعمق!.

قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): (الكادّ على عياله، كالمجاهد في سبيل الله) (٦٨٠) ولم لا يكون كذلك؟ كلاهما يوجبان عمارة الارض، وإزدهار الحياة، وإطاعة لأمر الله...

وقال (صلى الله عليه وآله وسلم): (خَيْرُكُمْ خَيْرُكُمْ لِأَهْلِهِ) (٦٨١).

ليس هذا فحسب بل جعل الاسلام النزول عند رغبات الاهل في المأكل... من سمات المؤمنين، وعكسه من سمات المنافقين.

قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): (المؤمن يأكل بشهوة أهله، والمنافق يأكل أهله بشهوته) (٦٨٢).

وقال (صلى الله عليه وآله وسلم): (أفضل الصدقة: صدقة عن ظَهْر غنى، وابدأ بمن تعول! واليد العليا خير من اليد

السفلى، ولا يلوم الله على الكفاف) (٦٨٣).

عَرَّرَ من الحكم، ودُرَّرَ من الكلم، جمعتها هذه الالفاظ السهلة العذبة القليلة!!!

فكيف يتصدق الانسان وهو فقير مُعَدَم، لا يملك شيئاً يسيراً؟! وهل الصدقة الالرفق الفقير عن المجتمع، وإزالة

السخائم؟ وصدقة من يفقر بصدقته لا تنتج شيئاً منها، يقول القرآن الحكيم: (...وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا

٦٧٨ - جامع السعادات: ١٤١/٢.

٦٧٩ - سورة المائدة: آية ٢٧.

٦٨٠ - جامع السعادات: ١٤٢/٢.

٦٨١ - جامع السعادات: ١٤٢/٢.

٦٨٢ - جامع السعادات: ١٤٢/٢.

٦٨٣ - جامع السعادات: ١٤٢/٢.

مَحْسُوراً(٦٨٤) أما الايثار، وما كان يفعله النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) والائمة (عليهم السلام) من تقديم غيرهم على أنفسهم، ولو كان بهم خصاصة.. فله بحث آخر، وجمع وجيه...

إذاً: فأفضل الصدقة عن ظهر غنى يتصدق وهو غني...

وإبدأ بمن تعول! إنه ليس له أحد سواك.. أما غيره فكثيراً ما يجد غيرك، بالاضافة إلى أن القيام بمهام العائلة يقوي الصلات العذبية، ويفشي الحب والوداد بين الأسرة..

ومن يشك في أن اليد العليا خير من اليد السفلى؟ فإذا صاحبَ الانسان أحداً فليجهد لأن تكون يده العليا. وهذا بدوره تحفيز للرقى والتقدم وشدّ الناس بعضهم ببعض، ونشر الفضيلة والخير فيهم، والكفاف هو الحد الوسط في العيش، والله هو الذي يأمر بالقصد. إنه يكره السرف والقتر، أما الكفاف فلا لوم من الله عليه، بل ولا من الناس...

وقال (صلى الله عليه وآله وسلم): (ديناراً أنفقته على أهلك... وديناراً أنفقته في سبيل الله... وديناراً أنفقته في رغبة.. وديناراً تصدقت به على مسكين.. وأعظمها أجراً الدينار الذي أنفقته على أهلك!!)(٦٨٥).

إنه يجمع الخير كله فالأهل: مسكين، ورغبة، وسبيل الله، وأهل.. فلماذا لا يكون الإتفاق عليه أعظم أجراً؟
وقال (صلى الله عليه وآله وسلم): (ما أنفق الرجل على أهله، فهو صدقة، وإنّ الرجل ليؤجر في رفع اللقمة إلى فم امرأته)(٦٨٦).

وقال (صلى الله عليه وآله وسلم): (من الذنوب ذنوب لا يكفرها إلا اللهم بطلب المعيشة)(٦٨٧).

وقال (صلى الله عليه وآله وسلم): (من كان له ثلاث بنات، فاتفق عليهن وأحسن عليهن، حتى يغنيهن الله عنه، أوجب الله تعالى له الجنة)(٦٨٨) إلا أن يعمل عملاً لا يغفر الله له.

وقال (صلى الله عليه وآله وسلم) - يوماً لأصحابه - : (تصدقوا...)

فقال رجل: إن عندي ديناراً؟ قال (صلى الله عليه وآله وسلم): أنفقه على نفسك.

فقال: إن عندي آخر؟ قال (صلى الله عليه وآله وسلم): أنفقه على زوجتك.

قال: إن عندي آخر؟ قال (صلى الله عليه وآله وسلم): أنفقه على ولدك.

قال: إن عندي آخر؟ قال (صلى الله عليه وآله وسلم): أنفقه على خادمك.

قال: إن عندي آخر؟ قال (صلى الله عليه وآله وسلم): أنت أبصر به)(٦٨٩).

هنا موضع الإتفاق في سبيل الله، من صدقة أو عمارة مسجد أو بناء مدرسة أو إكساء مسكين أو ما أشبهه... أما الواجب فهو مقدّم على المستحب، وقد قال الامام أمير المؤمنين (عليه السلام): (لا قربة بالنوافل إذا أضرت بالفرانض).

وقال (صلى الله عليه وآله وسلم): (ملعون ملعون من ألقَ كلّه على الناس! ملعون ملعون من ضيّع من يعوله!)(٦٩٠) إنّ الإسلام يريد أن يقوم كل فرد بعمل مضاعف لنفسه ولغيره وأقله من يعوله.. أما أن ينعكس المطلوب

ولا يقوم الانسان حتى بنفقة نفسه، بل يلقي كلّه على الناس، فهو ملعون ملعون!!!

وقال الامام السجاد (عليه السلام): (أرضاكم عند الله أسبيغكم على عياله)(٦٩١).

٦٨٤ - سورة الاسراء: آية ٢٩ .

٦٨٥ - جامع السعادات: ١٤٢/٢ .

٦٨٦ - جامع السعادات: ١٤٢/٢ .

٦٨٧ - جامع السعادات: ١٤٢/٢ .

٦٨٨ - جامع السعادات: ١٤٣/٢ .

٦٨٩ - جامع السعادات: ١٤٣/٢ .

٦٩٠ - جامع السعادات: ١٤٣/٢ .

٦٩١ - جامع السعادات: ١٤٤/٢ .

نعم: إنه كذلك بنظر الإسلام، الإسلام الذي يريد الخير والرفاه والسعادة، للبشر كافة، وللعائلة خاصة إن أسبغهم أرضاهم ولا تعجب.

وقال (عليه السلام): (لئن أدخل السوق ومعى دراهم، أبتاع لعيالي لهما، وقد قرموا اليه، أحب إلي من أن أعتق نسمة)(٦٩٢).

وقال الامام الصادق (عليه السلام): (كفى بالمرء إثماً أن يضيع من يعوله)(٦٩٣).

وقال (عليه السلام): (من سعادة الرجل: أن يكون القيم على عياله)(٦٩٤).

وقال الامام الكاظم (عليه السلام): (إن عيال الرجل أسراؤه فمن أنعم الله عليه نعمة، فليوسع على أسرانه، فإن لم يفعل أوشك أن تزول النعمة)(٦٩٥).

وقال الامام الرضا (عليه السلام): (ينبغي للرجل أن يوسع على عياله، لنلا يتمتوا موته)(٦٩٦).

وقال عليه السلام: (صاحب النعمة يجب عليه التوسعة على عياله)(٦٩٧).

الى غير ذلك من الاحاديث، التي كلها تشير إلى هذا المعنى: وجوب الانفاق وندب التوسعة.

الصدقات

ندب الإسلام إلى الصدقة، وأكد إيتاءها ووعده من تصدق الثواب الجزيل، والأجر الكبير ولفظة الصدقة مشتقة من الصدق كأنها لملازمتها تصديق الله والرسول اشتقت منها، وعلى أي فالإسلام يرى استحبابها بكل ما أمكن، ولو بشق تمرّة!

وليس الصدقة خاصة بنحو من المال بل تشمل بذل النقود والإسكان، والإكساء، والإطعام، والقيام بخدمات أحد، كما أنها ليست خاصة بتلك الأمور المذكورة بل: إن بناء المدارس، والملاجئ، والرياض، والمستشفيات والمساجد، والعتبات وحفر الآبار وإكساء الطرق، ومد الجسور، وإضاءة الشوارع والبيوت وما إليها، وبناء المساكن للفقراء والعجزة، وطبع الكتب ووقف المطابع والمكانن والسيارات ونحوها.

كلها من الصدقة المندوبة، إذا كانت فيها مصلحة للمسلمين أو ما أشبه.

والإسلام وسّع في معنى الصدقة، فلم يقتنع بما ذكر، بل جعل الكلمة الطيبة وتنحية الأذى عن الطريق وأشباه هاتين من الصدقة.

وفي القرآن الحكيم، والأحاديث... تأكيد عجيب حول الصدقة.

(... أَنْفِقُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّا أَخْرَجْنَا لَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ)(٦٩٨).

(قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ، وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ الْمَسْكِينِ)(٦٩٩).

٦٩٢ - جامع السعادات: ١٤٤/٢.

٦٩٣ - جامع السعادات: ١٤٤/٢.

٦٩٤ - جامع السعادات: ١٤٤/٢.

٦٩٥ - جامع السعادات: ١٤٤/٢.

٦٩٦ - جامع السعادات: ١٤٤/٢.

٦٩٧ - جامع السعادات: ١٤٤/٢.

٦٩٨ - سورة البقرة: آية ٢٦٧.

(الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ)(٧٠٠).

إلى غيرها.. وغيرها.. مما يزخر به القرآن الكريم.

وقال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): (تصدقوا ولو بتمره فإنها تسد من الجائع وتطفى الخطيئة كما يطفى الماء النار)(٧٠١).

وقال (صلى الله عليه وآله وسلم): (اتقوا النار، ولو بشق تمره، فإن لم تجدوا فبكلمة طيبة)(٧٠٢).

وقال (صلى الله عليه وآله وسلم): (ما من عبد مسلم يتصدق بصدقة من كسب طيب - ولا يقبل الله إلا طيباً - إلا كان الله أخذها بيمينه، فيربيها له، كما يربي أحدكم فصيله حتى تبلغ التمرة مثل أحد)(٧٠٣).

وقال (صلى الله عليه وآله وسلم): (ما أحسن عبد الصدقة، إلا أحسن الله عز وجل الخلافة على تركته)(٧٠٤).

وقال (صلى الله عليه وآله وسلم): (كل إمريء في ظل صدقته، حتى يقضى بين الناس)(٧٠٥).

وقال (صلى الله عليه وآله وسلم): (أرض القيامة نار، ما خلا ظل المؤمن، فإن صدقته تظله)(٧٠٦).

وقال (صلى الله عليه وآله وسلم): (إن الله لا إله إلا هو، ليدفع بالصدقة: الداء والدبيلة، والحرق، والغرق، والهدم، والجنون...)(٧٠٧).

وعد سبعين باباً من الشر.

وقال (صلى الله عليه وآله وسلم): (صدقة السر تطفى غضب الرب عز وجل)(٧٠٨).

وقال (صلى الله عليه وآله وسلم): (إذا أظرقكم سائل ذكر بالليل فلا تردوه)(٧٠٩).

وقال (صلى الله عليه وآله وسلم): (أعط السائل، ولو على ظهر فرس)

وقال (صلى الله عليه وآله وسلم): (لا تقطعوا على السائل مسألته، فلو لا إن المساكين يكذبون ما أفلح من ردّهم)(٧١٠).

وفي الحديث: (إن الله سبحانه، أوحى إلى موسى بن عمران: يا موسى أكرم السائل ببذل يسير أو برد جميل، إنه يأتيك من ليس باتس ولا جان، بل ملائكة من ملائكة الرحمن، يبلونك فيما خولتك، ويسألونك فيما نوكتك، فانظر كيف أنت صانع يا ابن عمران؟)(٧١١).

وقال الإمام الباقر (عليه السلام): (البر والصدقة ينفيان الفقر، ويزيدان في العمر، ويدفعان عن صاحبهما سبعين ميتة سوء)(٧١٢).

٦٩٩ - سورة المدثر: الآيتان ٤٣ - ٤٤ .

٧٠٠ - سورة البقرة: آية ٣ .

٧٠١ - جامع السعادات: ١٤٦/٢ .

٧٠٢ - جامع السعادات: ١٤٦/٢ .

٧٠٣ - جامع السعادات: ١٤٦/٢ .

٧٠٤ - جامع السعادات: ١٤٦/٢ .

٧٠٥ - جامع السعادات: ١٤٦/٢ .

٧٠٦ - جامع السعادات: ١٤٦/٢ .

٧٠٧ - جامع السعادات: ١٤٧/٢ .

٧٠٨ - جامع السعادات: ١٤٧/٢ .

٧٠٩ - جامع السعادات: ١٤٧/٢ .

٧١٠ - جامع السعادات: ١٤٧/٢ .

٧١١ - جامع السعادات: ١٤٧/٢ .

٧١٢ - جامع السعادات: ١٤٧/٢ .

وقال الإمام الصادق (عليه السلام): (داووا مرضاكم بالصدقة، وادفعوا البلاء بالدعاء، واستنزلوا الرزق بالصدقة، فإنها تفك من بين لحي سبعمائة شيطان!! وليس شيء أثقل على الشيطان من الصدقة على المؤمن وهي تقع في يد الرب، قبل أن تقع في يد العبد)(٧١٣).

وهذا كناية عن أن الله تعالى يقبلها، قبل ما تصل إلى يد الفقير!

وقال (عليه السلام): (الصدقة باليد تقي ميتة السوء وتدفع سبعين نوعاً من البلاء وتفك من لحي سبعين شيطانياً، كلهم يأمره: أن لا يفعل)(٧١٤).

ولعل الفرق بين السبعين والسبعمائة، باختلاف المتصدقين أو المتصدق عليهم، أو الصدقات أو الأزمان والامكنة أو ما أشبه.

وقال (صلى الله عليه وآله وسلم): (يستحب للمريض: أن يعطي السائل بيده ويأمره أن يدعو له)(٧١٥).

وقال (عليه السلام): (باكروا بالصدقة، فإن البلاء لا يتخطاها، ومن تصدق بصدقة أول النهار، دفع الله عنه شر ما ينزل من السماء في ذلك اليوم، فإن تصدق أول الليل دفع الله شر ما ينزل من السماء في تلك الليلة)(٧١٦).

(وقد كان الإمام الصادق (عليه السلام) إذا صلى العشاء، وذهب من الليل شطره، أخذ جراباً فيه خبز ولحم ودراهم، فحمله على عنقه ثم ذهب به إلى أهل الحاجة من أهل المدينة فقسمه فيهم، ولا يعرفونه، فلما مضى أبو عبد الله (عليه السلام) فقدوا ذلك! فعلموا انه كان أبا عبد الله (عليه السلام)).

الهدايا

إنّ الهدية مما نذب إليها الإسلام، لما فيها من تقوية الصلات وتوثيق عرى الحب والوداد، وإيجاد الألفة والمحبة بين أفراد المجتمع.

ولا تختص الهدية بالفقير، بل الهدية تعمّ الغني أيضاً، كما إنها لا تختص بشيء خاص بل تشمل كل ما توجب الألفة والوداد.

قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): (تهادوا تحابوا فإنها تذهب بالضغائن)(٧١٧).

وهذا من خطط الإسلام الحكيمة، لبث الحب في المجتمع فإن الهدية تسبب تقارب القلوب، وتآلف الأفراد، وترخص الضغائن الكامنة، والأحقاد والعداوات.

وقال أمير المؤمنين (عليه السلام): (لئن أهدي لأخي المسلم هدية أحب إليّ من أن أتصدق بمثلها)(٧١٨).

ثم إن الإسلام، يؤكد الإهداء وقبول الهدية ولو كانت ضئيلة ثم ردها بمثلها أو أحسن منها، كل ذلك لإشاعة الحب ولبث الألفة.

قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): (لو أهدي إليّ ذراع لقبلت). وقال (صلى الله عليه وآله وسلم): (من

تكرمة الرجل لأخيه المسلم أن يقبل تحفته، وأن يتحفه بما عنده ولا يتكلف له شيئاً)(٧١٩).

٧١٣ - جامع السعادات: ١٤٧/٢.

٧١٤ - جامع السعادات: ١٤٧/٢.

٧١٥ - جامع السعادات: ١٤٨/٢.

٧١٦ - جامع السعادات: ١٤٨/٢.

٧١٧ - بحار الأنوار: ٤٤/٧٥، ب ٣٨ - جامع السعادات: ١٥٢/٢.

٧١٨ - جامع السعادات: ١٥٢/٢.

٧١٩ - بحار الأنوار: ٤٥/٧٥، ب ٣٨ - جامع السعادات: ١٥٢/٢.

الضيافة

من بواعث الالفة الضيافة فإن الإنسان يحنو نحو أخيه إذا حنى الأخ إليه ولهذا العطف القلبي الذي هو السر في الوداد والحب آثار وعلائم كحسن البشر والتحية والإهداء والضيافة.

ولذا أكد الإسلام على الضيافة، تأكيده على سائر بواعث الحب والأنتلاف. إضافة إلى أن الإنسان قد يكدر قلبه على أخيه لهنات اجتماعية والضيافة صيقل يجلو القلب وينير الفؤاد عن الكدورات.

قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): (لا خير فيمن لا يضيف)(٧٢٠).

وقال (صلى الله عليه وآله وسلم): (الضيف إذا جاء فنزل بالقوم جاء برزقه معه من السماء فإذا أكل غفر الله لهم بنزوله)(٧٢١).

وقال (صلى الله عليه وآله وسلم): (ما من ضيف حل بقوم، إلا ورزقه في حجره)(٧٢٢).

وقال (صلى الله عليه وآله وسلم): (من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه)(٧٢٣).

وما الربط بين الإيمان بالمبدأ والمعاد وبين إكرام الضيف؟.

أليس ان الله الذي بيده البدء والعود أمر بذلك؟ إذ: فإكرام الضيف يلزم الإيمان بالله واليوم الآخر وما أجمله من أسلوب؟ أكد من حث؟.

ومرّ (صلى الله عليه وآله وسلم) برجل له إبل وبقر كثير فلم يضيفه، ومرّ بامرأة لها شويها، فذبحت له، فقال (صلى الله عليه وآله وسلم): (انظروا إليهما فإنما هذه الأخلاق بيد الله عزّ وجل، فمن شاء أن يمنحه خلقاً حسناً فعل).

وهل يمنح الله اعتباطاً؟ تقول الآية الكريمة: (وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا)(٧٢٤).. وتقول: (وَأَنْ لَّيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى)(٧٢٥).

وقال (صلى الله عليه وآله وسلم): (ما تزال أمتي بخير، ما تحابوا وأدوا الأمانة واجتنبوا الحرام وأقرأوا الضيف، وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة، فإذا لم يفعلوا ذلك ابتلوا بالقحط والسنين)(٧٢٦).

فهل يصح ذلك؟ نعم: ألسنا نحن المسلمين اليوم في قحط؟ ان من يقيس أسعارنا اليوم بعد ما تركنا ما قاله النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) بأسعارنا قبل نصف قرن، حينما كنا نعمل بأوامر النبي وإرشاداته، يعرف مدى كوننا في قحط!.

وقال (صلى الله عليه وآله وسلم): (إذا أراد الله بقوم خيراً، أهدى إليهم هديّة، قالوا: وما تلك الهدية؟ قال: الضيف

ينزل برزقه، ويذهب بذنوب أهل البيت)(٧٢٧).

وقال (صلى الله عليه وآله وسلم): (كل بيت لا يدخل فيه الضيف، لا تدخله الملائكة).

٧٢٠ - جامع السعادات: ١٥٢/٢.

٧٢١ - جامع السعادات: ١٥٢/٢.

٧٢٢ - جامع السعادات: ١٥٣/٢.

٧٢٣ - جامع السعادات: ١٥٣/٢.

٧٢٤ - سورة العنكبوت: آية ٦٩.

٧٢٥ - سورة النجم: آية ٣٩.

٧٢٦ - جامع السعادات: ١٥٣/٢.

٧٢٧ - بحار الأنوار: ٤٦١/٧٥، ب ٩٣ - جامع السعادات: ١٥٣/٢.

وقال (صلى الله عليه وآله وسلم): (الضيف دليل الجنة)(٧٢٨).

وقال أمير المؤمنين (عليه السلام): (ما من مؤمن يحبّ الضيف إلا ويقوم من قبره ووجهه كالقمر ليلة البدر، فينظر أهل الجمع فيقولون: ما هذا إلا نبيّ مرسل! فيقول ملك: هذا مؤمن يحبّ الضيف ويكرم الضيف ولا سبيل له إلا أن يدخل الجنة)(٧٢٩).

إنه مؤمن يحبّ الضيف لا إله يرى لا مفر له من الضيف ولك أن تسأل وهل يمكن أن يحب الإنسان الضيف إذا كان يخل بشؤونه أو يأكل قوته؟.

والجواب: نعم يمكن ان الإنسان إذا فُكّر في فوائد الضيف الدنيوية والأخروية، ونظر إلى أولئك الذين يضيفون الناس والى الذين لا يضيفون ثم رأى عدم الفرق بينهما من أي ناحية لا المادية ولا المعنوية يدعن بأن الضيافة حسنة وإذا أدعن بذلك لم يفتيء إلا ويحب الضيف.

وقال (عليه السلام): (ما من مؤمن يسمع همس الضيف وفرح بذلك، إلا غفرت له خطاياها، وإن كانت مطبقة بين السماء والأرض)(٧٣٠).

ويكى (عليه السلام) يوماً فقيل له: (ما يبكيك؟ قال: لم يأتني ضيف منذ سبعة أيام. أخاف أن يكون الله قد أهانني!). ومعنى الإهانة عدم إرسال الهدية، فقد تقدم في الحديث: إن الضيف هديّة.

عن أبي محمد الوابشي، قال: (ذكر أصحابنا عند أبي عبد الله (عليه السلام) فقلت: والله ما أتغذى ولا أتعشى إلا ومعني منهم الإثنين أو الثلاثة أو أقل أو أكثر، فقال (عليه السلام): فضلهم عليك أكثر من فضلك عليهم قلت: جعلت فداك كيف؟! وأنا أطعمهم طعامي وأنفق عليهم من مالي ويخدمهم خادمي، فقال: إنهم إذا دخلوا عليك دخلوا برزق من الله عز وجل وإذا خرجوا خرجوا بالمغفرة لك)(٧٣١).

ويروى: (ان إبراهيم الخليل (عليه السلام) كان إذا أراد أن يأكل خرج ميلاً أو ميلين يلتمس من يتغذى معه وكان يكتئب: أبا الضيفان).

وانما كان يخرج لأنه كان ساكناً في البادية برهة من عمره الشريف.

ثم انه كما يستحب الضيافة يستحب إطعام الطعام وسقي الماء وما أشبهه وإن لم يكن بطلب الضيف إلى الدار فإن في ذلك ما في الإضافة من خير وبر وإحسان وانتلاف وود وحب.

قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): (من أطعم ثلاثة نفر من المسلمين، أطعمه الله من ثلاث جنان في ملكوت السماوات: الفردوس، وجنة عدن، وطوبى: شجرة تخرج في جنة عدن غرسها ربنا بيده)(٧٣٢).

وقال (صلى الله عليه وآله وسلم): (إن في الجنة غرماً يرى ظاهرها من باطنها، وباطنها من ظاهرها، يسكنها من أمتي من أطاب الكلام، وأطعم الطعام، وأفشى السلام وصلى بالليل والناس نيام)(٧٣٣).

وقال (صلى الله عليه وآله وسلم): (من أحبّ الأعمال إلى الله تعالى: إشباع جوعة المؤمن، وتنقيس كربته، وقضاء دينه، وإنّ من يفعل ذلك لقليل)(٧٣٤).

٧٢٨ - بحار الأنوار: ٤٦٠/٧٥، ب ٩٣ - جامع السعادات: ١٥٣/٢.

٧٢٩ - بحار الأنوار: ٤٦١/٧٥، ب ٩٣ - جامع السعادات: ١٥٣/٢.

٧٣٠ - بحار الأنوار: ٤٦٠/٧٥، ب ٩٣ - جامع السعادات: ١٥٣/٢.

٧٣١ - بحار الأنوار: ٣٧٥/٧٤، ب ٢٣ - جامع السعادات: ١٥٣/٢.

٧٣٢ - بحار الأنوار: ٣٧١/٧٤، ب ٢٣ - جامع السعادات: ١٥٤/٢.

٧٣٣ - جامع السعادات: ١٥٤/٢.

٧٣٤ - بحار الأنوار: ٣٦٩/٧٤، ب ٢٣ - جامع السعادات: ١٥٤/٢.

وقال (صلى الله عليه وآله وسلم): (إن الله يحب الإطعام، ويحبّ الذي يطعم في الله، والبركة في بيته أسرع من الشفرة في سنام البعير)(٧٣٥).

وقال (صلى الله عليه وآله وسلم): (خيركم من أطعم الطعام)(٧٣٦).

وقال (صلى الله عليه وآله وسلم): (من أطعم الطعام أخاه المؤمن حتى يشبعه، وسقاه حتى يرويه، بعده الله من النار سبع خنادق ما بين كل خندقين مسيرة خمسمائة عام)(٧٣٧).

وقد حرّض الإسلام على الإطعام حتى جعل إطعام فقير مؤمن بمثابة إطعام إله الكون! وكيف ذاك؟ انظر إلى هذه الرواية: (إن الله تعالى يقول للعبد - يوم القيامة -: يا ابن آدم جعت فلم تطعمني؟! فيقول: كيف أطعمك وأنت رب العالمين؟! فيقول: جاع أخوك فلم تطعمه، ولو أطعمته كنت أطعمتني)(٧٣٨).
وكما يندب الإسلام إلى الإطعام يحبّ سقي الماء.

وقال (صلى الله عليه وآله وسلم): (من سقى مؤمناً من ظمأ، سقاه الله من الرحيق المختوم)(٧٣٩).

وقال (صلى الله عليه وآله وسلم): (من سقى مؤمناً شربةً من ماء، من حيث يقدر على الماء، أعطاه الله بكل شربة سبعين ألف حسنة، وإن سقاه من حيث لا يقدر على الماء، فكأنما أعتق عشر رقاب من ولد إسماعيل)(٧٤٠).
وهل بعد ذلك من مزيد؟.

لكن المسلمين - اليوم - حيث ضعف الإسلام في نفوسهم وابتعدوا عن مناهجه القويمة، أثر الضعف في كثير من الأحكام الإسلامية ولذا ترى قلة الضيافة والإطعام.. ولم؟ لأن ذلك مما يضر بالماديات! وهل المسلم مادي؟ نعم: انه حيث فقد الروح، لم يبق لديه إلا المادة!!.

حقّ الحصاد

من الأحكام الإسلامية ما قلّت حصّته من العاملين، فلا عامل له، أو قلّ العاملون به، كما إنّ من الأحكام ما كثر من يطبّقه.. سواء في ذلك الواجب والمستحب والأحكام الثلاثة الأخر.

فترى الصلاة تقام بكثرة، بينما الزكاة وهي شقيقتها لا تعطى إلا نادراً والزنا لا يستباح إلا بشذوذ، بينما الغيبة وهي أخته في الحرمة تتعاطى في غالب المجامع والأندية.

والقنوت في الصلاة مستحبة في ذات جد وحظ، بينما تقلاب الكفين حالته - كما كان النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) يفعله - لا يرى أصلاً. ومن المندوبات - أو الواجب على بعض الأداء - التي لا حظ لها من المسلمين إلا نادراً: حقّ الحصاد والجذّاذ.

وما ذاك؟.

٧٣٥ - بحار الأنوار: ٣٦٨/٧٤، ب ٢٣ - جامع السعادات: ١٥٤/٢.

٧٣٦ - بحار الأنوار: ٣٦١/٧٤، ب ٢٣ - جامع السعادات: ١٥٤/٢.

٧٣٧ - جامع السعادات: ١٥٤/٢.

٧٣٨ - جامع السعادات: ١٥٤/٢.

٧٣٩ - بحار الأنوار: ٣٧٣/٧٤، ب ٢٣ - جامع السعادات: ١٥٤/٢.

٧٤٠ - بحار الأنوار: ٣٧٤/٧٤، ب ٢٣ - جامع السعادات: ١٥٤/٢.

إنّ الإسلام قرّر أن يعطى حين حصاد الحب، وجذاذ التمر.. وما أشبهه: قبضات وحفنات.. إلى الفقراء الذين يحضرون..

فكم ترى حظ هذا الأمر الإسلامي من التنفيذ؟.

بينما ترى الأخبار تؤكد هذا الحق بضروب من التأكيد.

روى زرارة ومحمد بن مسلم وأبو بصير عن الباقر (عليه السلام): (في قول الله عز وجل: (...وَأَتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ) (٧٤١) ، قال: هذا من الصدقة تعطي المسكين القبضة بعد القبضة، ومن الجذاذ الحفنة بعد الحفنة، حتى يفرغ) (٧٤٢).

وعن أبي مريم، عن أبي عبد الله (عليه السلام) في قول الله عز وجل:

(وَأَتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ) قال: (تعطي المسكين يوم حصادك الضغث، ثم إذا وقع في البيدر، ثم إذا وقع في الصاع العشر ونصف العشر).

وعن شعيب، قال: سألت أبا عبد الله (عليه السلام) عن قول الله عز وجل: (وَأَتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ) قال: (الضغث من السنبل، والكف من التمر إذا خرص، وسألته: هل يستقيم إعطاؤه إذا دخله؟ قال: لا، هو أسخى لنفسه قبل أن يدخله بيته).

وسأل الحلبي الإمام الصادق (عليه السلام): عن قول الله عز وجل (وَأَتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ) كيف أعطي؟ قال: (تقبض بيدك على الضغث، فتعطيه المسكين والمسكين حتى تفرغ منه). إلى غير ذلك من الأحاديث الكثيرة.

وقد أكد الإسلام على هذا الحق، حتى جعل الصرم بالليل مكروهاً شديداً، مخافة أن لا يحضر المساكين:

روى أبو بصير عن الصادق (عليه السلام) قال: (لا تصرم بالليل ولا تحصد بالليل، ولا تضح بالليل، ولا تبذر بالليل، فإنك إن فعلت لم يأتك القانع والمعتز، فقلت: ما القانع والمعتز؟ قال: القانع الذي يقطع بما أعطيته، والمعتز الذي يمر، فيسألك، وإن حصدت بالليل لم يأتك السؤال، وهو قول الله: (وَأَتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ) عند الحصاد يعني: القبضة بعد القبضة إذا حصده، فإذا خرج فالحفنة بعد الحفنة، وكذلك عند الصرام، وكذلك البذر، لا تبذر بالليل لأنك تعطي في البذر كما تعطي في الحصاد) (٧٤٣).

وهنا سؤال يفرض نفسه، هو أن المسكين كيف ينتفع بالقبضة وما أشبهها؟ ولم يجعل الإسلام أكثر من الحفنة حقاً للسائل؟.

والإجابة على هذا السؤال: إن من يمر من السائلين كثيرون، ومن يصرم ويحصد ويبذر كثيرون أيضاً، فوزعت الحاجة على المالكين كي لا يتضرر المالك، ولا يبقى الفقير معوزاً إن الفقير يجمع من بساتين متعددة ما يكفيه، والمالك يعطي للسائلين حفنات إذا جمعت صارت شطراً من ماله لا يستهان به. وهذا من حكمة الإسلام وكل الإسلام حكمة.

ثم أن الإسلام لم يخصص هذا الحق بالمسلم، فإنه الإسلام الذي يراف حتى بالكافر والمشرك، انه مبدأ إنساني يحب للإنسان كل خير ويعطف على كل إنسان ولو كان معتقاً لمبدأ غير مبداه، ودين غير دينه.

قال هاشم بن المثنى: قلت لأبي عبد الله (عليه السلام): (وَأَتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ)؟ قال: أعط من حضرك من مشرك أو غيره).

٧٤١ - سورة الأنعام: آية ١٤١.

٧٤٢ - جامع السعادات: ١٦٠/٢.

٧٤٣ - جامع السعادات: ١٥٩/٢.

وعن عبد الله بن سنان: (سئل الصادق (عليه السلام) عن قوله تعالى: (وآتوا حقه يوم حساده)؟ قال: أعط من حضرك من المسلمين، وإن لم يحضرك إلا مشرك فأعطه).
وفي حديث آخر عنه: (تعطي منه المساكين الذين يحضرونك ولو لم يحضرك إلا مشرك)(٧٤٤).

حق معلوم

(وفي أموالهم حق للسائل والمحروم)(٧٤٥).

هكذا يقول القرآن فما ذلك الحق المعلوم يا ترى؟.

إن ابتعاد المسلمين عن القرآن والسنة أوجب اختفاء هذا الحق عن الأذهان حتى أنك تكاد تجد الكثرة الغالبة من المسلمين لا يعلم بهذا الحق وأجدر بهم أن لا يؤدّوها وكيف يؤدي حق من لا يعلم ما هو؟!
روى سماعة بن مهران عن الصادق (عليه السلام) قال: (الله عزّ وجل فرض في أموال الأغنياء حقوقاً غير الزكاة فقال الله عزّ وجل: (وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَعْلُومٌ، لِّلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ)(٧٤٦) فالحق المعلوم غير الزكاة وهو شيء يفرضه الرجل على نفسه في ماله ونفسه يحب له أن يفرضه على قدر طاقته ووسعة ماله)(٧٤٧) فيؤدي الذي فرض على نفسه إن شاء في كل جمعة وإن شاء في كل شهر.

وقد قال الله عزّ وجل أيضاً: (... وَأَقْرَضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا...)(٧٤٨) وهذا غير الزكاة.

وقد قال الله عزّ وجل أيضاً: (... وَيُفْقَهُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً...)(٧٤٩).

والممانعون أيضاً وهو القرض يفرضه، والمتاع يعيره والمعروف يصنعه ومما فرض الله عزّ وجل أيضاً في المال غير الزكاة قوله عزّ وجل: (وَالَّذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ...)(٧٥٠).

ومن أدى ما فرض الله عليه فقد قضى ما عليه وأدى شكر ما أنعم الله عليه في ماله إذا هو حمدته على ما أنعم الله عليه فيه مما فضّله به من السعة على غيره ولما وفقه لأداء ما فرض الله عزّ وجل عليه وأعانته عليه.

وعن أبي بصير، عن الصادق (عليه السلام)(في حديث): (قلت: ماذا الحق المعلوم الذي علينا؟ قال: هو والله الشيء الذي يعمله الرجل في ماله يعطيه في اليوم أو في الجمعة أو الشهر قلّ أو كثر غير أنّه يدوم عليه)(٧٥١).

وروى إسماعيل بن جابر، عن أبي عبد الله (عليه السلام): (في قول الله عزّ وجل: (وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَعْلُومٌ لِّلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ) أهو سوى الزكاة؟ فقال: هو الرجل يؤتية الله الثروة من المال فيخرج منه الألف والألفين والثلاثة آلاف والأقل والأكثر فيصل به رحمه ويحمل به الكلّ عن قومه)(٧٥٢).

٧٤٤ - جامع السعادات: ١٥٩/٢.

٧٤٥ - سورة الذاريات: آية ١٩.

٧٤٦ - سورة المعارج: الآيتان ٢٤ - ٢٥.

٧٤٧ - جامع السعادات: ١٥٨/٢.

٧٤٨ - سورة الزمل: آية ٢٠.

٧٤٩ - سورة ابراهيم: آية ٣١.

٧٥٠ - سورة الرعد: آية ٢١.

٧٥١ - جامع السعادات: ١٥٩/٢.

٧٥٢ - جامع السعادات: ١٥٩/٢.

أليست هذه معاني إنسانية نبيلة، وأمور توثق عرى الاجتماع وتربط الناس بعضهم ببعض بالإضافة إلى كونها توجب الثواب والجنة في الدار الآخرة؟ وهل تجد ما يشابه الإسلام في مبادئه وديناته في قوانين الأرض والأديان المنتسبة إلى السماء؟ كلا، إنه الإسلام وحده الذي فيه كل خير ولو عمل به الإنسان حاز رفاه الدنيا وسعادة الآخرة. ولو لم يعلم المسلم بهذه الشرائع فهل نوم التأخر والإحطاط عليه أم على دينه.؟
(...وَمَا ظَلَمَهُمُ اللَّهُ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ)(٧٥٣).

القرض

المجتمع عادل والناس ظلمة كما أن التوزيع لخيرات الأرض عادل والقائمون على التقسيم جائرون. ترى مكاناً من الأرض يحمل ذهباً وعقياً يكفيان حاجات كل البشر، ومكاناً خالياً منهما ولكنه مشحون بالفواكه والنخيل والأشجار، ومكاناً أهلاً بالحيوانات التي يحتاجها الإنسان بينما تراه محتاجاً إلى الأمرين الأولين... وهكذا. هذا توزيع عادل جعله الله سبباً للتآلف والتعارف يحتاج ذلك إلى هذا في ذهبه وجوهره... وهذا إلى ذلك في تينه وزيتونه وهما إلى ثالث في الصوف والوبر.. وهكذا. وهكذا في المجتمع كمية من المال وزعت بالاختلاف، هذا تاجر وهذا عامل فلو كان الجميع أصحاب أموال فمن يعجن ويخبز ويحصد ويزرع؟ ولو كان الجميع عملة فمن يجلب البضائع بأموال طائلة؟ ومن يدخر من الشتاء للصيف ومن الربيع للخريف؟.

هذا هو سر الاختلاف في خيرات الأرض والاختلاف في أنصبة الناس من الأموال. وكما إن الله أمر بعمارة الأرض واستخراج كنوزها وتوزيعها بالعدل ليعيش الناس مرفهين. كذلك أمر بالتعاون في الأموال هذا يقرض، وذلك يبذل وذلك يعمل ليسعد الناس أجمعين.
(مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ أَضْعَافًا كَثِيرَةً...)(٧٥٤).
إن القرض كان في قاموس المسلمين يوم كان يحكم فيهم القرآن وتسود فيهم السنة أما اليوم فقد ذهب القرض حيث ذهبت سائر شرائع الإسلام من خمس وزكاة. وخير وصلات.
لكن الإسلام يقول. ويقول. ويقول. اقرضوا، اقرضوا إن أردتم العيش الهنيء والسعادة في الدنيا.. اقرضوا الله وأدوا القرض لله ولا تقرضوا رباً ولا تأكلوا أموال الناس باطلاً.
فهل من أذن سامعة؟.
قال الإمام الباقر (عليه السلام): (من أقرض رجلاً قرضاً إلى ميسرة، كان ماله في زكاة، وكان هو في صلاة مع الملائكة حتى يقبضه)(٧٥٥).

وقال الإمام الصادق (عليه السلام): (مكتوب على باب الجنة: الصدقة بعشرة، والقرض بثمانين عشرة)(٧٥٦).

-
- ٧٥٣ - سورة النحل: آية ٣٣.
٧٥٤ - سورة البقرة: آية ٢٤٥.
٧٥٥ - جامع السعادات: ١٦٠/٢.
٧٥٦ - جامع السعادات: ١٦٠/٢.

ولنقف أمام هذا الحديث، لنتساءل: وماذا الذي فضل القرض على الصدقة مع أن المال في الصدقة تذهب بلا عودة، بخلاف القرض؟ أما إذا علمنا أن الصدقة - غالباً - تكون بأموال يسيرة دون القرض فإنه يشمل الألواف المؤلفة.. وعلمنا أن القرض يكافح الربا دون الصدقة. وعلمنا أن الصدقة تخص جماعات معوزين فقط والقرض يفك مشاكل الحياة عند كل طبقة وأخيراً علمنا أن (المصارف) تؤدي عمل القرض - بربا - وأخذنا عن ذلك صورة إجمالية من أعمال القرض في المجتمع.

كان الجواب: إن القرض وتر المجتمع الحساس والصدقة - المتبرع بها كما هو الظاهر من سياق الحديث - يأتي دورها في هامش الحياة وأجدد بالوتر أن يكون أفضل من الهامش وأفضل؟. وقال الإمام الصادق (عليه السلام): (ما من مؤمن أقرض مؤمناً يلتمس به وجه الله، إلا حسب الله له أجره بحساب الصدقة حتى يرجع إليه ماله)(٧٥٧).

وإذا أقرض الإنسان فلا يكدر صفو قرضه بالاستعجال في الطلب إنه أقدم على أمر جميل، فلماذا يكدره بالإلحاح في الأداء وكثيراً ما لا يجد المقترض سبيلاً إلى دفعه.

كما ينبغي للمقترض أن يعجل الأداء مهما أمكن ولا يقطع سبيل المعروف بمماطلته. فعلى المقرض أن يعمل بقوله تعالى: (وَإِنْ كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنُظِرَةٌ إِلَى مَيْسَرَةٍ...)(٧٥٨). وعلى المقترض أن يسعى في الأداء حسب الإمكان ولا يماطل مع المكنة. كما أن من المندوب أن يهب المقرض المقترض ما يطلبه إن كان المدين معوزاً لا يقدر على الأداء.

وقد وردت في هذه المعاني آيات وروايات: روى الإمام الصادق (عليه السلام): (إن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) قال في يوم حار - وحنا كفه -: من أحب أن يستظل من فور جهنم؟ قالها ثلاث مرات، فقال الناس - في كل مرة -: نحن يا رسول الله. فقال: من أنظر غريماً، أو ترك لمعسر)(٧٥٩).

وروى الصادق (عليه السلام) أيضاً: (إن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) صعد المنبر ذات يوم، فحمد الله وأثنى عليه، وصلى على أنبيائه، ثم قال: أيها الناس ليبلغ الشاهد الغائب منكم: ألا ومن أنظر معسراً كان له على الله في كل يوم ثواب صدقة بمثل ماله حتى يستوفيه)(٧٦٠).

وقال الصادق (عليه السلام): (من أراد أن يظله الله يوم لا ظل إلا ظله، فلينظر معسراً أو يدع له من حقه)(٧٦١). وقيل له (عليه السلام): (أن تعبد الرحمن بن سيابة ديناً على رجل قد مات وقد كلمناه أن يحلله فأبى؟ فقال: (ويحه! أما يعلم أن له بكل درهم عشرة إذا حلله وإن لم يحلله فإنما هو درهم بدرهم)(٧٦٢).

-
- ٧٥٧ - جامع السعادات: ١٦٠/٢.
٧٥٨ - سورة البقرة: آية ٢٨٠.
٧٥٩ - جامع السعادات: ١٦١/٢.
٧٦٠ - جامع السعادات: ١٦١/٢.
٧٦١ - جامع السعادات: ١٦١/٢.
٧٦٢ - جامع السعادات: ١٦١/٢.

طلب الحرام

يتكالب الناس على المادة أين وجدوها، ويسهلون في سبيلها كل إثم وباطل. وقد قال لي أحد هؤلاء: الحلال ما حلّ بالكف!

وأية قيمة للمادة التي لا تحصل إلا بتضحية المثل الإنسانية؟.

المادة التي تحصل بالربا، والاحتكار، والسرقة، والغلول، والخيانة، والغش، وتعاطي الفواحش ما ظهر منها وما بطن وهكذا هل تقيم حياة سعيدة أم تهدم من الحياة كل ركن ودعامة؟.

لذا يحذر الإسلام من طلب الحرام تحذيره من كل إثم وفسق، ويرصد لذلك أضخم الأرصدة، إن هذا هو الميزان للمجتمع فإن تنزّه الناس عن الحرام سعدوا وارتقوا في مدارج الإنسانية، وإن كانت الأخرى فهم أخط من البهائم وأرذل من الشيطان.

والشخص إذا اعتاد على الحرام جرّه ذلك إلى كلّ محذور ومحظور فهو كمفتاح للشروع والآثام.

قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): (إن لله ملكاً على بيت المقدس ينادي كل ليلة: من أكل حراماً لم يقبل منه صرف ولا عدل)(٧٦٣) أي لا نافلة ولا فريضة.

وقال (صلى الله عليه وآله وسلم): (من لم يبال من أين اكتسب المال لم يبال الله من أين أدخله النار)(٧٦٤).

وقال (صلى الله عليه وآله وسلم): (كلّ لحم نبت من حرام فالنار أولى به)(٧٦٥).

وقال (صلى الله عليه وآله وسلم): (من أصاب مالاً من مائم فوصل به رحماً أو تصدّق به أو أنفقه في سبيل الله، جمع الله ذلك جميعاً ثم أدخله في النار)(٧٦٦).

وقال (صلى الله عليه وآله وسلم): (إنّ أخوف ما أخاف على أمّتي من بعدي، هذه: المكاسب الحرام، والشهوة الخفيّة، والربا)(٧٦٧).

وقال (صلى الله عليه وآله وسلم): (من اكتسب مالاً من الحرام فإن تصدّق به لم يقبل منه، وإن تركه وراعه كان زاده إلى النار)(٧٦٨).

وقال الصادق (عليه السلام): (إذا اكتسب الرجل مالاً من غير حيلة ثم حجّ فلبى نودي لا لبيك ولا سعديك وإن كان من حيلة نودي لبيك وسعديك)(٧٦٩).

وقال (عليه السلام): (في قوله تعالى: (وقدمنا إلى ما عملوا من عمل فجعلناه هباءً منثوراً)(٧٧٠). إن كانت أعمالهم أشدّ بياضاً من القباطي، فيقول الله عز وجل لها: كوني هباءً وذلك أنهم كانوا إذا شرع لهم الحرام أخذوه)(٧٧١).

٧٦٣ - جامع السعادات: ١٦٧/٢.

٧٦٤ - مكارم الأخلاق: ٤٦٨ - جامع السعادات: ١٦٧/٢.

٧٦٥ - جامع السعادات: ١٦٧/٢.

٧٦٦ - جامع السعادات: ١٦٧/٢.

٧٦٧ - جامع السعادات: ١٦٧/٢.

٧٦٨ - جامع السعادات: ١٦٧/٢.

٧٦٩ - جامع السعادات: ١٦٧/٢.

وقال الإمام الكاظم (عليه السلام): (إنَّ الحرام لا ينامى، وإن نَمى لم يبارك فيه، وإن أنفق لم يؤجر عليه، وما خلفه كان زاده إلى النار)(٧٧٢).

إلى غير ذلك من الأخبار فهل كفت هذه الأحاديث لكفّ الناس عن الحرام؟
إنَّك إن اعترضت الأسواق رأيت الربا والغش والخيانة والتطفيف والاحتكار وأكل مال الناس بالباطل وغيرها..
وغيرها.. وهل عادت هذه الآثام إلى الناس بخير؟ كلا أن الأمور لا تزال تتعقد وسبيل الحياة لا تنفك تتوعر والناس يرتطمون في الفقر أكثر فأكثر فهل من مدكر؟.

التورّع عن الحرام

الحرام بمنزلة العقرب يلدغ الإنسان ويفسد دنياه وأخراه، وإن كان مذاقه حلواً ومنظره بهيجاً، لكنه كالحية لين مسّها قاتل شمّها، والمتعمقون يعرفون حقيقة ما ذكرنا. يغتر برونقه الجاهلون ويعرف مآله العارفون. وبما يحصل الحرام؟ إنّه لا يحصل إلا بأعمال دينية وردائل فردية أو اجتماعية وسرقة الناس ونهب الضعفاء... ونحوها.
ولذا يحذر الإسلام عن الحرام، ويمدح التورّع.

قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): (خير دينكم الورع)(٧٧٣).
وقال (صلى الله عليه وآله وسلم): (من لقي الله سبحانه ورعاً أعطاه الله ثواب الإسلام كلّهُ)(٧٧٤).
وقال الإمام الباقر (عليه السلام): (وإنَّ أشدَّ العبادة: الورع)(٧٧٥).
وقال (عليه السلام): (ما شيعتنا إلا من اتقى الله وأطاعه فاتقوا الله واعملوا لما عند الله، ليس بين الله وبين أحد قرابة، أحبّ العباد إلى الله تعالى وأكرمهم عليه: أتقاهم وأعملهم بطاعته)(٧٧٦).
وقال الإمام الصادق (عليه السلام): (أوصيك بتقوى الله، والورع، والاجتهاد، واعلم أنه لا ينفع اجتهاد لا ورع فيه)(٧٧٧).

وقال (عليه السلام): (اتقوا الله وصونوا دينكم بالورع)(٧٧٨).
وقال (عليه السلام): (إن الله ضمن لمن اتقاه أن يحوله عما يكره إلى ما يحب، ويرزقه من حيث لا يحتسب)(٧٧٩).
وقال (عليه السلام): (عليكم بالورع فإنه لا ينال ما عند الله إلا بالورع)(٧٨٠).
وقال (عليه السلام): (إنَّ قليل العمل مع التقوى خير من كثير بلا تقوى)(٧٨١).

-
- ٧٧٠ - سورة الفرقان: آية ٢٣.
٧٧١ - جامع السعادات: ١٦٨/٢.
٧٧٢ - جامع السعادات: ١٦٨/٢.
٧٧٣ - مكارم الأخلاق: ٤٦٨ - جامع السعادات: ١٧٦/٢.
٧٧٤ - جامع السعادات: ١٧٦/٢.
٧٧٥ - أصول الكافي: ٧٧/٢ - جامع السعادات: ١٧٦/٢.
٧٧٦ - أصول الكافي: ٧٤/٢ - جامع السعادات: ١٧٦/٢.
٧٧٧ - أصول الكافي: ٧٦/٢ - جامع السعادات: ١٧٦/٢.
٧٧٨ - أصول الكافي: ٧٦/٢ - جامع السعادات: ١٧٦/٢.
٧٧٩ - جامع السعادات: ١٧٧/٢.
٧٨٠ - أصول الكافي: ٧٦/٢ - جامع السعادات: ١٧٦/٢.

وقال (عليه السلام): (ما نقل الله عبداً من ذلّ المعاصي إلى عزّ التقوى إلا أغناه من غير مال، وأعزّه من غير عشيرة، وآنسه من غير بشر)(٧٨٢).

وقال (عليه السلام): (ألا وإن من اتّباع أمرنا وارانته: الورع، فتزيناوا به يرحمكم الله وكيدوا أعدائنا به ينعمكم الله)(٧٨٣).

وقال (عليه السلام): (إنما أصحابي من اشتدّ ورعه، وعمل لخالقه، ورجا ثوابه، فهؤلاء أصحابي)(٧٨٤).

وسئل (عليه السلام)، عن: (الورع من الناس؟ فقال: الذي يتورّع عن محارم الله عزّ وجلّ)(٧٨٥).

وقال الإمام الباقر (عليه السلام): (أعينونا بالورع، فإنّ من لقي الله تعالى منكم بالورع كان له عند الله فرجاً، إنّ الله عزّ وجلّ يقول: (وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا)(٧٨٦) فمنّا النبي، ومنّا الصديق، والشهداء، والصالحون)(٧٨٧).

وقال (عليه السلام): (قال الله عزّ وجلّ: يا ابن آدم اجتنب ما حرّمت عليك تكن من أورع الناس)(٧٨٨).

والورع ذو أعضاء وفصول وأحناء ووصول:

ورع في البيع، ورع في الشراء، ورع في الرهن والإجارة، ورع في المأكل والمشرب، ورع في الكلام والخطابة ورع في اللباس والمنزل، ورع في الحركة والسكون.. وبالجملة حفظ الحواس من لامسة وباصرة وسامعة وذائقة... عن كل انحراف وزيف وإثم وعصيان والورع: قلبه في راحة، ونفسه في هدوء، وباله في إطمئنان. أمّا غيره، فهو شارذ اللب، مختبئ العقل يدور ولا يجد راحة، ويركض ولا ينتهي إلى مراح.

الاكتساب

يريد الإسلام أن يكون الشخص ذا نشاط في العمل وجد في إكتساب الرزق ليدير شؤون نفسه ويحمل كل عائلته وبعد ذلك ينفق الفضل مما أتاه الله لذوي الحاجة والمسكنة.

لكن الإسلام لا يريد المال من أين اكتسب من حل أو حرام كما يذهب إليه الرأسمالي الغربي، إنّه يريد من طريق الحلال بغير غش وخيانة واحتكار وغلول وربا وفساد.

إنّ الإسلام يقول: إكتسب واجتهد في الطلب ولك ثمرة عملك وأنت تملك ما تجد ولك أن تتصرف فيما ملكت بشرط أن يكون من حلة.

٧٨١ - أصول الكافي: ٧٦/٢ - جامع السعادات: ١٧٧/٢.

٧٨٢ - أصول الكافي: ٧٦/٢ - جامع السعادات: ١٧٧/٢.

٧٨٣ - أصول الكافي: ٧٨/٢ - جامع السعادات: ١٧٧/٢.

٧٨٤ - أصول الكافي: ٧٧/٢ - جامع السعادات: ١٧٧/٢.

٧٨٥ - أصول الكافي: ٧٧/٢ - جامع السعادات: ١٧٧/٢.

٧٨٦ - سورة النساء: آية ٦٩.

٧٨٧ - أصول الكافي: ٧٨/٢ - جامع السعادات: ١٧٧/٢.

٧٨٨ - أصول الكافي: ٧٧/٢ - جامع السعادات: ١٧٧/٢.

إنه منطوق صحيح معتدل بين إفراط الرأسماليين الذين يحللون كل ما اكتسبه الإنسان ولو كان الكاسب من تجار الحروب ولو حصل - على درهمه بإرافة دم جاره وبين تفريط الشيوعيين الذين يقولون: إن الإنسان آلة في معمل كبير لاحق له في أزيد من قوت ومسكن ولباس، حسب ما تفرضه الحكومة!

ولذا يؤكد الإسلام على الاكتساب إلى جنب تأكيده الملكية الفردية إلى جنب تأكيده طلب الحلال.

قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): (طلب الحلال فريضة على كل مسلم ومسلمة)(٧٨٩).

وقال (صلى الله عليه وآله وسلم): (من بات كالألأ من طلب الحلال بات مغفوراً له)(٧٩٠).

وقال (صلى الله عليه وآله وسلم): (العبادة سبعون جزءاً أفضلها طلب الحلال)(٧٩١).

ولنقف أمام هذا الحديث بخشوع، لنعرف مغزاه:

الصلاة: التي هي عامود الدين، عبادة.

الصيام: الذي هو جنة من النار، عبادة.

الزكاة: التي بها تحقن الدماء، عبادة.

الحج: الذي هو أحد أركان الدين الخمس، عبادة.

وهل تعلم الأفضل من كل ذلك ومن سائر العبادات؟

إن الأفضل - بنص الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) -: هو طلب الحلال.

فكم ترى الإسلام يعتني بهذين الأمرين: الطلب وكونه من حلال؟!!

فإن كنت لا تطلب، فأطلب وإن كنت تطلب كيفما كان فخصص طلبك بالقسم الحلال.

إن العبادة وملء بطن الإنسان حرام لا تُقل.. والعبادة ويدي الإنسان ملوثة بمال الفقير واليتيم وبالربا واحتكار أقوات الناس وب... وب... لا تُرفع (...إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ)(٧٩٢) وإِنَّمَا يَصْعَدُ إِلَيْهِ الْعَمَلُ الصَّالِحُ (لَنْ يَنَالَ اللَّهُ لُحُومَهَا وَلَا دِمَاؤُهَا وَكَنْ يَنَالُهُ التَّقْوَى مِنْكُمْ...)(٧٩٣) وعلى ضوء هذا نفهم معنى هذا الحديث أيضاً.

قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): (العبادة عشرة أفضل أجزاءها في طلب الحلال)(٧٩٤).

وقال (صلى الله عليه وآله وسلم): (من أكل من كدّ يده مرّ على الصراط كالبرق الخاطف)(٧٩٥).

وقال (صلى الله عليه وآله وسلم): (من أكل من كدّ يده نظر الله إليه بالرحمة، ثم لا يعذبه أبداً)(٧٩٦).

وقال (صلى الله عليه وآله وسلم): (من أكل من كدّ يده حلال فتح الله له أبواب الجنة يدخل من أيّها شاء)(٧٩٧).

وقال (صلى الله عليه وآله وسلم): (من أكل من كدّ يده كان في القيامة في عداد الأنبياء ويأخذ ثواب الأنبياء)(٧٩٨).

وقال (صلى الله عليه وآله وسلم): (من طلب الدنيا استعفاً عن الناس، وسعيّاً على أهله، وتعطفاً على جاره، لقي

الله عز وجل يوم القيامة ووجهه كالقمر ليلة البدر)(٧٩٩).

٧٨٩ - جامع السعادات: ١٧٨/٢.

٧٩٠ - جامع السعادات: ١٧٨/٢.

٧٩١ - جامع السعادات: ١٧٨/٢.

٧٩٢ - سورة المائدة: آية ٢٧.

٧٩٣ - سورة الحج: آية ٣٧.

٧٩٤ - جامع السعادات: ١٧٨/٢.

٧٩٥ - جامع السعادات: ١٧٨/٢.

٧٩٦ - جامع السعادات: ١٧٨/٢.

٧٩٧ - جامع السعادات: ١٧٨/٢.

٧٩٨ - جامع السعادات: ١٧٨/٢.

وقال (صلى الله عليه وآله وسلم): (من سعى على عياله من حلة فهو كالمجاهد في سبيل الله)(٨٠٠).
وقال (صلى الله عليه وآله وسلم): (من طلب الدنيا حلالاً في عفاف كان في درجة الشهداء)(٨٠١).
وقال (صلى الله عليه وآله وسلم): (من أكل الحلال أربعين يوماً نور الله قلبه وأجرى ينابيع الحكمة من قلبه على لسانه)(٨٠٢).

وكان (صلى الله عليه وآله وسلم): إذا نظر إلى الرجل وأعجبه، قال: (هل له حرفة؟ فإن قيل: لا. قال: سقط من عيني. قيل: وكيف ذلك يا رسول الله؟).

قال: لأن المؤمن إذا لم تكن له حرفة يعيش بدينه(٨٠٣).
وطلب منه (صلى الله عليه وآله وسلم) بعض الصحابة أن يجعله الله مستجاب الدعوة، فقال له: (أطب طعمتك تستجب دعوتك)(٨٠٤).

وقال الإمام الصادق (عليه السلام): (أقرئوا من لقيتم من أصحابكم السلام وقولوا لهم: إن فلان بن فلان يقرنكم السلام ويقول لكسم: عليكم بتقوى الله عز وجل وما ينال به ما عند الله، إني والله ما أمركم إلا بما نأمر به أنفسنا فعليكم بالجد والاجتهاد وإذا صليتم الصبح وانصرفتم فبكرُوا في طلب الرزق، واطلبوا الحلال فإن الله عز وجل سيرزقكم ويعينكم عليه)(٨٠٥).

وربما يتساءل البعض ما ميزان الحلال والحرام في شريعة الإسلام؟
والجواب: إن الله تعالى جمع ذلك كله في كلمتين ضمن أوصاف النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) فقال: (... يُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ...)(٨٠٦).
فكل طيب لا يضر ديناً ولا دنيا فهو حلال وكل خبيث يهدم الدنيا أو يفسد الآخرة فهو حرام. أما التفاصيل فمذكورة في كتب الفقه.

الأمانة

الأمين محبوب لدى الجميع، ضميره لا يخزّه، وصديقه لا يكلّه، ومجمعه لا يلفظه.
بالإضافة إلى ما للأمانة من الأجر والثواب والمنزلة العظمى عند الله تعالى.
والأمانة والخيانة ملكتان قبل أن تبرزا إلى الوجود: فلأمين صفة نفسية باعثة على إرجاع الأمانة إلى أهلها قلت أم كثرت بينما الخائن متّصف بضدّ هذه الصفة فهو لا يخون لأنه محتاج - وإن كان كثيراً بسبب الاحتياج إلى الخيانة -

-
- ٧٩٩ - جامع السعادات: ١٧٨/٢.
 - ٨٠٠ - جامع السعادات: ١٧٨/٢.
 - ٨٠١ - جامع السعادات: ١٧٩/٢.
 - ٨٠٢ - جامع السعادات: ١٧٩/٢.
 - ٨٠٣ - جامع السعادات: ١٧٩/٢.
 - ٨٠٤ - جامع السعادات: ١٧٩/٢.
 - ٨٠٥ - جامع السعادات: ١٧٩/٢.
 - ٨٠٦ - سورة الأعراف: آية ١٥٧.

وإنما يخون لأنه مريض وأي مرض أعظم من هذا المرض الفردي الاجتماعي الذي لا يبصر بأي عقار!! إنه مرض نفسي يحتاج إلى أطباء النفوس دون أطباء الأجسام.

والإسلام يذم الخيانة بأقصى ذم كما يمدح الأمانة بما ليس فوقه مدح.

قال الإمام الصادق (عليه السلام): (إن الله عز وجل لم يبعث نبياً إلا بصدق الحديث وأداء الأمانة إلى البر والفاجر)(٨٠٧).

وقال (عليه السلام): (لا تغتروا بصلاتهم ولا بصيامهم، فإن الرجل ربما لهج بالصلاة والصوم حتى لو تركه استوحش ولكن اختبروهم عند صدق الحديث، وأداء الأمانة)(٨٠٨).

وقال (عليه السلام): (انظر إلى ما بلغ به علي (عليه السلام) عند رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فالزمه! فإن علياً إنما بلغ ما بلغ به عند رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) بصدق الحديث وأداء الأمانة)(٨٠٩). وما معنى هذا الحديث؟.

إن معناه يكاد يعجز عن فهمه أولو الأبواب! فهل إنَّ علياً (عليه السلام) كان مبلغه عن النزاهة عند النبي بصدق الحديث وأداء الأمانة؟ إن حروبه ومغازيه إن علمه وفضله إن نبهه وتقاه، إن صلاته وخشوعه. وغيرها وغيرها، لم تكن بمنزلة هاتين الصفتين!!

نعم: إن المعاني الإنسانية تحتاج إلى قوة في النفس والمعاني الجسدية تحتاج إلى مزايا في الجسد والنفس أشرف، فصفاها أعلى. إنك ربما ترى الشجاع ثم تراه يركع أمام مومسة فيسقط من عينيك، وربما تنظر إلى صائم الدهر يعجبك خلقه فإذا علمت أنه مفسد لم تقم له وزناً. وهكذا.. أما إذا نظرت إلى ضعيف البدن لا يأتي من الصلاة والصيام إلا بقدر، ثم علمت أنه لا يحرف كلاً عن موضعها، ولا يزيد في حديث ولا ينقص من كلام أعجبك خلقه وبهرتك صفته. وكذا بالنسبة إلى الأمين: الأمين في عينه وأذنه، الأمين في جسده ویده، الأمين في الأمانة والعارية.

فهل بعد ذلك يبقى للتعجب مجال إذا قيل: إنَّ الإمام المرتضى تَبَوَّأَ أفضل مقام عند رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) بهاتين الصفتين اللتين تزول الجبال الراسيات من ثقلهما!!!.

وأي إنسان يملك نفسه في كل نظرة ولفظة ودرهم ودينار؟

وأي إنسان لا يكذب ولو في مزاح أو كلمة عابرة؟.

ولو سبر الإنسان أغوار الناس حتى الاتقياء منهم لوجد الصادق الأمين بما في الكلمتين من معنى أندر من كل نادر.

ثم بعد ذلك: يحتاج الإنسان إلى تطهير وتطهير ومراقبة ومراقبة حتى يتمكن من نيل بعض هاتين الفضيلتين: صدق

الحديث وأداء الأمانة وأعظم بهما من فضيلة!!.

وقال الإمام (عليه السلام): (ثلاث لا عذر فيها لأحد أداء الأمانة إلى البرِّ والفاجر، والوفاء بالعهد إلى البر والفاجر

وبرِّ الوالدين برِّين كانا أو فاجرين)(٨١٠).

وقال (عليه السلام): (أربع من كن فيه كمل إيمانه وإن كان من قرنه إلى قدمه ذنوباً لم ينقصه ذلك: الصدق، وأداء

الأمانة، والحياء، وحسن الخلق)(٨١١).

وقال (عليه السلام): (أهل الأرض لمرحومون ما تحابوا، وأدوا الأمانة وعملوا بالحق)(٨١٢).

٨٠٧ - بحار الأنوار: ١١٦/٧٥، ب ٥٠ - جامع السعادات: ١٨٢/٢.

٨٠٨ - جامع السعادات: ١٨٢/٢.

٨٠٩ - بحار الأنوار: ١١٦/٧٥، ب ٥٠ - جامع السعادات: ١٨٢/٢.

٨١٠ - بحار الأنوار: ٩٢/٧٥، ب ٧٤ - جامع السعادات: ١٨٢/٢.

٨١١ - أصول الكافي: ٩٩/٢ - جامع السعادات: ١٨٣/٢.

٨١٢ - بحار الأنوار: ١١٧/٧٥، ب ٥٠ - جامع السعادات: ١٨٣/٢.

وقيل له (عليه السلام): إن امرأة بالمدينة كان الناس يضعون عندها الجواري فيصلحن، ومع ذلك ما رأينا مثل ما صبَّ عليها من الرزق؟ فقال: (إنها صدقت الحديث وأدت الأمانة وذلك يجلب الرزق)(٨١٣).

وقد كان من صفات النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) التي يضرب بها المثل: الصدق والأمانة فكان يسمى الصادق والأمين: (لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ...)(٨١٤) فمن شاء أن يعزَّ ويعظم في أعين الناس فليتمسك بهاتين الخصلتين لا يقول إلا صدقاً ولا يلازم إلا الأمانة فإن النجاة في الصدق والسعادة في أداء الأمانة.

اللسان

لسانك لا تبدي به سوءة امرئ***فكلك سوات وللناس ألسن
وفي الحقيقة إن اللسان عضو عجيب يفسد ويصلح، فإذا أفسد لم يقم شيء بإصلاح ما فسد، وإذا أصلح لم يقدر شيء على إفساد ما صلح.

وعلى الإنسان أن يخزن لسانه كما يخزن جوهره بل أكثر... فإن الجوهر لا يناط به عزَّ الإنسان وسعادته بينما اللسان يعز ويذل ويسعد ويشقي.

ومن اللسان يأتي كثير من الخيرات، كما يأتي منه كثير من الشرور فالهداية والإرشاد والإصلاح والتعلم، والذكر والتسبيح والأمر بالخير والنهي عن الشر... وغيرها كلها من ثمرات اللسان، كما أن الإضلال والكفر والإفساد والسب والغيبة والنميمة والكذب والقذف وغيرها من آفات اللسان.

وكثير من آفات اللسان متفرق في غضون هذا الكتاب. والمقصود هنا ذكر رذيلتين من رذائله: التكلم بالفضول والخوض في الباطل، فهما من أضرار اللسان ويفسدان على المرء دنياه وأخراه.

قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): (أعظم الناس خطايا يوم القيامة أكثرهم خوضاً في الباطل)(٨١٥).
وبهذا يجيب أهل النار حين يسألون: (ما سَلَكَكُمْ فِي سَقَرٍ، قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ، وَلَمْ نَكُ نُطْعِمِ الْمِسْكِينَ، وَكُنَّا نَحْوُ مَعَ الْخَائِضِينَ، وَكُنَّا نُكَدِّبُ بِيَوْمِ الدِّينِ)(٨١٦) انه في عداد ترك الصلاة والزكاة والتكذيب بالمعاد!

وقال (صلى الله عليه وآله وسلم): (إنَّ الرجلَ ليتكلم بالكلمة من رضوان الله ما يظن أن تبلغ ما بلغت، فيكتب الله بها رضوانه إلى يوم القيامة، وإنَّ الرجلَ ليتكلم بالكلمة من سخط الله ما يظن أن تبلغ ما بلغت، فيكتب الله عليه بها سخطه إلى يوم القيامة)(٨١٧).

وقال (صلى الله عليه وآله وسلم): (من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه)(٨١٨)

٨١٣ - جامع السعادات: ١٨٣/٢.

٨١٤ - سورة الاحزاب: آية ٢١.

٨١٥ - جامع السعادات: ١٨٤/٢.

٨١٦ - سورة المدثر: الآيات ٤٢ - ٤٦.

٨١٧ - جامع السعادات: ١٨٤/٢.

٨١٨ - جامع السعادات: ١٨٩/٢.

وقال (صلى الله عليه وآله وسلم): (طوبى لمن أمسك الفضل من لسانه وأنفق الفضل من ماله)(٨١٩) أشار إلى ذلك بعض الحكماء حيث يقول:

طوبى لمن كفَّ فكَّه، وفكَّ كفَّه، وويل لمن كفَّ كفَّه، وفكَّ فكَّه

وروي: إنه استشهد يوم أحد غلام من أصحاب النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) ووجد على بطنه حجر مربوط من الجوع فمسحت أمه التراب عن وجهه وقالت: هنيئا لك الجنة يا بني! فقال النبي (صلى الله عليه وآله وسلم): (وما يدريك؟ لعله كان يتكلم فيما لا يعنيه، ويمنع ما لا يضره!)(٨٢٠).

ويروى أن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) قال لبعض أصحابه - وهو مريض - (أبشر فقالت أمه: هنيئا لك الجنة، فقال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): وما يدريك؟ لعله قال ما لا يعنيه أو منع ما يعنيه)(٨٢١). فإن الجنة لا يتهنأ بها إلا من لا يحاسب بما كلمه ممّا لا يعنيه.

وروي انه تكلم رجل عند النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) فأكثر، فقال له النبي (صلى الله عليه وآله وسلم): (كم دون لسانك من حجاب؟ فقال: شفتاي وأسناني، فقال (صلى الله عليه وآله وسلم): أفما كان في ذلك ما يرد كلامك؟!)(٨٢٢).

وروي أن رجلاً أتى على النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) فاستهتر في الكلام، فقال له النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) (كم دون لسانك من حجاب؟ فقال: شفتاي وأسناني. فقال: أفما كان في ذلك ما يرد كلامك؟! ثم قال: ما أوتي رجل شراً من فضل في لسانه)(٨٢٣).

وروي أنه قدم رهط من بني عامر على رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فشرعوا بالمدح والثناء عليه، فقال (صلى الله عليه وآله وسلم): (قولوا قولكم، ولا يستهويكم الشيطان)(٨٢٤).

وروي أنه (صلى الله عليه وآله وسلم) قال ذات يوم: (إن أول من يدخل من هذا الباب رجل من أهل الجنة، فلما دخل هذا الرجل قالوا له: أخبرنا بأوثق عملك في نفسك ترجو به؟ فقال: إني رجل ضعيف العمل، وأوثق ما أرجو الله به سلامة الصدر وترك ما لا يعنيني)(٨٢٥).

وقد جمع النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) لأبي ذر مفاتيح أبواب الخير في كلمات قصار قال (صلى الله عليه وآله وسلم) له: (ألا أعلمك بعمل خفيف على البدن ثقيل في الميزان؟ قال: بلى يا رسول الله. قال: هو الصمت، وحسن الخلق وترك ما لا يعينك)(٨٢٦).

والشخص بادئ الأمر يحب الكلام وكثرته والخوض فيما لا يعنيه فإذا تجشّم مرات عديدة السكوت وأشغل نفسه عوض الكلام بالذكر والتسبيح وما إليهما أطفئت الشهوة تدريجياً وانقلبت إلى حب السكوت فإذا هو ملكة يلتذّ منه الشخص أكثر من التذّان المهذار بالكلام، فيجمع بذلك بين خير الدنيا وسعادة العقبى.

-
- ٨١٩ - جامع السعادات: ١٨٩/٢ .
 - ٨٢٠ - جامع السعادات: ١٨٦/٢ .
 - ٨٢١ - جامع السعادات: ١٨٦/٢ .
 - ٨٢٢ - جامع السعادات: ١٨٦/٢ .
 - ٨٢٣ - جامع السعادات: ١٨٦/٢ .
 - ٨٢٤ - جامع السعادات: ١٩٠/٢ .
 - ٨٢٥ - جامع السعادات: ١٩٠/٢ .
 - ٨٢٦ - جامع السعادات: ١٩٠/٢ .

الحسد

وما معنى الحسد؟.

إنه معنى بشع مر المذاق في الحاسد والمحسود.. إنه: أن تتمنى زوال نعمة أخيك، بغير مبرر أو سبب، إلا أنك تريد أن تراه عديم النعمة، والرجل العاقل لا بد وأن يخلو من هذه الرذيلة الهوجاء.. ولماذا تريد زوال نعمته؟ هل لأنه بنعمته ضيق لك المسالك؟ فما ذنبه؟ ثم: إن غاية الأمر أن تتمنى أن تكون مثله - وهذا هو الغبطة الممدوحة - إن من يكون في الدرجة الأولى في سلم الرقي، لا بد وأن يسعى للرقى إلى الدرجة الثانية، لا أن يسعى أن يتمنى إنزال الصاعد إليها نحو الدرجة الأولى.

وعلى أي فالحاسد معذب النفس، كليم القلب، مهان في المجتمع، مبعوض عند الله تعالى، مكروه لدى الناس، وأبشع بها من صفة.

والإسلام يريد أن يكون المرء ظاهر القلب، محباً للخير نظيف الفؤاد والمشاعر، فلا يرضى بالحسد، ويذم المتصف به، ويطلب منه أن يظهر قلبه من هذا الإثم، بكل وسيلة ممكنة، وإلا أهلكه من حيث يشعر أو لا يشعر.

قال الله تعالى: (أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ...)(٨٢٧).

وقال تعالى: (وَدَّ كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُمْ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ...)(٨٢٨).

وقال تعالى: (إِنْ تَمَسَسَكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِنْ تُصِيبَكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُوا بِهَا...)(٨٢٩).

ويقول الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم): (الحسد يأكل الحسنات، كما تأكل النار الحطب)(٨٣٠).

وكيف ذلك؟.

إن الحسود لا بد وأن يظهر حسده بيد ولسان، وحركة وسكون.. فهو يسب المحسود، ويذكر معايبه ويبهته، ولو سنحت له الفرصة ضربه وأذاه، ولا يحترمه ولا يتفقد حاله، وكثيراً ما يهجره هجراً قبيحاً.. وهكذا، فهل تبقى بعد هذه المآثم من حسنة؟ بالإضافة إلى إن طبيعة الحسد كالأعشاب الطفيلية إذا نبتت في روض أفسدت الخضر والبقول، والحسد لا يزال ينمو حتى يفسد - في القلب - كل معاني النبل والفضل.

وقال (صلى الله عليه وآله وسلم): (قال الله عز وجل لموسى: يا ابن عمران لا تحسدن الناس على ما آتيتهم من فضلي، ولا تمدن عينيك إلى ذلك ولا تتبعه نفسك، فإن الحاسد ساخط لنعمي صاد لقسمي الذي قسمت بين عبادي، ومن يك كذلك فلست منه وليس مني)(٨٣١).

وقال (صلى الله عليه وآله وسلم): (ولا تحاسدوا ولا تقاطعوا ولا تدابروا ولا تباغضوا، وكونوا عباد الله

إخواناً)(٨٣٢).

-
- ٨٢٧ - سورة النساء: آية ٥٤.
 - ٨٢٨ - سورة البقرة: آية ١٠٩.
 - ٨٢٩ - سورة آل عمران: آية ١٢٠.
 - ٨٣٠ - جامع السعادات: ١٩٤/٢.
 - ٨٣١ - جامع السعادات: ١٩٤/٢.
 - ٨٣٢ - جامع السعادات: ١٩٤/٢.

وما نتيجة هذه الأمور؟ إنها تنتج شيئاً واحداً هو فساد الاجتماع بما في ذلك الأفراد. ويتعقبه سوء العقبى.
وقال (صلى الله عليه وآله وسلم): (دبّ إليكم داء الأمم من قبلكم: البغضاء، والحسد هي الحالقة. حالقة الدين ولا حالقة الشعر، والذي نفس محمد بيده لا تؤمنوا حتى تحابوا، ألا أنبئكم بأمر إذا فعلتموه تحاببتم؟ أفسحوا السلام بينكم)(٨٣٣).

وقال (صلى الله عليه وآله وسلم): (كاد الفقر أن يكون كفراً! وكاد الحسد أن يغلب القدر!)(٨٣٤).
أليس كذلك؟.

إن الفقر إذا ضغط على الإنسان لا بد وأن يشك في عدالة الله - والعياذ بالله - إذا كان ضعيف الإيمان، كما هو المشاهد في كثير ممن لم يرسخ الإيمان في قلبه. وهل بعد ذلك من كفر؟
والحسد لا بد وأن يثمر ثمرة البشعة من إيذاء اللسان وما أشبهه وكثيراً ما يقف لسان المتكلم دون ما يريده الإنسان من مجرى أو عمل مما قدر الله تعالى له، لولا ما يقف أمامه من السدود والحواجز.
نعم.. كاد الفقر وكاد الحسد.

أنهما ليسا بعلة تامة للكفر، والوقوف دون الأقدار وإنما كادا أن يكونا كذلك.
وقال (صلى الله عليه وآله وسلم): (سيصيب أمتي داء الأمم، قالوا:
وما داء الأمم، قال: الأشر، والبطر، والتكابر، والتنافس في الدنيا، والتباعد، والتحاسد، حتى يكون البغي، ثم الهرج)(٨٣٥).

وقال (صلى الله عليه وآله وسلم): (أخوف ما أخاف على أمتي أن يكثر فيهم المال، فيتحاسدون ويقتتلون)(٨٣٦).
وقال (صلى الله عليه وآله وسلم): (إن لنعم الله أعداءً، فقيل: ومن هم؟ قال: الذين يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله)(٨٣٧).

وقال الإمام الباقر (عليه السلام): (إن الرجل ليأتي بأدنى بادرة فيكفر وإن الحسد ليأكل الإيمان كما تأكل النار الحطب)(٨٣٨).

وقال الإمام الصادق (عليه السلام): (أفة الدين الحسد، والعجب والفخر)(٨٣٩).
وقال (عليه السلام): (إن المؤمن يغبط ولا يحسد والمنافق يحسد ولا يغبط)(٨٤٠).
والغبطة أن تتمنى للحاق بمن نال الدرجات العلى، وهذه صفة حسنة تحدد الإنسان إلى نيل المراتب العالية، فهي من صفات المؤمنين، وأما الحسد الذي هو تمنّي زوال نعمة الآخرين فهو من صفات المنافقين وتوجب انحطاط المجتمع.

وقال (عليه السلام): (الحاسد مضرّ بنفسه قبل أن يضرّ بالمحسود، كإبليس أورث بحسده لنفسه اللعنة، ولآدم الاجتباء والهدى، والرفع إلى محل حقائق العهد والاصفاء، فكن محسوداً ولا تكن حاسداً فإن ميزان الحاسد أبداً خفيف بثقل ميزان المحسود، والرزق مقسوم فماذا ينفع الحسد الحاسد؟ ماذا يضر المحسود الحسد؟ والحسد أصله من عمى القلب والجحود بفضل الله تعالى، وهما جناحان للكفر، وبالحسد وقع ابن آدم في حسرة الأبد وهلك مهلكاً لا ينجو منه

٨٣٣ - أصول الكافي: ٣٠٦/٢ - جامع السعادات: ١٩٤/٢.

٨٣٤ - أصول الكافي: ٣٠٧/٢ - جامع السعادات: ١٩٤/٢.

٨٣٥ - جامع السعادات: ١٩٤/٢.

٨٣٦ - جامع السعادات: ١٩٥/٢.

٨٣٧ - أصول الكافي: ٣٠٦/٢ - جامع السعادات: ١٩٥/٢.

٨٣٨ - جامع السعادات: ١٩٥/٢.

٨٣٩ - أصول الكافي: ٣٠٧/٢ - جامع السعادات: ١٩٥/٢.

٨٤٠ - أصول الكافي: ٣٠٧/٢ - جامع السعادات: ١٩٥/٢.

أبدأ، ولا توبة للحاسد لأنه مصرّ عليه معتقد به مطبوع فيه يبدو بلا معارض به ولا سبب ولا الطبع لا يتغير عن الأصل وإن عولج(٨٤١).

والحاسد - كما في الحديث -: يضرّ نفسه قبل المحسود، فإنّ الإنسان إذا حسد هاج دمه وثارت نفسه وتوترت أعصابه وقلق وارتعد ولا يزال يفكر في معائب المحسود وكيفية التنقيص منه وهذا كافٍ في سلب راحته ثم ماذا عساه يفعل؟ فإن الحاسد تنم عن نفسه الدنيئة لهجته فلا يقبل منه الناس لهجته وتعييبه للمحسود، بل تنقلب له الأقدار ظهر المجن، فإذا به مذموم ممقوت.

وكفى بهذا كله عقوبة للحاسد في دنياه.

مع قطع النظر عمّا أعدّ الله له من الخزي يوم القيامة.

وقوله (عليه السلام): (والطبع لا يتغير) غالبى، لا دائمى. فإن الطبع عسر العلاج إلا بالمجاهدة.

نصيحة المسلم

من الناس من تسمو نفسه عن النقائص، فلا يزال يحب الخير والعلو لنفسه ولسائر الناس بل للوجود قاطبة. ولأجل ذلك يتحرك ويسكن، ويغضب ويرضى ويعقل ويكمل ومثل هذا الشخص من أفضل الناس فإنه لا ينفك يصلح ويصلح حتى يأتي بالآخرة بقسط مهم من عمارة الأرض وتوجيه النفوس وستر الخلل.

فيحرز - بذلك - شرف الدنيا وسعادة الآخرة، يحبه الناس ويمدحه القريب والبعيد، وكل من تجده من العظماء والمصلحين في غضون التاريخ، كانت ميزته الأولى هذه الخصلة الرفيعة والطبيعة السامية. والإسلام - الذي يحب كل خير، ويأمر بكل فضيلة، يؤكد على المسلم أن يكون هكذا ويتحلّى بهذه الحلية الإنسانية النبيلة.

ويسمى هذه الصفة السامية بـ (النصيحة).

روى الإمام الصادق (عليه السلام): (قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) إنّ أعظم الناس منزلة عند الله يوم القيامة أمشاهم في أرضه، بالنصيحة لخلقه)(٨٤٢).

وقال الإمام الباقر (عليه السلام): (قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): لينصح الرجل منكم أخاه كنصيحته لنفسه)(٨٤٣).

وقال (عليه السلام): (يجب للمؤمن على المؤمن أن يناصره)(٨٤٤).

وقال الإمام الصادق (عليه السلام): (يجب للمؤمن على المؤمن النصيحة له في المشهد والمغيب)(٨٤٥).

وقال (عليه السلام): (عليك بالنصح لله في خلقه، فلن تلقاه بعمل أفضل منه)(٨٤٦).

٨٤١ - جامع السعادات: ١٩٥/٢.

٨٤٢ - بحار الأنوار: ٣٥٨/٧٤، ب ٢٢ - جامع السعادات: ٢١٣/٢.

٨٤٣ - بحار الأنوار: ٣٥٨/٧٤، ب ٢٢ - جامع السعادات: ٢١٣/٢.

٨٤٤ - بحار الأنوار: ٣٥٧/٧٤، ب ٢٢ - جامع السعادات: ٢١٣/٢.

٨٤٥ - بحار الأنوار: ٣٥٨/٧٤، ب ٢٢ - جامع السعادات: ٢١٣/٢.

٨٤٦ - بحار الأنوار: ٣٣٨/٧٤، ب: قضاء حاجة المؤمن - جامع السعادات: ٢١٣/٢.

ولم لا ينصح الإنسان أخاه؟

الأنه يبخل بلسانه أم بفكره؟ وما نفع هذا البخل؟.

إنه لو نصح وأراه الصواب شكره وقدره ونصحه هو بدوره فيما احتاج الناصح إليه، ولا يزال ينصح حتى يعرف بالخير واستقامة الرأي فيحبه الناس، ويعيشون في كشف أفكاره وتدبيره.. وهل فوق ذلك من سيادة؟. إن الإنسان ربما لا ينصح، الحسد أو بخل أو حقد وهل ينفعه ترك نصحه؟ انه يجمع إلى صفاته الذميمة صفة ذميمة أخرى.. ثم يهجره المجتمع ولا يقيمون لرأيه وزناً، فهل هذا خير أم ذاك؟.

وقد نهى الإسلام أشدّ النهى عن الخيانة في مقام النصح فإنه بالإضافة

إلى كونه من الصفات الذميمة، توجب إلقاء الناس في المكاره، وإضلالهم عن الطريق، وأقبح بها من صفة بشعة، ورذيلة تافهة.

قال الإمام الصادق (عليه السلام): (قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): من سعى في حاجة لأخيه المسلم، فلم يناصره فقد خان الله ورسوله)(٨٤٧).

وقال (عليه السلام): (من مشى في حاجة أخيه، ثم لم يناصره فيها كان كمن خان الله ورسوله وكان الله خصمه)(٨٤٨).

وقد دحض الإسلام الغيبة - التي هي أكل لحم الأموات - في مورد النصح فقد أوجب نصح المستشير فإن الكشف عن دخيلة أمره أهون في نظر الإسلام من إلقاء بريء في مأزق.

والنصيحة في الغالب وليدة حب الخير للناس، الذي هو بدوره لا يسكن إلا في القلوب الخالية من الحسد والغل. والذي يمدح الإسلام طهارة القلب من رذيلة الحسد كما يمدح حب الخير، وحب أهل الخير وحب الصلحاء.

قيل لرسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): (الرجل يحب القوم ولما يلحق بهم؟ فقال: المرء مع من أحب)(٨٤٩).

وقال رجل بحضرته (صلى الله عليه وآله وسلم) بعد ما ذكرت الساعة:

(ما أعددت لها من كثير صلاة ولا صيام إلا أنني أحب الله ورسوله، فقال (صلى الله عليه وآله وسلم) أنت مع من أحببت)(٨٥٠).

ويروى أنه قيل له (صلى الله عليه وآله وسلم): (الرجل يحب المصلين ولا يصلي، ويحب الصوام ولا يصوم حتى عدّ أشياء؟ فقال (صلى الله عليه وآله وسلم): هو مع من أحب)(٨٥١).

والمنطق يؤيد هذه الأحاديث إن من أحب شخصاً لا يزال يدنوه حبه إلى أعماله حتى يأتي بمثل عمله، إن خيراً وإن شراً. ومن هنا أوجب الإسلام موالة الأولياء ومعاداة أعداء الله، فإن من والى شخصاً تشبّه به في أعماله وأقواله من عادى أحداً تبرأ من عمله.

وهذا وذاك يوجبان رفعة المجتمع، وإصلاح الفاسد، وتقوية أوامر الأفراد بعضهم إلى بعض.

أما بالنسبة إلى تطهير القلب من أدران الحسد ونحوه مما يمنع عن نمو الملكات الفاضلة: فقد روي: (أن رسول الله

(صلى الله عليه وآله وسلم) شهد لرجل من الأنصار: إنه من أهل الجنة)(٨٥٢) فلما فحصوا عن سببه وجدوا أن العلة

تعود إلى انه لا يغش أحداً، ولا يحسد على خير أعطي إلى أحد من المسلمين!

٨٤٧ - بحار الأنوار: ٢٨٧/٧٤، ب ٢٠ - جامع السعادات: ٢١٣/٢.

٨٤٨ - أصول الكافي: ٣٦٣/٢ - جامع السعادات: ٢١٣/٢.

٨٤٩ - جامع السعادات: ٢١٢/٢.

٨٥٠ - جامع السعادات: ٢١٢/٢.

٨٥١ - جامع السعادات: ٢١٢/٢.

٨٥٢ - جامع السعادات: ٢١٣/٢.

ويروى: (أن موسى الكليم (عليه السلام) لما تعجل إلى ربه، رأى في ظل العرش رجلاً، فغبطه بمكانه، وقال: إن هذا لكريم على ربه فسأل ربه أن يخبره باسمه؟ فلم يخبره باسمه، وقال: أهدتك من عمله، كان لا يحسد الناس على ما آتاهم الله من فضله وكان لا يعق والديه، ولا يمشي بالنميمة)(٨٥٣).

إحتقار الغير

شجرة خبيثة تثمر أشبع الثمار كأنها رؤوس الشياطين إنها تنبت في القلب فلا تزال تنمو حتى تؤتي أكلها المرّ، وتظهر ثمارها الفجّة، من العين واللسان والحركة والجري.. إن الشخص إذا احتقر أحداً سبّه بلسان حاد وهمزه ولمزه وآذاه وأهانته.

وهذه الأمور من نتائج تلك!

وكلها محرمة في الشريعة المطهرة متوعد عليها العقاب الأليم وتفسد الاجتماع وتورد الناس موارد الهلكة. والمحتقر لا بد وأن يحتقر. فإنه كيف يعظم من نظر إلى الناس بالازدراء؟. كما تدين تدان، وكما تعمل يعمل بك.

قال الله تعالى: (الَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بَغْيٍ مَّا كُنْتُمْ بِنُفْسِكُمْ إِذَا حَمَلْتُمْ أَوْلَادًا بِغِيظٍ كُنْتُمْ كَالْأَنْجَارِ يُوقَدُونَ). وقال تعالى: (وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ)(٨٥٥).

وقال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): (من آذى مؤمناً فقد آذاني، ومن آذاني فقد آذى الله، ومن آذى الله فهو ملعون في التوراة والإنجيل والذبور والفرقان)(٨٥٦).

وقال (صلى الله عليه وآله وسلم): (المسلم من سلم المسلمون من يده ولسانه)(٨٥٧). وهل يسلم أحد من يد السارق أو الباطش بغير حق، أو الكاتب المبطل، أو ما أشبهه أو يسلم من يستغيب أو يبهد أو يؤذي أو يسرق أو نحو ذلك؟ وهل من يعمل هذه الأعمال بمسلم؟ وكما كان ربح المجتمع الإسلامي لو عمل كل مسلم بهذا الحديث فقط؟

وقال (صلى الله عليه وآله وسلم): (لا يحل للمسلم أن يشير إلى أخيه بنظرة تؤذيه)(٨٥٨).

وقال (صلى الله عليه وآله وسلم): (ألا أتبنكم بالمؤمن؟.. من أئتمنه المؤمنون على أنفسهم وأموالهم.. ألا أتبنكم بالمسلم؟ من سلم المسلمون من لسانه ويده.

والمؤمن حرام على المؤمن أن يظلمه، أو يخذله، أو يغتابه، أو يدفعه دفعة)(٨٥٩).

وقال (صلى الله عليه وآله وسلم): (أفضل المسلمين من سلم المسلمون من لسانه ويده)(٨٦٠).

٨٥٣ - جامع السعادات: ٢١٣/٢.

٨٥٤ - سورة الأحزاب: آية ٥٨.

٨٥٥ - سورة الهمزة: آية ١.

٨٥٦ - جامع السعادات: ٢١٤/٢.

٨٥٧ - مكارم الأخلاق: ٤٧٢ - جامع السعادات: ٢١٤/٢.

٨٥٨ - جامع السعادات: ٢١٤/٢.

٨٥٩ - جامع السعادات: ٢١٤/٢.

٨٦٠ - جامع السعادات: ٢١٦/٢.

وقال الامام الصادق (عليه السلام): (قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) قال الله عز وجل: قد نابذني من أذلّ عبدي المؤمن)(٨٦١).

وقال (عليه السلام): (قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): قال الله تبارك وتعالى: من أهان لي ولياً فقد أُرصد لمحاربتي)(٨٦٢).

وقال (عليه السلام): (قال الله عز وجل: ليأذن بحرب مني من أدى عبدي المؤمن)(٨٦٣)

وقال (عليه السلام): (إذا كان يوم القيامة نادى مناد: أين المؤذون لأوليائي؟ فيقوم قوم ليس على وجوههم لحم. فيقال: هؤلاء الذين آذوا المؤمنين، وصبوا لهم، وعاندوهم، وعنفوهم في دينهم، ثم يؤمر بهم إلى جهنم)(٨٦٤).

وقال (عليه السلام): (إن الله تبارك وتعالى يقول: من أهان لي ولياً فقد أُرصد لمحاربتي، وأنا أسرع شيء إلى نصره أوليائي)(٨٦٥).

وربما يظن الظان إن الله لم ينصر أوليائه، وإلا فكيف ضرب وسبّ عليّ (عليه السلام) أو قتل الحسين (عليه السلام) أو أهين الأنبياء؟ وهذا ظن قاصر النظر، إن النصره ليس معناها إنقاذ الحياة المادية فحسب من الأخطار، وأية قيمة للحياة المادية فقط؟ وهل نصر عليّ أمير المؤمنين (عليه السلام) الذي يذكر في جميع العالم بكل تجلّة وإعظام، أم نصر غريمه المأفون معاوية، والشقي ابن ملجم اللذين يسبّان مدى الأجيال، وهل نصر الإمام الحسين (عليه السلام) أم نصر يزيد.

إن النصره ليس معناه أن يوفر الله الرفاه على المرء، بل معناها أن يغلب الإنسان على أعدائه إن عاجلاً أو آجلاً: (إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ)(٨٦٦).

وقال الإمام (عليه السلام): (من حقر مؤمناً مسكيناً أو غير مسكين لم يزل الله عز وجل حاقراً له ماقتاً حتى يرجع عن محقرته إيّاه)(٨٦٧).

وهذا الحديث يشير إلى أمر يعاكسه الناس غالباً، إنهم كثيراً ما يحقرون ذوي السلطة والثروة بلا مبرر، غير إنّه من الطبقة العليا، والأغرب إنهم يتقربون إلى الله بذلك! لكن الإسلام ينهي عن ذلك أشدّ نهياً، إن التحقير في نظر الإسلام ليس لهذه الأمور، كما إن التعظيم ليس للجاه أو المال. فكلا الأمرين خارجان عن الموازين المنطقية، وإنما التحقير والتعظيم يجب أن يكونا لموازين عادلة، وبقسطاس مستقيم.

ثم أن التحقير له مصاديق عديدة.

فمن التحقير أن لا تقوم لمن يستحق القيام - في المجلس - ومن التحقير أن لا تسلّم على الكبير أو لا ترد السلام برد جميل.

ومن التحقير أن تشير إلى شخص - مهما كان عمله حقيراً، أو مرتبته منخفضة بالإزدراء.

ومن التحقير أن تصعّر خدك للناس وتمشي في الأرض مرحاً، وترى نفسك فوق الناس إلى غير ذلك.

والإسلام ليس سلبياً فحسب ينهي عن الإيذاء والإهانة، بل في الطرف الإيجابي، يأمر برد الأذى ودفع العادية.

٨٦١ - أصول الكافي: ٣٥٢/٢ - جامع السعادات: ٢١٥/٢.

٨٦٢ - أصول الكافي: ٣٥٢/٢ - جامع السعادات: ٢١٥/٢.

٨٦٣ - أصول الكافي: ٣٥٠/٢ - جامع السعادات: ٢١٥/٢.

٨٦٤ - أصول الكافي: ٣٥١/٢ - جامع السعادات: ٢١٥/٢.

٨٦٥ - أصول الكافي: ٣٥١/٢ - جامع السعادات: ٢١٥/٢.

٨٦٦ - سورة غافر: آية ٥١.

٨٦٧ - أصول الكافي: ٣٥١/٢ - جامع السعادات: ٢١٥/٢.

قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): (من ردّ عن قوم من المسلمين عادية ما أو أذى وجبت له الجنة)(٨٦٨).

وقال (صلى الله عليه وآله وسلم): (رأيت رجلاً يتقلب في الجنة في شجرة قطعها عن ظهر الطريق كانت تؤذي المسلمين)(٨٦٩).

وقال (صلى الله عليه وآله وسلم) - بعد أمره بالفضائل -: (.. فإن لم تقدر، فدع الناس من الشرّ فإنها صدقة تصدّقت بها على نفسك).

وقال (صلى الله عليه وآله وسلم): (من زحزح من طريق المسلمين شيئاً يؤذيهم كتب الله له به حسنة أو جب له بها الجنة)(٨٧٠).

أما إكرام المسلم وتعظيمه، وتوقيره وتجلته، فما يأمر بها الإسلام، حسب طبيعته الأولية، فإن الإكرام يورث المحبة، ويوجب الألفة.

قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): (من أكرم أخاه المسلم بكلمة يلفه بها، وفرّج عنه كربته، لم يزل في ظل الله الممدود، وعليه الرحمة، ما كان في ذلك)(٨٧١).

وقال (صلى الله عليه وآله وسلم): (ما في أمّتي عبد، أطف أخاه في الله، بشيء من لطف، إلا أخدمه الله من خدم الجنة)(٨٧٢).

وقال (صلى الله عليه وآله وسلم): (أيما مسلم خدم قوماً من المسلمين إلا أعطاه الله مثل عددهم خداماً في الجنة)(٨٧٣).

وقال الإمام الصادق (عليه السلام): (قال الله سبحانه: ليامن من غضبي من أكرم عبدي المؤمن)(٨٧٤).

وقال (عليه السلام): (من أخذ من وجه أخيه المؤمن قذاة، كتب الله عز وجل له عشر حسنات، ومن تبسّم في وجه أخيه كانت له حسنة)(٨٧٥).

وقال (عليه السلام): (من قال لأخيه مرحباً! كتب الله له مرحباً إلى يوم القيامة)(٨٧٦).

وقال (عليه السلام): (من أتاه أخوه المؤمن فأكرمه، فإنما أكرم الله عز وجل)(٨٧٧).

وقال (عليه السلام) - لإسحاق بن عمار -: (أحسن يا إسحاق إلى أوليائي ما استطعت، فما أحسن مؤمن إلى مؤمن ولا أعانه، إلا خمّس وجه إبليس وقرح قلبه)(٨٧٨).

ومن أكرم الناس أكرم، فلا يتلقى الإنسان إلا جزاء ما عمل يقول الشاعر:

و من هاب الرجال تهيّبوه***ومن وهن الرجال فلن يهابا

فيرجع إكرام الأخ - في المسائل - إلى إكرام النفس.. وأي عاقل لا يحب إكرام نفسه؟. إنك إن وقرت حيواناً شاعراً وقرتك، فكيف بإنسان عاقل؟...

٨٦٨ - جامع السعادات: ٢١٦/٢.

٨٦٩ - جامع السعادات: ٢١٦/٢.

٨٧٠ - جامع السعادات: ٢١٦/٢.

٨٧١ - بحار الأنوار: ٢٩٩/٧٤، ب ٢٠ - جامع السعادات: ٢١٦/٢.

٨٧٢ - بحار الأنوار: ٢٩٨/٧٤، ب ٢٠ - جامع السعادات: ٢١٦/٢.

٨٧٣ - بحار الأنوار: ٣٥٧/٧٤، ب ٢٢ - جامع السعادات: ٢١٧/٢.

٨٧٤ - جامع السعادات: ٢١٦/٢.

٨٧٥ - بحار الأنوار: ٢٩٧/٧٤، ب ٢٠ - جامع السعادات: ٢١٧/٢.

٨٧٦ - بحار الأنوار: ٢٩٨/٧٤، ب ٢٠ - جامع السعادات: ٢١٧/٢.

٨٧٧ - بحار الأنوار: ٢٩٨/٧٤، ب ٢٠ - جامع السعادات: ٢١٧/٢.

٨٧٨ - جامع السعادات: ٢١٧/٢.

وبعد هذه الخطوط العامة، يؤكد الإسلام على إكرام كل ذي مزية تأكيداً أكبر.
قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): (من عرف فضل كبير لسنته فوفره آمنه الله من فزع يوم القيامة)(٨٧٩).

وقال الإمام الصادق (عليه السلام): (إن من إجلال الله عز وجل: إجلال ذي الشيبة المسلم)(٨٨٠).
وقال (عليه السلام): (ليس منا من لم يوقر كبيرنا، ويرحم صغيرنا)(٨٨١).
وقد خصص الإسلام الذرية الطاهرة بتأكيد أكبر... ولماذا؟! هل لأن الإسلام يحابي الإكرام، ويضع القانون عبثاً؟ كلا! إن الإسلام الذي يقول: (... إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ...) (٨٨٢) ، فلم إذأ.. يا ترى؟
إن توقير هؤلاء توقير للصادق بالوحي؟! وهل لا يستحق كبير - كالنبي (صلى الله عليه وآله وسلم) - لهذا المقدر من الإحترام؟ إن الإنسان يحترم عبداً لتقى أو علم، لأنه مربوط به، واحترام العبد احترام السيد، فكيف لا يحترم من هو من صلب النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) الذي أضاع العالم بتعاليمه؟
نعم الإسلام يبرأ من الذي لا يؤمن بالله واليوم الآخر و فيمن نزلت (تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ)(٨٨٣).
وهناك علة أخرى لتوقير المنسوبين إلى النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وهي:
إن التوقير لشخص أو ذويه، يرجع بالمآل إلى توقير المبدأ الذي أتى به ذلك الشخص. فهل المسلم يوقر عبداً لكافر؟ كلا! إذ يحتوي هذا التوقير على توقير مبدأ الكفر، إذأ: فتوقير الذرية الطاهرة توقير لمبدأ الإسلام.. وما أعظم هذا من فائدة؟.

قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): (حقت شفاعتي لمن أعان ذريتي بيده ولسانه وماله)(٨٨٤).
وقال (صلى الله عليه وآله وسلم): (أربعة أنا لهم شفيع يوم القيامة:
المكرم لذريتي، والقاضي لهم حوائجهم، والساعي لهم في أمورهم عندما اضطرّوا إليه، والمحِبُّ لهم بقلبه ولسانه)(٨٨٥).

وقال (صلى الله عليه وآله وسلم): (أكرموا أولادي: الصالحون لله، والظالمون لي)(٨٨٦).
أما خدمة الناس، وإيصال النفع إليهم.. فمما يحبّه الإسلام ويجعل له قسطاً كبيراً من الثواب.
قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): (الخلق عيال الله! فأحب الخلق إلى الله: من نفع عيال الله، وأدخل على أهل بيته سروراً)(٨٨٧).
وسئل (صلى الله عليه وآله وسلم): (من أحبّ الناس إلى الله...؟ قال (صلى الله عليه وآله وسلم): أنفع الناس للناس)(٨٨٨).

وقال (صلى الله عليه وآله وسلم): (خصلتان من الخير، ليس فوقهما شيء من البر: الإيمان بالله.. والنفع لعباد الله، وخصلتان ليس فوقهما شيء من الشر: الشرك بالله.. والضرب لعباد الله)(٨٨٩).

-
- ٨٧٩ - جامع السعادات: ٢١٧/٢.
٨٨٠ - أصول الكافي: ١٦٥/٢ - جامع السعادات: ٢١٧/٢.
٨٨١ - أصول الكافي: ١٦٥/٢ - جامع السعادات: ٢١٧/٢.
٨٨٢ - سورة الحجرات: آية ١٣.
٨٨٣ - سورة المسد: آية ١.
٨٨٤ - جامع السعادات: ٢١٨/٢.
٨٨٥ - جامع السعادات: ٢١٨/٢.
٨٨٦ - جامع السعادات: ٢١٨/٢.
٨٨٧ - بحار الأنوار: ٣٣٩/٧٤، ب ٢٠ - جامع السعادات: ٢١٨/٢.
٨٨٨ - بحار الأنوار: ٣٣٩/٧٤، ب ٢٠ - جامع السعادات: ٢١٨/٢.

هذا شطر من الأخلاق الإسلامية؟.

فهل تجد فيها رجعية أو جموداً؟ أو هل تجد فيها تزمتاً أو ميوعة؟

كلا! وألف كلا!!

إنه الإسلام... والإسلام وحده.. والإسلام العظيم. الذي امتلأت جوانبه رحمة وشفقة، وعظفاً وحناناً، وحباً وإحساناً وألفةً واجتماعاً، وخيراً وصلاحاً وحقائق أبدية، وفضائل فردية واجتماعية.

لم يمت. ولن يموت إلى أبد الدهر.

ولا تجد. ولن تجد. مثله أبداً سواً في الأديان السالفة أم في المبادئ المعاصرة أم في الطرق المختلفة.

وهذا هو الطريق لسعادة الإنسان وخلصه من كل عناء وشقاء.

(وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ...)(٨٩٠) في دنياه، أما في آخرته فهو من الخاسرين!..

العدل

لفظة: ع. د. ل

أما معناه: فأحلى من كل حلو، وأعذب من كل عذب، يجري على اللسان، كما يجري الماء الرقاق في النهر ويطعمه الإنسان كما يطعم الفاكهة الهينة. ولا شيء مثله في صعوبة التطبيق وشدة مشقة الملازمة في جميع جوانب الحياة، وهل يتمكن الإنسان من الاستقامة في شؤونه عامة، ومن إقامة كل أحد على حقه، ومن كف الأذى والظلم - ولو كان الظلم مثل جلب جلد شعيرة من فم نملة - عن كل ذي حياة؟!.

انه صعب جداً وصعب!

والإسلام يريده ويريد بالتأكيد فلا يرضى بالظلم مهما صغر ويخصص فصلين بارزين من فصول إرشاداته لهذين الأمرين فيزجي نصائح متتالية بصدد وجوب العدل، كما يسرد عقوبات وتوجيهات لغرض حرمة الظلم.

يقول الله تعالى: (إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَظْلِمُونَ النَّاسَ وَيَبْغُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ)(٨٩١).

ويقول: (وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَافِلًا عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ...)(٨٩٢).

ويقول: (... وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ)(٨٩٣).

وقال نبي الإسلام محمد (صلى الله عليه وآله وسلم): (اتقوا الظلم فإنه ظلمات يوم القيامة)(٨٩٤).

وقال (صلى الله عليه وآله وسلم): (إن أهون الخلق على الله من ولي أمر المسلمين فلم يعدل فيهم)(٨٩٥).

وقال (صلى الله عليه وآله وسلم): (جور ساعة في حكم، أشد وأعظم عند الله من معاصي تسعين سنة)(٨٩٦).

٨٨٩ - جامع السعادات: ٢١٨/٢.

٨٩٠ - سورة آل عمران: آية ٨٥.

٨٩١ - سورة الشورى: آية ٤٢.

٨٩٢ - سورة إبراهيم: آية ٤٢.

٨٩٣ - سورة الشعراء: آية ٢٢٧.

٨٩٤ - بحار الأنوار: ٣٣٠/٧٥، ب: الظلم - جامع السعادات: ٢٢٠/٢.

٨٩٥ - جامع السعادات: ٢٢٠/٢.

٨٩٦ - جامع السعادات: ٢٢٠/٢.

وقال (صلى الله عليه وآله وسلم): (إنما خاف القصاص من كف عن ظلم الناس)(٨٩٧).
وقال الإمام زين العابدين - لولده الباقر (عليه السلام) حين حضرته الوفاة: (يا بني إياك وظلم من لا يجد عليك ناصرًا إلا الله)(٨٩٨).

إنه أشدّ الظلم وأقساه فمن يجد الناصر كان رفع الظلم عليه أقل، إذ يحلم بالانتقام بمن يستظهره من ناصريه أما من لا يجد فمذاق الظلم في فيه أحرّ من الحنظل، وإتكانه كلاً على الله تعالى وهيئات أن يخيب الله رجاء من انكسر قلبه وتوجه بكله إليه!

وقال الإمام باقر العلوم (عليه السلام): (ما من أحد يظلم بمظلمة إلا أخذ الله تعالى بها في نفسه أو ماله)(٨٩٩).
وقال له (عليه السلام) رجل: (إني كنت من الولاة فهل لي من توبة؟ فقال: لا، حتى تؤدي إلى كل ذي حق حقه)(٩٠٠).

وقال (عليه السلام): (الظلم ثلاثة: ظلم يغفره الله تعالى، وظلم لا يغفره الله تعالى، وظلم لا يدعه الله...
فأما الظلم الذي لا يغفره الله عز وجل: فالشرك.
وأما الظلم الذي يغفره الله عز وجل: فظلم الرجل نفسه فيما بينه وبين الله.
وأما الظلم الذي لا يدعه فالمداينة بين العباد)(٩٠١).
فالقسمان الأولان من الظلم يكون مدار الأمر فيهما على العقاب وعدمه، أما ظلم الناس فإنه بالإضافة إلى العقاب لا بد وان يقاضيه الله في الدنيا.

وقال الإمام الصادق (عليه السلام) في قوله تعالى: (إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ)(٩٠٢) قنطرة على الصراط لا يجوزها عبد بمظلمة)(٩٠٣).

وقال (عليه السلام): (ما من مظلمة أشدّ من مظلمة لا يجد صاحبها عليها عوناً إلا الله تعالى)(٩٠٤).
وقال (عليه السلام): (من أكل من مال أخيه ظلماً ولم يرده إليه أكل جذوة من النار يوم القيامة)(٩٠٥).
وقال (عليه السلام): (إن الله عز وجل أوحى إلى نبي من أنبيائه - في مملكة جبار من الجبارين - أن انت هذا الجبار فقل له: إني لم أستعملك على سفك الدماء، وإتخاذ الأموال وإنما استعملتك لتكف عني أصوات المظلومين فإني لم أدعهم لظلامتهم وإن كانوا كقاراً)(٩٠٦).

فالكافر إنما يظلم نفسه أما أن يظلمه غيره فلماذا؟ والله الذي خلقه لا يرضى بظلمه وإن كان لظلم نفسه - كما في الآية الكريمة: (...إِنَّ الشَّرَّكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ)(٩٠٧) يستحق نكالاً من الله وعذاباً.

وقال (عليه السلام): (أما أن المظلوم يأخذ من دين الظالم أكثر مما يأخذ الظالم من مال المظلوم، ثم قال: من يفعل الشر بالناس فلا ينكر الشر إذا فعل به، أما أنه يحصد ابن آدم ما يزرع وليس يحصد أحد من المرّ حلوّاً ولا من الحلو مرّاً)(٩٠٨).

-
- ٨٩٧ - بحار الأنوار: ٣١٣/٧٥، ب: الظلم - جامع السعادات: ٢٢٠/٢.
٨٩٨ - أصول الكافي: ٣٣١/٢ - جامع السعادات: ٢٢٠/٢.
٨٩٩ - أصول الكافي: ٣٣٢/٢ - جامع السعادات: ٢٢٠/٢.
٩٠٠ - أصول الكافي: ٣٣١/٢ - جامع السعادات: ٢٢٠/٢.
٩٠١ - بحار الأنوار: ٣٢٢/٧٥، ب: الظلم - جامع السعادات: ٢٢٠/٢.
٩٠٢ - سورة الفجر: آية ١٤.
٩٠٣ - بحار الأنوار: ٣١٢/٧٥، ب: الظلم - جامع السعادات: ٢٢٠/٢.
٩٠٤ - بحار الأنوار: ٣٢٩/٧٥، ب: الظلم - جامع السعادات: ٢٢٠/٢.
٩٠٥ - بحار الأنوار: ٣١٣/٧٥، ب: الظلم - جامع السعادات: ٢٢٠/٢.
٩٠٦ - بحار الأنوار: ٣٣١/٧٥، ب: الظلم - جامع السعادات: ٢٢٠/٢.
٩٠٧ - سورة لقمان: آية ١٣.

انه ميزان دقيق ودقيق جداً. فهل رأيت ثمار الحنطة شعيراً أو ثمار الحنظل شهداً؟ وهذا الميزان جاء في خطرات القلب وفتات اللسان وإعمال الأجهزة فمن ظن سوءاً بالناس ظن به سوءاً، ومن همز الناس بلسانه أو أشار إليهم بعينه، أو سطا عليهم بيده، لا بد وأن يتلقى مثل ذلك إن لم يتلق أضعافه رأيت حنطة واحدة تثمر سبع سنابل في كل سنبله مائة حبة؟.

وهناك حديث عجيب - بادي ذي بدء - وان كان لدى التحليل يظهر معناه كالشمس الضاحية. عن عبد الأعلى: قال (عليه السلام): (من ظلم سلب الله عليه من يظلمه أو على عقبه أو على عقب عقبه. فذكرت في نفسي قلت: - هو يظلم فيسلط الله على عقبه أو على عقب عقبه؟! فقال لي قبل أن أتكلم: قال: فإن الله تعالى يقول: (وَلَيْخَشَ الَّذِينَ لَوْ تَرَكَوْا مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَافاً خَافُوا عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُوا اللَّهَ وَلْيَقُولُوا قَوْلًا سَدِيداً)(٩٠٩)(٩١٠).

وموضع التساؤل في هذه الرواية والآية أمران: الأول: كيف يسلب الله على عقبه أو عقب عقبه؟ أليس يقول القرآن: (... وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى...)(٩١١) إن الأب ظلم فما للولد يُظلم؟.

الثاني: أي ارتباط عادي بين ظلم الأب وتسلط الظالم على الأولاد؟. لكن الجواب سهل جداً: أليس مدمن الخمر يسبب ضعف أولاده عقلياً؟ أو ليس قد جعل الله هذه الخاصية في الخمر؟ إن الله جعل أمور الكون الطبيعية بعضها مرتبطاً ببعض، أما الإثم والعقاب فلا يتحملهما إلا الفاعل. وهذا هو وجه الجمع بين آية (ولا تزر) وآية (وليخشى) فعدم التحمل إنما هو بالنسبة إلى العقاب.. أما الخشية فهي بالنسبة إلى ما جرى من سنن الكون.

وأما ارتباط الظلم بالأعقاب.. فالوجه فيه واضح: فإن من يظلم لا بد وأن يثير على ضده المظلومين ومن إليهم، والمظلوم أو الموالي له لا بد وأن ينتقم أن عاجلاً أو أجلاً فالانتقام العاجل يقع على نفس الظالم والانتقام الأجل يقع على عقبه.

إذاً على الإنسان العاقل المحب لذاته وعقبه: أن لا يظلم فإن ظلمه يصيب نفسه وذويه. هذا هو شأن الظلم في نظر الإسلام. أما العدل

فالإسلام يؤكد عليه كل تأكيد وقد أرصد لهذه الفضيلة السامية حشداً كبيراً من الآيات والآثار والأقوال والأعمال. وعنوان الإسلام البارز الذي يتجلى به غرة هذا الدين المبارك قوله تعالى: (إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى...)(٩١٢).

وينهى عن الفحشاء والمنكر.. والبغي... والإحسان فوق العدل. فلو رددت الدين كان عدلاً، ولو وهبت له من نفسك متعة فوق طلبه كانت إحساناً! وفي آية أخرى: (إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ)(٩١٣).

٩٠٨ - بحار الأنوار: ٣٢٨/٧٥، ب: الظلم - جامع السعادات: ٢٢١/٢.

٩٠٩ - سورة النساء: آية ٩.

٩١٠ - بحار الأنوار: ٣١٥/٧٥، ب: الظلم - جامع السعادات: ٢٢١/٢.

٩١١ - سورة الاسراء: آية ١٥.

٩١٢ - سورة النحل: آية ٩٠.

٩١٣ - سورة النساء: آية ٥٨.

وقال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): (عدل ساعة خير من عبادة سبعين سنة، قيام ليلها وصيام نهارها)(٩١٤).

وقال الإمام الصادق (عليه السلام): (من أصبح لا ينيو ظلم أحدٍ غفر الله تعالى له ذلك اليوم، ما لم يسفك دماً أو يأكل مال يتيم حراماً)(٩١٥).

وليس المراد بالظلم هو الإيذاء فحسب بل كل تعد لساني أو عرضي أو مالي أو ما أشبه ظلم. إذ: معنى الحديث: لا يهم التاجر بالغش والكاسب بالتطفيف، والحاكم بالجور، والمقرض بالربا وهكذا. وهكذا...

وقال (عليه السلام): (العدل أحلى من الماء يصيبه الظمان ما أوسع العدل إذا عدل فيه: وإن قل)(٩١٦).
وقال (عليه السلام): (العدل أحلى من الشهد، وألين من الزبد، وأطيب ريحاً من المسك)(٩١٧).
إنه كذلك.. فبالعدل يرتاح النفس، ويطمئن خاطر ويأمن العباد وتتقدم البلاد، وأي شهد وزبد ومسك، بهذه المشابهة؟.

وقال (عليه السلام): (اتقوا الله واعدلوا، فإنكم تعيرون على قوم لا يعدلون)(٩١٨).
وما أقبح أن يعيب الإنسان صفة ثم يأتي هو بها.
وقال الشاعر:

لا تنهى عن خلق وتأتي مثله*** عار عليك إذا فعلت عظيم

سرور المؤمن

في الإسلام أهمية كبرى للقلب. وقد اعتنى به أكبر اعتناء على قدر ما اعتنى بالأعضاء والجوارح إذ القلب مصدر الخيرات والشور ومبعث الأعمال والأفعال.

ويندب الإسلام إلى ادخال السرور على المؤمن وتفريج فواده سواء أكان ذلك بخط مستقيم، أم بقضاء حاجة له ورفع مشكلة أحاطت به، كما انه في الوقت نفسه يحذر من إخافة المؤمن، وإدخال الكرب عليه.

وهذان الأمر والنهي يعودان إلى الفاعل على حد ما يعودان إلى المفعول لأجله، فإذا أفرح الإنسان قلباً فرح هو بنفسه، وإذا أحزن شخصاً حزن هو بنفسه، وهذا من جلال نعم الله تعالى الذي به تحفظ على الإلفة والاجتماع فلو كان فاعل الخير كفاعل الشر من حيث نفس الفاعل.

فلم يكن يفرح فاعل الخير، ولم يكن يحزن فاعل الشر، لكثرت الشرور والآثام وانتشرت الرذائل والإجرام.
أما إدخال السرور على المؤمن - كيفما كان - فقد ندب الإسلام:

٩١٤ - جامع السعادات: ١٢١/١ و ٢٢٣/٢.

٩١٥ - بحار الأنوار: ٣٢٤/٧٥، ب: الظلم - جامع السعادات: ٢٢٣/٢.

٩١٦ - بحار الأنوار: ٣٦/٧٤، ب: الإتصاف والعدل - جامع السعادات: ٢٢٣/٢.

٩١٧ - جامع السعادات: ٢٢٣/٢.

٩١٨ - جامع السعادات: ٢٢٣/٢.

قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): (من فرج عن مغموم أو أعان مظلوماً غفر الله له ثلاثاً وسبعين مغفرة)(٩١٩).

وقال (صلى الله عليه وآله وسلم): (من حمى مؤمناً من ظالم، بعث الله له ملكاً يوم القيامة يحمي لحمه من نار جهنم)(٩٢٠).

وقال (صلى الله عليه وآله وسلم): (انصر أخاك ظالماً أو مظلوماً فقليل: كيف ينصره ظالماً؟ قال: تمنعه من الظلم)(٩٢١).

وقال الإمام الصادق (عليه السلام): (من أغاث أخاه المؤمن اللهفان اللهثان، عند جهده فنفس كربته وأعانه على نجاح حاجته، كتب الله تعالى بذلك اثنتين وسبعين رحمة يجعل له منها واحدة يصلح بها أمر معيشته ويدخر له إحدى وسبعين رحمة لأفراع يوم القيامة وأهواله)(٩٢٢).

وقال (عليه السلام): (من نفس عن مؤمن كربة نفس الله عنه كرب الآخرة وخرج من قبره وهو ثلج الفؤاد)(٩٢٣).

وقال (عليه السلام): (قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): إن أحب الأعمال إلى الله عز وجل إدخال السرور على المؤمن)(٩٢٤).

وقال الإمام الباقر (عليه السلام): (تبسّم الرجل في وجه أخيه حسنة، وصرفه القذى عنه حسنة، وما عبد الله بشيء أحب إلى الله من إدخال السرور على المؤمن)(٩٢٥).

إن إدخال السرور على المؤمنين مصدر الإلفة التي هي بدورها توجب رقيّ الاجتماع مما يسبّب كل طاعة وعبادة وتهدم كل فساد وخبال.

فلم لا يكون أحب العبادات إلى الله تعالى؟

وقال (عليه السلام): (لا يرى أحدكم إذا أدخل على مؤمن سروراً أنّه عليه فقط بل - والله - علينا؟ بل - والله - على رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)) (٩٢٦).

وقال الإمام الرضا (عليه السلام): (من فرّج عن مؤمن، فرّج الله عن قلبه يوم القيامة)(٩٢٧).

وقال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): (من سرّ مؤمناً فقد سرّني، ومن سرّني فقد سرّ الله)(٩٢٨).
وروى أبان بن تغلب، قال: سألت أبا عبد الله (عليه السلام): عن حق المؤمن على المؤمن؟

فقال: (حق المؤمن على المؤمن أعظم من ذلك؟ لو حدثتكم

لكفرتكم! إن المؤمن إذا أخرج من قبره، خرج معه مثال من قبره، يقول له: ابشر بالكرامة من الله والسرور.

٩١٩ - جامع السعادات: ٢٢٥/٢.

٩٢٠ - جامع السعادات: ٢٢٥/٢.

٩٢١ - جامع السعادات: ٢٢٥/٢.

٩٢٢ - بحار الأنوار: ٣١٩/٧٤، ب: قضاء حاجة المؤمن - جامع السعادات: ٢٢٥/٢.

٩٢٣ - بحار الأنوار: ٣٨٦/٧٤، ب: ٢٣ - جامع السعادات: ٢٢٦/٢.

٩٢٤ - بحار الأنوار: ٣١٩/٧٤، ب: قضاء حاجة المؤمن - جامع السعادات: ٢٢٦/٢.

٩٢٥ - بحار الأنوار: ٢٨٨/٧٤، ب: قضاء حاجة المؤمن - جامع السعادات: ٢٢٦/٢.

٩٢٦ - بحار الأنوار: ٢٩٠/٧٤، ب: قضاء حاجة المؤمن - جامع السعادات: ٢٢٦/٢.

٩٢٧ - بحار الأنوار: ٣٢١/٧٤، ب: قضاء حاجة المؤمن - جامع السعادات: ٢٢٦/٢.

٩٢٨ - بحار الأنوار: ٢٨٧/٧٤، ب: قضاء حاجة المؤمن - جامع السعادات: ٢٢٦/٢.

فيقول له: بشرك الله بخير. ثم يمضي معه يبشره بمثل ما قال.. وإذا مر بهول، قال: ليس هذا لك. وإذا مر بخير قال: هذا لك، فلا يزال معه يؤمنه ما يخاف، ويبشره بما يحب حتى يقف معه بين يدي الله عز وجل، فإذا أمر به إلى الجنة، قال المثال: أبشر فإن الله عز وجل، أمر بك إلى الجنة؟.

قال: فيقول: من أنت رحمك الله تبشرني من حين خرجت من قبري وأنتني في طريقي وخبرتي عن ربي؟ قال: فيقول: أنا السرور الذي كنت تدخله على إخوانك في الدنيا خلقت منه لأبشرك وأونس وحشتك(٩٢٩).

وروى ابن سنان، قال: (كان رجل عند أبي عبد الله (عليه السلام) فقرأ هذه الآية: (وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بَغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدِ احْتَمَلُوا بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُّبِينًا) (٩٣٠) قال أبو عبد الله (عليه السلام): فما ثواب من أدخل عليه السرور؟ فقلت: جعلت فداك عشر حسنات؟ قال: إي والله وألف ألف حسنة(٩٣١).

ومن هنا يعلم نظر الإسلام بالنسبة إلى إيذاء المؤمن وإضراره وما أشبهه، قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): (من نظر إلى مؤمن نظرة ليخيفه بها، أخافه الله تعالى يوم لا ظل إلا ظله(٩٣٢)).

وقال الإمام الصادق (عليه السلام): (من روع مؤمناً ليصيبه منه مكروه فلم يصبه فهو في النار، ومن روع مؤمناً بسُلطان ليصيبه منه مكروه فأصابه فهو مع فرعون وآل فرعون في النار(٩٣٣)).

وقال (عليه السلام): (من أدخل السرور على مؤمن أدخله على رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ومن أدخله على رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فقد وصل ذلك إلى الله تعالى وكذلك من أدخل عليه كرباً(٩٣٤)). إلى غيرها من الأخبار.

وقد تقدم بعضها لكن ليعلم ان ليس من تفريح المؤمن - الممدوح - تفريجه بعصيان الله - كما يتوهمه الجاهل - فإنه لا مشوبة في سخط الخالق.

قضاء الحوائج

من لوازم كون الإنسان اجتماعياً: إن لكل فرد حوائج لا تقوم إلا بالآخرين فكل فرد في المجتمع مثله كل جزء في الجسد، لا يتمكن من استيفاء مصالحه إلا بالتعاون، فالعين - مثلاً - تحتاج إلى أيد في تناول الطعام، والفم في الإزدراء، والمعدة في الهضم وهكذا وتلك الأعضاء - بدورها - تحتاج إلى العين، في الإكتساب والاهتداء، وتجنب مواقع الخطر. وإذا كان كل فرد محتاجاً، ومحتاجاً إليه - في آن واحد - فمن اللازم أن يعين الآخر ويعاني بالآخرين حتى يدور رحى المجتمع.

هذا أصل أولي، لا يشك فيه إلا من انقطع عن الإنسانية وسكن الغاب.

وهنا يأتي الإسلام ليوجه الناس إلى هذا الأصل، ويحرصهم على قضاء حوائج الآخرين فإن ذلك يؤدي وظائف ثلاث:

-
- ٩٢٩ - بحار الأنوار: ٢٩٤/٧٤، ب: قضاء حاجة المؤمن - جامع السعادات: ٢٢٦/٢.
٩٣٠ - سورة الاحزاب: آية ٥٨.
٩٣١ - بحار الأنوار: ٢٩٦/٧٤، ب: قضاء حاجة المؤمن - جامع السعادات: ٢٢٧/٢.
٩٣٢ - جامع السعادات: ٢٢٥/٢.
٩٣٣ - جامع السعادات: ٢٢٥/٢.
٩٣٤ - جامع السعادات: ٢٢٥/٢.

تنظيم الاجتماع، ووصول ذي الحاجة إلى حاجته، وتهيئة الظروف لاستيفاء قاضي الحاجة من المحتاج حاجة فيما بعد.

ولذا فإن الإسلام يؤكد على قضاء الحوائج، أكبر تأكيد ويعد من الثواب والأجر لقاضي حوائج الناس قدراً كثيراً: ففي القرآن الكريم: (..وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى...)(٩٣٥) والبر في نظر الإسلام كل عمل إنساني يقوم به الإنسان تجاه أخيه، فيما لم يكن معصية الله عز اسمه.

وقال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): (من قضى لأخيه المؤمن حاجة فكأنما عبد الله دهره)(٩٣٦). وقال (صلى الله عليه وآله وسلم): (من مشى في حاجة أخيه، ساعة من ليل أو نهار، قضاهها أو لم يقضها كان خيراً له من اعتكاف شهرين)(٩٣٧).

وقال الإمام الباقر (عليه السلام): (أوحى الله إلى موسى (عليه السلام): إن من عبادي من يتقرب إليّ بالحسنة، وأحكمه في الجنة، فقال موسى (عليه السلام): يا رب وما تلك الحسنة؟ قال: يمشي مع أخيه المؤمن، في قضاء حاجته قضيت أم لم تقض)(٩٣٨).

وتحكيمة في الجنة: معناه جعله حاكماً. فالقاضي لحوائج الناس بل وغيره ممن يهتم بالقضاء حاكم الجنة، كما إن الفقهاء حكام الدنيا، وأعظم بها من منصب خطير؟ أما معنى الحكومة هناك فليس فضل الخصومات، فالجنة لا خصومة فيها وإنما هي السيادة والرفعة والسلطنة.

وقال (عليه السلام): (من مشى في حاجة أخيه المسلم أظله الله بخمسة وسبعين ألف ملك ولم يرفع قدماً إلا كتب الله له حسنة، وحط عنه بها سيئة، ويرفع له بها درجة، فإذا فرغ من حاجته كتب الله عز وجل له بها أجر حاج ومعمتر)(٩٣٩).

وقال (عليه السلام): (إن المؤمن لترد عليه الحاجة لأخيه فلا تكون عنده فيهتم بها قلبه، فيدخله الله تبارك وتعالى بهمة الجنة)(٩٤٠).

وقال الإمام الصادق (عليه السلام): (من قضى لأخيه المؤمن حاجته قضى الله تعالى له يوم القيامة مائة ألف حاجة من ذلك - أولها -: الجنة ومن ذلك أن يدخل قرابته ومعارفه وإخوانه الجنة بعد أن لا يكونوا نصاباً)(٩٤١).

وما تلك المائة ألف حاجة؟ وهل بعد دخول الجنة حاجة؟

هذا سؤال يرد على الذهن - باديء ذي بدء -.

لكن الجواب سهل يسير: رأيت من يريد السفر - في هذه الأزمنة - كم دائرة يلزم عليه دخولها والخروج منها؟ إنه سفر بسيط يحتاج إلى عشرة دوائر على الأقل فكيف بيوم مقداره خمسين ألف سنة مما تعدون وفيه الحساب لكل صغيرة وكبيرة حتى وجيفات القلوب ولو كان العمل مثقال حبة من خردل؟!

هذا آخر الجزء الثاني من (الفضيلة الإسلامية) التي كتبتها إطاعة لأمر سيدي الوالد طاب ثراه، أسأل الله تعالى أن ينفني بها وسائر المؤمنين ويجعلها ذخيرة ليوم الدين ويوفقتي للعمل بمرضاته وهو المستعان.

٩٣٥ - سورة المائدة: آية ٢.

٩٣٦ - بحار الأنوار، ٣٠٢/٧٤، ب: قضاء حاجة المؤمن - جامع السعادات: ٢٢٩/٢.

٩٣٧ - جامع السعادات: ٢٢٩/٢.

٩٣٨ - بحار الأنوار: ٣٢٩/٧٤، ب: قضاء حاجة المؤمن - جامع السعادات: ٢٣٠/٢.

٩٣٩ - بحار الأنوار: ٣٣٢/٧٤، ب: ٢٠ - جامع السعادات: ٢٣٠/٢.

٩٤٠ - جامع السعادات: ٢٣٠/٢.

٩٤١ - أصول الكافي: ١٩٣/٢ - جامع السعادات: ٢٣٠/٢.

ترك الإعانة

انتهى بنا المطاف في نهاية الجزء الثاني إلى قضاء الحوائج، وهناك سردنا بعض الأحاديث الواردة في مثوبة من يعين المسلمين في حوائجهم ولكن لما نقض من مآربنا وطراً فهناك أحاديث أخر تؤكد على إعانة المسلمين كما وإن في المقام أثاراً تدلّ على ذلّ من يتجافى عن إعانتهم فلا يهتم بأمر إخوانه.
واليك جملة منها:

قال الإمام الصادق (عليه السلام): (لقضاء حاجة امريء مؤمن أحب إلى الله تعالى من عشرين حجة كل حجة ينفق فيها صاحبها مائة ألف...!) (٩٤٢).

وقال (عليه السلام): (إن الله تعالى خلق خلقاً من خلقه، إنتجبههم لقضاء حوائج فقراء شيعتنا ليثيبهم على ذلك الجنة، فإن استطعت أن تكون منهم فكن، ثم قال: لنا والله ربّ نعبد ولا نشرك به شيئاً) (٩٤٣).
وقال (عليه السلام): (قضاء حاجة المؤمن خير من عتق ألف رقبة وخير من حملان ألف فرس في سبيل الله) (٩٤٤).

وقال (عليه السلام): (من طاف بالبيت طوافاً واحداً، كتب له ستة آلاف حسنة، ومحي عنه ستة آلاف سيئة، ورفع له ستة آلاف درجة حتى إذا كان عند الملتزم، فتح له سبعة أبواب من الجنة. قلت له: جعلت فداك هذا الفضل كله في الطواف؟.

قال: نعم وأخبرك بأفضل من ذلك؟.

قضاء حاجة المؤمن المسلم، أفضل من طواف، وطواف، وطواف، حتى بلغ عشراً!!!) (٩٤٥).

وقال (عليه السلام): (تنافسوا في المعروف لإخوانكم وكونوا من أهله فإن للجنة باباً يقال له: المعروف، لا يدخله إلا من اصطنع المعروف في الحياة الدنيا فإن العبد ليمشي في حاجة أخيه المؤمن، فيوكل الله به عز وجل ملكين: واحداً عن يمينه، وآخر عن شماله يستغفران له ربّه، ويدعوان بقضاء حاجته.

ثم قال: والله لرسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) أسرّ بقضاء حاجة المؤمن إذا وصلت إليه من صاحب الحاجة) (٩٤٦).

وقال (عليه السلام): (ما قضى مسلم لمسلم حاجة، إلا ناداه الله تعالى، عليّ ثوابك، ولا أرضى لك بدون الجنة) (٩٤٧).

وقال (عليه السلام): (أيما مؤمن أتاه أخاه في حاجة فإنما ذلك رحمة من الله ساقها إليه، وسببها له فإن قضى حاجته كان قد قبل الرحمة بقبولها وإن رده عن حاجته وهو يقدر على قضائها فإنما ردّ عن نفسه رحمة من الله عزّ

-
- ٩٤٢ - بحار الأنوار: ٣٢٤/٧٤، ب ٢٠ - جامع السعادات: ٢٣٠/٢.
٩٤٣ - بحار الأنوار: ٣٢٣/٧٤، ب ٢٠ - جامع السعادات: ٢٣٠/٢.
٩٤٤ - بحار الأنوار: ٣٢٤/٧٤، ب ٢٠ - جامع السعادات: ٢٣٠/٢.
٩٤٥ - بحار الأنوار: ٣٢٦/٧٤، ب ٢٠ - جامع السعادات: ٢٣٠/٢.
٩٤٦ - بحار الأنوار: ٣٢٨/٧٤، ب ٢٠ - جامع السعادات: ٢٣١/٢.
٩٤٧ - بحار الأنوار: ٣٠٦/٧٤، ب ٢٠ - جامع السعادات: ٢٣١/٢.

وجل ساقها إليه، وسببها له، وذخر الله تلك الرحمة إلى يوم القيامة، حتى يكون المردود عن حاجته هو الحاكم فيها، إن شاء صرفها إلى نفسه وإن شاء صرفها إلى غيره.

فإذا كان يوم القيامة وهو الحاكم في رحمة الله تعالى قد شرعت له فإلى من ترى يصرفها؟ قال الراوي: لا أظن يصرفها عن نفسه، قال: لا تظن ولكن استيقن، فإنه لن يردّها عن نفسه(٩٤٨).

أرأيت فوق هذا ترغيباً؟ إن قضاء الحاجة رحمة من الله ساقها وإن لم يقضها خسر رحمة مدخرة في وقت هو أحوج ما يكون إليها فهل يرد الحاجة بعد ذلك نبيه؟ وترى كم من الحوائج التي لا تقضى إذا أخذ المسلمون بهذه الرواية فقط؟ إنها صفر أو تحت الصفر!!

أما اليوم حيث بعد المسلم عن إسلامه ومثله الرفيعة، فكم من الحوائج تقضى؟ إنها صفر أو تحت الصفر! وقال (عليه السلام): (من مشى في حاجة أخيه المؤمن يطلب بذلك ما عند الله حتى تقضى له، كتب الله عز وجل له بذلك مثل أجر حجة وعمرة مبرورتين وصوم شهرين من أشهر الحرم واعتكافهما في المسجد الحرام ومن مشى فيها بنية ولم تقض كتب الله له بذلك مثل حجة مبرورة فارغبوا في الخير)(٩٤٩).

وقال (عليه السلام): (لئن أمشي في حاجة أخ لي مسلم أحب إليّ من أن أعتق ألف نسمة، وأحمل في سبيل الله على ألف فرس مسرجة ملجمة)(٩٥٠).

وقال (عليه السلام): (من سعى في حاجة أخيه المسلم، وطلب وجه الله كتب الله عز وجل له ألف ألف حسنة، يغفر له فيها لأقاربه وجيرانه ومعارفه ومن صنع إليه معروفًا في الدنيا فإذا كان يوم القيامة، قيل له: أدخل النار فمن وجدته فيها صنع إليك معروفًا في الدنيا فأخرجه بأذن الله عز وجل، إلا أن يكون ناصباً)(٩٥١).

وقال أبو الحسن (عليه السلام): (إن الله عبداً في الأرض يسعون في حوائج الناس هم الآمنون يوم القيامة، ومن أدخل على مؤمن سروراً فرّح الله قلبه يوم القيامة)(٩٥٢). إلى غيرها.. من الأخبار..

وقد جعل الله تعالى - بحكمته الكاملة - في قضاء الحوائج عزّ الدنيا مع الغض عن أجره في الآخرة فإنّ من يقضي الحوائج لا يزال يقضي حتى يعظم في أعين الناس ويجلّ ولا يفتىء يسعى للناس حتى يكون مرموقاً يفتح له كل باب إذا طرقة وتأتيه الأمور طوعاً وأسباب القضاء طواعية.

وأقل نظرة فاحصة إلى المجتمع كفيل للبرهنة على هذه الحقيقة، فإن قضاة الحوائج من أعز الناس، وأكبرهم في النفوس، وأعظمهم في العيون.

هذا ثوابه في الدنيا، أما في الآخرة فقد تقدّم شطر منه.

أما ترك الحوائج وعدم المبالاة بها فالإسلام يذمه.

قال الإمام الباقر (عليه السلام): (من بخل بمعونة أخيه المسلم والقيام له في حاجته إلا ابتلى بالقيام بمعونة من يأثم عليه ولا يؤجر)(٩٥٣).

وقال الإمام الصادق (عليه السلام): (أيما رجل من شيعتنا أتاه رجل من إخوانه فاستعان به في حاجة فلم يعنه وهو يقدر إلا ابتلاه الله بأن يقضي حوائج عدّة من أعدائنا يعذبه الله عليها يوم القيامة)(٩٥٤).

٩٤٨ - بحار الأنوار: ٣٢٤/٧٤، ب ٢٠ - جامع السعادات: ٢٣١/٢.

٩٤٩ - بحار الأنوار: ٣٢٧/٧٤، ب ٢٠ - جامع السعادات: ٢٣١/٢.

٩٥٠ - بحار الأنوار: ٣٣٢/٧٤، ب ٢٠ - جامع السعادات: ٢٣١/٢.

٩٥١ - بحار الأنوار: ٣٣٣/٧٤، ب ٢٠ - جامع السعادات: ٢٣١/٢.

٩٥٢ - بحار الأنوار: ٣٣٢/٧٤، ب ٢٠ - جامع السعادات: ٢٣٢/٢.

٩٥٣ - جامع السعادات: ٢٢٨/٢.

وهل هذا طبيعي أم يبغى به من وراء الغيب؟ ولا مانع من الأول فإن الإنسان الذي يقضي حاجة المؤمن يتركز على الإسعاف للمؤمن وهو بدوره يمنعه عن قضاء حاجة غيره أما العمل الذي لم يتركز على الإيمان، فلا يقضي حاجة أخيه المؤمن، فأى مانع له من قضاء حاجة العدو؟.

وقال (عليه السلام): (أيما مؤمن منع مؤمناً شيئاً مما يحتاج إليه وهو يقدر عليه من عنده، أو من عند غيره أقامه الله عز وجل يوم القيامة مسوداً وجهه، مزرقة عيناه، مغلولة يداه إلى عنقه، فيقال: هذا الخائن الذي خان الله ورسوله ثم يؤمر به إلى النار)(٩٥٥).

وقال (عليه السلام): (من كانت له دار فاحتاج مؤمن إلى سكنها فمنعه إياها! قال الله تعالى: يا ملائكتي أبخل عبدي على عبدي بسكنى الدار؟ وعزتي وجلالي لا يسكن جنّاتي أبداً)(٩٥٦).

فهل يعمل المسلمون بهذا الحديث؟.

وقال (عليه السلام) لنفر عنده: (مالكم تستخفون بنا؟ فقام إليه رجل من أهل خراسان فقال: معاذاً لوجه الله أن نستخفّ بك أو بشيء من أمرك!).

فقال (عليه السلام): إنك أحد من استخف بي فقال: معاذاً لوجه الله أن أستخفّ بك! فقال (عليه السلام): ألم تسمع فلاناً ونحن بقرب الجحفة يقول لك: احملني قدر ميل، فقد والله أعييت! والله ما رفعت به رأساً لقد استخففت به ومن استخفّ بمؤمن فبنا استخفّ وضيع حرمة الله عز وجل)(٩٥٧).

وقال (عليه السلام): (من أتاه أخوه في حاجة يقدر على قضائها فلم يقضها له، سلط الله عليه شجاع ينهش إبهامه في قبره إلى يوم القيامة، مغفوراً له أو معذباً)(٩٥٨).

وقال أبو الحسن (عليه السلام): (من قصد إليه رجل من إخوانه مستجيراً به في بعض أحواله، فلم يجره بعد أن يقدر عليه فقد قطع ولاية الله عز وجل)(٩٥٩).

هذه وعود وتهديدات لمن لا يقضي الحاجة فهل نهتم بقضاء حوائج الإخوان؟ وقد جمع رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) كل ذلك وأكثر منها في كلمة قصيرة فقال (صلى الله عليه وآله وسلم): (من أصبح لا يهتم بأمور المسلمين فليس منهم! ومن سمع رجلاً ينادي يا للمسلمين فلم يجبه فليس بمسلم)(٩٦٠).

أصدقاً نعتقد بهذا الحديث؟

فأين اهتمامنا بأمور المسلمين؟.

-
- ٩٥٤ - جامع السعادات: ٢٢٨/٢ .
٩٥٥ - جامع السعادات: ٢٢٨/٢ .
٩٥٦ - جامع السعادات: ٢٢٨/٢ .
٩٥٧ - جامع السعادات: ٢٢٨/٢ .
٩٥٨ - جامع السعادات: ٢٢٩/٢ .
٩٥٩ - جامع السعادات: ٢٢٩/٢ .
٩٦٠ - بحار الأنوار: ٣٣٩/٧٤، ب ٢٠ - جامع السعادات: ٢٢٩/٢ .

أترى، لو كان كل مسلم يصبح مهتماً ولو بقضاء أمر من أمور الناس كم كان من الأمور غير مقضية؟ مع العلم ان الاهتمام بالأمور لا يشغل من الإنسان وقتاً يذكر ولا يسحب من ماله شيئاً يعتد به إنما هو الاهتمام وكم أمر يقضى بمجردة! ولو احتاج القضاء إلى مادة وزمان فإن القاضي بدوره يستقضي نفس المادة والزمان من مسلم آخر أليس كل مسلم يقضي حاجة إخوانه؟ وهل هذا القاضي لا يحتاج إلى آخر إلى الأبد؟.

ثم: إن من الجاه ما يجلبه الثراء أو العلم أو السلطة.

وهل تنفع هذه الوجاهات إذا لم تشتمل على قضاء الحوائج؟ كلابل هي مسببة الدنيا، ومنقصة الآخرة، فالثري الذي لا يقضي حاجة الفقير والمستعطي.. والعالم الذي لا يقضي حاجة المتعلم والجاهل والسلطة التي لا تحل المشاكل.. مزدراة الأعين، مسببة الألسن.

بخلاف قاضي الحوائج فإنه محترم ممدوح... وإن لم يصحب عمله ثروة وعلم وسلطة وهذا من لطف الله تعالى، حيث جعل قضاء الحوائج مقروناً بالعز وجعل تركه مقروناً بالإهانة والازدراء.

الأمر بالمعروف

إسعاف المريض معروف..

وإعطاء الفقير معروف..

وحسن الخلق معروف..

وتعليم الجاهل معروف...

وإرشاد الضال معروف..

والصدق، والأمانة، والحياء، والسخاء، والصدقة، والغيرة، والشجاعة معروف.. والصلاة، والصيام، والحج، والزكاة، والخمس، والجهاد، والاعتكاف معروف. والزواج، وصلة الرحم، وبر الوالدين، والضيافة، والهدية، وحسن الجوار معروف.. أليست هذه أمور حسنة؟. والعقل يحكم: إن الأمر بالحسن حسن أترى إنك لو أمرت الممرضة بإسعاف المريض الست تمدح عند العرف والعقل؟. أو أمرت الثري بإعطاء الفقير؟ أو ما أشبهه.

والإسلام - الذي هو مجمع الفضائل - لا يغفل هذه الناحية العامة من الحياة السعيدة إنه يأمر الناس بأن يأمروا بالمعروف، حتى يشيع المعروف في المجتمع كما إنه يأمر أيضاً: بالنهاي عن المنكر.

وما هو؟.

المنكر: هو القتل..

المنكر: هو الظلم..

المنكر: هو السرقة..

المنكر: هو الزنا...

المنكر: هو الربا...

المنكر: هو الشتم والسب والقذف والإهانة وسوء الخلق...

المنكر: هو القمار واللواط، وسحق النساء والقيادة والديانة...

المنكر: هو الكذب، والخيانة، والغش، وأكل أموال الناس بالباطل...

المنكر: هو ترك الصلاة ومنع الزكاة وعقوق الوالدين وقطيعة الرحم.

وحيث أن المجتمع لا يخلو من مجرمين يتعدون الحدود وينتهكون الحرمات فقد أوجب الإسلام ردعهم، وأمرهم بالمحاسن وشدّد في ذلك أكبر تشديد.

وقد أبدع الإسلام في هذا المجال، ويظهر ذلك بالمقايسة إلى القوانين الأرضية إن القانون إنما يوجب التنفيذ على أناس خاصة ولذا ترى خرق القوانين، حيث لا تبصر عين السلطة أهون من الماء.

أما الإسلام المبدع - وكل حكم في الإسلام إبداع - فقد أوجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر على الكل.

اسمع إلى هذه الآية المباركة: (كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ) (٩٦١).

واسمع إلى هذا الحديث: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): (ما أعمال البر عند الجهاد في سبيل الله إلا كنفثة في بحر لحي!

وما جميع أعمال البر والجهاد في سبيل الله عند الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر إلا كنفثة في بحر لحي!) (٩٦٢).

ولأي سبب هذا؟ إنه واضح جداً: فبالجهاد يشق الطريق أمام أعمال البر.. وطبعاً يكون الجهاد أفضل من أعمال البر.

ثم.. الجهاد لإبتداء أعمال البر، أما الاستمرار بها فإنما يكون بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

أترى، لو أن حكومة وضعت القوانين، وأجرتها بالقوة. فهل ينفع ذلك في استمرار الناس باتباع المنهج؟ كلا!

فالاستمرار يحتاج إلى قوة دائمة: إذ: فالأمر والنهي اللذان هما عماد الاستمرار أفضل من الجهاد الذي هو بدء السير.

ولهذا السبب نفسه يفضل الإسلام مداد العلماء على دماء الشهداء فإنّ مداد العالم يوجب بقاء الدين، ولولاه لذهب

دم الشهيد أدراج الإهمال. فالمداد امتداد لدم الشهيد وإلا فما قيمة الدم إذا اندرس ما لأجله جاهد الشهيد؟.

أرأيت لو لم تكن هذه الكتب التي يعتمد عليها الفقهاء والمسلمون أجمعون فماذا الذي كان يوصل أقوال النبي (صلى

الله عليه وآله وسلم) والأئمة (عليهم السلام) إلى الناس بعد وفاتهم (عليهم السلام) وحيث ذاك يندرس الدين، ويرجع

الناس إلى الجاهلية، فتذهب دماء أهل بدر وأحد والأحزاب. شذّر مذر.

وقال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): إياكم والجلوس على الطرقات قالوا: ما لنا بدّ منها. إنما هي مجالسنا

نتحدّث فيها.

قال (صلى الله عليه وآله وسلم): فإذا أبيتم إلا ذلك فأعطوا الطريق حقّه، قالوا: وما حقّ الطريق؟.

قال (صلى الله عليه وآله وسلم): غضّ البصر، وكفّ الأذى، وردّ السلام، والأمر بالمعروف والنهي عن

المنكر) (٩٦٣).

واسمع إلى هذا الحديث وما أعجبه من حديث؟!.

قال (صلى الله عليه وآله وسلم): (ما بعث الله نبياً إلا وله حوارى، فيمكث النبي بين أظهرهم ما شاء الله يعمل فيهم

بكتاب الله ويأمره حتى إذا قبض الله نبيه، مكث الحواريون، يعملون بكتاب الله ويأمره وبسنة نبيهم، فإذا انقرضوا كان

من بعدهم قوم يركبون رؤوس المناير يقولون ما يعرفون، ويعملون ما ينكرون، فإذا رأيت ذلك فحق على كل مؤمن

جهادهم بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه وليس وراء ذلك إسلام) (٩٦٤).

٩٦١ - سورة آل عمران: آية ١١٠.

٩٦٢ - جامع السعادات: ٢/٣٨٨.

٩٦٣ - جامع السعادات: ٢/٣٨٨.

٩٦٤ - جامع السعادات: ٢/٣٨٨.

إنه تحريض على تنزيه جهاز التبليغ والتوجيه فإنه إذا فسد أفسد وليس بعد ذلك من خير أبداً.. وما أوجب النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) في قبال هؤلاء؟.

الجهاد!

وقال الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام): (إن من رأى عدواناً يعمل به ومنكراً يدعى إليه فأنكره بقلبه فقد سلم ويرى ع. ومن أنكره بلسانه فقد أوجر وهو أفضل من صاحبه، ومن أنكره بالسيف لتكون كلمة الله العليا، وكلمة الظالمين السفلى، فذلك الذي أصاب سبيل الهدى وقام على الطريق، ونور في قلبه اليقين)(٩٦٥).

وقال (عليه السلام): (فمنهم: المنكر للمنكر بقلبه ولسانه ويده فذلك المستكمل لخصال الخير.

ومنهم: المنكر بلسانه وقلبه والتارك بيده. فذلك متمسك بخصلتين من خصال الخير ومضيع خصلة.

ومنهم: المنكر بقلبه، والتارك بيده ولسانه فذلك الذي ضيع أشرف الخصلتين من الثلاث وتمسك بواحدة.

ومنهم: التارك لإتكار المنكر بلسانه وقلبه ويده فذلك ميت الإحياء. وما أعمال البر كلها والجهاد في سبيل الله عند الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، إلا كنفثة في بحر لحي.

وانّ الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر لا يقربان من أجل ولا ينقصان من رزق.

وأفضل من ذلك كلمة عدل عند إمام جابر)(٩٦٦).

وقد نبه الإمام (عليه السلام) إلى حقيقة، تسد الطريق أمام المعتذرين.

فإنهم يعتذرون بالخوف من القتل أو ما أشبهه وقلة الرزق المسببة من انصراف الناس عن الأمر الزاجر لكنه كذب في القول وفرار عن الحق بالأهم.

فهل رأيت أمراً يقتل أو زاجراً ينقص رزقه؟

ولعلك تقول: ألم يقتل الإمام الحسين (عليه السلام) حين خرج إلى كربلاء مريداً الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؟ والجواب: إنه لما خرج الحسين من المدينة خائفاً كخروج موسى (عليه السلام) خائفاً يتكتم، ولم كان الخوف؟ من شياطين بني أمية الذين أمروا بسفك دمه ولو كان متعلقاً بأستار الكعبة!

وللإمام الباقر (عليه السلام) كلام ظريف حول هذين الواجبين جمع العلة والدليل، قال (عليه السلام): (إن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر سبيل الأنبياء ومنهاج الصلحاء فريضة عظيمة بها تقام الفرائض، وتأمين المذاهب، وتحل المكاسب، وترد المظالم، وتعمر الأرض، وينتصف من الأعداء ويستقيم الأمر!

فانكروا بقلوبكم.

وألفظوا بألسنتكم.

وصكّوا بها جباههم.

ولا تخافوا في الله لومة لائم.

٩٦٥ - جامع السعادات: ٢٣٨/٢.

٩٦٦ - جامع السعادات: ٢٣٨/٢.

فإن اتعظوا وإلى الحق رجعوا فلا سبيل عليهم: (إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَظْلِمُونَ النَّاسَ وَيَبْغُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ)(٩٦٧).

هنالك..

فجاهدوا بأبدانكم وابعضوهم بقلوبكم غير طالبين سلطاناً ولا باغين مالاً ولا مريدين لظلم ظفرأ حتى يفينوا إلى أمر الله ويمضوا على طاعته)(٩٦٨).

والإسلام ينهي أشد النهي عن ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والتهاون والمداهنة فيهما فإن في ذلك زيغ المجتمع عن سنن العدل وتحريف الشرائع عن نصابها وجنوح المبطلين إلى العبث والنساء. يقول القرآن الكريم: (لَوْ لَا يَنْهَاهُمُ الرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ عَن قَوْلِهِمُ الْإِثْمَ وَأَكْلِهِمُ السَّحْتَ لَبَئْسَ مَا كَانُوا يَصْنَعُونَ)(٩٦٩).

وقال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): (ما من قوم عملوا بالمعاصي وفيهم من يقدر أن ينكر عليهم، فلم يفعل إلا يوشك أن يعمهم الله بعذاب من عنده)(٩٧٠).

وقال (صلى الله عليه وآله وسلم): (إن الله تعالى ليبغض المؤمن الضعيف الذي لا دين له فقيل له: ما المؤمن الذي لا دين له؟ قال (صلى الله عليه وآله وسلم): الذي لا ينهي عن المنكر)(٩٧١).

وقيل له (صلى الله عليه وآله وسلم): (أتهلك القرية وفيها الصالحون؟ قال (صلى الله عليه وآله وسلم): نعم. قيل: بم يا رسول الله؟ قال: بتهاونهم، وسكوتهم عن معاصي الله)(٩٧٢). وقال (صلى الله عليه وآله وسلم): (لتأمرن بالمعروف ولتنهين عن المنكر أو ليستعملن عليكم شراركم فيدعو خياركم فلا يستجاب لهم)(٩٧٣).

وهذه الأحاديث مع الغض عن الأمور ما وراء الطبيعة، تدل على مدى مطابقتها للواقع وللبراهين والحوادث: إن المنكر هو الشيء الضار بالمجتمع والفرد.. فشرب الخمر يوجب المرض، والزنا يوجب الفساد العام، والمقامرة توجب العداوة.. وهكذا!

فإذا تُرك النهي عن المنكر في مجتمع، لا بد وأن ينهار، والانهيار هو العذاب، فإن العذاب ليس منحصرأ في الساعة أو نحوها أنظر إلى هذه الآية: (قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَى أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَاباً مِّنْ فَوْقِكُمْ أَوْ مِنْ تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ أَوْ يَلْبَسَكُمْ شِيْعاً وَيُذِيقَ بَعْضَكُمْ بَأْسَ بَعْضٍ...)(٩٧٤).

فالآيات: شيعأ وعذابأ في عداد الساعة والخسف!

أما الدعاء.. كما في الحديث الأخير، فله شرائط، وهل ينفع دعاء بلا شروط.. رأيت من يدعو أن يثريه الله أو يملأ صدره علمأ.. بغير تعب وعمل وطلب، يجاب دعاؤه؟.

قال تعالى: (وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ...)(٩٧٥). ولكن قال في آية أخرى:

(... وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أَوْفِ بِعَهْدِكُمْ...)(٩٧٦).

٩٦٧ - سورة الشورى: آية ٤٢.

٩٦٨ - جامع السعادات: ٢٣٩/٢.

٩٦٩ - سورة المائدة: آية ٦٣.

٩٧٠ - جامع السعادات: ٢٣٣/٢.

٩٧١ - جامع السعادات: ٢٣٣/٢.

٩٧٢ - جامع السعادات: ٢٣٣/٢.

٩٧٣ - جامع السعادات: ٢٣٤/٢.

٩٧٤ - سورة الأنعام: آية ٦٥.

٩٧٥ - سورة غافر: آية ٦٠.

٩٧٦ - سورة البقرة: آية ٤٠.

وقال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): (إنَّ الله تعالى ليسأل العبد: ما منعك إذ رأيت المنكر أن تنكر) (٩٧٧).
وقال (صلى الله عليه وآله وسلم): (إن الله تعالى لا يعذب الخاصة بذنوب العامة حتى يظهر المنكر بين أظهرهم وهم قادرون على أن ينكروه فلا ينكروه) (٩٧٨).

وقال الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام): (إنما هلك من كان قبلكم، حيث عملوا بالمعاصي ولم ينههم الربانيون والأحبار عن ذلك.. وأنهم لما تمادوا في المعاصي، ولم ينههم الربانيون والأحبار عن ذلك نزلت بهم العقوبات. فأمروا بالمعروف، وانهاوا عن المنكر) (٩٧٩).

وقال (عليه السلام): (من ترك إنكار المنكر بقلبه، ويده، ولسانه فهو ميت بين الإحياء) (٩٨٠).
وهناك أناس لا يتمكنون من شجب المنكر لضعف في مقامهم أو كلامهم أو ما أشبهه. فهل يمرن بالمنكر وكأنه لا شيء؟ كلا! بل يلزم عليهم بالإضافة إلى إنكار القلوب، كلح الوجه أمام المنكر، فإنه مرتبة من مراتب الإنكار.
قال الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام): (أمرنا رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) أن نلقى أهل المعاصي بوجوه مكفهرّة) (٩٨١).

لكن ليس معنى ذلك أن يلقي الإنسان كل آت بالمنكر كذلك، فإنه ربما يزيده إصراراً وعناداً، بل البشر الحسن القرين بالقول اللين أنجح في كثير من الموارد، فعلى المرید أمراً وزجراً أن يكون حكيماً في التطبيق فقول اللين لا ينفع لمن لا بد له من العصا، والعصا لا تنفع لمن يلزم ان يقال له لين الكلام، وبين الناس من لا ينفعه إلا العصا وقول اللين، اسمع إلى هاتين الآيتين:

(فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى) (٩٨٢).

(قَالَ أَلْقِهَا يَا مُوسَى) (٩٨٣).

وقد أشار الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام) إلى عصر انحطاط المسلمين في كل دور وزمان فقال (عليه السلام): (إنَّ أوَّلَ ما تغلبون عليه من الجهاد: الجهاد بأيديكم، ثم بألسنتكم، ثم بقلوبكم! فمن لم يعرف بقلبه معروفاً، ولم ينكر منكراً، قلب، فجعل أعلاه أسفله) (٩٨٤).

وهكذا يتدرج المجتمع إلى الانحطاط يحدث المنكر، فينكر بيد، ثم يترك، ثم ينكر بلسان، ثم يترك، ثم ينكر بقلب، حتى يكون مألوفاً فلا يعرف كونه منكراً وهناك العقاب!.

وقال الإمام الصادق (عليه السلام): (ما قدّست أمة لم يؤخذ لضعفها من قوِيّها بحقّه غير متعّع) (٩٨٥).

وقال (عليه السلام): (ويل لقوم لا يدينون الله بالأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر) (٩٨٦).

وهناك أناس يظنون أنّه يكفيهم صلاح أنفسهم، فما لهم والدخول في المجتمع، حتى يبتلوا بتلوّثه ويكلفوا بالأمر والنهي؟ ولذا يمشون ناحيةً ويبتعدون عن الناس.

٩٧٧ - جامع السعادات: ٢٣٤/٢.

٩٧٨ - جامع السعادات: ٢٣٤/٢.

٩٧٩ - جامع السعادات: ٢٣٤/٢.

٩٨٠ - جامع السعادات: ٢٣٤/٢.

٩٨١ - جامع السعادات: ٢٣٤/٢.

٩٨٢ - سورة طه: آية ٤٤.

٩٨٣ - سورة طه: آية ١٩.

٩٨٤ - جامع السعادات: ٢٣٤/٢.

٩٨٥ - جامع السعادات: ٢٣٤/٢.

٩٨٦ - جامع السعادات: ٢٣٥/٢.

لكن.. الإسلام لا يرضى بذلك، بل يريد من كل إنسان، أن يدخل المجتمع، فيقوم المعوج، ويأمر ويزجر، وإلا كان شريكاً في الإثم، وان كان هو ظاهر الذيل، نزيه القلب، ونظيف الجوارح.

قال الإمام الباقر (عليه السلام): (أوحى الله عز وجل إلى شعيب النبي (عليه السلام) إني معذب من قومك مائة ألف، أربعين ألفاً من شرارهم، وستين ألفاً من خيارهم، فقال (عليه السلام): يا رب هؤلاء الأشرار، فما بال الأخيار، فأوحى الله عز وجل إليه: داهنوا أهل المعاصي، ولم يغضبوا لغضبي)(٩٨٧).

وقال الإمام الصادق (عليه السلام): (حق لي أن آخذ البريء منكم بالسقيم، وكيف لا يحق لي ذلك؟ وأنتم يبلغكم عن الرجل منكم القبيح فلا تنكرون عليه ولا تهجرونه، ولا تؤذونه حتى يتركه)(٩٨٨).

واسمع إلى هذا الحديث، وهو أشد لهجة من سابقه:

قال (عليه السلام): (لأحملن ذنوب سفهانكم على علمانكم ما يمنعكم إذا بلغ الرجل منكم ما تكرهون، وما يدخل علينا به الأذى: أن تأتوه فتؤنّبوه، وتعذّلوه وتقولوا له قولاً بليغاً؟ قيل له: إذا لا يقبلون منا.

قال (عليه السلام): (اهجروهم واجتنبوا مجالستهم)(٩٨٩).

وبعد هذا كله.. فكم ترى منكرًا في المجتمعات الإسلامية؟

وان كنت لا تدري فاستمع:

الأغاني.. دور السينما.. الملاهي.. الخمر، الزنا، القمار.

التبرج. وعدد أكبر إلى آخر المحرمات.

وكم قدر ما نقوم بالأمر والزجر؟.

انه لا شيء إطلاقاً!

التآلف والتباعد

من الناس من فطر على الألفة فتراه يألف من الحيوان والجماد، فكيف بالإنسان!

ومنهم من جُبِل على الهجرة، فهو كالصخرة الصماء لا تُلصق بشيء، وإن ألصقت فسرعان ما هجرت وابتعدت.

وإذا نظرنا إلى مجتمع الإنسان رأيناه أحوج ما يكون إلى الألفة:

إنّ الجماد يتمكن أن يحتفظ على كيانه وحده، فالحصاة لا تحتاج إلى حصاة أخرى.

والنبات يتمكن أن ينبت وحده في الصحراء ويبقى على ربه وبهجته إلى أن يصير هشيمًا. والحيوان، إذا سرّح في

واحة، أخذ ما يكفيه من النبات ولو ترك في صحراء تحرى جهده، حتى يصل إلى ماء وكلاً، فيعيش حتى يخترمه

الموت.

أما الإنسان فهل يمكن أن يعيش بلا لباس؟ أو هل يمكن أن يبقى بلا قوت؟ أو هل يمكن أن يظل بغير مسكن؟ وهكذا

قل: في دوانه إذا مرض وسفره برأ وبحراً إذا احتاج.

٩٨٧ - جامع السعادات: ٢/٢٣٤.

٩٨٨ - جامع السعادات: ٢/٢٣٥.

٩٨٩ - جامع السعادات: ٢/٢٣٥.

ثم انظر قليلاً إلى ما تستعمله!

فتريد تأكله احتاج إلى ألوف من الأفراد فمن هيا الأرض للزرع؟ ومن أجرى فيها الماء، ومن ربى الثيران ومن نجر المحراث؟ ومن صنع حديدته ومن أخذ البذر؟ ومن زرعه؟ ومن حرسه؟ ومن سقاه؟ ومن؟ ومن؟
هذا تريد تأكله، وقل: في دار تسكنه، ولباس تلبسه، وزوجة تتمتع بها، وآلة تستعملها ولو كانت قلماً للكتابة وهكذا.. وهكذا.

إذ:

فالإنسان محتاج إلى الألفة من قرنه إلى قدمه ومن مهده إلى لحده.
والذي يفيض على هذه الاحتياجات صبغة الكمال هو الألفة بعد أن يكون قدر منها ضرورية لأصل العيش فمن الناس من يخضع إلى القدر الضروري طوعاً أو كرهاً ثم يبتعد عن الناس وهذا إنسان ناقص، أخذه عن المجتمع كثير، وإعطاؤه له قليل.

ومنهم من يعطي أكثر مما يأخذ يألف أكثر من الحاجات الإنسانية وهذا مستكمل يأخذ بالمجتمع إلى الأمام.

ومنهم من يعطي قدر ما يأخذ وهذا إنسان فحسب، أما أنه يخدم فلا.

والإسلام يحرص على القسم الثاني فإنه يريد الرقي والصعود، والحب والظاهرة.

ألم يقل الحكماء: إن الإنسان اشتق من الإنس؟

وما تراه معتبراً في ثنانيا الشريعة المطهرة، من الضيافة، والهدية، والصلة، والبر، وحسن الخلق، والتزوار، والمشايعة، والاستقبال .. و.. و... كلها مرتبطة بهذا السلك العام وهو إيجاد الألفة - بمعناها الواسع -

فاسمع إلى شطر من الأحاديث الواردة بهذا الصدد.

قال الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام): (لقاء الأخوان مغنم جسيم، وإن قَلُوا) (٩٩٠).

وقال الإمام الباقر (عليه السلام): (إن لله عز وجل جنة لا يدخلها إلا ثلاثة: رجل حكم على نفسه بالحق، ورجل زار أخاه المؤمن في الله، ورجل أثر أخاه المؤمن في الله) (٩٩١).

وقال (عليه السلام): (إن المؤمن ليخرج إلى أخيه يزوره، فيوكل الله عز وجل به ملكاً فيضع جناحاً في الأرض، وجناحاً في السماء يظله، فإذا دخل إلى منزله ناداه الجبار تبارك وتعالى: أيها العبد المعظم لحقي المتبع لآثار نببي، حق علي إعظامك، سلني أعطك، إدعني أجبك، اسكت أبتدئك، فإذا انصرف شيعه الملك يظله بجناحه حتى يدخل إلى منزله، ثم يناديه تبارك وتعالى: أيها العبد المعظم لحقي حق علي إكرامك، قد أوجبت لك جنتي وشفعتك في عبادي) (٩٩٢).

إنه زار أخاً وكسب صداقة وشدّ عروة الوداد ومع ذلك يعطيه الله من الثواب هذا المقدار الهائل! فأبي إسلام هذا الذي لا يأتي مثله أبداً؟ وما أعظمه وأسماه؟ وهل يجد الإنسان بديلاً منه؟

وإن شئت المزيد فاسمع:

قال (عليه السلام): (أيما مؤمن خرج إلى أخيه يزوره عارفاً بحقه كتب الله له بكل خطوة حسنة، ومحيت عنه سيئة ورفعت له درجة فإذا طرق الباب فتحت له أبواب السماء فإذا التقيا وتصافحا وتعانقا أقبل الله عليهما بوجهه ثم باهى بهما الملائكة، فيقول: انظروا إلى عبيدي تراورا وتحابا في، حق علي أن لا أعذبهما بالنار، بعد ذا الموقف.
فإذا انصرف شيعه ملائكة عدد نفسه وخطاه وكلامه يحفظونه عن بلاء الدنيا وبوانق الآخرة إلى مثل تلك الليلة من قابل، فإن مات فيما بينهما أعفي من الحساب.

٩٩٠ - بحار الأنوار: ٣٥٠/٧٤، ب ٢١ - جامع السعادات: ٢٥٣/٢.

٩٩١ - بحار الأنوار: ٣٤٨/٧٤، ب ٢١ - جامع السعادات: ٢٥٣/٢.

٩٩٢ - أصول الكافي: ١٧٨/٢ - جامع السعادات: ٢٥٣/٢.

وإن كان المزور يعرف من حق الزائر، ما عرفه الزائر من حق المزور، كان له مثل أجره(٩٩٣).
وقال الإمام الصادق (عليه السلام): (من زار أخاه لله لا لشيء غيره، لإلتماس ما وعد الله وتنجز ما عنده، وكل الله به سبعين ألف ملك ينادونه: ألا طبت وطابت لك الجنة)(٩٩٤).

وقال (عليه السلام): (من زار أخاه في الله قال عز وجل: إياي زرت وثوابك عليّ ولست أرضى لك ثواباً دون الجنة)(٩٩٥).

وقال (عليه السلام): (من زار أخاه في الله في مرض أو صحة لا يأتيه خداعاً ولا استبدالاً وكل الله به سبعين ألف ملك ينادون في قفاه: أن طبت وطابت لك الجنة، فأنتم زوار الله وأنتم وفد الرحمن حتى يأتي منزله.
فقال له يسير: جعلت فداك فإن كان المكان بعيداً؟ قال: نعم يا يسير، وإن كان المكان مسيرة سنة، فإن الله جواد والملائكة كثيرة يشيعونه حتى يرجع إلى منزله)(٩٩٦).

وربما يخطر على بال بعض الناس: كيف يكون الملائكة بهذه الكثرة؟

إنهم غافلون عن خلق الله وهل من مانع أن يخلق الله ملايين من الملائكة بكلمة (كن)؟
إسمع:

يقول العلم الحديث: عند التناسل يفرز الرجل (٢٦) مليون حيواناً منوياً صغير الحجم.
فهل من يقدر على خلق (٢٠٠) مليون حيوان في قطرة ماء لا يقدر على خلق بلايين البلايين من الملائكة في أقطار الأرض وآفاق السماء؟.

وحقاً: إن من ينكر الشرع لسخافات وهمية، بعيد عن موازين المنطق والعقل!

وبالأخص بعدما ظهر من أسرار الأحاديث كثرة كبيرة وتبين أنها مطابقة للواقع والحقيقة.

وقال الإمام الصادق (عليه السلام): (من زار أخاه في الله تعالى والله، جاء يوم القيامة، يخطر بين قباطي من نور، لا يمر بشيء إلا أضاء له حتى يقف بين يدي الله عز وجل فيقول الله عز وجل له: مرحباً وإذا قال: مرحباً أجزل الله عز وجل له العطية)(٩٩٧).

ومعنى الوقوف بين يدي الله: حيث توجه خطابه وإلا فليس لله مكان كما ذكر في العقائد.

وقال (عليه السلام): (لزيرة مؤمن في الله، خير من عتق عشر رقبات مؤمنات، ومن أعتق رقبة مؤمنة وقى كل عضو عضواً من النار حتى إن الفرج يقي الفرج)(٩٩٨).

وقال (عليه السلام) - لأبي خديجة -:

كم بينك وبين البصرة؟

قال: في الماء خمس إذا طابت الريح.. وعلى الظهر ثمان ونحو ذلك.

فقال (عليه السلام): ما أقرب هذا! تزاوروا وتعاهدوا بعضكم بعضاً فإنه لا بد - يوم القيامة - يأتي كل إنسان بشاهد شهد له على دينه)(٩٩٩).

وقال (عليه السلام): (إن المسلم إذا رأى أخاه كان حياة لدينه إذا ذكر الله)(١٠٠٠).

٩٩٣ - جامع السعادات: ٢٥٣/٢.

٩٩٤ - بحار الأنوار: ٣٥٥/٧٤، ب ٢١ - جامع السعادات: ٢٥٤/٢.

٩٩٥ - بحار الأنوار: ٣٤٥/٧٤، ب ٢١ - جامع السعادات: ٢٥٤/٢.

٩٩٦ - بحار الأنوار: ٣٤٥/٧٤، ب ٢١ - جامع السعادات: ٢٥٤/٢.

٩٩٧ - بحار الأنوار، ٣٤٧/٧٤، ب ٢١ - جامع السعادات: ٢٥٤/٢.

٩٩٨ - بحار الأنوار، ٣٤٩/٧٤، ب ٢١ - جامع السعادات: ٢٥٤/٢.

٩٩٩ - جامع السعادات: ٢٥٤/٢.

وقال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): (مثل الأخوين إذا التقيا: مثل اليدين.. تغسل إحداهما الأخرى ما التقى المؤمنان قط إلا أفاد الله أحدهما من صاحبه خيراً)(١٠٠١).

وفي القرآن نص الأحاديث على الألفة بلفظها:

(... لَوْ أَنْفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَا أَلْفَتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ أَلْفَ بَيْنَهُمْ...)(١٠٠٢).

وقال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): (المؤمن إلف مألوف ولا خير فيمن لا يألف ولا يؤلف)(١٠٠٣).

وقال الإمام الباقر (عليه السلام): (فرحم الله امرءاً ألف بين وليين لنا يا معشر المؤمنين تألفوا وتعاطفوا)(١٠٠٤).

كما أن في الأحاديث ترغيب إلى أسباب الإلفة:

قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): (أولى الناس بالله وبرسوله: من بدأ بالسلام)(١٠٠٥).

وقال أمير المؤمنين (عليه السلام): (لا تغضبوا ولا تقبضوا، إفشوا السلام وأطيبوا الكلام وصلوا بالليل والناس نيام

تدخلوا الجنة بسلام)(١٠٠٦) وقال الباقر (عليه السلام): (إن الله يحب إطعام الطعام وإفشاء السلام)(١٠٠٧).

وقال (عليه السلام): (من التواضع أن تسلّم على من لقيت)(١٠٠٨).

وقال الإمام الصادق (عليه السلام): (تصافحوا فإنها تذهب بالسخيمة)(١٠٠٩).

وقال (عليه السلام): (مصافحة المؤمن أفضل من مصافحة الملائكة)(١٠١٠).

ومن الطبيعي أن يكره الإسلام الهجرة - بعد ذلك - ويندد في النكير على من هجر أخاه.

قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): (أيما مسلمين تهاجرا فمكثا ثلاثاً لا يصطلحان إلا كانا خارجين من

الإسلام ولم يكن بينهما ولاية فأيهما سبق الكلام لأخيه كان السابق إلى الجنة يوم الحساب)(١٠١١).

وقال (صلى الله عليه وآله وسلم): (لا هجرة فوق ثلاث)(١٠١٢).

وقال الإمام الصادق (عليه السلام): (لا يفترق رجلان على الهجران إلا استوجب أحدهما البراءة واللعنة وربما

استحق ذلك كلاهما، فقال له معتب: جعلني الله فداك هذا للظالم فما بال المظلوم؟

قال (عليه السلام): لأنه لا يدعو إلى صلة أخيه، ولا يتعامى له عن كلامه)(١٠١٣).

سمعت أبي (عليه السلام) يقول: (إذا تنازع اثنان فعاز أحدهما الآخر فليرجع المظلوم إلى صاحبه، حتى يقول

لصاحبه: أي أخي أنا الظالم حتى يقطع الهجران بينه وبين صاحبه فإن الله تبارك وتعالى حكم عدل يأخذ للمظلوم من

الظالم)(١٠١٤).

وقولة المظلوم: أنا الظالم خال عن المتعلق فلا يوجب الكذب.

١٠٠٠ - جامع السعادات: ٢٥٤/٢.

١٠٠١ - جامع السعادات: ٢٥٤/٢.

١٠٠٢ - سورة الأنفال: الآية، ٦٣.

١٠٠٣ - أصول الكافي: ١٠٦/٢ - جامع السعادات: ٢٥٥/٢.

١٠٠٤ - أصول الكافي: ٣٤٤/٢.

١٠٠٥ - جامع السعادات: ٢٥٥/٢.

١٠٠٦ - جامع السعادات: ٢٥٥/٢.

١٠٠٧ - بحار الأنوار: ٣٦١/٧٤، ب ٢١ - جامع السعادات: ٢٥٥/٢.

١٠٠٨ - بحار الأنوار: ١٢٠/٧٥، ب ٥١ - جامع السعادات: ٢٥٥/٢.

١٠٠٩ - أصول الكافي: ١٨٣/٢ - جامع السعادات: ٢٥٦/٢.

١٠١٠ - أصول الكافي: ١٨٣/٢ - جامع السعادات: ٢٥٦/٢.

١٠١١ - أصول الكافي: ٣٤٥/٢ - جامع السعادات: ٢٥١/٢.

١٠١٢ - أصول الكافي: ٣٤٤/٢ - جامع السعادات: ٢٥١/٢.

١٠١٣ - أصول الكافي: ٣٤٤/٢ - جامع السعادات: ٢٥١/٢.

١٠١٤ - أصول الكافي: ٣٤٤/٢ - جامع السعادات: ٢٥١/٢.

وقال (عليه السلام): (لا يزال إبليس فرحاً ما اهتجر مسلمان فإذا التقيا اصطكت ركبته وتخلعت أوصاله، ونادى يا ويله: ما لقي من الثبور)(١٠١٥).

وقال الإمام الباقر (عليه السلام): (إنّ الشيطان يغري بين المؤمنين ما لم يرجع أحدهم عن دينه. فإذا فعلوا ذلك استلقى على قفاه، وتمدد، ثم قال: فزت)(١٠١٦).

والإنسان المبتعد عن الاجتماع، لا بد وأن تهتاج في نفسه عوامل أكثر إنّه يراهم، وكلهم إثم، أليسوا يهمزون ويلمزون؟ ويمنعون حقاً؟ ويخوضون في باطل؟ ولذا تراه يهجرهم هجراً غير جميل وفي ههنا يكمن انفصام المجتمع الخير.

لكن الإسلام يريد الإلفة والاجتماع، حتى إذا رأى الإنسان الشر رأى الخير إلى جانبه، فلا يكون مبتعداً سيء الظن.

صلة الرحم

الإسلام حبذ الصلة - إطلاقاً - كما مرّ بنا في الفصل المتقدم.

إذاً: فمن حقّه أن يوجب صلة الرحم - بالخصوص -

ومن الرحم؟.

إنه الذي جمعك وإياه رحم واحدة قريبة: كالإخوة والأخوات، أو متوسطة كالأعمام والأخوال، أو بعيدة كسائر من يمت الإنسان اليهم بصلة.

والأرحام لا بد وان يتقاربوا في الجوار، أو في الدار أو في الكسب، أو في المدينة أو ما إليها لأنهم اشتقوا من فرع واحد.

والى جنب ذلك: لا بد وان تكون بينهم إحن وعداوات وسوابق أليسوا بشراً أو ليس البشر إنّما يسري شرّه إلى الأقرب منه فالأقرب.

ولهذين العاملين: قرب الجوار.. والغضاضة لا بد وأن تقع بينهم هنات.

ولذا يسرع الإسلام إلى التوصية الكافية بالأرحام بصورة عامة من ناحيتين:

إيجابية: فيلزم أن يتواصلوا، ويتباروا، ويتراحموا ويتفقد بعضهم بعضاً.

وسلبية: فيحرم القطيعة بشتى أشكالها، ويوجب غسل القلوب عن ضغائن ربما تستشري بينهم فلا تدع ولا تذر.

وبعد ذلك، فالصلة تعود بالنفع الكبير إلى الأرحام أنفسهم أليست الرحم عضد الرحم وساعدها؟ ومحلّ سرّها ونجواها؟ والتي تحنّ على الإنسان حنواً ذاتياً؟ فيتم القطيعة؟.

يقول القرآن الحكيم: (وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئاً وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً وَبِذِي الْقُرْبَىٰ) (١٠١٧).

ويقول: (... وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً) (١٠١٨)

١٠١٥ - أصول الكافي: ٣٤٦/٢ - جامع السعادات: ٢٥٢/٢.

١٠١٦ - أصول الكافي: ٣٤٥/٢ - جامع السعادات: ٢٥٢/٢.

١٠١٧ - سورة النساء: آية ٣٦.

١٠١٨ - سورة النساء: آية ١.

ويقول: (وَالَّذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ... أَوْلَئِكَ لَهُمْ عُقْبَى الدَّارِ)(١٠١٩).

وقال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): (إِنَّ أَعْجَلَ الْخَيْرِ ثَوَاباً صَلَاةُ الرَّحْمِ)(١٠٢٠).

وقال (صلى الله عليه وآله وسلم): (أوصي الشاهد من أمتي والغائب، ومن في أصلاب الرجال وأرحام النساء، إلى يوم القيامة ان يصل الرحم وان كان منه على مسيرة سنة، فإن ذلك من الدين)(١٠٢١). مسيرة سنة؟.

نعم: إن الإسلام يبالغ حتى في مسيرة سنة، كي لا تقطع الرحم، وهي في البلدة، فبقدر بعد المرمى يستعد الرامي ويجمع قواه.

وقال (صلى الله عليه وآله وسلم): (من سره النساء (التأخير) في الأجل والزيادة في الرزق، فليصل رحمه)(١٠٢٢).

وقال (صلى الله عليه وآله وسلم): (إن القوم ليكونون فجرة، ولا يكونون بررة فيصلون أرحامهم، فتنمى أعمالهم وتطول أعمارهم، فكيف اذا كانوا أبراراً بررة؟)(١٠٢٣).

وقال (صلى الله عليه وآله وسلم): (الصدقة بعشرة، والقرض بثمانية عشرة، وصلة الإخوان بعشرين، وصلة الرحم بأربع وعشرين)(١٠٢٤).

إنها صدقة، وصلة أخ، وصلة رحم، فلم لا تكون بأربعة وعشرين؟.

وقال (صلى الله عليه وآله وسلم): (من سره أن يمد الله في عمره، وأن يبسط في رزقه، فليصل رحمه، فإن الرحم لها لسان يوم القيامة ذلق يقول: يا رب صل من وصلني واقطع من قطعني، فالرجل ليرى بسبيل خير، إذا أتته الرحم التي قطعها، فتعوي به في أسفل قعر في النار)(١٠٢٥).

والمدة في العمر، والبسط في الرزق، طبيعي إلى درجة ما، فإن الوصول هادئ النفس، مرتاح خاطر، والطمأنينة القلبية تبعث على العمر الطبيعي كما تفرغ الإنسان للمكسب.

وقيل للرسول (صلى الله عليه وآله وسلم): أي الناس أفضل؟.

فقال (صلى الله عليه وآله وسلم): (أتقاهم لله، وأوصلهم للرحم، وأمرهم بالمعروف، وأنهاهم عن المنكر)(١٠٢٦).

وقال (صلى الله عليه وآله وسلم): (إن القوم ليكونون فجرة ولا يكونون بررة فيصلون أرحامهم فتنمى أموالهم وتطول أعمارهم فكيف اذا كانوا أبراراً بررة؟)(١٠٢٧).

وهل تدري أفضل الفضائل؟.

اسمعه من لسان الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) يقول (صلى الله عليه وآله وسلم):

(أفضل الفضائل: أن تصل من قطعك، وتعطي من حرمك وتعفو عمن ظلمك)(١٠٢٨).

وهل تتمكن من ذلك؟.

-
- ١٠١٩ - سورة الرعد: آية ٢١ - ٢٢.
- ١٠٢٠ - بحار الأنوار: ١٢١/٧٤، ب: صلة الرحم - جامع السعادات: ٢٥٩/٢.
- ١٠٢١ - بحار الأنوار: ١٠٥/٧٤، ب: صلة الرحم - جامع السعادات: ٢٥٩/٢.
- ١٠٢٢ - بحار الأنوار: ١٢١/٧٤، ب: صلة الرحم - جامع السعادات: ٢٥٩/٢.
- ١٠٢٣ - بحار الأنوار: ١٢٦/٧٤، ب: صلة الرحم - جامع السعادات: ٢٥٩/٢.
- ١٠٢٤ - بحار الأنوار: ١٠٤/٧٤، ب: صلة الرحم - جامع السعادات: ٢٥٩/٢.
- ١٠٢٥ - بحار الأنوار: ١٣٠/٧٤، ب: صلة الرحم - جامع السعادات: ٢٦٠/٢.
- ١٠٢٦ - جامع السعادات: ٢٦٠/٢.
- ١٠٢٧ - أصول الكافي: ١٥٥/٢ - جامع السعادات: ٢٥٩/٢.
- ١٠٢٨ - بحار الأنوار: ١٠١/٧٤، ب: صلة الرحم - جامع السعادات: ٢٦٠/٢.

نعم. بعد جهد جهيد!! فإن الإنسان قابل لكل فضيلة كما إنه قابل لكل ثروة وجاه، ولكن هل يبلغ الجاه الأقصى من كسل ولم يعمل أو يثرى الثروة القصوى من نام عن العمل؟ إن الثروة تأتي بعد سهر ليل ونهار، والجاه يتحصل بعد جدّ وجهد.

فهل تحصل الأخلاق الفاضلة، وبالأخص (أفضل الفضائل) في ظرف ساعة، أو مطالعة كتاب؟ إنه ظن خاطئ وإن ظلّه كثير من الناس!!.

إن من الناس من يرى نفسه كاملة، وهذا من يرثى لحاله فهو جاهل جهلاً مركّباً، ويصدق في حقه قولة حمار الحكيم:

قال حمار الحكيم يوماً***لو أنصف الدهر كنت أركب
فإنني جاهل بسيط***وصاحبي جاهل مركّب

ومنهم: من يرى نفسه ناقصة، ولكن لا يهتم بالكمال أو يهتم بقدر وهذا أحسن من أخيه الأول إلا إن الفارق بينه وبين الإنسان كبير جداً.

ومنهم: من يرى نفسه ناقصة، ولا يزال يهتم بالإصلاح - وهذا نادر - إلا انه ينطبق عليه قول الشاعر:

لا تقولن مضت أيامه***إن من جدّ على الدرب وصل
وفي المقام...

هل نتحصل أفضل الفضائل؟ نعم بعد جهد جهيد ومن يقدر على ان يصل من قطعه! أو يعطي من حرمة! أو يعفو عمّن ظلمه!؟

وهل يعود النفع إلى الطرف المقابل فقط؟ كلا! إن النفع الذي يجنيه الوصول المعطي العافي. من هذه الخصال أكثر بكثير من النفع الذي يربحه القاطع المانع الظالم انه ينفع - أولاً - ودأ في القلوب، وثناً على في الألسنة، وصيناً في المجتمع وينفع - ثانياً - راحة القلب وهدوء خاطر، وارتياح الضمير.
(وما يلقاها إلا الذين صبروا وما يلقاها إلا ذو حظّ عظيم)(١٠٢٩).

والإسلام لا يكلف الناس فوق طاقتهم، فلا يريد من ذي الرحم الفقير، أن يبذل مالاً، أو ينفق نفقة إنه يكتفي ولو بالسلام فإن سلام المعوز يقوم مقام ثراء المثري.

قال الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام): (صلوا أرحامكم ولو بالسلام يقول الله تبارك وتعالى: (وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً)(١٠٣٠)(١٠٣١).

وقال الإمام الباقر (عليه السلام): (إن الرحم متعلقة يوم القيامة بالعرش.

تقول: اللهم صل من وصلني، واقطع من قطعني)(١٠٣٢).

وقال (عليه السلام): (صلة الأرحام تحسن الخلق، وتسمح الكف، وتطيب النفس، وتزيد في الرزق، وتنسى في الأجل)(١٠٣٣).

وقال (عليه السلام): (صلة الأرحام تزكي الأعمال، وتنمي الأموال وتدفع البلوى، وتيسر الحساب، وتنسى في الأجل)(١٠٣٤).

١٠٢٩ - سورة فصلت: آية ٣٥.

١٠٣٠ - سورة النساء: آية ١.

١٠٣١ - بحار الأنوار: ١٠٤/٧٤، ب: صلة الرحم - جامع السعادات: ٢٦٠/٢.

١٠٣٢ - بحار الأنوار: ١١٥/٧٤، ب: صلة الرحم - جامع السعادات: ٢٦٠/٢.

١٠٣٣ - بحار الأنوار: ١١٤/٧٤، ب: صلة الرحم - جامع السعادات: ٢٦٠/٢.

١٠٣٤ - بحار الأنوار: ١١١/٧٤، ب: صلة الرحم - جامع السعادات: ٢٦٠/٢.

وقال الإمام الصادق (عليه السلام): (صلة الرحم، والبر، ليهونان الحساب، ويعصمان من الذنوب، فصلوا أرحامكم، وبروا بإخوانكم، ولو بحسن السلام ورد الجواب)(١٠٣٥).

وقال (عليه السلام): (صلة الرحم تهون الحساب، يوم القيامة وهي منسأة في العمر، وتقني مصارع السوء)(١٠٣٦).

وقال الباقر (عليه السلام): (صلة الرحم، وحسن الجوار: زيادة في الأموال)(١٠٣٧).

وانظر إلى هذا الحديث الصريح، مما لا يدع ليد التأويل في الأخبار السابقة مجال.

قال (عليه السلام): (إن الرجل ليصل رحمه وقد بقي من عمره ثلاث سنين، فيصيرها الله عز وجل ثلاثين سنة، ويقطعها وقد بقي من عمره ثلاثون سنة فيصيرها الله ثلاث سنين ثم تلا (عليه السلام): (يَمَحُوا اللهُ مَا يَشَاءُ وَيُنْبِتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ)(١٠٣٨)(١٠٣٩).

أما قطع الرحم، فقد جعل الإسلام له لعناً وبيلاً وعذاباً أليماً.

أليس الألفة، والوداد من قواعد المجتمع الذي يبني (عليه الإسلام) كل خير وازدهار؟ وأليست الأرحام هي القطعة الكبرى لألف المجتمع بعضه مع بعض: أبوان. فعائلة. فأرحام. فاجتماع. والمجتمع لا يصح إلا إذا صحت الأرحام والأرحام لا تتشابه إلا إذا اشتبكت العائلة بعضها مع بعض، والعائلة لا تتشابه إلا إذا صلح الأبوان.. والإسلام يؤكد على كل ذلك، ويتوعد ترك الصلة والود، فيما بين مرتبة من هذه المراتب، واستمع إلى الوعيد والتهديد، في لسان الآيات والأخبار:

يقول القرآن الحكيم: (وَالَّذِينَ يَبْغُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيَفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَئِكَ لَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ)(١٠٤٠).

ويقول: (... وَتَقَطَّعُوا أَرْحَامَكُمْ)(١٠٤١).

وقال رسول الإسلام العظيم (صلى الله عليه وآله وسلم): (أبغض الأعمال إلى الله الشرك بالله، ثم قطيعة الرحم، ثم الأمر بالمنكر، والنهي عن المعروف)(١٠٤٢).

وقال (صلى الله عليه وآله وسلم): (لا تقطع رحمك وإن قطعتك)(١٠٤٣).

وقال (صلى الله عليه وآله وسلم): (قال تعالى: أنا الرحمن وهذه الرحم شققت لها إسماً من إسمي فمن وصلها وصلته ومن قطعها قطعته)(١٠٤٤).

و الاشتقاق إنما هو الاشتراك في المادة فكل منهما (ر. ح. م) ومعنى المادة التراحم والتعاطف. ولعل تسمية رحم الأثني أيضاً لهذه العلة، بعلاقة الحال والمحل، أو بعلاقة الأول أو ما أشبه!

وقال (صلى الله عليه وآله وسلم): (حاقنا الصراط - يوم القيامة - الرحم والأمانة فإذا مر الوصول للرحم المؤدي للأمانة نفذ إلى الجنة، وإذا مر الخائن للأمانة القطوع للرحم لم ينفعه معها عمل، ويكفأ به الصراط في النار)(١٠٤٥).

١٠٣٥ - بحار الأنوار: ١٣١/٧٤، ب: صلة الرحم - جامع السعادات: ٢٦٠/٢.

١٠٣٦ - بحار الأنوار: ١٣٢/٧٤، ب: صلة الرحم - جامع السعادات: ٢٦٠/٢.

١٠٣٧ - بحار الأنوار: ٩٧/٧٤، ب: صلة الرحم.

١٠٣٨ - سورة الرعد: آية ٣٩.

١٠٣٩ - بحار الأنوار: ٩٣/٧٤، ب: صلة الرحم.

١٠٤٠ - سورة الرعد: آية ٢٥.

١٠٤١ - سورة محمد: آية ٢٢.

١٠٤٢ - جامع السعادات: ٢٥٧/٢.

١٠٤٣ - بحار الأنوار: ١٠٤/٧٤، ب: صلة الرحم - جامع السعادات: ٢٥٧/٢.

١٠٤٤ - جامع السعادات: ٢٥٧/٢.

ما أبدع التشبيه؟.

إن طرفي الشارع لو وقف فيها أعداء المسلمون هل يمكن المرور من الشارع؟.

كلا! وبالعكس: لو كان على الطرفين الأصدقاء الأوفياء إنهم وإن رامه عدو بشر حفظوه وكذلك هاتان الفضيلتان.

وقال الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام): (أعوذ بالله من الذنوب التي تعجل الفناء!)، فقام إليه عبد الله بن الكواء

اليشكري، فقال: يا أمير المؤمنين أو تكون ذنوب تعجل الفناء؟.

فقال: (نعم ويلك! قطيعة الرحم، إن أهل البيت ليجتمعون ويتواسون، وهم فجرة فيرزقهم الله. وإن أهل البيت

ليتفرقون ويقطع بعضهم بعضاً، فيحرمهم الله وهم أتقياء)(١٠٤٦).

أتقياء بالنسبة إلى سائر المآثم، أما القطيعة فهم من أهلها ومرتكبي جريمتها.

وقال (عليه السلام): (إذا قطعت الأرحام، جعلت الأموال في أيدي الأشرار)(١٠٤٧).

وقال الإمام محمد الباقر (عليه السلام): (في كتاب علي (عليه السلام) ثلاث خصال لا يموت صاحبهن - أبداً - حتى

يرى وبالهن:

١ - البغي.

٢ - وقطيعة الرحم.

٣ - واليمين الكاذبة يبارز الله بها.

وإن أعجل الطاعة ثواباً لصلة الرحم وإن القوم ليكونون فجّاراً فيتواصلون فتنمو أموالهم ويثرون، وإن اليمين

الكاذبة وقطيعة الرحم لتذران الديار بلاقع من أهلها ويثقلان الرحم وإن التثقل في الرحم انقطاع النسل)(١٠٤٨).

جاء رجل إلى الإمام الصادق (عليه السلام) فشكا أقاربه، فقال (عليه السلام) له: أكظم، فقال: انهم يفعلون

ويفعلون..! فقال: أتريد أن تكون مثلهم، فلا ينظر الله اليكم؟)(١٠٤٩).

ولا يغفل الإسلام عن حقيقة مجرّبة، وهي: إن التجاور يوجب القطيعة في غالب الناس، ولذا فمن الأفضل أن لا

يتجاور الأرحام خوفاً من الوقوع في هذا الإثم العظيم.

كتب الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام) إلى بعض عمّاله: (مروا الأقارب أن يتزاوروا ولا يتجاوروا)(١٠٥٠).

وهنا قصة ظريفة لا بأس بإيرادها:

قص لي بعض من توطن الغرب من المسلمين، قال: (مرض ذات مرة ابن خال لي فذهبتنا به إلى المستشفى وكنت

أختلف إليه، كما هو عادة المسلمين. فحدث أن سألتني - ذات مرة - جماعة من الأهالي، عن سبب اختلافي إلى

المستشفى بهذه الكثرة، فقصصت لهم القصة، قال: ثم رأيتهم لا يميزون بين ابن الخال والخال، وابن العم والعم

فيطلقون لفظاً واحداً على كلا الطائفتين فاستغربت، وكنت أعلم أنّ في اللغة لفظين للمعنيين كسائر اللغات. لكنهم لما

رأوا استغرابي اعتذروا: بأن نسيان اللغة نتيجة عدم الارتباط بين هذه الطبقات البعيدة! وهل يحتاج المرء إلى مزيد من

أبويه وإخوانه.. أما الأبعاد فهم كسائر الناس، إن جمعهم مادة أو صداقة أو ما إليهما فهو، وإلا فأیما حاجة إلى إطلاق

خاص عليهم!).

١٠٤٥ - بحار الأنوار: ١٠٥/٧٤، ب: صلة الرحم - جامع السعادات: ٢٥٧/٢.

١٠٤٦ - بحار الأنوار: ١٣٧/٧٤، ب: صلة الرحم - جامع السعادات: ٢٥٧/٢.

١٠٤٧ - بحار الأنوار: ١٣٧/٧٤، ب: صلة الرحم - جامع السعادات: ٢٥٧/٢.

١٠٤٨ - بحار الأنوار: ٩٩/٧٤، ب: صلة الرحم - جامع السعادات: ٢٥٧/٢.

١٠٤٩ - بحار الأنوار: ١٣٧/٧٤، ب: صلة الرحم - جامع السعادات: ٢٥٨/٢.

١٠٥٠ - جامع السعادات: ٢٥٨/٢.

ومن هذه القصة - على بساطتها - تتجلى حقيقة هامة، وهي ان الإسلام له اليد الطولى في بناء المجتمع الصحيح، فكما إن الدار لا تبنى إلا باستمساك بعض أجزائها مع بعض استمساكاً متيناً، كذلك المجتمع لا يتشابه تشابكاً صحيحاً يشوبه العطف والحنان والألفة والتعاون إلا إذا تشابك كل جزء منه تشابكاً وثيقاً بالأجزاء الأخرى. ولذا ترى الإسلام يقرره - بكل مناسبة - عطفاً ووداً وألفةً وحقوقاً: من جار أو صديق، أو شريك أو رحم - حتى إلى أربعين ظهر - أو مصاهرة أو رضاع أو ما أشبهه وحيث لا يجد أي ارتباط يجعل ربط الدين كافياً في إيجاب الحقوق: (إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ...) (١٠٥١) وبعد ذلك: (والناس... أو شبيهه لك في الخلق).
ولذا ترى السعادة في ظل الإسلام فقط بينما لا تجد في ظل غيره إلا الشقاء والتعاسة (١٠٥٢).

بر الوالدين

إنك إن حكم عليك بالشنق فأنقذك رجل منه فكم تقدره؟ وألست ترى نفسك رهينة إسانه ما دمت حياً؟.

نعم تراه أنت ويراه كل ذي ضمير!

ثم لنا أن نتساءل: ولم هذا التقدير؟.

والجواب: إن الرجل المنقذ حفظ الشخص المحكوم عليه بالإعدام فله حق الحياة على المحكوم عليه، وحيث إن الحياة أجلّ من جميع النعم فشكر المحسن بها يلزم أن يكون أجزءاً من جميع أنحاء الشكر. إن معنى إنقاذ الحياة أن المحكوم عليه رهين إسان المنقذ في كل لحظة من لحظات حياته ألا يحق له شكره في كل أن؟.
إن هذا المنطق الواضح يدل على مدى لزوم الإحسان إلى الوالدين بمقاييس بسيطة، وهي إن المنقذ من الإعدام لو استحق كل تجلّة واحترام فالأبوان اللذان سببا حياة الشخص من أولها إلى آخرها يستحقان أضعاف ذلك الإحسان.
أرأيت الفرق الواضح بين من وهبك داراً وبين من أنقذ دارك من يد غاصب؟.

إن الأول أحق بالشكر من الثاني.

وهذا هو الفرق بين من أعطاك حياة وبين من أنقذ حياتك.

ولذا نرى الإسلام - الإسلام العظيم العارف بالحقوق - يمنح الوالدين قسطاً كبيراً من الإحسان والإكرام، ووجوب الطاعة والإتباع وحتى لو كانا مشركين! والمشرك بنظر الإسلام معلوم حاله - وحتى لو جاهد لإشراك الولد فإن الإسلام لا يمنعهما رفته والتوصية بهما: (وإن جاهدك على أن تشرك بي ما ليس لك به علم فلا تطعهما وصاحبهما في الدنيا معروفاً...) (١٠٥٣).

هكذا يقول القرآن الكريم.

ويقول: (وَاحْفَظْ لَهُمَا جَنَاحَ الدُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا) (١٠٥٤).

ويقول: (وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَيَالِ الَّذِينَ إِحْسَانًا...) (١٠٥٥).

١٠٥١ - سورة الحجرات: آية ١٠.

١٠٥٢ - انظر: دع القلق ليدل كارنجي كي لا تتعجب من هذه الكلمة الجريئة وانظر غيره ممن يتعرضون إلى كيفية العيش في البلاد غير الإسلامية.

١٠٥٣ - سورة لقمان: آية ١٥.

١٠٥٤ - سورة الإسراء: آية ٢٤.

إنّ الجار يستحق من الاحترام ما لا يستحقه غير العباد.. وهو منطقي في نفسه، بالإضافة إلى إنه متلائم مع طبيعة الإسلام، فإن فاعل المعروف لو رأى من المجتمع: الإحسان، وفاعل المنكر: الإهانة، كان ذلك محقراً على فعل الخير والإقلاع عن الشر أكثر فأكثر!

وقيل للإمام الصادق (عليه السلام): (أي الأعمال أفضل؟ قال (عليه السلام): الصلاة لوقتها، وبرّ الوالدين، والجهاد في سبيل الله)(١٠٦٣).

وقال له رجل: (إنّ أبي قد كبر جداً وضعف، فنحن نحمله إذا أراد الحاجة؟.

فقال: إن استطعت ان تلي ذلك منه، فافعل، ولقمة بيدك فإنه جنة لك غداً)(١٠٦٤).

وهل يخص الإسلام برّ الوالدين بما إذا كانا مسلمين مؤمنين؟

كلا! إن الأبوين تحملاً ما تحملاً، فليبرهما، سواء كانا عارفين أم ناكرين.

قال رجل للإمام الصادق (عليه السلام): (إنّ لي أبوين مخالفين؟ فقال (عليه السلام): برهما كما تير المسلمين ممن يتولانا)(١٠٦٥).

وقال رجل للإمام الرضا (عليه السلام): (أدعو لوالدي إذا كانا لا يعرفان الحق؟ قال (عليه السلام): أدع لهما

وتصدّق عنهما، وان كانا حيين لا يعرفان الحق، فدارهما. فإن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) قال: إنّ الله بعثني بالرحمة لا بالعقوق)(١٠٦٦).

والإسلام الذي يعتقد بالدار الآخرة، مثل ما يعتقد بالدار الدنيا يرى برّ الوالدين بعد مماتهما، مثل ما يرى برهما في حياتهما.

قال (عليه السلام): (ما يمنع الرجل منكم أن يبرّ والديه حيين وميتين ويصليّ عنهما ويتصدّق عنهما، ويحج عنهما،

ويصوم عنهما، فيكون الذي صنع لهما، وله مثل ذلك، فيزيده الله عز وجل ببرّه وصلاته خيراً كثيراً)(١٠٦٧).

ثم الدنيا دار مكافأة، فمن عمل عملاً خيراً وشرّاً، عمل به مثله - غالباً - فمن أحسن إلى أبويه وبرهما، أحسن إليه أولاده وبروه، ومن عقهما وأساء اليهما تلقى الكيل بالكيل، والصاع بالصاع.. وهذا ما يمكن للإنسان الفحص عنه فاسأل الآباء؟ فمن قال - صادقاً - انه برّ بوالديه رأيت أولاده يبرونه.. والعكس صحيح.

أليس من الجدير بالإنسان - والحال هذه - أن يبرّ بوالديه رجاء ثواب الآجل والعاجل؟

هذا لمن لا يحفضه ضميره على مقابلة إحسان الوالدين بالإحسان أما من له ضمير نقي ووجدان صحيح فالثواب

شيء إضافي حتى انه لو لم يكن لزم عليه الإحسان كفاءً لما أسدى الأبوان إليه من معروف وأتعاب.

أما العقوق فهو بنظر الإسلام من أكبر الجرائم! وكيف لا يكون كذلك والحال إنّه مقابلة الإحسان بالإساءة؟ فعقابه

ضعف. إنّه لم يشكر النعم.. ثم قابلها بالكفران.. إنّ الإسلام لا يرضى بعدم الشكر فكيف يرضى بالكفران؟.

وقد نهى الإسلام عن أقل مراتب العقوق وهو كلمة أف فحرم أن يقابل الأبوين بهذه الكلمة

(وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَيَالِ الْوَالِدِينَ إِحْسَانًا وَإِمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أَفٍّ وَلَا

تَنْهَرُهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا)(١٠٦٨).

١٠٦٣ - بحار الأنوار: ٨٥/٧٤، ب: بر الوالدين والأولاد - جامع السعادات: ٢٦٥/٢.

١٠٦٤ - أصول الكافي: ١٦٢/٢ - جامع السعادات: ٢٦٥/٢.

١٠٦٥ - بحار الأنوار: ٥٦/٧٤، ب: بر الوالدين والأولاد - جامع السعادات: ٢٦٥/٢.

١٠٦٦ - بحار الأنوار: ٤٧/٧٤، ب: بر الوالدين والأولاد - جامع السعادات: ٢٦٥/٢.

١٠٦٧ - أصول الكافي: ١٥٩/٢ - جامع السعادات: ٢٦٥/٢.

١٠٦٨ - سورة الإسراء: آية ٢٣.

وفي التخصيص بحال الكبر، مع إنَّ العقوق محرّمٌ إطلاقاً، بيان نكتة وهي إنَّ الكبير لاجتراف خلقه - كثيراً ما يتطلب فوق حقوقه ويتخاشن بغير حق، فما أجدره بالنهر، وبالكلمة النابية التي توقعه عند حده!

لكن الإسلام لا يرضى بذلك بل:

(قل لهما قولاً كريماً) لا هذا فحسب. بل: أجر معهما مجرى المتواضع المتطلب، كما كنت أبان صغرك ونشاطهما (وَأَخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ...)(١٠٦٩).

أما الأحاديث في باب العقوق فكثيرة كثرة هائلة.

قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): (كن باراً واقصر على الجنة، وإن كنت عاقاً فاقصر على النار)(١٠٧٠).

ويروي الإمام الباقر (عليه السلام) عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) انه قال: (اياكم وعقوق الوالدين! فإن ربح الجنة توجد من مسيرة ألف عام، ولا يجدها عاق، ولا قاطع رحم، ولا شيخ زان، ولا جارٌ إزاره خيلاء إنما الكبرياء لله رب العالمين)(١٠٧١).

وقال (صلى الله عليه وآله وسلم): (من أصبح مسخطاً أبويه، أصبح له بابان مفتوحان إلى النار)(١٠٧٢).

وقال الباقر (عليه السلام): (إن أبي - يعني الإمام زين العابدين (عليه السلام) - نظر إلى رجل ومعه ابنه يمشي، والابن متكئ على ذراع الأب! فما كلمه أبي مقتاً له، حتى فارق الدنيا)(١٠٧٣).

ولا بد ان نحمل هذا الحديث على ان الابن كان مصراً على هذه الرذيلة وإلا فالتائب من الذنب كمن لا ذنب له.. وعلى أي: فدلالة هذا الخبر على جرم العقوق، كبيرة جداً فالإتكاء على ذراع الأب مقت يستحق المقاطعة من الإمام الذي هو معدن اللطف والإحسان فكيف بسائر أقسام العقوق؟.

ومن الناس من يزعم: إنَّ العقوق يحتاج إلى لفظ كأن يقول الأب: أنت عاق ولكنه ظنَّ خطأً فإنما العقوق كل ما يؤذي الأبوين وإن تحملاه برحابة!
واسمع إلى هذا الحديث:

قال الإمام الصادق (عليه السلام): (من نظر إلى أبويه نظر مافت، وهما ظالمان له، لم يقبل الله له صلاة)(١٠٧٤).
وقال (صلى الله عليه وآله وسلم): (إذا كان يوم القيامة كشف غطاء من أغطية الجنة فوجد ريحها من كانت له روح من مسيرة خمسمائة عام إلا صنفاً واحداً، فقيل له: من هم؟ قال (عليه السلام): العاق لوالديه)(١٠٧٥).

وروي: (إنَّ أوَّلَ ما كتب الله في اللوح المحفوظ: إني أنا الله لا إله إلا أنا، من رضي عنه والداه فأنا عنه راض، ومن سخط عليه والداه فأنا عليه ساخط).

وقال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): (كل المسلمين يروني يوم القيامة إلا عاق الوالدين، وشارب الخمر، ومن سمع إسمي ولم يصلِّ علي)(١٠٧٦).

والظاهر أنه يراد بعدم الصلاة عليه (صلى الله عليه وآله وسلم) تركها تعنتاً وكبرياءً، فإن الصلاة مندوبة عند المشهور من الفقهاء.

١٠٦٩ - سورة الإسراء: آية ٢٤.

١٠٧٠ - أصول الكافي: ٣٤٨/٢ - جامع السعادات: ٢٦٢/٢.

١٠٧١ - بحار الأنوار: ٦٢/٧٤، ب: بر الوالدين والأولاد - جامع السعادات: ٢٦٢/٢.

١٠٧٢ - جامع السعادات: ٢٦٢/٢.

١٠٧٣ - بحار الأنوار: ٦٤/٧٤، ب: بر الوالدين والأولاد - جامع السعادات: ٢٦٢/٢.

١٠٧٤ - أصول الكافي: ٣٤٩/٢، جامع السعادات: ٢٦٢/٢.

١٠٧٥ - أصول الكافي: ٣٤٨/٢، جامع السعادات: ٢٦٣/٢.

١٠٧٦ - جامع السعادات: ٢٦٣/٢.

وقال الإمام الصادق (عليه السلام): (لو علم الله شيئاً هو أدنى من أفّ لنهى عنه وهو أدنى العقوق ومن العقوق ان ينظر الرجل إلى والديه، فيحدّ النظر إليهما)(١٠٧٧).

وسئل الإمام الكاظم (عليه السلام): (عن الرجل يقول لإبنه أو ابنته: بأبي أنت وأمي، أو: بأبوي أترى بذلك بأساً؟ فقال: ان كان أبواه حيين، فأرى ذلك عقوقاً، وإن كانا قد ماتا فلا بأس)(١٠٧٨).

وفي حديث قدسي: (بعزتي وجلالي وارتفاع مكاني، لو أنّ العاق لوالديه يعمل بأعمال الأنبياء جميعاً لم أقبلها منه)(١٠٧٩).

وهذا الحديث ربما يثير الدهشة ابتداءً، لكن في القرآن الكريم ما يدلّ عليه: (إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ...) (١٠٨٠) وهل العاق متّق؟ كلا! إذاً لا يقبل الله منه ولو بلغت ضخامة عمله كل مبلغ.

وبعد هذا لنا أن نتساءل: كم من الأولاد يبرّون آباءهم في هذا العصر؟

والجواب: واحد من مائة.. لم؟ لأن مناهج الغرب تبعث على العقوق إنّ البر من الفضائل الروحية والغرب لا يؤمن -

عملياً - إلا بالمادة فكيف يعمل بما للروح من مثل وفضائل؟ وهذا هو سرّ نضوب الأخلاق - بتمام معنى الكلمة - عن قاموس الغرب والمستغربين.

حقوق الجار

وهل للجار من حق؟

نعم. يرى الإسلام للجار أعظم الحقوق.

قال الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام): (إنّ رسول الله كتب بين المهاجرين والأنصار ومن لحق بهم من أهل

يثرب: ان الجار كالنفس غير مضار ولا آثم، وحرمة الجار على الجار كحرمة أمه)(١٠٨١).

فهل فوق هذا من حق؟ ان الجار مرّة كالنفس ومرّة كالأم، وهل هناك أعظم حقاً من النفس والأم؟ كلا! وهكذا يريد

الإسلام:

انه يريد تقوية الروابط بين الأفراد والأمم والشعوب.

فللوالدين الحق...

ولللأرحام الحق...

ولللجيران الحق...

وللمعلم الحق...

وللفقير والمريض والقادم... الحق.

ثم: المسلمون تتكافأ دماؤهم ثم: الناس نظير لك في الخلق.

١٠٧٧ - بحار الأنوار: ٦٤/٧٤، ب: بر الوالدين والأولاد - جامع السعادات: ٢٦٣/٢.

١٠٧٨ - بحار الأنوار: ٦٩/٧٤، ب: بر الوالدين والأولاد - جامع السعادات: ٢٦٣/٢.

١٠٧٩ - جامع السعادات: ٢٦٣/٢.

١٠٨٠ - سورة المائدة: آية ٢٧.

١٠٨١ - جامع السعادات: ٢٦٧/٢.

وهل رأيت مثل الإسلام منهجاً؟ كلا! لم يره أحد ولن يراه أحد، إلى يوم يبعثون!!

انظر إلى هذه الآية:

(وَأَعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئاً وَيَالِ الَّذِينَ إِحْسَاناً وَبِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ مُخْتَالاً فَخُوراً) (١٠٨٢).

والأصناف الثلاثة من الجيران، تشمل جميع صنوف من جوار الإنسان قريباً أم بعيداً شريكاً أم مصاحباً في سفر أم جاراً في مهنة، أم ما يشبه ذلك.

قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): (الجيران ثلاثة: فمنهم من له ثلاثة حقوق: حق الجوار، وحق الإسلام، وحق القرابة).

ومنهم من له حقان: حق الإسلام، وحق الجوار.

ومنهم من له حق واحد: الكافر له حق الجوار) (١٠٨٣).

وقال (صلى الله عليه وآله وسلم): (أحسن مجاورة من جاورك تكن مؤمناً) (١٠٨٤).

وقال (صلى الله عليه وآله وسلم): (من كان يؤمن بالله واليوم الآخر، فلا يؤذ جاره) (١٠٨٥).

وقال (صلى الله عليه وآله وسلم): (لا إيمان لمن لم يأمن جاره بوائقه) (١٠٨٦).

وقال الإمام الصادق (عليه السلام): (قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ما آمن بي من بات شبعاناً وجاره المسلم جانحاً) (١٠٨٧).

وقيل للنبي (صلى الله عليه وآله وسلم): (فلانة تصوم النهار وتقوم الليل وتتصدق وتؤذي جاراها بلسانها؟ فقال (صلى الله عليه وآله وسلم): لا خير فيها هي من أهل النار) (١٠٨٨) وربما يتعجب بعض من لا خبرة له من أمثال هذه الأحاديث، فكيف تكون من أهل النار امرأة لا ذنب لها إلا أنها تلوك جيرانها بلسانها؟.

لكن الأمور كونها وشرعها كذلك. أرأيت طائرة تطير بدون كمال أجهزتها، أو رأيت من يحبس لأجل مخالفة يسيرة مع أنه ممتثل لسانر القوانين؟.

وهكذا الإسلام انه كل لا يتبعض، فصلاته وصيامه، وصدقه وأمانته، وزكاته وصلاته، وحسن خلقه وفضيلته كلها مرتبطة بعضها ببعض، ولا يعني بعضها دون بعض.

وحسن الجوار في نظر الإسلام ليس سلبياً فقط كما يزعم الزاعمون بل له جانبان:

إيجابي: وهو أن يتفقد الإنسان الجيران بالخير والمعروف والعون والزيارة.

وسلبي: وهو أن يكف أذاه - بما في الكلمة من سعة وشمول - عنهم حتى انه لو سبب ترفيع داره نقصاً في الهواء

والضياء الداخلة على الجار، لم يفعله.

١٠٨٢ - سورة النساء: آية ٣٦.

١٠٨٣ - جامع السعادات: ٢٦٧/٢.

١٠٨٤ - بحار الأنوار: ١٥٩/٧٤، ب: حسن المعاشرة - جامع السعادات: ٢٦٧/٢.

١٠٨٥ - جامع السعادات: ٢٦٧/٢.

١٠٨٦ - بحار الأنوار: ١٥٢/٧٤، ب: ٩ - جامع السعادات: ٢٦٧/٢.

١٠٨٧ - بحار الأنوار: ١٥١/٧٤، ب: ٩ - جامع السعادات: ٢٦٨/٢.

١٠٨٨ - جامع السعادات: ٢٦٧/٢.

العيوب

ما أجود قول الشاعر:

لسانك لا تبدي بها سوءة إمريء***فكلك سوءات وللناس ألسن
وعينك إن أهدت إليك معاييب***من الناس قل يا عين للناس أعين
فكم منا - ترى - خالياً من العيوب؟.

لا أحد إطلاقاً!

إذاً: فما هذا الهمز، واللمز، وكشف عيوب الناس وإبانة مواضع النقص فيهم؟.
وهل أنت خال من العيب حتى تكشف عن عيوب الناس؟.
أو هل تراك تظهر عيوب الناس، ثم يسكت عن عيوبك الناس؟.
لا ذاء.. ولا ذاك..

وإنما من أظهر للناس عيباً أظهروا له ألف عيب!!

فمن الخير لنفسك: أن تسكت عن العيوب إطلاقاً.

ثم: ما الفائدة في إبدائك لعيوبهم؟ فإن أردت إصلاحاً فليس من طريقة النقد بصورة سافرة انظر إلى هذه الآية
الكريمة: (... وإنا أو إياكم لعلى هدىً أو في ضلال مبين)(١٠٨٩).

نعم إنما يفيد إصرار المرتكب وعداؤه لك وإبداء عيوبك على الملأ وكثيراً ما أضاف إلى عيوبك عيوباً مكذوبة.
ولذا نرى الإسلام العظيم يحرم طلب العورات وإبدائها ويوجب ستر العيوب وكتمانها.

قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): (من ستر على مسلم، ستره الله في الدنيا والآخرة)(١٠٩٠).

وقال (صلى الله عليه وآله وسلم): (لا يستر عبد عيب عبد إلا ستره الله يوم القيامة)(١٠٩١).

وقال (صلى الله عليه وآله وسلم): (لا يرى امرؤ من أخيه عورة فيسترها عليه إلا دخل الجنة)(١٠٩٢).

وقال (صلى الله عليه وآله وسلم): (من أذاع فاحشة كان كمبتدئها ومن عير مؤمناً بشيء لا يموت حتى
يركبه)(١٠٩٣).

وقال (صلى الله عليه وآله وسلم): (كلّ أمّتي معافى إلا المجاهرين)(١٠٩٤).

يريد (صلى الله عليه وآله وسلم) بذلك: إنه لا يحق لأحد أن يفشي عيب أحد، إلا إذا كان المرتكب مجاهراً، فإنه لا
حرمة له.

١٠٨٩ - سورة سبأ: آية ٢٤.

١٠٩٠ - جامع السعادات: ٢٧١/٢.

١٠٩١ - جامع السعادات: ٢٧١/٢.

١٠٩٢ - جامع السعادات: ٢٧١/٢.

١٠٩٣ - بحار الأنوار: ٢٥٥/٢، ب: الغيبة - جامع السعادات: ٢٧٠/٢.

١٠٩٤ - جامع السعادات: ٢٧٠/٢.

ولا يقتنع الإسلام بهذا الحد، بل يريد ان لا يكشف سر أحد وإن لم يكن إثماً، إذ لعل له مارباً ولذا أخفاه.
اسمع إلى الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) يقول: (من استمع خبر قوم وهم له كارهون، صبت في أذنيه الأتاك يوم القيامة)(١٠٩٥) والأتاك: السرب.

وقال الإمام الباقر (عليه السلام): (قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): يا معشر من أسلم بلسانه، ولم يسلم بقلبه، لا تتبعوا عثرات المسلمين فانه من يتتبع عثرات المسلمين، يتتبع الله عثراته، ومن تتبّع الله عثراته يفضحه)(١٠٩٦).

وقال (عليه السلام): (إن أقرب ما يكون العبد إلى الكفر، أن يؤاخي الرجل الرجل على الدين، فيحصي عليه عثراته ليعنّفه بها يوماً ما)(١٠٩٧).

وقال (عليه السلام): قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): (إن أسرع الخير ثواباً البر، وأسرع الشر عقوبة البغي، وكفى بالمرء عيباً أن يبصر من الناس ما يعمى عنه، وأن يعير الناس بما لا يستطيع تركه، وأن يؤذي جليسه بما لا يعنيه)(١٠٩٨).

وقال الإمام الصادق (عليه السلام): (من أتب مؤمناً، أتبه الله عزّ وجل في الدنيا والآخرة)(١٠٩٩).
والعيوب التي يجب سترها شاملة للعيوب الخلقية: كالعنن.. والخلقية: كالجبن. والعادية: كالتقذرة. والشرعية: ككون الرجل لاعباً للقمار.

أما العيوب الظاهرة، فلا بأس بعدم ستر ما حرّمه الإسلام، فمن جاهر بشرب الخمر، لا يحرم أن يقال عنه: انه شارب. أما سائر العيوب فيحرم لأنه يعتبر إذاء أو ما أشبهه.
والسرّ: لا يجب الإسلام كشفه، وإن لم يكن عيباً.. فللناس مقاصد يريدون كتمانها، والإسلام يتحفظ على مشاعرهم، ولذا ينهي عن كشف السر كائناً ما كان.

قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): (إذا حدّث الرجل الحديث، ثم التفت فهي أمانة)(١١٠٠).
ومعنى: ثم التفت، انه نظر، ليرى عدم وجود أجنبي.. والأمانة يراد بها، هنا حرمة إفشائه، كما يحرم خيانة الأمانة.
وقال (صلى الله عليه وآله وسلم): (الحديث بينكم أمانة)(١١٠١).
وقال (صلى الله عليه وآله وسلم): (طوباً لعبد نومة، عرفه الله، ولم يعرفه الناس، أولئك مصابيح الهدى، وينابيع العلم، تتجلى عنهم كل فتنة مظلمة، ليسوا بالمذاييع البذر، ولا الجفأة المرابين)(١١٠٢).
النومة، بالضم والسكون: الذي لا يؤبه له.

ولماذا يحبذ الإسلام هذه الخصلة.. أليست شرائع الدين تؤكد على الاختلاط والامتلاف؟
نعم.. إنه كذلك.. ولكن لا منافاة، ففي حث الإسلام على هذه الصفة كبح لجماح نفوس تريد علواً في الأرض وفسادا، إن لهذا الحديث وأشباهه سيات لنفس حتى لا تجمح، ثم يأتي بعد ذلك دور التعديل.. رأيت الحديد يحمى بالنار، ثم يصنع منه ما يراد؟.

١٠٩٥ - جامع السعادات: ٢٧٠/٢.

١٠٩٦ - أصول الكافي: ٣٥٥/٢ - جامع السعادات: ٢٧٠/٢.

١٠٩٧ - بحار الأنوار: ٢١٥/٧٥، ب: تتبّع عيوب الناس - جامع السعادات: ٢٧٠/٢.

١٠٩٨ - بحار الأنوار: ٢٧٣/٧٥، ب: البغي - جامع السعادات: ٢٧٠/٢.

١٠٩٩ - جامع السعادات: ٢٧٠/٢.

١١٠٠ - جامع السعادات: ٢٧٣/٢.

١١٠١ - جامع السعادات: ٢٧٣/٢.

١١٠٢ - جامع السعادات: ٢٧٣/٢.

ثم.. إنَّ من الناس خاملين، فينسيهم الإسلام بهذا الحديث، حتى لا تذهب نفوسهم على خمولهم حسرات، وحتى لا يطلبوا نباهة بكل إثم وباطل.. أليس الإسلام مدح الخمول؟.

وليس معنى الحديث أن يطلب الإنسان الخمول - كما يزعم - فإن الإسلام لا يطلب من الناس إلا الألفة والوداد والتفاف الإخوان والمعارف، والعمل والجد في معترك الحياة، وفي القرآن الكريم حكاية دعاء الصالحين: (... وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا)(١١٠٣).

بل هو بيان لفضيلة طبيعة هذه الصفة.

نقول: وكيف؟.

أقول: رأيت كم مدح الإسلام المرض.. فهل معنى ذلك أن يطلبه الإنسان؟ كلا، بل معناه فضيلة طبيعة المرض، وإن كانت الصحة في نظر الإسلام من جلائل نعم الله تعالى.

وفي سورة النور، جعل الله تعالى قصة الإفك، الذي دعي به زوج النبي (صلى الله عليه وآله وسلم).. خيراً للمسلمين: (لا تحسبوه شراً لكم، بل هو خير لكم) فهل معنى ذلك: إن الإفك أمر حسن؟ كلا! وألف كلا؟ بل معناه: إنَّ هذا الأمر الواقع يعود بالنفع على المسلمين بما ينطوي عليه من تميّز المنافق من المؤمن، ولما فيه من المشوبة الآجلة... وغير ذلك.

ومثل الحديث المتقدم عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) مقالة الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام).

قال (عليه السلام): (طوبى لعبد نومة، لا يؤبه له، يعرف الناس، ولا يعرفه الناس، ليعرفه الله منه برضوان، أولئك مصابيح الهدى، تتجلى عنهم كل فتنة، ويفتح لهم باب كل رحمة، ليسوا بالبذر المذابيح، ولا الجفاة المرانين)(١١٠٤).

وقال (عليه السلام) في مدح الكتمان:

(قولوا الخير تعرفوا به، واعملوا الخير تكونوا من أهله، ولا تكونوا عجلي مذابيح، فإن خياركم الذين إذا نظر إليهم

ذكر الله، وشاركم المشاؤون بالنميمة، المفرقون بين الأحبة، المبتغون للبراء المعاييب)(١١٠٥).

النميمة

ومن هو النمام؟.

انه رجل منفرد، خبيث، يرتعد المجتمع من ظلّه.. انه الذي يحكي كلام هذا لذاك، ليلقي الفتنة بينهم.. فإذا رآك، قال: تكلم فلان فيك بالسوء.. وإذا رأى صديقك، قال: تكلمت أنت فيه بالسوء، وهلمّ جرّاً.

إنّه كالحنظل، يفسد صداقة حلوة، ويلقي الفتنة بين الأحبة من حيث يشعر أو لا يشعر.. وربما كان النمام لاشعورياً،

بل ربما يكون ناصحاً - بنظر نفسه - لكنه يفسد بالنتيجة.

ثم.. لنأتى نحاسب النمام على مقالته: لم ينم؟

إلا أنه يريد تحطيم المنقول عنه؟ فما أجدرك بك أن لا تسمع إلى كلامه.

١١٠٣ - سورة الفرقان: آية ٧٤.

١١٠٤ - جامع السعادات: ٢/٢٧٣.

١١٠٥ - جامع السعادات: ٢/٢٧٣.

أم لأنه يريد الفرقة بينك وبين صديقك؟ فالمفرق يجتنب، لا أنه يقترب.
أم لأنه ناصح لك في أن تتجافى عن المنقول عنه؟ وهل الناصح يفرق، أم يجمع؟
إنه أضر من الدابة التي تحمل النفايات، ثم تلقيها عليك، فإن الماء يغسل مواضع اللطخ من الجسم أما القلوب إذا
تتافرت، فلا يغسلها ألف ماء وماء.

ولذا ترى الإسلام يحذر من النمام، ويحرم النميمة بكل شدة فانظر إلى الشدة التي انطوت عليها هذه الآية الكريمة:
(هَمَّازٌ مَشَاءٌ بِمِيمٍ، مَنَاعٌ لِلْخَيْرِ مُعْتَدٍ أَثِيمٌ، عَثَلٌ بَعْدَ ذَلِكَ زَنِيمٌ)(١١٠٦).

وقال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): (لا يدخل الجنة قتات) (١١٠٧)، وهو النمام.

وقال (صلى الله عليه وآله وسلم): (لا يدخل الجنة نمام) (١١٠٨).

وقال (صلى الله عليه وآله وسلم): (من أشار على مسلم كلمة ليشينه بها في الدنيا بغير حق، شانه الله في النار يوم
القيامة) (١١٠٩).

وقال (صلى الله عليه وآله وسلم): (أحبكم إلى الله: أحسنكم أخلاقاً، الموطنون أكنافاً، الذين يألفون ويؤلفون، وأن
أبغضكم إلى الله: المشاؤون بالنميمة، المفرقون بين الأحبة، الملتمسون للبراء العثرات) (١١١٠).

وقال (صلى الله عليه وآله وسلم): (ألا أخبركم بشراركم؟

قالوا: بلى، يا رسول الله..

قال (صلى الله عليه وآله وسلم): المشاؤون بالنميمة، المفرقون بين الأحبة الباعون للبراء العيب) (١١١١).

وقال (صلى الله عليه وآله وسلم): (أيما رجل أشاع على رجل كلمة، وهو منها بريء ليشينه بها في الدنيا، كان حقاً
على الله: أن يدينه بها يوم القيامة في النار) (١١١٢).

وقال (صلى الله عليه وآله وسلم): (إن الله لما خلق الجنة، قال لها: تكلمي، قالت: سعد من دخلني... قال الجبار جل
جلاله: وعزتي وجلالي لا يسكن فيك ثمانية نفر من الناس:

لا يسكنك مدمن خمر، ولا مصرّ على الزنا، ولاقتات (وهو النمام) ولا ديوث، ولا شرطي، ولا مخنث، ولا قاطع
رحم، ولا الذي يقول: علي عهد الله أن أفعل كذا وكذا... ثم لم يف به) (١١١٣).

وقال الإمام الباقر (عليه السلام): (الجنة محرمة على المغتابين، والمشتانين بالنميمة) (١١١٤).

وانظر إلى هذا الحديث، وكم ترى حظه من المجتمعات اليوم.

قال (عليه السلام): (ويحشر العبد يوم القيامة، وما ندا دماً (أي ما سفك دماً) فيدفع إليه شبه المحجمة، أو فوق
ذلك، فيقال له: هذا سهمك من دم فلان.. فيقول: يا رب، إنك لتعلم أنك قبضتني وما سفكت دماً، فيقول: بلى، سمعت من
فلان رواية كذا وكذا، فرويتها عليه، فنقلت حتى صارت إلى فلان الجبار، فقتله عليها، وهذا سهمك من دمه) (١١١٥).

١١٠٦ - سورة القلم: آية ١١ - ١٣.

١١٠٧ - بحار الأنوار: ٢٦٥/٧٥، ب: النميمة والسعاية - جامع السعادات: ٢٧٥/٢.

١١٠٨ - بحار الأنوار: ٢٦٨/٧٥، ب: النميمة والسعاية - جامع السعادات: ٢٧٥/٢.

١١٠٩ - جامع السعادات: ٢٧٥/٢.

١١١٠ - جامع السعادات: ٢٧٥/٢.

١١١١ - بحار الأنوار: ٢١٢/٧٥، ب: تتبع عيوب الناس - جامع السعادات: ٢٧٥/٢.

١١١٢ - جامع السعادات: ٢٧٥/٢.

١١١٣ - جامع السعادات: ٢٧٥/٢.

١١١٤ - جامع السعادات: ٢٧٦/٢.

١١١٥ - جامع السعادات: ٢٧٦/٢.

إنّ المسلمين مذحين وقعوا في مخالب الغرب، وضاعت قيم الإسلام عندهم وصاروا من مصاديق هذه الآية الكريمة: (قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَىٰ أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّنْ فَوْقِكُمْ أَوْ مِنْ تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ أَوْ يَلْبَسَكُمْ شِيْعًا وَيَذِيْقَ بَعْضَكُمْ بِأَسْ بَعْضٍ...)(١١١٦).

تراهم.. شيعاً وأحزاباً، وأعداءً ومناوين، يهجم بعضهم على بعض، ويسعى بعضهم على بعض، فشاعت فيهم الجواسيس من أنفسهم، وكثرت فيهم السعاية والنميمة.. وكثير من السجون يرتادها أناس سعي بهم، كما أنّ بعض المقتولين بأيادي السلطات، إنّما وشي بهم.

وقال النبي (صلى الله عليه وآله وسلم): (الساعي بالناس إلى الناس لغير رشده)(١١١٧) أي ليس بولد حلال. ثم بعد ذلك.. هل صلحت دنياهم؟

كلا! بل بالعكس: امتلأت السجون، وظهرت الفرقة والعداء وطاردت السلطات الشعوب، وقلت الشعوب السلطات، وبالنتيجة قامت ثورات وانتفاضات أطاحت بالحكومات، وأراقت دماء وتربصت بما بقي منها الدوائر...

ان الدنيا بغير الإسلام لا تصلح، والشعوب في غير ظل الإسلام لا تستريح والسلطات بغير مناهج الإسلام لا تتمكن من ترفيه العيش لنفسها ولسانر أممها، حتى ترى وترى... حتى يأذن الله بقيام الإسلام على ساق - من جديد -

(اللهم إنا نرغب إليك، في دولة كريمة، تعزّ بها الإسلام وأهله، وتذلّ بها النفاق وأهله، وتجعلنا فيها من الدعاة إلى طاعتك، والقادة إلى سبيلك، وترزقنا بها كرامة الدنيا والآخرة): (من دعاء الافتتاح).

وقال الإمام الصادق (عليه السلام): (من روى رواية على مؤمن، يريد بها شينه وهدم مروءته، ليسقط من أعين الناس، أخرجه الله من ولايته إلى ولاية الشيطان، ولا يقبله الشيطان!!)(١١١٨).

وروى ابن الفضل، عن الإمام الكاظم (عليه السلام)، أنّه قال له: (جعلت فداك، الرجل من إخواني يبلغني عنه الشيء الذي أكرهه! فأسأله عنه؟ فينكر ذلك؟ وقد أخبرني عنه قوم ثقات، فقال (عليه السلام): يا محمد، كذب سمعك وبصرك عن أخيك، فإن شهد عندك خمسون قسامة. فقال لك قولاً، فصدقه وكذبهم! ولا تدين عليه شيئاً تشينه به، وتهدم مروءته، فتكون من الذين قال الله: (إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ...)(١١١٩)(١١٢٠).

المراد بخمسين قسامة: خمسون رجلاً يشهدون على شيء، ثم يحلف كل واحد منهم على طبق شهادته، هذا إن كانت القسامة - في لفظ الحديث - بدلاً عن الخمسين.. أما إن كان بالإضافة فهي ألفان وخمسمائة رجل يشهدون ويحلفون!! ان القسامة خمسون، فخمسون قسامة: ألفان وخمسمائة.

فيكون من سفه الكلام، حتى أنّ هذا العدد الضخم، لا يعتني بقوله، قبال قول المشهود عليه.

وكيف يمكن ذلك!؟

ألم يعتبر الإسلام شاهدين لاثبات الحقوق - غالباً -؟

والجواب:

إنّ هناك مقامين:

١ - مقام الشهادة، وفيها يعتبر شاهدان، كما ذكر.

١١١٦ - سورة الأنعام: آية ٦٥.

١١١٧ - جامع السعادات: ٢٧٩/٢.

١١١٨ - بحار الأنوار: ٢١٦/٧٥، ب: تتبع عيوب الناس - جامع السعادات: ٢٧٦/٢.

١١١٩ - سورة النور: آية ١٩.

١١٢٠ - جامع السعادات: ٢٧٨/٢.

ب - مقام ترتيب الآثار على أقوال الناس، في غير مقام الشهادة والحقوق فمثلاً: لو قيل لك: فلان كاذب.. أو يغش.. أو أكل أموال الناس بالباطل، فلا يعتني بأقوال هؤلاء إلا في مقام الشهادة والحقوق، فالصفاء الإسلامي لا يكدره أقوال عابرة، وإن تراكمت إلى حدّ القسامة.

نعم.. المؤمن كيس يقدر أموره حتى لا يقع في مهوى أو يسقط في مغر.. فعليه أن يتحرى في أموره، فلا يعتمد على من تلوكه الألسنة، بالسوء، ولا يسلّطه على مال أو عرض أو أمر.

وهذا أمر ثالث غير المقالين السابقين

فإذا سمعت إن فلاناً شارب الخمر.. لا تقطع صلتك عنه لأقوال الناس... أما إنّه إذا خطب كريمتك، فلا تعطه حتى تتحقق.

كما قال الإمام الصادق (عليه السلام) لولده إسماعيل، في القصة المشهورة...

وعلاج النمام ما صنعه الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام) بمن نمّ إليه: فقد روي: (أن رجلاً أتى أمير المؤمنين (عليه السلام) يسعى إليه برجل، فقال (عليه السلام): يا هذا، نحن نسأل عمّن قلت، فإن كنت صادقاً مقتتاك، وإن كنت كاذباً عاقبتك، وإن شئت أن نقيك ألقناك.

قال: ألقني يا أمير المؤمنين)(١١٢١).

والنميمة من الفساد الذي نهى الله عنه، فقال: (الَّذِينَ يَنْفُسُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ)(١١٢٢).

الإصلاح

الدنيا ناقصة من يوم كوّنت، وكذا شاء الله تعالى: شاء لها النقص، ليمتحن العباد وليبلوهم أيهم أحسن عملاً. ناقصة من حيث الأعمار والأثمار، ناقصة من حيث العمل والحركة، ناقصة من حيث الصفات والملكات... ولا تزال موجة من السحب إلى الوراء، تجتاح العالم، في كل وقت وزمان، فكل كمال يؤول إلى النقص، وكل كون يؤوب إلى الفساد.. ولذا سمى الحكماء الدنيا بـ (عالم الكون والفساد).

أرأيت كيف إنّ الهواء والشمس تجعل النبات الأخضر هشياً تذروه الرياح؟

أرأيت كيف إنّ الإنسان يجعل له من بعد قوة ضعفاً وشيبة؟

أرأيت كيف إنّ الغذاء يتحوّل إلى قاذورات؟

أرأيت كيف إنّ الحيوان بعد بهجة الحياة تطرأ عليه وحشة الموت؟

وهكذا... وهكذا.

والدنيا تحتاج إلى الإصلاح في جميع شؤونها:

فعمارة الأرض بالبناء والبساتين وشق الأنهار وحفر الآبار وتعبيد الطرق وإيجاد وسائل الزراعة والتبليط: إصلاح..

وتعليم الجاهل وتنبيه الغافل وإرشاد الضال وهداية الزانع: إصلاح.

١١٢١ - بحار الأنوار: ٢٦٦/٧٥، ب: النميمة والسعاية - جامع السعادات: ٢٧٩/٢.

١١٢٢ - سورة البقرة: آية ٢٧.

ونشر الفضيلة واجتثاث جذور الرذيلة وبث الخلق الحسن: إصلاح وتنظيم الأمور وإقامة الدولة الصالحة وتعديل المعوج من القوانين: إصلاح.

وجمع كلمة الناس وتوحيد الأهواء نحو الحق وتنظيم الصفوف: إصلاح.
وكفاح الجهل والفقر والمرض والإلحاد حتى يسود العلم والفتى والصحة والإيمان: إصلاح..

و. و. و: إصلاح.

وقد أكد الإسلام على الإصلاح بكل أنحائه ولكل نحو من أنحاء الإصلاح باب خاص في الشريعة الإسلامية:

يقول القرآن الحكيم: (... وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا...) (١١٢٣).

ويقول: (... فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ...) (١١٢٤).

وقال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): (أفضل الصدقة صلاح ذات البين) (١١٢٥).

وقال (صلى الله عليه وآله وسلم): (اتقوا الله وأصلحوا ذات بينكم فإن الله تعالى يصلح بين المؤمنين يوم القيامة) (١١٢٦).

وقال الإمام الصادق (عليه السلام): (صدقة يحبها الله تعالى: إصلاح بين الناس إذا تفسدوا، وتقارب بينهم إذا تباعدوا) (١١٢٧).

وفوق ذلك:

إن الإسلام يحرص على الإصلاح وإن أدى ذلك إلى الكذب.

إلى الكذب؟.

نعم.. إلى الكذب، ولكن بقدر.

أرأيت لو كان بين قبيلتين خصام، ولو لم تكذب كذبة أدى إلى قتال وإهراق دماء ألم يكن الأفضل أن تُفدى الدماء والأعراض بكذبة مصلحة؟.

قال الإمام الصادق (عليه السلام) لابن عمّار: (أبلغ عني: كذا وكذا (في أشياء أمر بها).

قال ابن عمّار: فأبلغهم عنك، وأقول عني ما قلت لي وغير الذي قلت؟.

قال: نعم إن المصلح ليس بكذاب) (١١٢٨).

كما ان الإسلام يؤكد على الإصلاح ولو لم يتم إلا بصرف مال من أموال الإمام (عليه السلام).

قال الإمام الصادق (عليه السلام) للمفضل: (إذا رأيت بين اثنين من شيعتنا منازعة فافتديها من مالي) (١١٢٩).

١١٢٣ - سورة الأعراف: آية ٨٥.

١١٢٤ - سورة الأنفال: آية ١.

١١٢٥ - جامع السعادات: ٢٨٠/٢.

١١٢٦ - جامع السعادات: ٢٨٠/٢.

١١٢٧ - جامع السعادات: ٢٨٠/٢.

١١٢٨ - أصول الكافي: ٢١٠/٢ - جامع السعادات: ٢٨١/٢.

١١٢٩ - أصول الكافي: ٢٠٩/٢ - جامع السعادات: ٢٨٠/٢.

الشماتة

من الناس من يتربص بأخيه الدوائر حتى إذا وقع فيها أظهر الفرح والسرور وسلقه بألسنة حداد. ولماذا؟ لأنه أساء إليه - إساءة حقيقية أو خيالية - أو لأنه لم يتبع نظره في حركة أو عمل. وهل الشماتة لم يسيئ إلى أحد؟ أو هل هو تتبع نظر الناس في حركاته وأعماله؟ ثم هل يأمن من طوارق الدهر وحوادث الأيام فتدار كأس الشماتة عليه؟. كلا.. لا ذا ولا ذاك ولا ذلك وإنما هو مغرور. والإسلام يبشره بأن الدائرة عليه إن شمت بأخيه والتجربة تدل على مدى صدق هذه الأخبار وكل أخبار الإسلام صادقة.

قال الإمام الصادق (عليه السلام): (لا تبدي الشماتة لأخيك، فيرحمه الله ويحلها بك) (١١٣٠). وقال (عليه السلام): (من شمت بمصيبة نزلت بأخيه، لم يخرج من الدنيا حتى يفتتن) (١١٣١). وقل للشامتين بنا رويدا***سيلقى الشامتون كما لقينا ثم.. لنفرض أنه فرح ورقص وعربد. فماذا؟. إنه يدل على خفة نفسه، وقلة عقله، وضالة عاطفته وأخيراً: على عدم إنسانيته فالإنسان يألم لألم الإنسان لا إنه يفرح. وكذلك الصفات الرذيلة كلها تدل على ضالة نفسية المتصف وضحالة روحه،! قبل أن تدل على شيء آخر. أرايت الجبن والبخل والحسد؟ أليست تدل على نقص المتصف قبل أن يضر الفقير والمحسود، وقبل أن يفت الجبان في عضد من ينصره وهكذا الشماتة تضر الشامت قبل أن تؤذي المشموت به.

المجادلة

الجدال: هو أن تريد التغلب في الكلام على طرف الحديث، فتقول وتقول لإثبات ما ارتأيتة حقاً كان أم باطلاً - في قرارة نفسك - وما يبغى المجادل من جداله؟.

١١٣٠ - جامع السعادات: ٢٨١/٢ .
١١٣١ - جامع السعادات: ٢٨١/٢ .

إنه يريد أولاً وآخرًا - انتصار نفسه.. أما أنه يريد إظهار الحق ودحض الباطل فلا تجد له في عشرة آلاف مجادل شخصاً واحداً.

والدليل على ذلك: إنك إن راجعت ما سبق لك من مجادلات تيقنت أن العامل الظاهر - والخفي - كان حب الغلبة فحسب.

وعلى أي.. فما نفع المجادلة؟.

هل تزعم بأن طرفك يعترف بأنك على حق؟.

نعم تزعم أنت ذلك - إذا كنت نياً غير ناضج - أما الخبراء بعلم النفس فلا يشكون بأن الجدل لا يزيد المخالف إلا إصراراً، وربما أمكن إقناعه بالحق لولا الجدل أما مع الجدل فلا يقتنع وإن رأى الحق روي العين.

أو هل تزعم أنه يعترف بقدرتك على الكلام؟

نعم.. تزعم ذلك إن كنت قليل الحظ من الإدراك.

فاعلم.. إنه لا يقوم من عندك إلا وأنه يردد في نفسه إنك سخيف وإن كلامك هراء وإن منطقك فارغ عن كل ميزان.

أو هل تزعم أنه يعترف بعظمتك وعلمك؟.

نعم.. تزعم ذلك إن كنت من البدو الجاهلين!؟

أما إذا كنت تعرف حقائق النفوس فلا تشك أنك بالمجادلة، تصغر نفسك في نظر الطرف الآخر وتبرهن أنك قليل الحظ من الثقافة والأخلاق.

ولذا نرى الإسلام يؤكد على ترك الجدل أشد تأكيد، إنه بنظر الواقع - مع عدم جدواه - يهيج العواطف ويثير العداء والبغضاء وربما جر إلى أشنع عاقبة وأوخم فساد.

قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): (من جادل في الخصومة بغير علم لم يزل في سخط حتى ينزع)(١١٣٢).

وقال (صلى الله عليه وآله وسلم): (إن أبغض الرجال إلى الله: الألد الخصم)(١١٣٣).

وقال (صلى الله عليه وآله وسلم): (ما أتاني جبرائيل قط إلا وعظني، فأخر قوله لي إياك ومشادة الناس فإنها تكشف العورة وتذهب بالعز)(١١٣٤).

وقال الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام): (إياكم والمرء والخصومة، فإنهما يمرضان القلوب على الإخوان وينبت عليهما النفاق)(١١٣٥).

فإن الشخص إذا جرح كبرياء أخيه لم يزل حتى ينقلب عليه عدواً وإن كان أخاه من أبيه وأمه، وقد قيل - لأحد الحكماء - هل صديقك أحب إليك أم أخوك، قال: إنما أحب أخي لأنه صديقي! وتجربة واحدة كافية لمعرفة مدى المجادلة في تعكير صفو الأخوان.

وهل تعلم مدى كلمة (الآن أبين لك) في تجريح العاطفة مع بساطتها جداً وأنها أقل كلمة تقال عند الجدل؟ إن معناها: (إنك أيها المخاطب لا تعلم وإني أعلم ولي القدرة على بيان ما قلت وتبين بعد ذلك إنك كنت على خطأ وأنا على صواب).

وهل ترضى أنت بأن يقول لك المخاطب هذه المقالة؟ كلا! فاعلم أن المخاطب مثلك لا يرضى!!

١١٣٢ - جامع السعادات: ٢٨٤/٢.

١١٣٣ - جامع السعادات: ٢٨٥/٢.

١١٣٤ - جامع السعادات: ٢٨٥/٢.

١١٣٥ - جامع السعادات: ٢٨٥/٢.

وقال الإمام زين العابدين (عليه السلام): (ويل أمّه فاسقاً من لا يزال ممارياً، ويل أمّه فاجراً من لا يزال مخلصاً، ويل أمّه أثماً من كثر كلامه في غير ذات الله)(١١٣٦).

وقال الإمام الصادق (عليه السلام): (لا تمارين حليماً ولا سفيهاً، فإنّ الحليم يقلبك والسفيه يؤذيك)(١١٣٧).
وقال (عليه السلام): (إياكم والمشادة فإنها تورث المعرة وتظهر العورة)(١١٣٨) وقال (عليه السلام): (إياكم والخصومة فإنها تشغل القلب وتورث النفاق وتكسب الضغائن)(١١٣٩).

لكن هل يقلع الإنسان؟.

كلا! إنّ حبه للظهور ورغبته في إظهار علمه يمنعانه من ترك الجدل، وكثيراً ما يقول: إنّ إظهار الحق! فليسمع إلى كلام رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): (ثلاث من لقي الله تعالى بهن دخل الجنة من أي باب شاء: ١- من حسن خلقه.

ب - وخشي الله في المغيب والمحضر.

ج - وترك المرء وإن كان محقاً)(١١٤٠).

فهل سمعت؟ لكن حب الظهور مانع عن العمل بهذا الحديث..

وكيف نتمكن من قلع جذور حب الظهور؟ بالمجاهدة الطويلة فإنّ الإنسان يحب أن يعرف نفسه بقلم أو لسان أو جاه أو جمال، أو.. فليجاهد طويلاً! جهاراً أهون منه الجهاد مع الأعداء بالسيف والرمح حتى يموت حب الظهور.
وبعد ذلك، فليطب الإنسان الكلام فإنه مجلبة للحب وسبب للألفة ولذا أكد الإسلام عليه غاية التأكيد حتى قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): (يمكنكم من الجنة: طيب الكلام، وإطعام الطعام)(١١٤١).

وقال (صلى الله عليه وآله وسلم): (إنّ في الجنة غرفاً يرى ظاهرها من باطنها وباطنها من ظاهرها، أعدّها الله لمن أطعم الطعام وأطاب الكلام)(١١٤٢).

وقال (صلى الله عليه وآله وسلم): (الكلمة الطيبة صدقة)(١١٤٣).

ويروى عن المسيح العظيم (عليه السلام): (أنّه مرّ به خنزير، فقال: مرّ بسلامة، فقيل له: يا روح الله تقول هذا للخنزير؟ فقال: أكره أن أعود لسانی الشر)(١١٤٤).

وكم في المجتمع - اليوم - من يطيب الكلام ويطعم الطعام؟.

قليل.. وقليل جداً وكذا ترى الضغائن والأحقاد والعداوات والمهاترات.

١١٣٦ - جامع السعادات: ٢٨٥/٢.

١١٣٧ - أصول الكافي: ٣٠١/٢ - جامع السعادات: ٢٨٥/٢.

١١٣٨ - أصول الكافي: ٣٠١/٢ - جامع السعادات: ٢٨٥/٢.

١١٣٩ - أصول الكافي: ٣٠١/٢ - جامع السعادات: ٢٨٥/٢.

١١٤٠ - أصول الكافي: ٣٠٠/٢ - جامع السعادات: ٢٨٦/٢.

١١٤١ - جامع السعادات: ٢٨٦/٢.

١١٤٢ - جامع السعادات: ٢٨٦/٢.

١١٤٣ - جامع السعادات: ٢٨٦/٢.

١١٤٤ - جامع السعادات: ٢٨٦/٢.

الظرافة بين المدح والذم

ينقص الإنسان - مهما كان مرحاً - لطواري خارجية، أو نفسية، وتنشيط النفس انما يكون بعوامل ميسرة، كالسياحة، والنظر إلى الخضرة، والاستماع إلى صوت محبوب. أو ما أشبه! ومن العوامل المؤثرة: الظرافة والمطايبة.. ولكن بقدر.

إنه إن كان مزاحاً، خالياً عن الكذب، فهو ممدوح غايته.

وإن كان مزاحاً يخالف الواقع، فإنه وإن لم يكن له إثم الكذب لكنه مذموم في نظر الإسلام.

أما إذا خرج عن حدّه، فهو سخرية واستهزاء، وقدح حرّمه الإسلام، ووعد عليه عذاباً شديداً.

قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): (إني لأمزح، ولا أقول إلا حقاً)(١١٤٥).

ويروى: (أنه، قيل للرسول (صلى الله عليه وآله وسلم): يا رسول الله، إنك تداعبنا! فقال: (إني وإن داعبتكم، فلا

أقول إلا حقاً)(١١٤٦).

وروي: أنه (صلى الله عليه وآله وسلم): كسا - ذات يوم - واحدة من نسائه ثوباً واسعاً؟ وقال لها: إلبسيه واحمدي،

وجرى منه ذيلاً كذيل العروس)(١١٤٧).

وقال (صلى الله عليه وآله وسلم) يوماً لعجوز: (لا تدخل الجنة عجوز! فبكت العجوز... فقال (صلى الله عليه وآله

وسلم): إنك لست يومئذ بعجوز)(١١٤٨).

وجاءت إليه امرأة وقالت: (إن زوجي يدعوك..

فقال (صلى الله عليه وآله وسلم): زوجك هو الذي بعينه بياض؟

قالت: والله ما بعينه بياض؟

فقال (صلى الله عليه وآله وسلم): بلى إن بعينه بياضاً.

فقالت: لا والله..

فقال (صلى الله عليه وآله وسلم): ما من أحد إلا بعينه بياض)(١١٤٩) وأراد به البياض المحيط بسواد العين.

وقال (صلى الله عليه وآله وسلم) - ذات يوم - لصهيب، وكان يأكل التمر وبه رمد: (أتأكل التمر وأنت أرمد..

فقال: أنا أكل بالشقّ الآخر؟

فتبسّم رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) حتى بدت نواجذه)(١١٥٠).

(وجاءته (صلى الله عليه وآله وسلم) امرأة، وقالت: احملني يا رسول الله على بعير!

فقال (صلى الله عليه وآله وسلم): بل نحملك على ابن البعير فقالت: ما أصنع به، انه لا يحملني..

١١٤٥ - جامع السعادات: ٢٩١/٢.

١١٤٦ - جامع السعادات: ٢٩١/٢.

١١٤٧ - جامع السعادات: ٢٩٢/٢.

١١٤٨ - جامع السعادات: ٢٩٢/٢.

١١٤٩ - جامع السعادات: ٢٩٢/٢.

١١٥٠ - جامع السعادات: ٢٩٢/٢.

فقال (صلى الله عليه وآله وسلم): هل من بعير إلا وهو ابن بعير(١١٥١).

وروي: (أنّ خوات بن جبير، كان جالساً إلى نسوة من بني كعب بطريق مكة وكان ذلك قبل إسلامه، فطلع عليه رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فقال: مالك مع النسوة؟ قال: يفتلن صغيراً لجمل لي شرود.. فمضى رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) لحاجته، ثم عاد، فقال: يا أبا عبد الله، أما ترك ذلك الجمل الشراد بعد؟ فقال: فسكت واستحييت، وكنت بعد ذلك أستخفي منه حياءً، حتى أسلمت، وقدمت المدينة، فاطلع علي يوماً وأنا أصلي في المسجد، فجلس إلي فطوّلت الصلاة، فقال: لا تطول، فإني بانتظارك فلما فرغت.

قال (صلى الله عليه وآله وسلم): يا أبا عبد الله، أما ترك ذلك الجمل الشراد بعد؟

قلت: والذي بعثك بالحق نبياً، ما شررد منذ أسلمت.

فقال (صلى الله عليه وآله وسلم): الله أكبر، الله أكبر، اللهم اهد أبا عبد الله، فحسن إسلامه...(١١٥٢).

وكان نعيمان الأنصاري رجلاً مزاحاً...

فإذا دخل المدينة شيء نفيس، من اللباس والمطاعم، اشترى منه، وجاء به إلى رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)

ويقول: هذا هدية لك؟!

فإذا جاء صاحبه يطالبه بثمنه، جاء به إلى رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم):

وقال: يا رسول الله، أعطه ثمن متاعه.

فيقول له النبي (صلى الله عليه وآله وسلم): أو لم تهده لنا؟

فيقول: لم يكن عندي والله ثمنه وأحببت أن تأكل منه.

فيبتسم رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ويأمر لصاحبه بثمنه(١١٥٣).

وفي عنوان ذم الاستهزاء تأتي الآية الكريمة: (يا أيها الذين آمنوا لا يسخر قوم من قوم عسى أن يكونوا خيراً منهم

ولا نساء من نساء عسى أن يكن خيراً منهن...)(١١٥٤).

ولم يستهزأ الإنسان بأخيه؟ إلا لخبث انطوت عليه نفسه، فهل هو أفضل منه حتى ينتقصه؟... أم هل لا ينطوي

المستهزىء على نقائص؟.

ثم أليست الدنيا دار جزاء ومكافأة، يوم للمستهزىء، ويوم عليه ولو تصفح الإنسان أحوال المستهزين، لرأى كيف

يقلبيهم الداني والقاصي، ويكرههم القريب والبعيد.. وبعد ذلك، ليس من مستهزىء، إلا وتدور به الفلك، وإذا به رمية

كل سهم من سهام الأقدار.

هذا في الدنيا، أما في الآخرة، فاستمع إلى الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) يقول:

(إنّ المستهزين بالناس، يفتح لأحدهم باب من الجنة، فيقال: هلم هلم فيجيء بكربه وغمه، فإذا أتى أغلق دونه، فما

يزال كذلك حتى يفتح له الباب، فيقال له: هلم هلم.. فما يأتيه)(١١٥٥).

ثم.. ان بعض النفوس قد انطبعت على الاستهزاء فلا تتمكن من تركه إلا بالمجاهدة، ومهما جاهد الإنسان، لقلع

رذيلة، وغرس فضيلة، كان حرياً وإن أوجب ذلك سنين طوالاً.

والإنسان لا يعرف ما للفضيلة من قيمة، وللرذيلة من ضعة، إلا إذا رأى المتحلي بهذين، قارن بينهما، يقال:

١١٥١ - جامع السعادات: ٢٩٢/٢.

١١٥٢ - جامع السعادات: ٢٩٢/٢.

١١٥٣ - جامع السعادات: ٢٩٢/٢.

١١٥٤ - سورة الحجرات: آية ١١.

١١٥٥ - جامع السعادات: ٢٨٨/٢.

إنّ رجلين كانا يعاشران المرد من الولدان وكانا مشغفين بأن يدخل الماء معهم للتمتع بملامستهم، فاتفق ان أحد الرجلين خرج من الماء لبعض شؤونه، فاخذ ينظر إلى صاحبه، وهو يلعب مع الولدان بهينة منكرة، فاستبشع المنظر، وقال لصاحبه: اخرج من الماء، وانظر لعبي مع هؤلاء، فلما خرج، ورأى الصورة البشعة من لعب رجل كبير مع صبيان مراهقين، كره نفسه وما كان يفعله.

فتابا عما كانا فيه، وتركنا ما كانا يقتتران من العمل.

وليس القبح خاصاً برذيلة فكل صفة بشعة، مكروهة ومنفرة وإن كان المرتكب لا يراها إلا من زاوية نفسه، فالجبن والبخل والرياء وصغر النفس، وما أشبه.. كلها رذائل بشعة تؤتي ثماراً فجّة لا يزدريها إلا ذو ذائقة مريضة. اتفق ذات يوم أن جاعني رجل كنت أقدره لعلمه وورعه فاشتكى شكاية عميقة من كتاب بغير إمضاء أرسل إليه، يقول فيه: أنه لا يليق بك كذا.. لا أكثر من هذا ولا أقل.. ولكن صديقتنا ذلك، كاد أن ينفجر أسى وحرزناً، وكان يقول: أريد ترك المجتمع! فقد أثبت بهذا العمل ضيق نفسه، وصغر روحه وإته بهذه المثابة من العمل والورع، لا يتحمل أقل كلمة نقدية توجه إليه، وإن كانت من كاتب مجهول.

ورأيت رجلاً حفي حداداً على الإمام الحسين (عليه السلام) ليوم عاشوراء لكنه كان يصير على أن يري نفسه كذلك حافياً! فكم ترى لهذا الشخص من إخلاص في عمله..! وكم يكبر في نفسك لو رأيته، وهو يراني في هذا العمل الطفيف؟.

ورأيت رجلاً كان يبدي ضجره من المجتمع، ويتأفف و.. ولماذا؟ لأنه اشتغل أياماً قلائل لإصلاح شأن من الشؤون. إنّ الإنسان مهما أوتي من أدب ونزاهة، وفضيلة وخلق لا تزال فيه جوانب من النقص الروحي، تحتاج إلى العلاج، كما يحتاج المريض إلى العقاقير.

ولربما.. بل إنّما: أنا بنفسى الذي أسطر ما رأيت من المعاييب، مشحن بالنواقص الخلقية، لكني لا أرى أو بالأحرى لا أريد أن أرى نواقصي.. وهذا غير مبرر بالنسبة إليّ والى غيري، فكل إنسان مأمور بقلع نواقصه، مهما أوتي من علم وورع، ومكانة وجاه وثروة ومال.

وكلما تقدم الإنسان، في هذا المضمار، كانت إنسانيته أكثر ومقامه أسمى وإن صغرت يده من الحطام، وقلت وجاهته لدى الحكام وهؤلاء هم الذين يفتخر بهم التاريخ إلى أبد الدهر، سواء كانوا من الأنبياء والمرسلين، أم الأئمة والقديسين، أم الحكماء والمصلحين.

الاغتياب

(أ يُجِبُّ أَحَدَكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرَهُهُمُوهُ...)(١١٥٦). هكذا يقول القرآن الحكيم في ذم الغيبة.. وما هي الغيبة؟.

انها كما حددها النبي (صلى الله عليه وآله وسلم): (ذكرك أخاك بما يكره)(١١٥٧).

١١٥٦ - سورة الحجرات: آية ١٢.

١١٥٧ - جامع السعادات: ٢٩٣/٢.

فلو قلت: إنّه كذوب، أو مغتاب، أو شريب أو مقامر أو وسخ أو جبان أو بخيل أو متكبر أو صغير النفس أو أناني أو.. أو.. كان غيبةً وتنقيصاً.. أليس يكره هذا الكلام؟.

وبعض الناس الذين أولعوا بالغيبة يقولون - تبريراً لموقفهم -: لا نتحاشى من ذكر هذه الصفات أمام من نتكلم عليه.. وهل هذا من المبررات؟ كلا! بل انهم جاهلون أو متجاهلون.. فليست معصية تبرر معصية، إن ذكر الأخ بالسوء في حضرته إهانة - وهي محرمة - وذكره في غيبته اغتياح وهو محرم - فهل يبرر أحدهما الآخر؟ كلا! بل عقابه ضعفان.

ومنهم من يقول: إن الأخ لا يكرهه، فهل تصح مقالته؟ كلا إن كل أحد يكره ذكر مساوئه.. ولو فرض أنّه لا يكره.. أفليس هذا تنقيصاً للمسلم؟ وهو بدوره محرم وإن كان المذكور فيه لا يكره.. أفليس التنقيص مخالفاً للأخوة الإسلامية؟ وهل تحب أنت أن ينتقصك أحد؟ ألم يأمر الإسلام (أحب لأخيك ما تحب لنفسك)؟.

وقد حذر الإسلام من الغيبة تحذيراً كبيراً.

قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): (المسلم على المسلم حرام: دمه وماله وعرضه، ومن العرض الاغتياح).

وقال (صلى الله عليه وآله وسلم): إياكم والغيبة، فإن الغيبة أشد من الزنا، فإن الرجل قد يزني ويتوب فيتوب الله عليه، وإن صاحب الغيبة لا يغفر له حتى يغفر له صاحبه (١١٥٨).

ولنقف قليلاً لنعرف معنى الحديث...

هذا الحديث يدل على أنّ الغيبة أشد من الزنا.

وحديث آخر يدل على أن درهماً من الربا كسبعين زنية.

وحديث آخر يدل على أن كذاً. أشد من القتل.

وهكذا أحاديث...

فهل هذه الأحاديث على ظاهرها؟ إذا: فما معنى ما ارتكز في أذهان المسلمين من بشاعة الزنا بما لا يوصف بينما لا يروى للربا والغيبة مثل هذه البشاعة؟ هل لأنهم جاهلون بالشريعة، أم لأنهم يستسهلون ما يرتطمون فيه من المآثم - كالغيبة - دون غيرها مما اعتادوا على التجنب عنه - كالزنا -؟ أم لأنهم يعرفون لحن الكلام فلا يحملون هذه الأحاديث إلا على القدر الذي يلائم روح الشريعة من المعنى والمغزى؟.

إنّ الذي يقرب - بنظري - هو الأمر الثالث، وإنّ هذه الأحاديث يراد بها أحد أمرين:

أ - المجاز بالمبالغة في الإثم تحذيراً من الاعتراف فإنّ الناس يستسهلون أمر محرّمات ألفوها، فلا بد للشرع - مقدّمة للإقلاع - أن يحذر بما أوتي من طول وحول وهذا ليس من الكذب بل سيله سيل سائر أقسام المجاز. رأيت لو خرج أكثر أهل البلدة لاستقبال قادم.. ثم قيل: خرج أهل البلدة، فهل ذلك من الكذب؟ كلا! إنّه مجاز وعلاقته المشابهة بين الجميع والغالب، كما إن علاقة جري الميزاب: الحال والمحل، وعلاقة عتق رقبة: الجزء والكل، وهكذا.. ومثل هذا التعبير: أي كون شيء أشد من شيء.

إنّما يعبر لإفادة الرفع الشديد على الشرع من الإثم الكذائي.. يقال: إن الأمر الكذائي أثر في أكبر الأثر تعبيراً لما لاقاه الإنسان من الصعوبة، لا أنّه أثر أكبر الأثر حقيقة.

والسر في هذا النحو من المجاز، إفادة مرتبة شديدة، بحيث لولا هذا التأكيد لظن أنّ الأثر ضعيف. رأيت لو قال الشارع: الإغتياح محظور. لم يعرف السامع تأكيد حرّمته، بينما لو قال: إنّه أكبر من الزنا، عرف أنّه محرم شديد.

ب - أن يراد من هذه الأحاديث: كون الغيبة مثلاً أشدّ من الزنا، من بعض النواحي.

كما قال الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم): في الحديث الأخير. وذلك لأن الأمور إنما تعتبر المفاضلة بينها من بعض الجهات، لا كل الجهات - غالباً - فلو قال الصياد: إنّ هذه الغابة أفضل من تلك الغابة، أراد من حيث الصيد. ولو قال الحشاش: إنّ هذه البيداء خير من تلك أراد من حيث الحشيش. ولو قال المكاري: إنّ هذه الجادة أحسن من تلك أراد من حيث السير، وهكذا.

ولا يريد هؤلاء المفاضلة من جميع الحثيات.

وهكذا يحمل كلام الرسول والأئمة (عليهم السلام): إنهم يريدون المفاضلة من حيث.. لا على الإطلاق.

أرأيت لو قال النبي (صلى الله عليه وآله وسلم): حمزة سيد الشهداء، أو قال ما أظننت الخضراء ولا أقلت الغبراء على ذي لهجة أصدق من أبي ذر. أو قال أو قال.. لا يريد الفضل بقول مطلق بل بالنسبة.

وهكذا هذه الأحاديث التي تفضل الإطعام على الصلاة.. أو تشدد في تحريم الربا والغيبة حتى تجعلهما أشدّ من الزنا...

ولنرجع إلى ما كنّا بصدده:

وقال (صلى الله عليه وآله وسلم): (مررت ليلة أسري بي على قوم يخمشون وجوههم بأظافرهم! فقلت: يا جبرائيل

من هؤلاء؟ قال: هؤلاء الذين يغتابون الناس، ويقعون في أعراضهم)(١١٥٩).

وخطب (صلى الله عليه وآله وسلم) يوماً - حتى أسمع العواتق في بيوتها، فقال: (يا معشر من آمن بلسانه ولم

يخلص الإيمان إلى قلبه لا تدموا المسلمين ولا تتبعوا عوراتهم، فإنه من تتبع عوراتهم تتبع الله عورته ومن تتبع الله

عورته يفضحه ولو في بيته)(١١٦٠).

وهذا طبعي قدر ما هو عيني. فإن طبيعة الحال قاضية على أن من يتطلع إلى عورات الناس وخفايا أمورهم، يتتبع

الناس عورته وسره فإن رأوا سيئة - والإنسان لا يخلو من سيئة - أذاعوها، كما أذاع هو سيئاتهم جزاءً وعقاباً.

وخطب (صلى الله عليه وآله وسلم) - يوماً - : (فذكر الربا وعظم شأنه، فقال: إنّ الدرهم يصيبه الرجل من الربا أعظم

عند الله في الخطيئة من ست وثلاثين زنية يزنيها الرجل، وإنّ أربى الربا عرض الرجل المسلم)(١١٦١).

ومرّ (صلى الله عليه وآله وسلم) على قبرين يُعذب صاحباهما، فقال:

(إنهما ليعذبان في كبيرة أما أحدهما فكان يغتاب الناس، وأما الآخر فكان لا يستبرئ من بوله، ودعا بجريدة رطبة

أو جريدتين، فكسرها ثم أمر بكل كسرة فغرست على قبر، وقال: أما انه يهون من عذابهما ما كانتا رطبتين)(١١٦٢).

إنّ الجريدة الرطبة تهون العذاب كما في أحاديث. ولم ذاك؟ الأحسن ان نعترف بأنه لم يصل العلم بعد ذلك إلى كشفه،

وكم للعلم من مضمار لم يصل بعد إلى آخره إنّ عذاب البشر أمر كشف عنه الشرع، وطرده بالجريدة أمر كشف عنه

الشرع أيضاً. أما كيف ذلك؟ فلا نعلمه وكم كان الجاهلون ينكرون أشياء ثم وصل إليها العلم فاعترفوا بها، بينما سبقهم

الإسلام إلى الكلام عنها قبل قرون والعلم الذي لا يبصره ولا نعلم منه إلا أموراً بسيطة مما يعترف به العلم انظر (القرآن

والعلم الحديث) تحت عنوان (عالم نراه وعالم لا نراه).

١١٥٩ - بحار الأنوار: ٢٢٢/٧٥، ب: الغيبة - جامع السعادات: ٣٠٢/٢.

١١٦٠ - بحار الأنوار: ٢٠٨/٧٥، ب: تتبع عيوب الناس - جامع السعادات: ٣٠٣/٢.

١١٦١ - بحار الأنوار: ٢٢٢/٧٥، ب: الغيبة - جامع السعادات: ٣٠٣/٢.

١١٦٢ - جامع السعادات: ٣٠٣/٢.

وقال (صلى الله عليه وآله وسلم): (من مشى في غيبة أخيه وكشف عورته، كانت أول خطوة خطاها وضعها في جهنم، فكشف الله عورته على رؤوس الخلائق ومن اغتاب مسلماً بطل صومه ونقض وضوءه، فإن مات وهو كذلك، مات وهو مستحل لما حرم الله)(١١٦٣).

بطلان الصوم والوضوء: عبارة عن عدم قبولهما كما يأتي في حديث آخر، واستحلاله لما حرم الله: بمعنى ارتكابه محرماً.

وقال (صلى الله عليه وآله وسلم): (الغيبة أسرع في دين الرجل المسلم، من الأكلة في جوفه)(١١٦٤).
وكم تفسد الأكلة في الجوف؟ بقدر ذلك تفسد الغيبة من الدين.

وقال (صلى الله عليه وآله وسلم): (الجلوس في المسجد إنتظاراً للصلاة عبادة، ما لم يحدث.
فقل: يا رسول الله، وما الحدث؟.

قال (صلى الله عليه وآله وسلم): (الاغتياب)(١١٦٥)

وقال (صلى الله عليه وآله وسلم): (من اغتاب مسلماً أو مسلمة، لم يقبل الله صلاته ولا صيامه أربعين يوماً وليلة إلا أن يغفر له صاحبه)(١١٦٦).

وقال (صلى الله عليه وآله وسلم): (من اغتاب مسلماً في شهر رمضان، لم يوجر على صيامه)(١١٦٧).

وقال (صلى الله عليه وآله وسلم): (من اغتاب مؤمناً بما فيه لم يجمع الله بينهما في الجنة أبداً ومن اغتاب مؤمناً بما ليس فيه انقطعت العصمة بينهما، وكان المغتاب في النار خالداً فيها وبنس المصير)(١١٦٨).
والاغتياب بما ليس فيه هو الاتهام. وإنما نطلق عليه الغيبة لأنه كلام في غيبة المتكلم عليه.
ويوضحه هذا الحديث:

قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): (هل تدرون ما الغيبة؟ قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: ذكرك أخاك بما يكره. قيل: له: أريت إن كان في أخي ما أقول؟ قال (صلى الله عليه وآله وسلم): إن كان فيه ما تقول فقد اغتبتته وإن لم يكن فيه فقد بهتته)(١١٦٩).

وروي (أنه ذكر رجل عند النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) فقالوا: ما أعجزه؟ فقال (صلى الله عليه وآله وسلم): اغتبتم أحاكم! قالوا: يا رسول الله قلنا ما فيه! قال (صلى الله عليه وآله وسلم): إن قلت ما ليس فيه فقد بهتموه)(١١٧٠).

وقال (صلى الله عليه وآله وسلم): (ما النار في اليبس بأسرع من الغيبة في حسنات العبد)(١١٧١).

وقال (صلى الله عليه وآله وسلم): (ما عمر مجلس الغيبة إلا خرب في الدين فنزهوا أسماعكم من استماع الغيبة، فإن القائل والمستمع لها شريكان في الإثم)(١١٧٢).
ويؤكد كون المستمع شريكاً في الإثم أحاديث أخر.

١١٦٣ - جامع السعادات: ٣٠٣/٢.

١١٦٤ - بحار الأنوار: ٢٢٠/٧٥، ب: الغيبة - جامع السعادات: ٣٠٤/٢.

١١٦٥ - بحار الأنوار: ٢٢٠/٧٥، ب: الغيبة - جامع السعادات: ٣٠٤/٢.

١١٦٦ - بحار الأنوار: ٢٥٨/٧٥، ب: الغيبة - جامع السعادات: ٣٠٤/٢.

١١٦٧ - بحار الأنوار: ٢٥٩/٧٥، ب: الغيبة - جامع السعادات: ٣٠٤/٢.

١١٦٨ - بحار الأنوار: ٢٤٨/٧٥، ب: الغيبة - جامع السعادات: ٢٩٣/٢.

١١٦٩ - بحار الأنوار: ٢٢٢/٧٥، ب: الغيبة - جامع السعادات: ٢٩٣/٢.

١١٧٠ - جامع السعادات: ٢٩٣/٢.

١١٧١ - بحار الأنوار: ٢٥٩/٧٥، ب: الغيبة - جامع السعادات: ٣٠٤/٢.

١١٧٢ - بحار الأنوار: ٢٥٩/٧٥، ب: الغيبة - جامع السعادات: ٣٠٤/٢.

روي: (أنه صلى الله عليه وآله وسلم) لما رجم ماعزاً في الزنا، قال رجل لآخر: هذا أقعص كما يقعص الكلب. فمر النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) معهما بجيفة فقال: انهشاً من هذه الجيفة! فقالا: يا رسول الله انهش جيفة؟ فقال: ما أصبتما من أخيكما أنتن من هذه(١١٧٣).

وروي: (إن أحد الصحابة قال للآخر: إن فلاناً لنؤوم، ثم طلبا من رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) أداماً ليأكلا به الخبز، فقال (صلى الله عليه وآله وسلم): قد أنتمتما! فقالا: ما نعلمه؟! فقال (صلى الله عليه وآله وسلم): بلى إنكما أكلتما من لحم صاحبكما(١١٧٤).

وكثيراً ما يقول المغتاب: أنا رأيت منه ذلك أو سمعت تبريراً لغيبته فليسمع إلى الإمام الصادق (عليه السلام) حيث يقول: (من قال في مؤمن ما رأته عيناه وسمعته أذناه فهو من الذين قال الله عز وجل: (إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ...)(١١٧٥)(١١٧٦).

وقال (عليه السلام): (من روى على مؤمن رواية يريد بها شينه وهدم مروعة ليسقط من أعين الناس، أخرجه الله من ولايته إلى ولاية الشيطان، فلا يقبله الشيطان)(١١٧٧).

وقال (عليه السلام): (من اغتاب أخاه المؤمن من غير ترة بينهما فهو شرك شيطان)(١١٧٨).

وقال (عليه السلام): (الغيبة حرام على كل مسلم، وإنها لتأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب)(١١٧٩).

ومن أشد الأحاديث المحذرة عن الغيبة قوله (عليه السلام): (كذب من زعم أنه ولد من حلال وهو يأكل من لحوم الناس بالغيبة)(١١٨٠).

والظاهر أن يراد بذلك إشراك الشيطان في نطفته فدوام الغيبة من علائم ذلك.

هذا في الغيبة.

أما البهتان فهو أعظم منها وأعظم..

قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): (من بهت مؤمناً أو مؤمنة أو قال فيه ما ليس فيه، أقامه الله على تل

من نار حتى يخرج مما قال فيه)(١١٨١).

وهل له مخرج؟ هيهات هيهات؟!؟!!

وقال الإمام الصادق (عليه السلام): (من بهت مؤمناً أو مؤمنة بما ليس فيه بعثه الله عز وجل في طينة خبال حتى

يخرج مما قال.

قال الراوي:

قلت: وما طينة خبال.

قال: صديد يخرج من فروج المومسات)(١١٨٢) أي الزانيات

نعم...

١١٧٣ - جامع السعادات: ٢٩٧/٢.

١١٧٤ - جامع السعادات: ٢٩٤/٢.

١١٧٥ - سورة النور: آية ١٩.

١١٧٦ - بحار الأنوار: ٢٤٨/٧٥، ب: الغيبة - جامع السعادات: ٣٠٤/٢.

١١٧٧ - بحار الأنوار: ٢١٦/٧٥، ب: تتبع عيوب الناس - جامع السعادات: ٣٠٥/٢.

١١٧٨ - بحار الأنوار: ٢٥١/٧٥، ب: الغيبة - جامع السعادات: ٣٠٥/٢.

١١٧٩ - جامع السعادات: ٣٠٥/٢.

١١٨٠ - بحار الأنوار: ٢٤٨/٧٥، ب: الغيبة - جامع السعادات: ٣٠٤/٢.

١١٨١ - جامع السعادات: ٣١٥/٢.

١١٨٢ - بحار الأنوار: ٢٤٤/٧٥ - جامع السعادات: ٣١٥/٢.

قد استثنى من حرمة الغيبة موارد: ككون المتكلم مظلوماً أو مريداً للاستعانة لدفع منكر أو نصح مستشير أو قدح مقالة باظلة أو الشهادة على فاعل المحرم. أو ما أشبه لكن كل ذلك بقدر وشروط مذكورة في كتب الفقه.

المدح والذم

كل إنسان لا بد وأن تكون له مساوئ - إلا من عصمه الله تعالى - كما أنه لا بد وأن يكون له محاسن. فمن الناس من يزال يذكر المساوئ وهذا إنسان خبيث فطر على ذكر العيوب مثله مثل الذباب الذي يحط على القبيح والدم، تاركاً المواضع الحسنة من الجسد وما أقر عمله! ومن الناس من لا يزال يذكر المحاسن. وهذا خير من صاحبه وإن كان موجباً للأغراء - فيما إذا لم يلحظ شرائط المدح - فرب رجل إذا قلت عنه: إنه عالم شمش بأفقه، وترك العلم، ظناً فيه أنه قد كفاه ما حصل. أو لو قلت عنه: إنه حسن الأخلاق، صار مغروراً بمقالتك وأساء خلقه، وهكذا. ومنهم: من يعدل في الأمر، وهو المصلح، يمدح بقدر، ويرشد بقدر، وهذا هو الوسط الذي يحبه الإسلام - وهو يجب في كل شيء: الوسط -.

والأحاديث الواردة في ذم المدح أو حسنه، ناظرة إلى هذين الطرفين: فمدح من لا يستحق، أو يوجب مدحه كبيراً أو إخلاءً أو ما أشبه.. مذموم.. ومدح من يستحق، أو يوجب مدحه إصلاحاً وصلاً.. مرغوب... في أحاديث متفرقة: أثنى رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) على أمير المؤمنين (عليه السلام) وأبي ذر، وعمار، وأشباههم.

وأثنى بعض الصحابة على بعض الموتى، فقال (صلى الله عليه وآله وسلم): (وجبت لكم الجنة، وأنتم شهداء الله في الأرض)(١١٨٣)

وفي الحديث: (إن لبني آدم جلساء من الملائكة، فإذا ذكر أحد أخاه المسلم بخير، قالت الملائكة: ولك مثله. وإذا ذكره بسوء قالت الملائكة: يا ابن آدم المستور عورته، أربع على نفسك، واحمد الله إذ ستر عورتك)(١١٨٤). أما المدح المذموم..

فقد قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): (إن الله ليغضب إذا مدح الناس الفاسق)(١١٨٥). ومدح رجل - بمحضر من النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) - رجلاً، فقال (صلى الله عليه وآله وسلم): (ويحك، قطعت عنق صاحبك، لو سمعها ما أفلح)(١١٨٦).

وقال (صلى الله عليه وآله وسلم): (إذا مدحت أخاك في وجهه، فكأنما أمررت على حلقه الموسى)(١١٨٧).

١١٨٣ - جامع السعادات: ٣١٦/٢.

١١٨٤ - جامع السعادات: ٣١٦/٢.

١١٨٥ - جامع السعادات: ٣١٧/٢.

١١٨٦ - جامع السعادات: ٣١٧/٢.

١١٨٧ - جامع السعادات: ٣١٧/٢.

وقال (صلى الله عليه وآله وسلم) - لمن مدح رجلاً -: (عقرت الرجل! عقرك الله!) (١١٨٨).
وقال (صلى الله عليه وآله وسلم): (لو مشى رجل إلى رجل بسكين مرهف، كان خيراً له من أن يثني عليه في وجهه) (١١٨٩).

ثم إنَّ الرجل كلَّ الرجل، أن لا يهشَّه الثناء، ولا يغريه الإطراء - وقليل ما هم - وهكذا وإن كان صعباً غاية الصعوبة، إلا إنَّ الإنسان إذا لازم مراجعة نقائصه، وراقب نفسه مراقبة منظمة مستمرة، وجعل ذاته قاضياً في مساوئه ومحاسنه انطبعت نفسه بالوسط، فلا يغريه مدح، ولا يعصف به ذم.
وفوق هذا...

أن يأخذ الإنسان من كل ذم ومدح مرقاةً للرقى والتقدم، فيجعل المدح محفزاً لتحصيل الكمال. أليس مدح لأنَّ فيه ناحية من الصلاح؟ فلو صلح من جميع النواحي - بالقدر الممكن - كان بالمدح أجدر وبتعظيم الناس أقرب وكذا يجعل الذم رماداً يصقل به مرآة نفسه، فيفكر هل فيه ما قيل بالنسبة إليه من الذم؟ فإن كان أصلحه، وإن لم يكن راقب ذاته، حتى لا يقع فيه.

وفي هذا الحديث المروي عن الامام أمير المؤمنين (عليه السلام) درس بليغ، بالنسبة إلى من يمدح في وجهه.
فقد روي: ان الامام (عليه السلام) أثني عليه في وجهه، فقال:
(اللهم اغفر لي ما لا يعلمون، ولا تؤاخذني بما يقولون، واجعني خيراً مما يظنون) (١١٩٠).
وهكذا أدب الإسلام أتباعه، حتى لا يطغى بهم الإطراء، بل - بالعكس من تلك - يوجد فيهم نوعاً من التواضع والتحفيز على التقدم.

الكذب

كل التواء في قول أو عمل، يمقته الإسلام، كما يذمه العقل.
والكذب من أبشع مصاديق الإلتواء، فإنه أم كل شيء وجرثومة كثير من الرذائل، فالنفاق، وذو الوجهين، والتملق، ومدح من لا يستحق المدح، وأشباه ذلك.. ولاند الكذب.
ولا يكذب الإنسان إلا لخفة في نفسه، والتواء في باطنه، وانهازام في روحه وإلا فالصريح المستقيم، لا يحتاج إلى الكذب.

ولم يكذب؟

لأنه يريد ابتزاز مال، أو إحتكار جاه، أو إبقاء خير أو تجنّب خطر.

وهل يوقر الكذب ما ظنّه؟.

كلا! بل - بالعكس - الكذب فيه كل هلكة وانحطاط وانهيار، والصدق - وهو ضده - فيه كل نجاة ورفعة وسموً وقديماً

قيل:

١١٨٨ - جامع السعادات: ٣١٧/٢.

١١٨٩ - جامع السعادات: ٣١٧/٢.

١١٩٠ - جامع السعادات: ٣١٨/٢.

(النجاة في الصدق، والهلاك في الكذب).

نعم.. ربما وفر الكذب خيراً مزعوماً، ولكن الكذب سرعان ما يزول عنه جلباب الالتواء، فينظر إليه الناس على صورته البشعة، فيقلبه القريب، ويتجنب عنه البعيد، ويلفظه كل دان وقاص، ولا يقيم أحد لكلامه وزناً، ولمقاله اعتباراً وقيمة.

وعلى أي، فالإسلام يحارب الكذاب والكذابين حرباً شعواءً.

ففي القرآن الحكيم: (إِنَّمَا يَفْتَرِي الْكُذِبَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ...)(١١٩١).

وقال سبحانه: (فَاعْتَبِهِمْ نِفَاقًا فِي قُلُوبِهِمْ إِلَى يَوْمِ يَلْقَوْنَهُ يَمَا أَخْلَفُوا اللَّهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ)(١١٩٢).

وقال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): (اياكم والكذب! فإن الكذب يهدي إلى الفجور، والفجور يهدي إلى النار)(١١٩٣).

وهذا شيء واضح، فإن الكذب يوجب الالتواء، ولا مانع لدى الكذوب أن يعمل إجراماً، لأنه يأمن من مغبته، أليس يقدر على الكذب؟ إذا سئل عنه؟.

وقال (صلى الله عليه وآله وسلم): (المؤمن إذا كذب من غير عذر، لعنه سبعون ألف ملك، وخرج من قلبه نتن حتى

يبلغ العرش، فيلعنه حملة العرش وكتب الله عليه بتلك الكذبة سبعين زنية، أهونها كمن زنى مع أمه)(١١٩٤).

وقد تقدم معنى هذه المفاضلة وأسبابها في بحث سابق.

وفي أمثال هذه المفاضلات احتمال ثالث لم نذكره هناك، لا بأس بذكره:

وهو إنَّ للأمور المندوبة أجرين، وللأشياء المبعوضة عقابين: الأصل، واللوازم.

فمثلاً: لقراءة القرآن كاملاً أجر ألف دينار، وتفضل مائة ألف دينار.. وللزنا عقوبة مائة سوط، وزيادة عشرة آلاف

لما يكتنفه من انتهاك حرمة الله تعالى، وإفساد المرأة وإضاعة النسل وما أشبه.

فإذا ورد في الحديث: إنَّ قارئاً (قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ)(١١٩٥) ثلاث مرات يعطي من الأجر قدر قارئ تمام القرآن، يراد به الأصل لا التفضل.

كما لو أن الكذب عقابه أشدَّ من الزنا، كان المراد اشد من عقوبة الزنا الأصلية.

وهذا موجود في العرف، فإن سب رئيس السلطة، وإن كان بما هو سب لا يستحق أكثر من غرامة أو عقوبة

ضئيلة، ولكنه بما هو سبَّ الرئيس الملازم لهنات وانتهاك حرمت، يستحق مرتكبه عقوبة كبيرة وغرامة ثقيلة.

كما إنَّ إهداء ضئيلاً إلى كريم، إن كان بما هو هو، لا يقابل إلا بقدره أو أكثر من قدره بقليل إلا إنَّ الإهداء بما هو

إلى كريم يكون مقابله أضعاف أضعاف ذلك.

إذاً فما ورد في الأحاديث من بعض المفاضلات، محمول على هذا المعنى.

ونعود ثانياً إلى الكذب وعقابه وذمّه.

سئل رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): (يكون المؤمن جبناً؟ قال (صلى الله عليه وآله وسلم): نعم.. قيل:

ويكون بخيلاً؟ قال: نعم، قيل: ويكون كذاباً؟ قال (صلى الله عليه وآله وسلم): لا)(١١٩٦).

١١٩١ - سورة النحل: آية ١٠٥.

١١٩٢ - سورة التوبة: آية ٧٧.

١١٩٣ - جامع السعادات: ٣٢٢/٢.

١١٩٤ - جامع السعادات: ٣٢٢/٢.

١١٩٥ - سورة الإخلاص: آية ١.

١١٩٦ - جامع السعادات: ٣٢٢/٢.

وقال (صلى الله عليه وآله وسلم): (كبرت خيانة أن تحدث أخاك حديثاً هو لك به مصدق، وأنت له به كاذب)(١١٩٧).

وقال (صلى الله عليه وآله وسلم): (الكذب ينقص الرزق)(١١٩٨).

وكيف؟ إنَّ الكاذب يجنب، وتجنب الناس - بدوره - يوجب قلة الكسب وهي تنقص الرزق. وهذه القضايا قضايا حقيقية (في اصطلاح المنطقيين) ككون الدواء الفلاني يوجب الصحة من المرض الكذائي، فلا ينافي ذلك عدم الاطراد والانعكاس.

وقال (صلى الله عليه وآله وسلم): (ويل للذي يحدث فيكذب، ليضحك به القوم ويل له، ويل له!!!)(١١٩٩).

وقال (صلى الله عليه وآله وسلم): (رأيت (من الرؤيا في النوم) كأن رجلاً جاءني، فقال لي: قم. فقامت منه، فإذا أنا برجلين أحدهما قائم والآخر جالس وبيد القائم كلوب من حديد يلقمه في شدة الجالس، فيجذبه حتى يبلغ به كاهله! ثم يجذبه فيلقمه الجانب الآخر فيمده. فإذا مده رجع الآخر كما كان!

فقلت للذي أقامني: ما هذا؟!)

فقال: هذا رجل كذاب يعذب في قبره إلى يوم القيامة!(١٢٠٠).

وقال (صلى الله عليه وآله وسلم): (ألا أخبركم بأكبر الكبائر؟

الإشراك بالله، وعقوق الوالدين... وقول الزور...)(١٢٠١) أي الكذب.

وقال (صلى الله عليه وآله وسلم): (إنَّ العبد ليكذب الكذبة، فيتباعد الملك منه مسيرة ميل من نتن ما جاء به)(١٢٠٢).

وقال (صلى الله عليه وآله وسلم): (إنَّ للشيطان كحلاً، ولعوقاً، ونشوقاً. فأما لعوقه فالكذب، وأما نشوقه فالغضب، وأما كحله النوم)(١٢٠٣).

إنَّ الحديث تشبيه.. أو حقيقة، وكلم من حقائق لا ندرکها!.

ثم إنَّ الإنسان قد يكذب في الهزل، زاعماً إنه هزل فأبي ضرر يتولد منه؟ لكن الهزل كثيراً ما صار ملكة، ثم بقي بعده دور الجد.. ثم أي دافع يدفع الإنسان للكذب ولو في الهزل، أليس يمكن المزاح بغير الكذب؟

يقول الامام أمير المؤمنين (عليه السلام): (لا يجد العبد طعم الإيمان حتى يترك الكذب هزله وجدّه)(١٢٠٤).

وقال (عليه السلام) - لعبد ذم الكذب -: (أعظم الخطايا عند الله: اللسان والكذب، وشرّ الندامة: ندامة يوم القيامة)(١٢٠٥).

وقال الامام السجاد (عليه السلام): (إتقوا الكذب الصغير منه والكبير، في كل جد وهزل، فإن الرجل إذا كذب في الصغير، اجترأ على الكبير)(١٢٠٦).

١١٩٧ - جامع السعادات: ٣٢٢/٢.

١١٩٨ - جامع السعادات: ٣٢٢/٢.

١١٩٩ - جامع السعادات: ٣٢٢/٢.

١٢٠٠ - جامع السعادات: ٣٢٢/٢.

١٢٠١ - جامع السعادات: ٣٢٢/٢.

١٢٠٢ - جامع السعادات: ٣٢٢/٢.

١٢٠٣ - جامع السعادات: ٣٢٣/٢.

١٢٠٤ - جامع السعادات: ٣٢٣/٢.

١٢٠٥ - جامع السعادات: ٣٢٣/٢.

١٢٠٦ - جامع السعادات: ٣٢٣/٢.

وقال الإمام الباقر (عليه السلام): (إن الله عز وجل جعل للشراً أفعالاً، وجعل مفاتيح تلك الأفعال الشراب، والكذب شرّاً من الشراب)(١٢٠٧).

إن من شرب الخمر، فلعبت برأسه، لا مانع لديه من انتهاك أي حرمة، واقتراف أي جريمة، وارتكاب أي منكر. ليس المانع كان هو العقل؟ إذًا: ذهب بذهايه.

ثم.. كلما يأتي من الشرب ليس مثل ما يأتي من الكذب، أليس بالكذب يقتل الألوفا وتهتك أعراض؟ إن القائد الذي يكذب - تحفظاً على كيان نفسه - فيرسل العساكر باسم إنهم أعداء، أليس يفعل كل ذلك لكذب كذبه؟ وهكذا...

وقال (عليه السلام): (إنّ أولّ من يكذب الكذاب: الله عز وجل، ثمّ: الملكان اللذان معه، ثمّ: هو يعلم إنه كاذب)(١٢٠٨).

وقال الإمام العسكري (عليه السلام): (جعلت الخبائث كلها في بيت، وجعل مفاتيحها الكذب)(١٢٠٩).

هذا شأن الكذب بصورة عامة.

أما الكذب على الله والرسول والأئمة (عليهم السلام) فهو أشدّ أنواع الكذب وسببه واضح، فإنّ قولهم وفعل النبي والأئمة (عليه السلام) وتقريرهم حجة يلزم أن يؤخذ بها فالكذب عليهم ذو أثر كبير.

قال الإمام الصادق (عليه السلام): (إن الكذبة لتفطر الصائم).

قال الراوي: وأيّنا لا يكون ذلك منه؟.

قال (عليه السلام): ليس حيث ذهب، إنما الكذب على الله تعالى، وعلى رسوله، وعلى الأئمة عليهم السلام)(١٢١٠).

قال (عليه السلام): (الكذب على الله، وعلى رسوله من الكبائر)(١٢١١).

وذكر عند الإمام الصادق (عليه السلام) الحانك، وكونه ملعوناً...

فقال (عليه السلام): (إنما ذلك الذي يحوك الكذب على الله وعلى رسوله)(١٢١٢).

وقال الإمام الباقر (عليه السلام): (لا تكذب علينا كذبة فتسلب الحنفيّة)(١٢١٣) أي الإسلام.

ومن الكذب الذي يتساهل بشأنه: الكذب في حكاية المنام مع أنه لا يفرق عن سائر أقسام الكذب، فإن الكذب قول خلاف الواقع سواء كان حكاية عن يقظة أو منام أو عن أمر ماض أو مستقبل.

قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): (إن من أعظم الفرية فرية: أن يدعى الرجل إلى غير أبيه، أو يري عينيه في المنام ما لم ير، أو يقول علي ما لم أقل)(١٢١٤).

ولعل جعله من أعظم الفرية ما كانوا يرتبون على المنام من شحناء وقطيعة، وما أشبه كما هو مذكور في محله.

وقال (صلى الله عليه وآله وسلم): (من كذب في حلم كلف يوم القيامة: أن يعقد بين شعيرتين)(١٢١٥).

وليس الكذب خاصاً بالقول، بل الإشارة والكتابة والمرض، كلها من أقسام الكذب.

كما أن من أقسام الكذب:

١٢٠٧ - جامع السعادات: ٣٢٣/٢.

١٢٠٨ - أصول الكافي: ٣٣٩/٢ - جامع السعادات: ٣٢٣/٢.

١٢٠٩ - جامع السعادات: ٣٢٣/٢.

١٢١٠ - أصول الكافي: ٣٣٩/٢ - جامع السعادات: ٣٢٣/٢.

١٢١١ - أصول الكافي: ٣٣٩/٢ - جامع السعادات: ٣٢٣/٢.

١٢١٢ - أصول الكافي: ٣٤٠/٢ - جامع السعادات: ٣٢٤/٢.

١٢١٣ - جامع السعادات: ٣٢٤/٢.

١٢١٤ - جامع السعادات: ٣٣١/٢.

١٢١٥ - جامع السعادات: ٣٣١/٢، البحار: ٣٥٩/٧٦، ب: جوامع نواهي النبي (ص).

شهادة الزور، بل هذا الكذب من أشدّ المحرمات، لأنه ليس كذباً فحسب، بل سبب لنقل الحقوق من مكانها، وإلحاق الأولاد بغير آبائهم. وهكذا.. وهكذا.

يقول القرآن الحكيم في مدح المؤمنين:

(والذين لا يشهدون الزور وإذا مروا باللغو مروا كراماً)(١٢١٦).

وقال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): (شاهد الزور كعابد الوثن)(١٢١٧).

ومن أقسام الكذب: اليمين الكاذبة:

قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): (التجار هم الفجار.

ف قيل: يا رسول الله، أليس الله قد أحلّ البيع؟

فقال: نعم.. ولكنهم يحلفون فيأثمون، ويحدثون فيكذبون)(١٢١٨).

وقال (صلى الله عليه وآله وسلم): (ثلاث نفر لا يكلمهم الله يوم القيامة، ولا ينظر إليهم، ولا يزكّيهم: المنان

بعطيته، والمنفق سلعته بالحلف، والفاجر المسبل إزاره)(١٢١٩).

وإسبال الأزار كبرياءً محرّم في الشريعة - كما لا يخفى -.

وقال (صلى الله عليه وآله وسلم): (ما حلف حالف بالله، فأدخل فيها مثل جناح بعوضة، إلا كانت نكتة في قلبه إلى

يوم القيامة)(١٢٢٠).

وقال (صلى الله عليه وآله وسلم): (ثلاث يشنأهم الله: التاجر أو البائع الحلاف، والفقير المختال، والبخيل

المنان)(١٢٢١).

ومن أقسام الكذب خلف الوعد.

قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): (من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليف إذا وعد)(١٢٢٢).

وقال (صلى الله عليه وآله وسلم): (أربع من كن فيه كان منافقاً، ومن كانت فيه خلة منهن، كانت فيه خلة من

النفاق حتى يدعها: إذا حدث كذب وإذا وعد أخلف، وإذا عاهد غدر، وإذا خاصم فجر)(١٢٢٣).

وقال الامام الصادق (عليه السلام): (عدة المؤمن أخاه نذر لا كفارة له فمن أخلف فيخلف الله تعالى بدر، ولمقته

تعرض. وذلك قوله تعالى: (يا أيها الذين آمنوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ، كَبُرَ مَقْتاً عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا

تَفْعَلُونَ)(١٢٢٤)(١٢٢٥).

١٢١٦ - سورة الفرقان: آية ٧٢.

١٢١٧ - جامع السعادات: ٣٣١/٢.

١٢١٨ - جامع السعادات: ٣٣١/٢.

١٢١٩ - جامع السعادات: ٣٣١/٢.

١٢٢٠ - جامع السعادات: ٣٣١/٢.

١٢٢١ - جامع السعادات: ٣٣١/٢.

١٢٢٢ - أصول الكافي: ٣٦٤/٢ - جامع السعادات: ٣٣١/٢.

١٢٢٣ - بحار الأنوار: ٩٤/٧٥، ب٤٧ - جامع السعادات: ٣٣٢/٢.

١٢٢٤ - سورة الصف: آية ٢ - ٣.

١٢٢٥ - بحار الأنوار: ٩٦/٧٥، ب٤٧ - جامع السعادات: ٣٣١/٢.

الصدق

الصدق حسن محبوب حتى عند الكاذب نفسه، وهو ممدوح وإن تركه الناس، كما أن العلم ممدوح حتى عند الجهال وإن تركه الناس.

وهو مرآة النفس النزيهة، فالصادق يكشف عن نزاهة نفسه، وطهارة روحه وسلامة ما انطوت عليه أضلاعه، فليس فيه أي التواء أو اعوجاج، بل هو مستقيم استقامة البان، عطر كالزهرة الفوّاحة نير كالمصباح المتلألئ. هذا هو الصدق عند الجميع، لا فرق بين المؤمن والجاهد والكبير والصغير، والشريف والوضيع، والملك والسوقة. فضيلة قلما تتوفر في إنسان، إلا رفعتة إلى أوج السعادة النفسية وذروة الكمال الذاتي، ومنتهى مراقي الإنسانية. نعم، ربما يجرّ الصدق إلى الصدوق ويلات، ولكن لا يفتيء الأمر حتى يجبر إليه أضعاف الإساءة: الإحسان، وأضعاف الشر: الخير.

وليس بين الصدق والكذب إلا أن الصدق ملكة بعد جهد، والكذب استرسال عفوي لا يحتاج إلى أكثر من ترك النفس وهواها.

كما أن بين العلم والجهل نفس النسبة.

وكما لا يرضى إنسان أن يكون جاهلاً، فلا يرضى أن يكون كذوباً.

وإذا حاسبنا الكذوب، وقلنا له: لم تكذب؟

أجاب: بأنه يريد بقاء ماء وجهه. أو درّ ربح أكثر. أو دفع ضرر محتمل أو مقطوع. أو ما أشبه.

هذا ما يريد هو؟ ولكن هل يصح زعمه؟ كلا! بل الغالب: أن الكذوب ليس بمتجنب ماء الوجه والأضرار التي ترد عليه أكثر من الأضرار الواردة على الصدوق.

يقال: إن رجلاً أجرم، فلاحقته السلطة مدة مديدة، لكنها لما ينست أخيراً من الظفر به، فاستشارت جماعة من الباطنة؟ قالوا: إن له أباً صدوقاً، فلو أرسلت إليه واستعلمتيه، علمك بمكانه - إن كان الأب بنفسه يعلم مكانه -.

فاستحضرته، واستعلمته؟ فقال: إن ابني في البيت الكذائي، متخف في بعض سراديبه.

ولما أرسلت السلطة بعض الشرطة، ظفروا به، كما قال أبوه فشخص عند السلطة، لكنها تعجبت من صدق مقالة أبيه، حتى على ضرر ولده، وصار ذلك سبباً للعفو عن الولد، وتحسين الوالد وإكرامه.

هذه قضية وهناك قضايا، كلها تشير على فوائد الصدق.

ولم يقولوا جزافاً: (النجاة في الصدق).

ولهذا ترى الإسلام يؤكد على الصدق أكبر تأكيد، ويحث الناس على ملازمته، ولو كان مظنة لأضرار يسيرة وقد رصد حشداً كبيراً من المدح والثناء على الصادقين.

يقول القرآن الكريم: (مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ...)(١٢٢٦).

ويقول: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ)(١٢٢٧).

١٢٢٦ - سورة الأحزاب: آية ٢٣.

١٢٢٧ - سورة التوبة: آية ١١٩.

ويقول: (الصَّابِرِينَ وَالصَّادِقِينَ وَالْقَانِتِينَ وَالْمُنْفِقِينَ...)(١٢٢٨).

ويقول: (...وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ... أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا...)(١٢٢٩).

ويقول: (إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ... أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ)(١٢٣٠).

إلى غيرها.. من الآيات..

وقال رسول الإسلام العظيم (صلى الله عليه وآله وسلم): (تَقَبَّلُوا إِلَيَّ بَسْتُمْ، أَتَقَبَّلُ لَكُمْ بِالْجَنَّةِ: إِذَا حَدَّثْتُمْ فَلَا تَكْذِبُوا. وَإِذَا وَعَدْتُمْ فَلَا تَخْلِفُوا، وَإِذَا أُنْتَمَيْتُمْ فَلَا تَخُونُوا.. وَغَضُوا أَبْصَارَكُمْ. وَكَفَّوْا أَيْدِيَكُمْ وَأَسْنَنَتُمْ. وَاحْفَظُوا فُرُوجَكُمْ)(١٢٣١).

قال النبي (صلى الله عليه وآله وسلم): (ما يزال الرجل يصدق ويتحرى عن الصدق، حتى يكتبه الله صديقاً)(١٢٣٢).

ومعنى ليصدق: يستمر في الصدق، لا أنه يصدق مرة أو مرّات.

وقال الإمام الصادق (عليه السلام): (كونوا دعاة الناس بالخير، بغير أسننتكم، ليروا منكم الاجتهاد.. والصدق.. والورع)(١٢٣٣).

ولا يخفى ما في هكذا نوع من الدعوة، من التأثير البليغ، بما لا يؤثر ألف مقول ويراع، فإن الناس جبلوا على الإقتداء والتأسي، فإذا رأوا عدواناً يعمل، عملوا.. وإذا رأوا شخصاً تقياً ورعاً صادقاً، انتهجوا منهجيه، واقتفوا أثره، فاتقوا وتورعوا وصدقوا.

أما إذا رأوا من يدعو إلى الصدق، ولكنه يكذب، أو يدعو إلى الأمانة، ولكنه يخون. أو ما أشبهه. قالوا: لو كان خيراً ما خالفه ولو كان حسناً ما أتى بعده.

ولذا حذّر القرآن الحكيم والسنة من الدعوة المجردة: (...لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ، كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ)(١٢٣٤).

(لعن الله الأمرين بالمعروف التاركين له، الناهين عن المنكر العاملين به).

وقال الامام الصادق (عليه السلام): (من صدق لسانه زكى عمله، ومن حسنت نيته زيد رزقه، ومن حسن بره بأهل بيته مد له في عمره)(١٢٣٥).

هذا هو الإسلام الذي يجمع كل خير: صدق اللسان، وحسن النية، والبر بالأهل، وهل هناك ما يشابه الإسلام في هذه الآداب الرفيعة ومنات الألوف أمثالها؟!

وقال (عليه السلام): (لا تنظروا إلى طول ركوع الرجل، وسجوده، فإن ذلك شيء اعتاده ولو تركه لاستوحش لذلك، ولكن انظروا إلى صدق حديثه، وأداء أمانته)(١٢٣٦).

١٢٢٨ - سورة آل عمران: آية ١٧.

١٢٢٩ - سورة البقرة: آية ١٧٧.

١٢٣٠ - سورة الحجرات: آية ١٥.

١٢٣١ - بحار الأنوار: ٩٤/٧٥، ب٤٧ - جامع السعادات: ٣٣٣/٢.

١٢٣٢ - أصول الكافي: ١٠٤/٢.

١٢٣٣ - أصول الكافي: ١٠٥/٢ - جامع السعادات: ٣٣٤/٢.

١٢٣٤ - سورة الصف: آية ٢ - ٣.

١٢٣٥ - أصول الكافي: ١٠٥/٢ - جامع السعادات: ٣٣٤/٢.

١٢٣٦ - أصول الكافي: ١٠٥/٢ - جامع السعادات: ٣٣٤/٢.

ومن أغرب الأحاديث هذا الحديث الآتي. ولكنه غريب بادئ النظر، لا عند من عرف طبيعة الإسلام الذي يهتم بالفضائل ويجعلها غاية بعثة الرسول: إنما بعثت لأتم مكارم الأخلاق، ثم يجعل المقام عند الله وعند الرسول، لمن ارتقى في مراقبي الأخلاق الفاضلة.

وما هو الحديث؟.

هذا، فاستمع...

قال الإمام الصادق (عليه السلام) - لبعض أصحابه -: (انظر إلى ما بلغ به علي (عليه السلام) عند رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فالزمه. فإنّ علياً (عليه السلام) إنّما بلغ ما بلغ به عند رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) بصدق الحديث وأداء الأمانة)(١٢٣٧).

ولعلك تقول: هذان أمران سهلان، يتمكن كل أحد من ملازمتها، إذا اجتهد قليلاً!

ولكن هذا مقالة من لا يعرف صعوبة ملازمة هذين في كل صغير وكبير، طيلة العمر، أما من يعرف ذلك يعلم أنّ ملازمة الصدق وأداء الأمانة أصعب من الجبال.

فمن يتمكن أن يصدق في كل مكان وزمان، وبكل صراحة ووضوح ولكل خطير وصغير؟

أما الأمانة، فاستمع إلى الآية الكريمة:

(إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا)(١٢٣٨). حملها جاهلاً بثقلها، ثم ظلم نفسه، لعدم الأداء.

وقال الإمام الصادق (عليه السلام) - بصدد الصدق -: (إنّ الله لم يبعث نبياً، إلا بصدق الحديث وأداء الأمانة إلى البر

والفاجر)(١٢٣٩).

وقال (عليه السلام): (أربع من كن فيه كمل إيمانه - ولو كان ما بين قرنيه إلى قدمه ذنوب لم ينقصه ذلك :-

الصدق... وأداء الأمانة... والحياء.. وحسن الخلق)(١٢٤٠).

وكيف لا يضره كل نقص؟ اقرأ:

(... إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ...)(١٢٤١). وقوله تعالى (وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَعْفُو عَنِ

السَّيِّئَاتِ...)(١٢٤٢).

فمن منا يطيعه؟ قليل، بل أقل من القليل. فهل الصدق يسود الأسواق؟ أو هل الصدق له مكان في الدوائر؟ أو هل

الصدوق يدير دفة الحياة؟

أما من يدعي بالإسلام فشعاره:

(اكذب.. ثم اكذب.. ثم اكذب.. حتى يصدقك الناس)

لكنه اشتبه، من كذب وكذب وكذب، عُرف عند الناس بأنه كذوب، فلا يقبلون حتى صدقه.

١٢٣٧ - بحار الأنوار: ١١٦/٧٥، ب ٥١ - جامع السعادات: ٣٣٤/٢.

١٢٣٨ - سورة الأحزاب: آية ٧٢.

١٢٣٩ - بحار الأنوار: ١٠٦/٧٥، ب ٥١ - جامع السعادات: ٣٣٤/٢.

١٢٤٠ - أصول الكافي: ٩٩/٢ - جامع السعادات: ٣٣٤/٢.

١٢٤١ - سورة هود: آية ١١٤.

١٢٤٢ - سورة الشورى: آية ٢٥.

بين الكلام والصمت

من أعجب آيات الله - وكل آياته عجيبة - اللسان!!

فهذه اللحمة المستديلة التي لا تبلغ قدر نصف الكف سعة، تصنع العجائب المتضادة فخيرها لا يثمن، وشرها لا يقدر، وزمامها - إطلاقاً - من أشكل المشكلات - أما تعديلها بأن تلزم الجادة، فلا تحرف يميناً وشمالاً، فيكاد يكون من المستحيل.

أما فوائدها:

فالصدق، وقول الحق، وشهادة الحق، والإرشاد، والهداية، وإنارة الطريق، والذكر، والتسبيح، والتعليم، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر و. و. و. بل أصل الإيمان إنما يؤتى باللسان. أليس هو قوله: (لا إله إلا الله. محمد رسول الله).

وأما أضرارها:

فأضدادها تقدم.. والهمز واللمز والطعن واللعن والغيبة والنميمة والاستهزاء والخوض في الباطل والتغني و. و.

و...

والإسلام.. بعد ما يؤكد على فوائدها ويأمر بملازمة كل فرد فرد منها وبعدما يؤكد على أضرارها، ويحث على ترك كل فرد فرد منها يشير إشارة إجمالية مطلقة على إن آية اللسان لها فوائد ولها أضرار، ويأمر بحفظها عن كل إثم ومنكر، وإطلاقها في كل معروف وخير.

يقول القرآن العظيم: (ما يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ) (١٢٤٣).

ويقول: (لا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِنْ نَجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ...) (١٢٤٤).

وقال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): (من يتكفل لي بما بين لحييه ورجليه أتكفل له بالجنة) (١٢٤٥).

وقال (صلى الله عليه وآله وسلم): (من وقى شرَّ قبقبه، وذنبه، ولفلقه فقد وقى) (١٢٤٦).

القبقب: البطن. والذنب: الفرج. واللفلق: اللسان. وذلك لأن هذه الأعضاء الثلاثة هي التي تمضي غالباً، فالبطن:

لأكل الحرام، واللسان: لاحتقاب الآثام، والفرج: محط أبشع الإجمام.

وقيل للنبي (صلى الله عليه وآله وسلم): (ما النجاة، قال: أملك عليك لسانك) (١٢٤٧).

وقال (صلى الله عليه وآله وسلم): (أكبر ما يدخل الناس النار إلا جوفان... الفم والفرج) (١٢٤٨).

والفم - في الحديث - يجمع بين الأكل والكلام.

وقال (صلى الله عليه وآله وسلم): (وهل يكب الناس على مناخرهم في النار، إلا حصائد ألسنتهم) (١٢٤٩).

١٢٤٣ - سورة ق: آية ١٨.

١٢٤٤ - سورة النساء: آية ١١٤.

١٢٤٥ - جامع السعادات: ٣٤٢/٢.

١٢٤٦ - جامع السعادات: ٣٤٢/٢.

١٢٤٧ - جامع السعادات: ٣٤٢/٢.

١٢٤٨ - جامع السعادات: ٣٤٢/٢.

وقيل له (صلى الله عليه وآله وسلم): (ما أخوف ما يخاف عليّ؟

فاخذ بلسانه وقال هذا...) (١٢٥٠).

وقال (صلى الله عليه وآله وسلم): (لا يستقيم إيمان عبد، حتى يستقيم قلبه، ولا يستقيم قلبه، حتى يستقيم

لسانه) (١٢٥١).

وقال (صلى الله عليه وآله وسلم): (إذا أصبح ابن آدم، أصبحت الأعضاء كلها تكفر اللسان، فتقول: إتقي الله فينا،

فإنما نحن بك، فإن استقمت استقمنا، وإن اعوججت اعوججنا).

وقال له (صلى الله عليه وآله وسلم) رجل (أوصني؟

فقال (صلى الله عليه وآله وسلم): أعبد الله كأنك تراه، وعدّ بنفسك في الموتى، وإن شئت أنبأتك بما هو أملك لك من

هذا كله؟ وأشار بيده إلى لسانه) (١٢٥٢).

وقال (صلى الله عليه وآله وسلم): (إنّ الله عند لسان كل قائل، فليتق الله امرؤ على ما يقول) (١٢٥٣).

وقال (صلى الله عليه وآله وسلم): (من لم يحسب كلامه من عمله، كثرت خطاياها، وحضر عذابه) (١٢٥٤).

وقال (صلى الله عليه وآله وسلم): (يعذب الله اللسان بعذاب لا يعذبه شيئاً من الجوارح.

فيقول: أي رب عذبتني بعذاب لم تعذب به شيئاً من الجوارح؟ فيقال له: خرجت منك كلمة بلغت مشارق الأرض

ومغاريها، فسفك بها الدم الحرام وانتهب بها المال الحرام، وانتهك بها الفرج الحرام، وعزتي وجلالي، لأعذبك بعذاب

لا أعذب به شيئاً من جوارحك) (١٢٥٥).

هذا العذاب لمثل هذا اللسان، أما كل لسان فلا، والعذاب في الآخرة كالأمراض في الدنيا قسم منه يعم الجسم كله،

وقسم يخص بجراحة من الجوارح، فكما ترمد العين، وتوجع السن وما أشبه. كذلك عذاب الآخرة، فللسان ما اقتترف من

الإثم، ولليد ما اجترحت من العصيان، وللعين ما احتقبت من الجرم، وهكذا...

وقال أمير المؤمنين (عليه السلام) - لرجل كان يتكلم بفضول الكلام -: (يا هذا! انك تملئ على حافظيك كتاباً إلى

ربك، فتكلم بما يعينك، ودع ما لا يعينك) (١٢٥٦).

ما أروع الكلام، وما دهشته!

أليس الإنسان إذا تكلم، كتب الكاتبان ما قال؟ وأليس الكتاب يرفع إلى الله تعالى؟.

وقال (عليه السلام): (المرء مخبوء تحت لسانه) (١٢٥٧).

فإن تكلم تبين إته عالم أو جاهل، فصيح أو أكن.

وقال الامام السجاد (عليه السلام): (إنّ لسان ابن آدم يشرف كل يوم على جوارحه، كل صباح، فيقول: كيف

أصبحتم؟ فيقولون: بخير إن تركتنا ويقولون: الله الله فينا ويناشدونه، ويقولون: انما نثاب ونعاقب بك) (١٢٥٨).

١٢٤٩ - جامع السعادات: ٣٤٢/٢.

١٢٥٠ - جامع السعادات: ٣٤٢/٢.

١٢٥١ - جامع السعادات: ٣٤٢/٢.

١٢٥٢ - جامع السعادات: ٣٤٢/٢.

١٢٥٣ - جامع السعادات: ٣٤٢/٢.

١٢٥٤ - أصول الكافي: ١١٥/٢ - جامع السعادات: ٣٤٢/٢.

١٢٥٥ - أصول الكافي: ١١٥/٢ - جامع السعادات: ٣٤٢/٢.

١٢٥٦ - جامع السعادات: ٣٤٣/٢.

١٢٥٧ - جامع السعادات: ٣٤٣/٢.

١٢٥٨ - أصول الكافي: ١١٥/٢ - جامع السعادات: ٣٤٣/٢.

وقال الإمام الصادق (عليه السلام): (ما من يوم إلا وكل عضو من أعضاء الجسد، يفكر اللسان، يقول: نشدتك الله أن نغذب فيك)(١٢٥٩).

وهل الحوار بين الأعضاء - التي منها اللسان - حقيقة لا ندركها أم تشبيهه؟
محتمل للأمرين.

وكيف يمكن حقيقة لا ندركها؟.

الى ما لا يحصى.. أتعرف ما في أجسامنا من أجهزة وآلات؟ كلا! وهل نعرف ما فينا من جرائم؟ وهل نعرف منطق الطير؟ وهل نعرف علائم الأمراض التي تتناوبنا؟ وهل؟ وهل؟.

قد يظنّ الظان إنّ السكوت خير من الكلام، إنّ هذا الظن خطأ على قدر خطأ ظنّ إنّ الكلام - إطلاقاً - خير من السكوت.

إنّ الإسلام يحب في كل أمر معتدله، فالكلام في نظر الإسلام خير من السكوت إن نفع، والسكوت خير من الكلام إن ضر.

أما إنّ الإسلام يختار الصمت والسكوت، أو التكلم والقول، فليس بحسن.

يقول نبي الإسلام (صلى الله عليه وآله وسلم):

(رحم الله عبداً تكلم خيراً فغنم، أو سكت عن سوءٍ فسلم)(١٢٦٠).

وقال (صلى الله عليه وآله وسلم): (إخزن لسانك إلا من خير، فإنك بذلك تغلب الشيطان)(١٢٦١).

وقال (صلى الله عليه وآله وسلم) حينما جاء اليه إعرابي وقال: دأبني على عمل يدخلني الجنة -: (أطعم الجائع،

واسق الظمآن وأمر بالمعروف، وانه عن المنكر، فإن لم تطق فكفّ لسانك إلا من خير)(١٢٦٢).

ولكن حيث إنّ غالب الناس، انما يحتقبون خير الكلام وشره، ويهذرون ليل نهار، ويرمون فارغ القول على عواهله،

يؤكد الإسلام الحكم على ترك الكلام - إطلاقاً - يريد بذلك تخفيفه على قدر، كما أن من يرى ميلان الحمل الثقيل من جانب،

يجر الحمل بقوة إلى الجانب الآخر حتى يعتدل، وإن عمل من القوة ما يكفي ميله إلى الجانب الثاني لو كان معتاداً

بالنسبة إلى الجانبين.

قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): (من صمت نجا)(١٢٦٣).

وقال (صلى الله عليه وآله وسلم): (الصمت حكم، وقليل فاعله)(١٢٦٤).

وقال (صلى الله عليه وآله وسلم): (من كفّ لسانه، ستر الله عورته)(١٢٦٥).

وقال (صلى الله عليه وآله وسلم): (ألا أخبركم بأيسر العبادة وأهونها على البدن: الصمت، وحسن الخلق)(١٢٦٦).

وقال (صلى الله عليه وآله وسلم): (إذا رأيت المؤمن صموتاً وقوراً، فادنوا منه، فإنه يلقي الحكمة)(١٢٦٧).

وقال (صلى الله عليه وآله وسلم): (الناس ثلاثة: غانم، وسالم، وشاحب: فالغانم: الذي يذكر الله، والسالم: الساكت،

والشاحب: الذي يخوض في الباطل)(١٢٦٨).

١٢٥٩ - أصول الكافي: ١١٥/٢ - جامع السعادات: ٣٤٣/٢.

١٢٦٠ - جامع السعادات: ٣٤٤/٢.

١٢٦١ - جامع السعادات: ٣٤٥/٢.

١٢٦٢ - جامع السعادات: ٣٤٤/٢.

١٢٦٣ - جامع السعادات: ٣٤٤/٢.

١٢٦٤ - جامع السعادات: ٣٤٤/٢.

١٢٦٥ - جامع السعادات: ٣٤٤/٢.

١٢٦٦ - جامع السعادات: ٣٤٤/٢.

١٢٦٧ - جامع السعادات: ٣٤٥/٢.

وقال (صلى الله عليه وآله وسلم): (إن لسان المؤمن وراء قلبه، فإذا أراد أن يتكلم بشيء تدبره بقلبه ثم أمضاه بلسانه، وإن لسان المنافق أمام قلبه، فإذا هم بشيء أمضاه بلسانه، ولم يتدبره)(١٢٦٩).

وهاتان ملكتان يكسبهما الإنسان بطول الممارسة، فمن اعتاد على أن يتكلم بعد التدبر، اشتد عليه ذلك أول الأمر، حتى إذا اتخذ دأباً سهل عليه ثم يصبح ملكة يصعب عليه تركه، فإذا أراد أن يتكلم سبقه التدبر والتفكير والروية عفوياً وبلا إعمال جهد بخلاف من ترك الكلام مرسلًا فإنه يصعب عليه التدبر.

وقال (صلى الله عليه وآله وسلم): (أمسك لسانك، فإنها صدقة تصدق بها على نفسك، ثم قال: ولا يعرف عبد حقيقة الايمان حتى يخزن من لسانه)(١٢٧٠).

وقال (صلى الله عليه وآله وسلم) - لرجل أتاه -: (ألا أدلك على أمر يدخلك الله به الجنة؟)
قال: بلى يا رسول الله.

قال (صلى الله عليه وآله وسلم): أتل مما أتاك الله.

قال: فإن كنت أحوج ممن أنيله؟

قال (صلى الله عليه وآله وسلم): فانصر المظلوم.

قال: فإن كنت أضعف ممن أنصره؟

قال (صلى الله عليه وآله وسلم): فاصنع للأخرق، يعني أشر عليه.

قال: فإن كنت أخرج ممن أصنع له؟

قال (صلى الله عليه وآله وسلم): فأصمت لسانك إلا من خير، أما يسرك أن تكون فيك خصلة من هذه الخصال تجرك إلى الجنة)(١٢٧١).

وقال (صلى الله عليه وآله وسلم): (نجاة المؤمن حفظ لسانه)(١٢٧٢).

وجاء رجل إليه (صلى الله عليه وآله وسلم) فقال: (يا رسول الله أوصني! قال احفظ لسانك. وقال: يا رسول الله أوصني؟ قال: احفظ لسانك، قال: يا رسول الله أوصني، قال: احفظ لسانك. ويحك! وهل يكب الناس على مناخرهم في النار إلا حصائد ألسنتهم؟)(١٢٧٣).

إن اللسان إذا أطلق اغتاب وخاض في الباطل، وكذب وبهت واستهزأ و.. وكلها مما يسبب دخول النار. و الإنسان الساكت يغتم ولا أقل من أنه لا يلقي بنفسه إلى التهلكة، وهل هذا قليل؟

أما من اعتاد الحق والذكر فما أحسنه، وكلامه خير من سكوتة ألف مرة!

وقيل - لعيسى بن مريم (عليهما السلام) -: (دلنا على عمل ندخل به الجنة؟ قال: لا تنطقوا أبداً، قالوا: لا نستطيع ذلك.. قال: فلا تنطقوا إلا بخير)(١٢٧٤).

وقوله (عليه السلام): مبالغة وجذب للزمم ليعتدل الكلام وإلا فالنطق بخير، دأب عيسى (عليه السلام): (ويكلم الناس في المهدي وكهلاً...)(١٢٧٥).

وقال (عليه السلام): (العبادة عشرة أجزاء تسعة منها في الصمت وجزء في الفرار من الناس)(١٢٧٦).

١٢٦٨ - جامع السعادات: ٣٤٥/٢.

١٢٦٩ - جامع السعادات: ٣٤٥/٢.

١٢٧٠ - أصول الكافي: ١١٤/٢ - جامع السعادات: ٣٤٥/٢.

١٢٧١ - أصول الكافي: ١١٣/٢ - جامع السعادات: ٣٤٥/٢.

١٢٧٢ - أصول الكافي: ١١٤/٢ - جامع السعادات: ٣٤٥/٢.

١٢٧٣ - أصول الكافي: ١١٥/٢ - جامع السعادات: ٣٤٥/٢.

١٢٧٤ - جامع السعادات: ٣٤٥/٢.

١٢٧٥ - سورة آل عمران: آية ٤٦.

وعن أبي عبد الله (عليه السلام) قال: (كان المسيح (عليه السلام) يقول: لا تكثروا الكلام غير في ذكر الله فإن الذين يكثرون الكلام في غير ذكر الله قاسية قلوبهم ولكن لا يعطون)(١٢٧٧).

وعن الامام الباقر (عليه السلام) أنه قال: (كان أبو ذر (رحمه الله) يقول: يا مبتغي العلم ان هذا اللسان مفتاح خير، ومفتاح شر، فاختم على لسانك كما تختم على ذهبك وورقك)(١٢٧٨).

فإن الذهب والورق، كما لا ينفعان إلا لخير فعلى الانسان أن لا يتكلم إلا الخير.

وقال (عليه السلام): (إنما شيعتنا الخرس)(١٢٧٩).

وقال الامام الصادق (عليه السلام): (في حكمة آل داود: على العاقل أن يكون عارفاً بزمانه مقبلاً على شأنه، حافظاً

للسان)(١٢٨٠).

وفي الحقيقة: إن من جمع هذه الخصال الثلاث كان مكتمل العقل.

وقليل ما هم!

وقال (عليه السلام): (لا يزال العبد يكتب محسناً، ما دام ساكناً، فإذا تكلم كتب محسناً أو مسيناً)(١٢٨١).

وقال (عليه السلام): (النوم راحة للجسد، والنطق راحة للروح، والسكوت راحة للعقل)(١٢٨٢).

إن الروح تريد الإطلاق، فإطلاقها الكلام، أما العاقل العارف بمغبة كثير من الكلام فراحته السكوت.

وقال (عليه السلام): (الصمت كنز وافر، وزين الحليم، وستر الجاهل)(١٢٨٣).

وقال الرضا (عليه السلام): (احفظ لسانك تعز، ولا تمكّن الناس من قيادك فتذل رقبتك)(١٢٨٤).

وقال (عليه السلام): (من علامات الفقه: الحلم والعقل والصمت. إن الصمت باب من أبواب الحكمة، إن الصمت

يكسب المحبة، إنه دليل على كل خير)(١٢٨٥).

وقال (عليه السلام): (إن الرجل من بني اسرائيل إذا أراد العبادة صمت قبل ذلك بعشر سنين)(١٢٨٦).

وللسكوت من الفضيلة أكثر من ذلك وأكثر:

يقال: إن أحد النساجين نسج قطيفة ثمينة وأهداها إلى ملك من الملوك، فأستحسنها الملك وأمر بإجازته جائزة

كبيرة. ثم سأل وزراءه، عما يصلح له هذه القطيفة، فقال كل بما يرتأيه من الصلاح، لكنه استثنى وقال: لا بد وان

ناسجها أعرف بما يمكن ان تصلح له فسأله الملك عن ذلك؟ ففكر الناسج طويلاً، ثم قال: انها تصلح لطحها على

جنازة الملك!

غضب الملك من مقاله وأمر بقتله، لكن أحد الحاضرين استمهل الملك قائلاً: كنت الليلة البارحة أترقب النساج كي

أتمكن من سرقة قطيفته وكنت أراه طول الليل يقول: اللهم احفظ رأسي من لساني.. انه غير عامد بل لسانه ليس بأمره

ينطلق إلى المهاوي من غير خبث في ذاته.

فعفى الملك عنه.. وأكرمه!

١٢٧٦ - جامع السعادات: ٣٤٦/٢.

١٢٧٧ - أصول الكافي: ١١٤/٢ - جامع السعادات: ٣٤٦/٢.

١٢٧٨ - أصول الكافي: ١١٤/٢ - جامع السعادات: ٣٤٦/٢.

١٢٧٩ - أصول الكافي: ١١٣/٢ - جامع السعادات: ٣٤٦/٢.

١٢٨٠ - أصول الكافي: ١١٦/٢ - جامع السعادات: ٣٤٦/٢.

١٢٨١ - أصول الكافي: ١١٦/٢ - جامع السعادات: ٣٤٦/٢.

١٢٨٢ - جامع السعادات: ٣٤٦/٢.

١٢٨٣ - جامع السعادات: ٣٤٦/٢.

١٢٨٤ - جامع السعادات: ٣٤٦/٢.

١٢٨٥ - أصول الكافي: ١١٣/٢ - جامع السعادات: ٣٤٦/٢.

١٢٨٦ - أصول الكافي: ١١١/٢ - جامع السعادات: ٣٤٦/٢.

حب الجاه

أي منا لا يحب مقاماً مرموقاً، ومنصباً خطيراً ومكانةً إجتماعية رشيقة؟
كلنا يحب ذلك. ولكن الاسلام يحدّد ذلك تحديداً في صالح الفرد والمجتمع. تحديداً يضر هذا الحب - لولاه - بنفس
الشخص أولاً وبسائر الناس ثانياً.
وما تحديده؟

تحديده: أن لا يحصل الجاه بالحرام، ولا يحافظ عليه بالحرام ويكون مقصده من الجاه خدمة الإسلام المنطوي على
خير الدنيا والآخرة وفي القرآن الكريم: (...وَجَعَلْنَا لِمَنْ يَشَاءُ إِمَامًا) (١٢٨٧).

لكن لما كان الانسان - غالباً - يحصل الجاه بالحرام، أو يحافظ عليه بالحرام، أو يطلبه لأجل غايات مادية بحتة التي
بدورها تؤدي إلى عدم خدمة الناس والدين ذمّ الإسلام حبه ذمّاً قارصاً أو رصداً لمحبيه أكبر القدح والازدراء.

قال سبحانه: (تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فُسَادًا...) (١٢٨٨).
وقال سبحانه: (مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَرَبَّتَهَا نُؤَفِّقْ لَهُمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ، أُولَئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ
لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ إِلَّا النَّارُ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا فِيهَا وَبِاطِلٌ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ) (١٢٨٩).

وقال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): (حب المال والجاه ينبتان النفاق في القلب، كما ينبت الماء
البقل) (١٢٩٠).

إنّ الشخص يريد أن يتحقّق على جاهه أو ماله، فلا بد أن يرضي الناس بما هو خلاف الواقع، يقول: لا مال لي -
إبقاءً على ماله - وهو نفاق وتملق بما لا يستحق الممدوح وهو يعلم انه ليس يستحق، وهو نفاق... وهكذا...

وقال (صلى الله عليه وآله وسلم): (ما ذنبان ضاريان في زريبة غنم، قد تفرّق رعاتها بأضرّ في دين الرجل المسلم
من الرناسة) (١٢٩١).

وقال (صلى الله عليه وآله وسلم): (حسب امرئ من الشر - إلا من عصم الله - أن يشير الناس اليه
بالأصابع) (١٢٩٢).

وقال الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام): (تبذل ولا تشتهر ولا ترفع شخصك لتذكر وتعلم، واكتم واصمت تسلم،
تسرّ الأبرار، وتغيظ الفجار) (١٢٩٣).

وقال الامام الباقر (عليه السلام): (لا تطلبن الرياسة، ولا تكن ذنباً، ولا تأكل الناس بنا، فيفرك الله) (١٢٩٤).

١٢٨٧ - سورة الفرقان: آية ٧٤.

١٢٨٨ - سورة القصص: آية ٨٣.

١٢٨٩ - سورة هود: آية ١٥ - ١٦.

١٢٩٠ - جامع السعادات: ٣٥٠/٢.

١٢٩١ - أصول الكافي: ٢٩٧/٢ - جامع السعادات: ٣٥٠/٢.

١٢٩٢ - جامع السعادات: ٣٥٠/٢.

١٢٩٣ - جامع السعادات: ٣٥٠/٢.

١٢٩٤ - جامع السعادات: ٣٥٠/٢.

وقال الامام الصادق (عليه السلام): (اياكم وهؤلاء الرؤساء، الذين يتراأسون، فوالله ما خفت النعال خلف رجل إلا هلك وأهلك)(١٢٩٥).

هذا اذا كان يحب ذلك رئاسة للدين.

أما ما كان يصنعه النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) من إتفاف أصحابه حوله أينما توجه فقد كان للأخرة - والآخرة فقط - وقد كان يرسل أناساً من المحتفين به إلى أعماله (صلى الله عليه وآله وسلم) ولذا كانوا حوله لنشر الدعوة حتى في الطريق والسفر لا للكبر والرئاسة.

وقال (عليه السلام): (ملعون من ترأس، ملعون من هم بها، ملعون من حدّث بها نفسه)(١٢٩٦).

وقال: (من طلب الرئاسة هلك)(١٢٩٧).

وقال (عليه السلام): (أترى لا أعرف خياركم من شراركم؟! بلى والله إن شراركم من أحب أن يوطأ عقبه إنّه لا يد من كذاب أو عاجز الرأي)(١٢٩٨).

وكم تقدر نزاهة الرؤساء لو اتّبع ميزان الاسلام فتجنب الرئاسة كل رئيس حتى ألقّت بأزمتهما - على كره منه - إليه؟. وفي الحقيقة إنّ المنهج الاسلامي في الرئاسة أفضل المناهج التي عرفها العقل البشري.. إنه الاسلام الحكم من عند إله عليم فهل يماثله شيء؟ كلا! وألف كلا!! جعلنا الله ممّن فقه الاسلام وعمل به، ونشره بين المجتمع وأسعده بالاسلام في الدنيا والآخرة وهو المستعان.

الخمول

إنتهى بنا المطاف إلى ما للشهرة وحبّها من آفات...

فهل معنى ذلك إن الإسلام يأمر بالخمول، والإنزواء؟

كلا! انه لا رهبانية في الاسلام.

وقد اختلط الأمر على كثير:

إنهم يرون ذم الغنى والشهرة والرئاسة وما أشبه.. فيظنون أنّ الذمّ منصب على ذات هذه الأمور.

وقد تقدم - في بعض الأجزاء - إنّ النفس حيث تنقاد إلى الرذائل بسهولة ويسر إحباط الاسلام في جذب الزمام، حتى

يعتدل الأمر، ويستقيم الطبع.

فالغنى حسن، لكن حيث يلازمه الاعتلاء والكبر والاحتكار ونحوها يذمه الاسلام.

والشهرة حسنة، ولكن حيث كان الغالب مقارنتها لصفات رديئة ورذائل خلقية يكرهها الاسلام.

والرئاسة التي تُقضى بها الحوائج حسنة، لكنها تلازم - في غالب النفوس - التعدي عن الحق والتجاوز عن الحدود،

ولذا يمقتها الاسلام.

وهل غير الشهير الرئيس الثري.. يتمكن من قضاء الحوائج وإفراج المضيقات؟.

١٢٩٥ - أصول الكافي: ٢٩٧/٢ - جامع السعادات: ٣٥٠/٢.

١٢٩٦ - أصول الكافي: ٢٩٨/٢ - جامع السعادات: ٣٥٠/٢.

١٢٩٧ - أصول الكافي: ٢٩٧/٢ - جامع السعادات: ٣٥٠/٢.

١٢٩٨ - أصول الكافي: ٢٩٩/٢ - جامع السعادات: ٣٥٠/٢.

ولذا نرى أنبياء الله تعالى وأوصيائهم.. حازوا شهرة كاملة ورئاسة مطلقة... ولم؟ لأن هذه فقط تشق الطريق أمام الرسائل والفضائل الفردية والاجتماعية.. أرأيت: إن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) حيث لم تعضده الشهرة والرئاسة والقوة والمال.. لم يدخل في دينه الإسلامي إلا أنفار قلائل.

أما حيث أتته الشهرة والمنعة، والقوة والثروة، نزلت: (بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ، وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا، فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا)(١٢٩٩).

وهناك فرق بين من يجعل هذه الأمور وسائل لنشر الفضيلة، وإعلاء كلمة الحق، والعمل بالعدل.. وبين من يجعلها غاية، يكدهم ويجهدهم، ويتعب ويسهر للاعتراف من أكبر قدر ممكن منها.

وعلى أي فالإسلام إنما يمدح الخمول، جذباً للزمام، وتعديلاً للسير، لا أنه يمدحه بذاته، وبهذه النظرة الواقعية على المرء أن ينظر إلى أخبار ذم الشهرة والمال وما أشبهه.

قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): (إنَّ اليسير من الرياء شرك، وإنَّ الله يحب الأتقياء الأخفياء، الذين إذا غابوا لم يفقدوا، وإذا حضروا لم يعرفوا، قلوبهم مصابيح الهدى، يتحوّل من كلّ غيراء مظلمة)(١٣٠٠).

وقال (صلى الله عليه وآله وسلم): (ربّ ذي طمرين لا يؤبه له، لو أقسم على الله لأبره، لو قال: اللهم أسألك الجنة لأعطاه الجنة، ولم يعطه من الدنيا شيئاً)(١٣٠١).

وقال (صلى الله عليه وآله وسلم): (ألا أدلكم على أهل الجنة؟ كل ضعيف مستضعف، لو أقسم على الله لأبره)(١٣٠٢).

وقال (صلى الله عليه وآله وسلم): (إنَّ أهل الجنة: كل أشعث أغبر ذي طمرين لا يؤبه له، الذين إذا استأذنوا على الأمراء، لا يؤذن لهم، وإذا خطبوا النساء لم ينكحوا، وإذا قالوا: لم ينصت لهم، حوائج أحدهم تتخلخل في صدره، لو قسم نوره يوم القيامة على الناس لوسعهم)(١٣٠٣).

ثم.. أليس تسلي هذه الأحاديث الأتقياء الأخفياء، الذين لم يسعهم الجري في مجاري الحياة، خوفاً من جانر، أو تجنباً عن آثم؟...

و أليس من حق الإسلام أن يشمل الغني والفقير، والشهير والخامل..

بعطفه ولطفه، حتى لا يقتل الفقير والخامل اليأس، ولا يُطغي الغني والشهير المال والجاه؟.

حتى إنَّ الإسلام يسلي من بُهت أو قُذِف بخير الدنيا والآخرة.

أليس في الآية الكريمة، في قصة القذف الشاننة، قوله تعالى: (إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنْكُمْ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ...)(١٣٠٤).

وقال (صلى الله عليه وآله وسلم): (إنَّ من أمّتي من لو أتى أحدكم يسأله ديناراً، لم يعطه إياه، أو يسأله درهماً لم يعطه إياه، ولو سأل الله تعالى الجنة لأعطاه إياه، ولو سأل الدنيا لم يعطها إياه، وما منعها إياه لهوانه عليه). بل

منعها إياه لأنه علم: (...إنَّ الإنسانَ ليطغى، أن رآه استغنى)(١٣٠٥)(١٣٠٦).

وفي الحديث: (إنَّ من الناس من لا يصلحه إلا الفقر، ولو أغنيته لظغى).

١٢٩٩ - سورة النصر: آية ١ - ٣.

١٣٠٠ - جامع السعادات: ٣٦٦/٢.

١٣٠١ - جامع السعادات: ٣٦٦/٢.

١٣٠٢ - جامع السعادات: ٣٦٧/٢.

١٣٠٣ - جامع السعادات: ٣٦٧/٢.

١٣٠٤ - سورة النور: آية ١١.

١٣٠٥ - سورة العلق: آية ٦ - ٧.

١٣٠٦ - جامع السعادات: ٣٦٧/٢.

وكم رأينا خاملاً اشتهر، ففتجاوز الحدود! أو فقيراً أثرى فطغى وكذب وتولى.
وقال (صلى الله عليه وآله وسلم): (قال الله عز وجل: إن من أعبط أولياني عندي رجلاً خفيف الحال، ذا حظ من صلاة، أحسن عبادة ربّه بالغيب، وكان غامضاً في الناس، جعل رزقه كفافاً فصبر عليه، عجلت منيته، فقل تراثه، وقل بواكيه)(١٣٠٧).

ثم: بعد ذلك، لا يبقى مجال للتساؤل: فهل يحق لنا أن نطلب الخمول؟
فإن الإجابة على هذا السؤال، كالإجابة على سؤال: هل يحق لنا أن نطلب من يقذف أعراسنا؟
انه لا يحق لنا ذلك، ولو طلبناه كنا معاقبين، وليس معنى الآية: (...بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَكُمْ...) (١٣٠٨) إنه خير مطلوب، بل معناه: إن هذا، الأمر المكروه، يظهر نفوسكم ويجزل ثوابكم، كما نقول لمن قتل ظالم بعض ذويه: انه خير لك، فلا تغتم.
وكما لا يحق لنا أن نطلب القذف... لا يحق لنا أن نطلب الخمول. نعم.. لو حملنا بظروف قاسية، يلزم علينا أن لا نحسبه شراً بل هو خير لنا!!

هل تحب أن تمدح؟

نعم.. كلنا نحب أن نمدح.. ونكره أن نذم.. وهل ذلك مذموم؟
كلا! أليس الله أحب أن يمدح وكره أن يذم؟ أليس الأنبياء والأئمة حتوا على ذكر فضائلهم، والتجنب عن ذمهم؟
أجل.. فرق بين من يحب المدح ويكره الذم لذاتهما، وبين من يجعلهما لغاية كما إنه فرق بين من يعمل لأجلهما، وبين من يعمل إخلاصاً من دون نظر إلى مدح وذم.
إن الأنبياء والأئمة أحبوا المدح غاية لا ذاتياً، إنهم أحبوا ان يذكروا بالصدق والأمانة، والورع والتقوى. ليتخذهم الناس أسوة فيسعدوا في الحياة، وهم إنما يعملون إخلاصاً وحسب، لا لأن يمدحوا.
وفرّق بين من أحب أن يتبعه الناس في الطريق، ليوصلهم إلى الطريق.. وبين من أحب أن يتبعوه ليسمع خفق النعال من خلفه.

والإنسان الذي يحب المدح وسيلة، نراه يعمل للغاية وهي الحق، وإن ذمه الناس وازدروه وقالوا فيه مقالات.. وذلك بخلاف الإنسان الذي يتخذ غاية فإنه لا يفتىء يعمل للمدح سواء كان عمله حقاً أو باطلاً، مثوبة أو إثمًا، فهو يذبح المثل السامية على مذابح الشهرة والصيت، بينما الشخص الأول، يضحى بكل ما لديه لأجل الحق والفضيلة.
لكن لما كان غالب الناس يحبون المدح غاية، لا وسيلة.. صب الإسلام ذمه المقذع على من أحب المدح: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): (إنما هلك الناس باتّباع الهوى، وحبّ الثناء)(١٣٠٩).

وقال (صلى الله عليه وآله وسلم): (رأس التواضع أن تكره أن تذكر بالبر والتقوى)(١٣١٠).
ثم.. ان المدح - في الغالب - يغري الممدوح، فيتكبر - أولاً - ويترهل عن الخير - ثانياً - ولذا يكره الإسلام المادح، إلى جنب كرهه من أحب المدح.

١٣٠٧ - أصول الكافي: ١٤٠/٢ - جامع السعادات: ٣٦٧/٢.

١٣٠٨ - سورة النور: آية ١١.

١٣٠٩ - جامع السعادات: ٣٦٨/٢.

١٣١٠ - جامع السعادات: ٣٦٨/٢.

أثنى رجل على رجل - والنبي (صلى الله عليه وآله وسلم) حاضر - فقال (صلى الله عليه وآله وسلم): (لو كان صاحبك حاضراً، فرضى بالذي قلت، فمات على ذلك، دخل النار)(١٣١١).

وقال (صلى الله عليه وآله وسلم) - لمادح آخر -: (ويحك قطعت ظهره، ولو سمعتك ما أفلح إلى يوم القيامة)(١٣١٢).

وقال (صلى الله عليه وآله وسلم): (ألا لا تمدحوا وإذا رأيتهم المدّاحين، فاحتوا في وجوههم التراب)(١٣١٣). ومن الظريف: إن الأقدار تعاكس من يحب المدح ويكره الذم، فيذمه الناس أليس يعمل للمدح؟ فهو ليس بمخلص وسرعان ما يعرف الناس دخيلة قلبه، فلا يمدحوه أبداً... ولو مدحوه كرهاً، كان أقرب إلى الذم، ولا يذهب زمان حتى ينقضوا عليه، ينقضوه وينقضوه كفاء ما مدحوه. نعم.. يجب مدح المصلحين والصالحين.. ليتأسى بهم الناس، كما يلزم ذم المفسدين والفاستدين ليتجنبهم الناس.

كما أن المدح على شخص، لا يغتر ولا يتكبر بالمدح، بل يكون محفزاً له على المضي في الخير أكثر فأكثر.. لا بأس به، بل هو من التشجيع والمعاونة في الخير المأمور به في الآية الكريمة: (... تَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى...)(١٣١٤).

الإخلاص

الأرض إنما تعمر بالعمل... والنفوس إنما تستقيم بالعمل.. والحضارة إنما تزدهر بالعمل.. والفضيلة إنما تحصل بالعمل.. والفناء إنما تغزى بالعمل.. والمشاكل إنما تحل بالعمل.. إذاً: فالعمل هو الجهاز الوحيد الذي يؤمن مختلف ميادين الحياة، ويعبّد جميع طرق الدنيا والآخرة. ولكن.. كما أن في العملة صحيحاً وزيفاً، وكما أن من الأرض، خصبة وسبخة.. كذلك من العمل ما هو لا يوصل إلى النتيجة المطلوبة، بل كثيراً ما يوجب انعكاس الأمر، ومنه ما هو يؤدي إلى الأمر المطلوب.

أما العمل المزيف فهو العمل المراني فيه، الذي يؤتى لسماع الناس أو رؤيتهم.

وأما العمل الصحيح فهو الذي يؤتى بقصد الإخلاص، وخدمة الحقيقة، فحسب.

والبون بين العاملين (كبعد الأرض من جو السماء).

إنّ البناء لو بنى الدار بقصد أن يقال عنه: إنه بان ماهر، تراه لا يهتم بالحقيقة وإنما يبني ما ظهر وبان، وجلب انتباه الناس، أما الأساس فهو بمعزل عن قصده.. فلا تمرّ إلا أيام قلائل، وإذا بالدار تنهدم، والمبالغ المصروفة تكون وبالا مزدوجاً على صاحبها فإنه مضافاً إلى ما خسر ولم يحصل على غاية طيبة يحتاج إلى استئجار عمال أو وسائل نقل، لإخراج الأنقاض المنهدمة من أرضه ليبنيها من جديد!

وهو بخلاف الباني المخلص، فإنه يهتم بالأساس اهتمامه بالمظاهر، فيريح ربحاً مزدوجاً، عكس ذلك.

وهكذا الأمر، في جميع شؤون الدنيا والآخرة.

١٣١١ - جامع السعادات: ٣٦٨/٢.

١٣١٢ - جامع السعادات: ٣٦٨/٢.

١٣١٣ - جامع السعادات: ٣٦٨/٢.

١٣١٤ - سورة المائدة: آية ٢.

ولذا نرى الإسلام - الذي يحب الحق والحقيقة - أكد على الإخلاص في الأعمال كلها، وكره الرياء كراهة عميقة، وطاردها حتى عمّا لو كانت كدبيب النمل في الليل المظلم على الصفا الصلد.

قال الله تعالى: (وَمَا أَمْرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ...)(١٣١٥)

وقال تعالى: (أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ...)(١٣١٦).

وقال تعالى: (إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَاعْتَصَمُوا بِاللَّهِ وَأَخْلَصُوا دِينَهُمْ لِلَّهِ...)(١٣١٧).

وقال تعالى: (فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا)(١٣١٨) ففي التفسير: إنها

نزلت في من يعمل لله، ويحب أن يُحمد عليه.

وقال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): (اخْلَصِ الْعَمَلَ، يَجْزِكَ مِنْهُ الْقَلِيلُ)(١٣١٩).

إنّ العمل الكثير من غير إخلاص كالماء الكثير المالح، فهل ينفع أو يروي الغلة؟ إنّ الماء القليل العذب يروي

بقدره، أما المالح الكثير، فلا يروي من الظمأ، بل يزيد العطش وهكذا العمل المخلص فيه بالنسبة للعمل الريائي.

وقال (صلى الله عليه وآله وسلم): (ما من عبد يخلص العمل لله تعالى أربعين يوماً، إلا ظهرت ينابيع الحكمة من

قلبه على لسانه)(١٣٢٠).

إنّ الذي يخلص - بتمام معنى الكلمة - في هذه المدة الطويلة لا بد وأن يتلقى من الآيات الكونية، والدساتير

الشرعية، قدرأ لا بأس به من المعارف والحكم، فيكون قلبه كمعين عذب، لا بد وأن يجري منه على لسانه.

ولكن.. هل الإخلاص التام - وخصوصاً أربعين يوماً - يأتي ارتجالاً وبدون مقدمات؟ كلا! إنه يحتاج إلى مجاهدات

طويلة، حتى يتمكن الإنسان: أن يأكل وينام ويلبس مخلصاً.. ويتكلم ويتحرك ويسكن مخلصاً.. ويقراً ويكتب وينظر

مخلصاً، ويعطي ويمنع ويقصد مخلصاً.. وهكذا.

وخصوصاً يستمرّ الإخلاص التام، أربعين يوماً.

وهل ترى ذلك عملاً هيناً؟ إنّه تزول الجبال الرواسي، قبل هذا العمل الجهادي المضني.. فهل ترى بعد ذلك: يصح

قول القائل: إنّي أخلصت فلم لم تجر الحكمة على لساني؟. أو فلان أخلص، فلم نراه كما نرى سائر الناس؟. ولذا يقول

الأمام الباقر (عليه السلام): (ما أخلص عبد الإيمان بالله أربعين يوماً، إلا زهده الله تعالى في الدنيا، وبصره داعها

ودواعها، وأثبت الحكمة في قلبه، وأنطق بها لسانه).

و الإخلاص هو الذي ينبغي للمرء أن يهتم به.. فما فائدة طن من الحصاء، إزاء مثقال من الماس؟ يقول الامام أمير

المؤمنين (عليه السلام): (لا تهتمّوا لقلّة العمل، واهتمّوا للقبول)(١٣٢١).

ويقول (عليه السلام): (طوبى لمن أخلص لله العبادة والدعاء ولم يشغل قلبه بما ترى عيناه، ولم ينس ذكر الله بما

تسمع أذناه، ولم يحزن صدره بما أعطي غيره)(١٣٢٢).

ويقول الإمام الصادق (عليه السلام) في قول الله عزّ وجل: (...لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا...)(١٣٢٣): (ليس يعني

أكثركم عملاً ولكن أصوبكم عملاً، وإنما الإصايب خشية الله، والنية الصادقة)(١٣٢٤). ثم قال (عليه السلام): (الإيفاء

١٣١٥ - سورة البينة: آية ٥.

١٣١٦ - سورة الزمر: آية ٣.

١٣١٧ - سورة النساء: آية ١٤٦.

١٣١٨ - سورة الكهف: آية ١١٠.

١٣١٩ - جامع السعادات: ٤٠٤/٢.

١٣٢٠ - جامع السعادات: ٤٠٥/٢.

١٣٢١ - جامع السعادات: ٤٠٥/٢.

١٣٢٢ - جامع السعادات: ٤٠٥/٢.

١٣٢٣ - سورة هود: آية ٧.

على العمل حتى يخلص أشد من العمل، والعمل الخالص: الذي لا تريد أن يحمك عليه أحد، إلا الله عز وجل، والنية أفضل من العمل ثم تلى قوله عز وجل: (قُلْ كُلُّ يَعْمَلُ عَلَى شَاكِلَتِهِ...)(١٣٢٥) (يعني على نيته)(١٣٢٦).

والذي يريد الإخلاص، احتاج بدء الأمر إلى مراقبة دقيقة وتعب مستمر، فيلاحظ كل عمل من أعماله، وينقدها نقد الصراف للدرهم المشكوك، فإن رآه زيفاً، طرحه، وإلا حفظه.. وهكذا من يريد الإخلاص.. حتى يتيقن من حصول ملكة الإخلاص، وفي هذه الحال تقع الأعمال منه متصفة بالإخلاص، عفويّاً، من غير إحتياج إلى دقة المراقبة.

قال تعالى: (وَالَّذِينَ يَنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ رِئَاءَ النَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ...)(١٣٢٧).

أما الرياء.. وما أدراك ما الرياء، انه يسبب تبار العمل وفساده، ويذر الحقائق بلا تعب، لا يصلح دنيا، ولا ينفع آخرة.

أرأيت لو علمت أن المصلي يصلي رياءً، فهل تقيم لصلاته تلك وزناً؟ أو لو علمت أن الثري بنى داره الفخمة، ليقال عنه: إنه غني ذو مال، فهل تراه نظيف القلب؟ كلا! إن الإنسان جبيل على ذم الرياء والمراني، وازدراء العمل المراني فيه، ومن يأتي بذلك العمل.. هذا إضافة إلى إن العمل لو كان رياءً، ابتعد عن الحقيقة، وكان أقرب إلى النفاق، فالمزكي الذي يزكي رياءً، لا يزكي إذ لا يراه أحد، ومن يبني ليقال عنه: إنه ثري... لا يبني إذا علم عدم هذه المقالة في حقه. ولذا ترى الإسلام يمقت الرياء، ويذم صاحبه، وينظر إلى عمله نظره إلى السراب المخادع، ولا يقيم لطاعته وعباداته وزناً بل بالعكس يعد المراني كل عقاب وعذاب.

يقول القرآن الحكيم في ذم أناس: (... يُرَاؤُنَ النَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا)(١٣٢٨).

ويقول: (... كَالَّذِي يَنْفِقُ مَالَهُ رِئَاءَ النَّاسِ...)(١٣٢٩).

وقال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): (إن أخوف ما أخاف عليكم: الشرك الأصغر، قالوا: وما الشرك الأصغر؟ قال (صلى الله عليه وآله وسلم): الرياء)(١٣٣٠).

يقول الله عز وجل يوم القيامة للمرائين، إذا جازى العباد بأعمالهم: (أذهبوا إلى الذين كنتم تراءون لهم في الدنيا، فانظروا هل تجدون عندهم الجزاء؟)(١٣٣١).

إنه شرك! ولم لا يكون شركاً؟ أليس أشرك بالله تعالى غيره من الذين ينظرون إلى عمله، ويأتي المراني العمل لله ولهم؟

إذاً: فليس لهم عند الله ثواب.. إنه يريد العمل الخالص، وعمل المراني ليس بخالص، وقال (صلى الله عليه وآله وسلم): (استعينوا بالله من جب الحزن!! قيل: وما هو يا رسول الله؟ قال (صلى الله عليه وآله وسلم): واد في جهنم أعد للقراء المرانين)(١٣٣٢).

ومن هم القراء المرأون؟ الذين يقرأون القرآن، رياءً لا عبادة، وما أكثرهم في هذا الزمان! وقال (صلى الله عليه وآله وسلم): (يقول الله تعالى: من عمل لي عملاً، أشرك فيه غيري، فهو له كله، وأنا منه بريء، وأنا أغنى الأغنياء من الشرك)(١٣٣٣).

١٣٢٤ - جامع السعادات: ٤٠٥/٢.

١٣٢٥ - سورة الإسراء: آية ٨٤.

١٣٢٦ - جامع السعادات: ٤٠٥/٢.

١٣٢٧ - سورة النساء: آية ٣٨.

١٣٢٨ - سورة النساء: آية ١٤٢.

١٣٢٩ - سورة البقرة: آية ٢٦٤.

١٣٣٠ - جامع السعادات: ٣٧٦/٢.

١٣٣١ - جامع السعادات: ٣٧٦/٢.

١٣٣٢ - جامع السعادات: ٣٧٦/٢.

وقال (صلى الله عليه وآله وسلم): (لا يقبل الله تعالى عملاً، فيه مثقال ذرة من الرياء) (١٣٣٤).
وكم مثقال الذرة؟ وما هي الذرة؟ الذرة: هي التي ترى في الشمس، إذا دخلت أشعتها الغرفة أو نحوها، من الكوة..
والمراد بالمثقال: ثقلها.. فكم تقدر ثقل الذرة؟.

وقال (صلى الله عليه وآله وسلم): (أن أدنى الرياء شرك) (١٣٣٥).
أليس جعل الله وغيره شريكاً في العمل؟ وإن كان المجعول لغيره مقدار واحد في عشرة آلاف. وأليس من أعطى
عشرة آلاف إلا واحداً شريكاً لمن أعطى واحداً ضمن ما أعطى الأول؟
وقال (صلى الله عليه وآله وسلم): (إن المراني ينادى عليه يوم القيامة، يا فاجر! يا غادر! يا مراني..! ضلّ عملك
وحبط أجرك، اذهب فخذ أجرك ممن كنت تعمل له) (١٣٣٦).

وكان (صلى الله عليه وآله وسلم) يبكي! فقيل له: ما يبكيك؟ قال: (إني تخوفت على أمّتي الشرك.. أما إنهم لا
يعبدون صنماً ولا شمساً، ولا قمرأً، ولا حجراً، ولكنهم يراؤون بأعمالهم) (١٣٣٧).
وقال (صلى الله عليه وآله وسلم): (سيأتي على الناس زمان تخبث فيه سرانرهم، وتحسن فيهم علانيتهم، طمعاً في
الدنيا، لا يريدون به ما عند ربهم، يكون دينهم رياءً، ولا يخالطهم خوف، يعمهم الله بعقاب، فيدعونه دعاء الغريق، فلا
يستجيب لهم) (١٣٣٨).

وما دعاء الغريق؟ انه دعاء المنقطع - بتمام معنى الكلمة - ومع ذلك لا يستجاب له!
وهل يستجاب دعاء من يلقي نفسه من شاهق، فيدعو في وسط الطريق - وهو يهبط - أن يحفظه الله من الوقوع!!
وقال (صلى الله عليه وآله وسلم): (إنّ الملك ليصعد بعمل العبد مبتهجاً به! فإذا صعد بحسناته، يقول الله عز وجل:
اجعلوها في سجين، إنه ليس إياي أراد به) (١٣٣٩).

وقال الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام): (اخشوا الله خشية ليست بتعذير، واعملوا بغير رياء وسمعة، فانه من
عمل لغير الله وكله الله إلى عمله يوم القيامة) (١٣٤٠).
والفرق بين الرياء والسمعة: أن الرياء هو أن يعمل الشخص عملاً ليراه الناس، فيمدحوه أو يقع من نفوسهم موقعاً
حسناً.. والسمعة هي أن يعمل الإنسان عملاً، ليسمع بعمله الناس، من دون أن يروه فعلاً، فيحصل على مدحهم
وإعجابهم، وكلاهما شرك، مذموم، ومعاقب عليه.

أما هذه الرواية، فتنسف غالب الأعمال الخيرية!

فمن منّا من لا يذكر عمله؟

استمع:

قال الامام الباقر (عليه السلام): (الإبقاء على العمل أشدّ من العمل).

قيل: وما الإبقاء على العمل؟.

قال (عليه السلام): يصل الرجل بصلة وينفق نفقة لله وحده. لا شريك له، فتكتب له سرّاً، ثم يذكرها، فتمحى...

فتكتب له علانية، ثم يذكرها، فتمحى، فتكتب له رياءً) (١٣٤١).

١٣٣٣ - جامع السعادات: ٣٧٦/٢.

١٣٣٤ - جامع السعادات: ٣٧٦/٢.

١٣٣٥ - جامع السعادات: ٣٧٧/٢.

١٣٣٦ - جامع السعادات: ٣٧٧/٢.

١٣٣٧ - جامع السعادات: ٣٧٧/٢.

١٣٣٨ - جامع السعادات: ٣٧٧/٢.

١٣٣٩ - جامع السعادات: ٣٧٧/٢.

١٣٤٠ - جامع السعادات: ٣٧٨/٢.

نعم.. إن ذلك لا بد وأن يحمل: على ما إذا ذكرها مباحة وافتخاراً، أما إذا ذكرها لتشجيع الغير، من دون أن يخطر بخاطره المباحة - وقليل جداً من لا يخطر بخاطره - فذلك من الإعانة على البر والتقوى.

وقال الإمام الصادق (عليه السلام): (قال الله تعالى: أنا خير شريك، فمن عمل لي ولغيري، فهو لمن عمل له غيري)(١٣٤٢).

وهذا تشبيهه ظريف: أليس الشريكان في التجارة، لو فوض الشريك حصته إلى شريكه كان خير شريك؟.. وكذلك العمل الذي يوتى به لله تعالى ولغيره - رياءً - فالله سبحانه يفوض حصته من العمل إلى شريكه الذي روني لأجله. إذًا: فليأخذ المراني ثوابه وأجره من ذلك الشريك.

قال الإمام الصادق (عليه السلام): (كل رياء شرك، إثم من عمل للناس كان ثوابه على الناس، ومن عمل لله كان ثوابه على الله)(١٣٤٣).

وقال (عليه السلام) - لعباد البصري - (ويلك يا عبّاد! إياك والرياء، فإنه من عمل لغير الله وكله الله من عمل له)(١٣٤٤).

قال (عليه السلام): (اجعلوا أمركم هذا لله، ولا تجعلوه للناس، فإنه ما كان لله، فهو لله، وما كان للناس، فهو لا يصعد إلى الله)(١٣٤٥).

ثم.. هل يحتاج الله إلى عمل حتى يقبل الرياء..؟ انه تعالى لا يحتاج إلى العمل الخالص فكيف بغيره.. لكنه سبحانه تطهيراً للنفوس وتنزيهاً لها عن الأوهام وما أشبه.. أمر بالعبادة ويثيب عليها، أما العمل الخليط، فهو تعالى غني عنه: يقول الإمام الصادق (عليه السلام): (قال الله تعالى: أنا أغنى الأغنياء عن الشريك، فمن أشرك معي غيري في عمل، لم أقبله، إلا ما كان لي خالصاً)(١٣٤٦).

وقد أبى الله سبحانه لصاحب الرياء، إلا أن يظهره على الناس، ويقتل في أعينهم عمله بخلاف ما كان له تعالى، فإنه يظهره للناس حسناً عظيماً... رأيت المجتمع يعرف المراني من المخلص؟ فمن أين ذلك؟ إثم من الله تعالى الذي يظهر الخير ويكثره، ويرى المراني ويقتل عمله.

قال الامام الصادق (عليه السلام): (في قول الله عزّ وجل: (...فَمَنْ كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا)(١٣٤٧)

الرجل يعمل شيئاً من الثواب، لا يطلب به وجه الله، إنما يطلب تزكية الناس يشتهي أن يسمع به الناس، فهذا الذي أشرك بعبادة ربه، ثم قال: ما من عبد أسراً خيراً فذهبت الأيام أبداً، حتى يظهره الله له خيراً، وما من عبد أسراً شراً، فذهبت الأيام، حتى يظهره الله له شراً)(١٣٤٨).

وقال (عليه السلام): (ما يصنع أحدكم أن يظهر حسناً، ويسرّ سيئاً؟ أليس يرجع إلى نفسه، فيعلم أن ذلك ليس كذلك..؟ والله عزّ وجل يقول: (بل الإنسان على نفسه بصيرة)(١٣٤٩) إن السريرة إذا صحت قويت العلانية)(١٣٥٠).

١٣٤١ - جامع السعادات: ٣٧٨/٢.

١٣٤٢ - جامع السعادات: ٣٧٨/٢.

١٣٤٣ - جامع السعادات: ٣٧٨/٢.

١٣٤٤ - جامع السعادات: ٣٧٩/٢.

١٣٤٥ - جامع السعادات: ٣٧٩/٢.

١٣٤٦ - جامع السعادات: ٣٧٨/٢.

١٣٤٧ - سورة الكهف: آية ١١٠.

١٣٤٨ - جامع السعادات: ٣٧٨/٢.

١٣٤٩ - سورة القيامة: آية ١٤.

١٣٥٠ - جامع السعادات: ٣٧٩/٢.

وقال (عليه السلام): (من أراد الله عزّ وجل بالقليل من عمله، أظهره الله له أكثر مما أراد به، ومن أراد الناس بالكثير من عمله، في تعب من بدنه، وسهر من ليله، أبى الله إلا أن يقلله في عين من سمعه)(١٣٥١).

وسرّ ذلك واضح، إذ المراني لا ينفك يراني حتى يظهر رياءه من فلتات لسانه، أو جوانب أعماله.. وإذا عرف الناس منه رياءً واحداً - فكيف بالكثير- ازدروه حتى أنّ أعماله الخالصة، لتحترق في أعين الناس، لأجل ذلك الرياء الواحد.

كالرجل الكذوب الذي لا يفتأ يكذب، حتى يطلع الناس على كذبة واحدة في كلامه، فلا يصدّقون، حتى فيما صدق فيه.

وقال الإمام الرضا (عليه السلام) - لمحمد بن عرفة -: (ويحك يا ابن عرفة! إعملوا لغير رياء ولا سمعة، فإنّه من عمل لغير الله وكله الله إلى ما عمل، ويحك! ما عمل أحد عملاً، إلا أراد الله به إن خيراً فخييراً وإن شراً فشرّاً)(١٣٥٢).

الإخلاص بين السر والعلانية

هذا سؤال يسأله الكثير، في هذا الصدد.. كيف نصنع بما فطرنا عليه من حب إطلاع الناس، وإن كنا نكره هذه الحالة من أنفسنا، أليس الإنسان يسرّ بإطلاع الناس على أعماله الخيرية؟

والجواب: إنّ الإسلام لا يكره هذا، بل يجعل له ثواباً ضعفاً.

روي: (إنّ رجلاً جاء إلى النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) فقال: إني أسرّ العمل.. لا أحبّ أن يطلع عليه أحد، فيطلع عليه، فيسرّني؟.

قال (صلى الله عليه وآله وسلم): لك أجران: أجر السرّ وأجر العلانية)(١٣٥٣).

أجر السرّ واضح، إنّه عمل مخلص فيه، وكم له من أجر، وأمّا أجر العلانية فلأنّه يسبب إقتداء الناس، وقوة الدين، وإشاعة الخير.

وسئل الإمام الباقر (عليه السلام): (عن الرجل يعمل الشيء من الخير، فيراه إنسان، فيسرّه ذلك.

قال (عليه السلام): لا بأس، ما من أحد إلا وهو يحب أن يظهر الله له في الناس الخير، إذا لم يكن صنع ذلك لذلك)(١٣٥٤).

وعن لسان النبي إبراهيم (عليه السلام) يحكي القرآن الكريم: (وَاجْعَلْ لِي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ)(١٣٥٥).

لكن مقام استواء الناس بنظر العامل، حتى أنّه لا يفرح بإطلاعهم، ولا يحزن بعدمه - إلا من جهة الأسوة وما أشبهه: مما هو راجع إلى الله تعالى أيضاً - مقام رفيع ومنزلة سامية لا يلقاها إلا الذين جاهدوا وراقبوا، حتى لم يروا إلا الله تعالى.

ودعاء إبراهيم (عليه السلام) سؤال للأجل الأسوة والإقتداء والله العالم، وهو المستعان.

- ١٣٥١ - جامع السعادات: ٣٧٩/٢.
- ١٣٥٢ - جامع السعادات: ٣٧٩/٢.
- ١٣٥٣ - جامع السعادات: ٣٨٣/٢.
- ١٣٥٤ - جامع السعادات: ٣٨٣/٢.
- ١٣٥٥ - سورة الشعراء: آية ٨٤.

النفاق

هل رأيت أحداً يحبّ النفاق والمنافقين؟.

كلا! إنك لم تره، ولم يره بشر، ولن يراه.

فلم كلنا ينافق؟ ولم ترى الظاهر في الناس على خلاف الباطن فكل يشرب حسواً في ارتغاء؟.

إنه النفاق: هو أن يظهر الإنسان للناس بمظهر حسن جميل وينطوي على باطن سيء قبيح، أما أن يخفي عن الناس صلته وصلاته، تقريباً وزلفى، أو يمدحك خلف ظهرك، ثم يتورّع عن الرياء فيصلت أمامك.. فليس هذا من النفاق، بل من أحسن الخصال الذي لا يتحصّل عليه الشخص إلا بمجاهدات نفسية شاقة، لا يحصل عليها إلا ذو حظ عظيم.

أما النفاق، سواء كان في الإيمان والدين، أم في العبادة والطاعة، أم في العشرة والاجتماع... وسواء كان لطلب ثروة أو صيت أو زوجة أو منصب.. فهو من أرذل الصفات، وأقبح الأعمال! والملكات.

وفي كل إنسان - إلا من عصم - بذرة من النفاق، فإن سقاها وربّأها، وعنى بها ورعاها.. أتت أكلها المرة، وأصبح صاحبها منافقاً.. أما من راقب نفسه، حتى أخرجها من قلبه، ثم حصّن نفسه بالإخلاص والصرامة.. لم تمض مدة إلا ونقى قلبه نقاء اللجين وصارت الفضيلة المتمثلة: في الصدق والإخلاص والصرامة - ملكة - له.

وهناك ينهال عليه المدح والثناء، من الأقرباء والبعداء، يوضع موضع العز والاحترام والإجلال والإعظام.. بخلاف المنافق، فإنه مهان مردول، يجتنب عنه اجتناب الإنسان عن الحية الملساء، التي ظاهرها مليح، وباطنها سمّ نقيع.

ومن هنا نرى الإسلام العظيم، يذمّ النفاق، ويلعن المنافقين ويجعل مكانهم أسفل السافلين: (إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرَكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ...) (١٣٥٦). (... وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ) (١٣٥٧) (... وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَقْفَهُونَ) (١٣٥٨). وغيرها وغيرها.

يروى (إنّ الله تعالى أوحى إلى عيسى المسيح (عليه السلام): يا عيسى، ليكن لسانك في السر والعلانية، لساناً واحداً، وكذلك قلبك، إنني أحذرك نفسك، وكفى بي خبيراً، لا يصلح لسانان في فم واحد، ولا سيفان في غمد واحد، ولا قلبان في صدر واحد وكذلك الأذهان) (١٣٥٩).

وقال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): (من كان له وجهان في الدنيا، كان له لسانان من نار يوم القيامة) (١٣٦٠).

وجه يطريك، ووجه يزريرك، فإذا شهدت مدحك وأثنى عليك، وإذا غبت انتقصك وأهانك... ومن المعلوم إنّ لسانه المادح، أو لسانه الذام ليس إثمًا بذاته - لأن من يستحق المدح، لا إثم في مدحه، ومن يستحق الذم لا إثم في ذمه - وإنما صار له لسانان من نار، لأن هذا العمل بذاته، يجعل الحسن قبيح ألا ترى أنّ الناس يكرهون حتى مدح من يذمهم، وقد ورد (من مدح وذم كذب مرتين).

-
- ١٣٥٦ - سورة النساء: آية ١٤٥.
 - ١٣٥٧ - سورة المنافقون: آية ١.
 - ١٣٥٨ - سورة المنافقون: آية ٧.
 - ١٣٥٩ - جامع السعادات: ٤١٣/٢.
 - ١٣٦٠ - جامع السعادات: ٤١٢/٢.

واليك المشهد الهائل المخزي الذي يتقرز منه الإنسان، ويقف شعر جلده، ولو لم يكن للمنافق عقوبة إلا هذه لكفت هو لا وتنقرأ وهذا هو المشهد:

قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): (يجيء يوم القيامة ذو الوجهين، دالعاً لسانه في قفاه، وآخر من قدمه يلهبان ناراً، حتى يلهبان خده، ثم يقال: هذا الذي كان في الدنيا ذا وجهين وذا لسانين، يعرف بذلك يوم القيامة)(١٣٦١).

وماذا يريد ذو الوجهين: هل خير الدنيا؟ والحال أنه في الدنيا ممقوت منفور لا يؤبه له، وما حال من يرى مدحه قدحاً وثناؤه ذمماً، وإطراؤه نفاقاً وكذباً؟ أو خير الآخرة؟ وقد رأيت مشهده الفظيع المخزي من ثنايا كلام رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم).

وقد أُرِدَف الإمام الباقر (عليه السلام) هذه الصفة المخزية، بما يلزمها غالباً وهو الحسد فإنَّ المنافق لا بد وأن يكون حسوداً إذ النفاق لا يكون إلا عن صغير النفس، وكل صغير النفس حسود، لا يتمكن أن يرى النعمة لغيره، فهو دائماً يريد زوال النعمة.

قال الامام (عليه السلام): (البئس العبد عبد يكون ذا وجهين وذا لسانين، يطري أخاه شاهداً ويأكله غائباً، إن أعطي حسده، وإن ابتلى خذله)(١٣٦٢).

والمنافق بطبعه النفاقي ليس أميناً، ولو كان أميناً لكان أميناً في لسانه ولذا ورد في التوراة: (بطلت الأمانة، والرجل مع صاحبه بشفتين مختلفتين يهلك الله يوم القيامة كل شفتين مختلفتين)(١٣٦٣). فلا يأمن الإنسان المنافق، ولا يودعه مالاً أو عرضاً أو ما أشبهه، فإنه يخون فيه.

إنَّ الصفات الذميمة حلقات متسلسلة، أخذة بعضها برقاب بعض، فالنفاق، والحسد والخيانة كلها مقترنة في سلسلة واحدة.

ولذا يلزم على الإنسان أن يجاهد ويجاهد لإزالة هذه الصفات من نفسه، بقلع جذور النفاق، فليتكلمه شاهداً أو غائباً بحق، وإلا فإن كان جباناً لا يقدر على المجاهرة بالحق، أو كان هناك مصلحة تقتضي الرفق والمداراة فليسكت، لا يطري شاهداً، ولا يذم غائباً.

ومن غريب الصفات (عكس النفاق).

فإن من الناس من يذم حاضراً، ويطري غائباً.. إنها صفة سبعية تطاولية، فإذا رأى الصديق ذمه، إثباتاً لاعتلائه عليه وإظهاراً، لشجاعته وجراته، فإذا غاب الصديق، مدحه، حيث لا يجد مانعا عن المدح.

وهذه الصفة، وإن كانت أهون من الأولى، إلا أنها مهلكة، ورتيلة، فالصديق من صدقك، وحفظك شاهداً وغائباً، لا من أطرك في حال، وذمك في حال مهما كان سبب الإطراء والذم، وكيفما وضع الوصفين في المشهد والمغيب.

١٣٦١ - جامع السعادات: ٤١٢/٢ .

١٣٦٢ - جامع السعادات: ٤١٣/٢ .

١٣٦٣ - جامع السعادات: ٤١٣/٢ .

الغرور

(...وَكُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ بِمِقْدَارٍ)(١٣٦٤) و(... مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْزُونٌ)(١٣٦٥) هكذا يقول الله سبحانه في القرآن الحكيم، فكل شيء مقدر بمقداره، وكل شيء موزون بوزن.

وحيث ان الإنسان ناقص بالطبع، وأمامه درجات لا تتناهى، دنيا وآخره، فكل ظن كمال، خلاف الوزن والتقدير، وخلاف الحق والحقيقة.

وهذا هو (الغرور) إنك إن اغتررت بمالك - والمال عرضة الزوال - كنت مغروراً لأنه تقدير للمال، بغير قدرة، وإن اغتررت بجمالك - والجمال ظل زائل - كنت مغروراً لأنه تقدير للجمال بالدوام وإمكان الاعتماد عليه، بينما ليس هو كذلك، بل يكون حيناً ويعدم أحياناً. وإن اغتررت بعلمك - والعلم بحر لحي، ولا يتمكن الإنسان من احتوانه إلا كمن يقدر من اغتراف غرفة من البحر - كنت مغروراً، لأنك ظننت الكمال، وأنت بعد في أول المراحل.. وهكذا من اغترَّ بسلطانه، وقوته وسائر مزاياه.

أما ان اغترَّ بما ليس بمزية واقعية، فهو (مغرور مركب) مثل (الجاهل المركب) إنه مرة مغرور لأنه حسب النقص كمالاً، ومرة أخرى مغرور، لأنه حسب الوصول إلى النهاية في كماله المزعوم.

من هذه الجهة، كان الغرور مذموماً، - إنه كذب وخلاف الواقع.

من جهة أخرى يكون مذموماً، لأنه يوقف بالإنسان إلى المراتب الدانية من الكمال ويجمد الفكر عن الانطلاق نحو آفاق الكمالات الواسعة، ونحو أبعاد الفضيلة الشاسعة.

ولذا ذمَّه الإسلام ذمّاً قارصاً، وأرصد له أكبر قدر من التنفير والذم.

قال القرآن الحكيم: (... فَلَا تُغْرَبْكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا...)(١٣٦٦) فتفقدون عن اكتساب الكمال اللائق بكم اعتماداً على

الدنيا، وما قدمت اليكم من بهارجها وزيفها (... وَلَا يَغُرَّتْكُمْ بِاللَّهِ الْغُرُورُ)(١٣٦٧).

فالغرور هو الشيء الذي يسبب غرور الإنسان سواء كان مالاً أو جاهاً أو علماً أو عملاً.. فإن هذه الأمور تغرّ الإنسان بالله، فلا يدرك ما أراه الله سبحانه في السير السريع الدائب نحو الفضيلة والعمل الصالح.

وفي آية أخرى، تدم أهل الغرور، يقول سبحانه: (... وَلَكِنَّكُمْ فَتَنْتُمْ أَنْفُسَكُمْ وَتَرَبَّصْتُمْ وَارْتَبْتُمْ وَغَرَّتْكُمُ الْأَمَانِيُّ حَتَّى

جاءَ أَمْرُ اللَّهِ وَغَرَّكُمْ بِاللَّهِ الْغُرُورُ)(١٣٦٨).

ولنقف قليلاً عند قوله تعالى: (وغرّتمكم الأمانى) إن الإنسان يتمنى (بقاء المال) و(بقاء العمر) و(بقاء الأولاد) و(بقاء

المنصب) كما يتمنى الأمور المستقبلية، من جاه يترقبه، أو مال ينتظره، أو ما أشبهه، وهذه الأمانى هي التي تحول بين الإنسان وبين الطاعة، فإذا قلت له: لم لا تحج؟ قال: في السنة المقبلة - لأنه يتمنى بقاء العمر - وإذا قلت له: لم لا

١٣٦٤ - سورة الرعد: آية ٨.

١٣٦٥ - سورة الحجر: آية ١٩.

١٣٦٦ - سورة لقمان: آية ٣٣.

١٣٦٧ - سورة لقمان: آية ٣٣.

١٣٦٨ - سورة الحديد: آية ١٤.

تزكي؟ قال: سوف أزكي - لأنه يتمنى بقاء ماله أو وفرته.. وإذا قلت له: لم تصرف عمرك باطلاً؟ قال: سأتجرّد للعلم والعمل - لأنه يظن أنّ العمر سيمتد به حتى يفعل ما يريد وهكذا (و إذا عصارة كل ذلك أنامه).
ان الخير لا يحصل بالأمنية، والشر لا يذهب بالأمنية: (ليسَ بِأَمَانِيكُمْ وَلَا أَمَانِيَّ أَهْلَ الْكِتَابِ مَنْ يَعْمَلُ سُوءًا يُجْزَى بِهِ...) (١٣٦٩).

ولذا ورد الرصيد الكبير من الروايات حول ذمّ الغرور.
قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): (حبّذا نوم الأكياس وفطرتهم كيف يغبنون سهر الحمقى واجتهادهم، ولمثقال ذرة من صاحب تقوى ويقين أفضل من ملاء الأرض من المغترين) (١٣٧٠).
أرأيت كيف يربح المهندس الذي يشتغل ساعة، وينام طول ليله بملاً جفنيه، حينما يخسر العامل وإن كدليل نهار، إنّ الأول يأخذ بتصميم بناء في نصف ساعة خمسة دنانير، بينما الكادح يأخذ ديناراً لعمل اثني عشرة ساعة؟
وهكذا الفرق بين (المتقي) الذي يصلي واجبه، وينام ليله وبين (المغرور) الذي يصلي ليل نهار يظن أنّ صلاته عظيمة، وأنّه قد أسدى بذلك خدمة كبرى لله سبحانه.

وقال الإمام الصادق (عليه السلام): (المغرور في الدنيا مسكين، وفي الآخرة مغبون، لأنه باع الأفضل بالأدنى، ولا تعجب من نفسك، فربما اغتررت بمالك وصحة جسدك، أن لعلك تبقى، وربما اغتررت بطول عمرك وأولادك وأصحابك، لعلك تنجو بهم، وربما اغتررت بجمالك ومنيك وإصابتك مأمولك وهواك، فظننت أنك صادق ومصيب، وربما اغتررت بما ترى من الندم على تقصيرك في العبادة، ولعل الله يعلم الإخلاص، وربما افتخرت بعلمك ونسبك وأنت غافل من مضمرات ما في غيب الله تعالى، وربما توهمت أنك تدعو الله تعالى وأنت تدعو سواه، وربما حسبت أنك ناصح للخلق، وأنت تريد لهم لنفسك أن يميلوا إليك، وربما ذممت نفسك وأنت تمدحها على الحقيقة) (١٣٧١).

وهناك نوع آخر من الغرور يبتلي به كثير من الناس، يدعون بناتهم كيما يحصلون على زوج مرغوب فيه مالا أو جاهاً أو ما أشبهه. أو يتربصون بأنفسهم وهم في ريعان الشباب إبتغاء زوجة يتخيلونها أو يتركون معلماً لانقاً طلباً لغيره، أو لا يهتمون فرصة ثمينة تربصاً لأحسن منها، وهكذا.
وإذا بهن عوانس وبهم كهولاً، ويبقون بلا معلم، وقد ذهب الفرصة، وبان الغرور سراباً خادعاً، وخيالاً باطلاً، فيقولون:

ألا ليت الشباب يعود يوماً***فخيره بما فعل المشيب

والجواب: ليت، وهل ينفع شيئاً ليت؟.

ونوع آخر من الغرور، الاعتماد على النفس أو القوة أو ما أشبهه، مما يحول دون التهيب الكامل، لمواجهة الأمر المترقب، وغالباً ما يسبب هذا النوع من الغرور انحطاط الأمم وتأخر الأنكباء، وانكسار التجار، بينما الذي ليس بمغرور يجد ويجتهد لنلا يبقى في آخر القافلة.

وقصة (الأرنب والسلحفاة) مشهورة، حيث تشارطا على قطع المسافة من مبدأ معلوم إلى شجرة معينة، فأيهما سبق صاحبه كان له السبق، فأشتغل الأرنب بلعبه ولهوه، اعتماداً على سرعته وقفزه، بينما اهتمت السلحفاة في المشي، وإذا بالأرنب يتلفت، ليرى السلحفاة عند الشجرة، حيث سبق لها إذ تقدمت في السبق.
وفي مقابل (الغرور) الفطانة والكياسة.

١٣٦٩ - سورة النساء: آية ١٢٣.

١٣٧٠ - جامع السعادات: ٧/٣.

١٣٧١ - جامع السعادات: ٧/٣.

الظن الكيس، هو الذي يقدر الأمور حقّ قدرها، وينظر إلى الأشياء بالمنظار الصحيح، ولذا يدأب أبدأً، وإن كان أحسن الناس علماً وعملاً ومالاً وجمالاً وجاهاً ومنصباً.. ومثله حري بالتقدم والفوز، سواء كان كيساً في أمور دنياه أو في أمور آخرته.

نعم الكياسة الحقة، هي التي كانت بالنسبة إلى أمور الآخرة.

قال الامام الصادق (عليه السلام): (إعلم انك لن تخرج من ظلمات الغرور والتمني، إلا بصدق الانابة إلى الله، والإخبات له، ومعرفة عيوب أحوالك، من حيث لا يوافق العقل والعلم، ولا يحتمله الدين والشريعة وسنن القدوة، وأئمة الهدى، وإن كنت راضياً بما أنت فيه، فما أحد أشقى بعملك منك، وأضيق عمراً، فأورثت حسرة يوم القيامة)(١٣٧٢). فإنه ليس متاع الحياة الدنيا في الآخرة إلا قليل، والدنيا ليست إلا لعباً ولهواً... فالكيس الظن هو الذي يهيء نفسه لأخرته، ويدأب ليل نهار لتحصيل المقامات الرفيعة هناك.

وليس معنى هذا أن الانسان يترك الدنيا، فان الدنيا مزرعة الآخرة، ولقد قال أحد الملحدين: (إنّ المسلمين حيث كانوا متوجهين إلى السماء، أتتهم الأرض منقاداً، وحيثما توجهوا إلى الأرض، فأتتهم السماء والأرض) فمن الجدير بالإنسان أن يواظب على نفسه حتى لا يغتر.

ومن المشهور أن سبب فناء أمة وقيام أمة، أو بوار حكومة أو تجدد حكومة: هو إن الأولى من الأمة أو الحكومة تكسل وتترهل فتفقد عنصر البقاء ويأخذها الغرور، فلا تعمل، بينما تعمل الأمة الثانية وتنشط نواة الحكومة المستقبلية، فتأخذ الثانية مكان الأولى.

طول الأمل

(إعمل لدنياك كأنك تعيش أبداً، واعمل لآخرتك كأنك تموت غداً)(حديث شريف) وهذا الحديث هو عنوان المؤمن الظن حقاً، يعمل لإصلاح الدنيا وتقدم الحضارة، عمل من يرى أن الدنيا أبدية دائمية، فيعبّد الأرض، ويشقّ الأنهار، ويزرع الفيافي، ويعمر البلاد، وما إلى ذلك من زينة الحياة الدنيا، وبهجة الحضارة البشرية... هذا من جانب، ومن جانب آخر يعمل للآخرة، كأنه يموت غداً، فيصلي لربه الفرائض، ويؤدي الصدقة الواجبة، ويحج البيت إن استطاع إليه سبيلاً، ويصوم الصوم الواجب، ويأمر بالمعروف ويتحلى بالفضيلة، ويجتنب المحرمات والمأثم، حتى لا يبالي أمات غداً أو بعد ألف سنة.

وهكذا إنسان هو الجامع بين خير الدنيا وخير الآخرة.

أما الذي يؤخر أمر الآخرة كأنه يعيش أبداً، ويقدم أمر الدنيا فهو الذي له (أمل خاطئ) ومثل هذا الأمل مذموم مهلك، إنه يعتقد بقاءه مدة متمادية، فيهيء لنفسه لوازم لهذه المدة من مال ودار وأثاث ورياش، ثم لا يلتفت إلى الآخرة يرجى الحج ويؤخر الخمس، ولا يخرج عن المظالم، ولا يبادر بقضاء ما فاتته من صلاة وصيام وهكذا فجأة يأتيه الموت، فيقول: (... رَبِّ ارْجِعُون، لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحاً فِيمَا تَرَكْتُ...)(١٣٧٣) فيجاب ب (كلا!).

يقول الشاعر:

١٣٧٢ - جامع السعادات: ٣/٣٤.
١٣٧٣ - سورة المؤمنون: آية ٩٩ - ١٠٠.

يا من بدنياه اشتغل***قد غرّه طول الأمل

والموت يأتي بغتة***والقبر صندوق العمل

وهذه الصفة أعني (طول الأمل) تفسد الدنيا، قبل إفسادها للأخرة، إن من طال أمله لم يجعل الموت والآخرة نصب عينيه لا بد وأن يتعدى عن الحدود المصلحة للاجتماع، والموازين المقررة لإصلاح النفس، وقتله يفسد ويسبب التأخر والاحتياط.

ولذا حذر الإسلام من طول الأمل أشدّ تحذير.

قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): (إن أشدّ ما أخاف عليكم خصلتان: إتباع الهوى وطول الأمل، فأما إتباع الهوى فإنه يصدّ عن الحق، وأما طول الأمل فإنه الحبّ للدنيا)(١٣٧٤) إتباع الهوى يصد عن الحق، وكيف؟ فإنه من اتبع هواه كان الهوى قائده، ولم ينظر إلى الحق، انه يتبع هواه في تحصيل المال، فيغضب ويرابي ويحتكر، ويظلم الفقراء والأيتام والضعفاء في سلبهم لقمة العيش هكذا، ويتبع هواه في تحصيل الجاه، فيقتل الناس بغير الحق، ويضرب، ويحبس، ويبعد، وهكذا، أما من كان الحق رائده، فإنه مقيد بالحق، إن أباح له الحق تبع، وإن خطر عليه الحق اجتنب.

وأما طول الأمل، فإنه الحب للدنيا فقط، وهذا ميزان مائل فإن أحب يجب أن يقسم بين الدنيا والآخرة، فيجعل للدنيا من الحب: مقدار العبور والانتقال، وللآخرة من الحب: مقدار البقاء والاستقرار، كمن يريد أن يعبر قنطرة إلى روضة، إنه يحب القنطرة ويصلحها، وإلا كيف يمكن العبور عليها وكفى حبه لها حب عرضي مرحلي، لا حب ذاتي أصلي، أما حبه للروضة التي يقصدها، فهو حب بالذات، وهذا هو الميزان العادل.

وقد قال الإمام المرتضى هذا الكلام مع اختلاف يسير في اللفظ والاحتفاظ بجوهر المعنى، قال (عليه السلام): (إن أخوف ما أخاف عليكم اثنتين: اتباع الهوى وطول الأمل، أما اتباع الهوى: فإنه يصد عن الحق، وأما طول الأمل: فإنه ينسي الآخرة)(١٣٧٥).

ثم.. أردف الرسول الأعظم بكلمته السابقة قوله: (.. إن الله يعطي الدنيا من يحب ويبغض، وإذا أحبّ عبداً أعطاه الإيمان، إلا أن للدين أبناء، وللدنيا أبناء، فكونوا من أبناء الدين، ولا تكونوا من أبناء الدنيا، إلا أن الدنيا قد ارتحلت مولية، إلا إن الآخرة قد أتت مقبلة، ألا وأنكم في يوم عمل ليس فيه حساب، ألا وأنكم يوشك أن تكونوا في يوم حساب ليس فيه عمل)(١٣٧٦).

والمراد بأبناء الدين، من ينظر إلى كل من الدنيا والآخرة كما قال سبحانه: (وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الآخِرَةِ حَسَنَةً...)(١٣٧٧) فإن العمل للدنيا أيضاً من الدين، أما المراد بأبناء الدنيا، فهم الذين يتكالبون على حبها والتزود منها، كيفما كان، ناسين الآخرة: (... وَهُمْ عَنِ الآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ)(١٣٧٨).

وقال (صلى الله عليه وآله وسلم) في كلمة أخرى يذمّ فيها الأمل: (تجا أول هذه الأمة باليقين والزهد، ويهلك آخر هذه الأمة بالبخل والأمل)(١٣٧٩).. ولعلّ مراده (صلى الله عليه وآله وسلم) من (النجاة) نجاة الدنيا والآخرة، ومن الهلاك (هلاك) الدنيا والآخرة، فإن الزاهد المتيقن، لا يترك الدنيا لكي يستغلها الفساق والظالمون، فيملونها فساداً وتباراً، بل يجاهد في سبيل الله والمستضعفين وبذلك تعمر الدنيا، كما يعمر آخرته بالعمل الصالح، الذي يحفز إليه زهده

١٣٧٤ - جامع السعادات: ٣٦/٣.

١٣٧٥ - أصول الكافي: ٣٣٦/٢ - جامع السعادات: ٣٦/٣، الهامش.

١٣٧٦ - جامع السعادات: ٣٦/٣.

١٣٧٧ - سورة البقرة: آية ٢٠١.

١٣٧٨ - سورة الروم: آية ٧.

١٣٧٩ - جامع السعادات: ٣٦/٣.

ويقينه، بخلاف البخيل الطويل الأمل، فإنه حيث يحب الدنيا وزينتها ولا يكافح في سبيل الحق، وكيف يكافح؟ أليس الكفاح قد يؤدي بالإنسان، فيهلك وقد يؤدي بماله فيتلفه، ولذا يستغل الدنيا الآثمون، الذين يُفسدون ويُفسدون.

وقال الرسول الأعظم في كلمة أخرى: (إذا أصبحت فلا تحدث نفسك بالمساء، وإذا أمسيت فلا تحدث نفسك بالصباح، وخذ من صحتك قبل سقمك، ومن حياتك قبل موتك، فإنك لا تدري ما اسمك غداً)(١٣٨٠).

وسمع الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم): أن أسامة اشترى وليدة بمائة دينار إلى شهر، فقال: (إن أسامة لطويل الأمل، والذي نفسي بيده، ما طرفت عيناى إلا ظننت أن شفري لا يلتقيان، حتى يقبض الله روعي، ولا رفعت طرفي فظننت أتى واضعه حتى أقبض، ولا لقيت حتى ظننت إنى لا أسيغها حتى أعض بها من الموت ثم قال (صلى الله عليه وآله وسلم): يا بني آدم إن كنتم تعقلون فعدوا أنفسكم من الموتى، والذي نفسي بيده إن ما توعدون لآت وما أنتم بمعجزين)(١٣٨١).

ما أروعها من كلمة، وما أجملها من حكمة، وما أصدقها من قولة..

ألم تر - وخصوصاً في هذه الايام التي انطوت فيها مناهج الصحة الإسلامية عن المجتمع - أناسا ماتوا بالفجأة، حيث يضحكون أو يتكلمون، أو يأكلون أو ما أشبه.. وقد كان أبي، رحمه الله، يتوضأ عصرًا، تهيؤاً لصلاة المغرب والعشاء، وفي أثناء الوضوء لبي داعية الموت، ولم يمهلها الأجل حتى يكمل وضوءه.. وأخت لي كانت في ريعان الشباب، ذهبت أول الليل إلى سطح الدار لتنام، وفي الصباح أتينا بها جثة هامدة، حيث لم يعرف الذين كانت نائمة في وسطهم في أية لحظة، سلّمت روحها إلى بارئها، وهكذا، وهكذا.. فبعد ذلك يكون الانسان طويل الأمل إذا رجا بقاءه شهراً؟ وليس معنى ذلك ان تبطل المعاملات والمداينات، بل معناه أن يهتم الانسان بإتقان أموره حتى إذا مات في اللحظة حيث لا يحتسب لا يكون بدون تهيئة واستعداد.

وفي حديث آخر: إن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) قال: (يا أبا ذر أتحب أن تدخل الجنة؟ قال: نعم، فذاك أبي. قال: أقصر من الأمل، واجعل الموت بين عينيك، واستح من الله حق الحياء)(١٣٨٢) ان الاستحياء من الله حق الحياء كافي في سوق الانسان إلى أعلى مراتب الجنان، لكن الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) أكد على (قصر الأمل) و(ذكر الموت) لأنهما من أهم المحفزات لصلاح الانسان، المنتهى به إلى الجنة قطعاً.

وكان رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) يقول في دعائه: (اللهم إني أعوذ بك من دنيا تمنع خير الآخرة، وأعوذ بك من حياة تمنع خير الممات، وأعوذ بك من أمل يمنع خير العمل)(١٣٨٣).

وقال أمير المؤمنين (عليه السلام): (ما أطال عبد الأمل، إلا أساء العمل)(١٣٨٤).

فليقصر الانسان من أمله ويهتم بعمله، وإذا حدثته نفسه بالأمال، فليزها بزمام الزهد والموعظة، فإن قصر الأمل موجب لخير الدنيا وسعادة الآخرة.

من أهم ما يوجب قصر الأمل، والإقبال على العمل (ذكر الموت) والذهاب إلى المقابر، وتذكر أحوال الماضي من الأقارب والأصدقاء، ومطالعة كتب السابقين الذين عاشوا في الدنيا طويلاً، ثم:

جرت الرياح على محل ديارهم***فكأنهم كانوا على ميعاد

١٣٨٠ - مكارم الأخلاق: ٤٥٩ - جامع السعادات: ٣٧/٣.

١٣٨١ - جامع السعادات: ٣٧/٣.

١٣٨٢ - مكارم الأخلاق: ٤٦٥ - جامع السعادات: ٣٨/٣، نحوه.

١٣٨٣ - جامع السعادات: ٣٨/٣.

١٣٨٤ - جامع السعادات: ٣٧/٣.

أحسنوا أم أسأؤوا، بنوا أو هدموا، أصلحوا أو أفسدوا، كسلوا أم نشطوا، ثم ذهبوا، ولم تبق منهم باقية، فهم رهائن القبور، ومضامين اللحد، ورهائن التراب، لا يتنفس منهم أحد، ولا يعمل منهم إنسان، ولا يفرحون بأفراح الدنيا ولا يحزنون بأحزانها، فكأنهم لم يكونوا، وكأنهم لم يأتوا ولم يذهبوا.

وكذلك التفكير في أحوال الأموات الذين يموتون من أقارب الإنسان وأصدقائه أو من الأبعدين.

فإذا حملت إلى القبور جنازة***فاعلم بأنك بعدها محمول

كل ابن أنثى وإن طالت سلامته***يوماً على آله حذاء محمول

وخصوصاً إذا صاروا جماعة من أهل التقوى، وأخذوا في تذكر أحوال الأموات، وتفكروا في الفناء وتذكروا قصص الماضين، وبكوا وتباكوا، وانتحبوا وأكثروا من الاسترجاع، فإنه ينبت في القلب حب الآخرة والزهادة في الدنيا، والتهيب للعمل الصالح، والتجافي عن زخارف الحياة، والكف عن الظلم والفساد.

ولذا يقال: إن الصالحين من السابقين كانوا يعتقدون مثل هذه المجالس، ويكثر التردد على المقابر، وقد نقل لي أحد الثقات: إنه ذات مرة ذهب إلى المقبرة حيث هي مقفرة - حتى من الزائرين - وإذا به يسمع صوتاً ضعيفاً من قبر، قال فدنوت، وإذا بقبر غير مصموم، وأسمع من داخله إنساناً يقول: (... رَبِّ ارْجِعُونِ، أَعْمَلُ صَالِحاً فِيمَا تَرَكْتُ...)(١٣٨٥) وبعد الإلحاح والترداد والتكرار، وإذا بالقائل يرد على نفسه: قد رجعتك فاعمل صالحاً، قال الرواي: وإذا بي أرى (السيد ميرزا مهدي) - ويقصد والدي، رحمه الله - قد خرج من القبر وهو مغبر مترب كاسف الببال، قال: فلما رأيته أخذتني العهود والمواثيق أن لا أذكر ذلك لأحد ما دام في الحياة.

ويروى أن أحد الملوك كان جالساً في قصره وحوله وزراؤه، وإذا به يرى أن زاهداً يريد الدخول في القصر والخدم يدفعونه فيحتج عليهم، بأنه لم يمنعوه عن الاستراحة برهة في هذا (الخان) - أي محل المسافرين - فاستشاط السلطان غضباً، وأمر من يحضر الزاهد لديه، فلما حضر، قال له: وكيف تقول هذا خان؟ قال الزاهد: فما هذا؟ قال الملك: إنه قصر ملوكي. قال الزاهد: لمن كان قبلك؟ قال الملك: لجدِّي، قال الزاهد: ثم لمن؟ قال الملك: لأبي، قال الزاهد: ثم لمن؟ قال الملك: لي، قال الزاهد: ثم لمن؟ قال الملك: لولدي. فقال الزاهد: فقد أقررت أنه خان أليس الخان محل المسافرين؟ وأليس أبوك وجدك كانا مسافرين نزلاً فيه ثم ارتحلا؟ وهكذا أنت تعترف بنزولك فيه وارتحالك بعد قليل ليخلفك ابنك؟ فانتبه الملك، ثم تسلل ليلاً عن القصر، والتحق بالزاهد.

قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): (أكثروا ذكر هادم اللذات قيل: وما هو يا رسول الله؟؟ قال: الموت، فما ذكره عبد على الحقيقة في سعة إلا ضاقت عليه الدنيا، ولا في شدة إلا اتسعت عليه)(١٣٨٦).

إن الإنسان ربما تضيق عليه الدنيا، بسبب فقر أو مرض، أو موت قريب أو ذهاب جاه، أو ما أشبه فإذا ذكر الموت، وتذكر فناء الدنيا، وإن كان حاله إلى زوال، لا بد وأن ينشرح، وأن تتسع نفسه، ويجلو همّه.. وبالعكس، ربما تتسع الدنيا لإنسان، ويفرح فرحاً كثيراً، حتى أنه إذا بقيت له تلك الحالة، سببت طغياناً، وخبالاً، فإذا تذكر وتفكر، وذكر الموت والبلاء، لا بد وأن يحزن لانه يعلم عدم بقاء الحالة، وعدم مبرر للفرح بما أوتي من مال أو جاه أو ما أشبه، فحبذا تذكر الموت دواءً ناجعاً للحالتين.

وقال (صلى الله عليه وآله وسلم): (تحفة المؤمن الموت)(١٣٨٧) وقال (صلى الله عليه وآله وسلم): (الموت كقارة

لكل مسلم)(١٣٨٨).

١٣٨٥ - سورة المؤمنون: آية ٩٩ - ١٠٠.

١٣٨٦ - جامع السعادات: ٤٠/٣.

١٣٨٧ - جامع السعادات: ٤٠/٣.

١٣٨٨ - جامع السعادات: ٤٠/٣.

ومن الطبيعي أن يكون الموت تحفة للمؤمن، أليست الدنيا سجن للمؤمن؟ كما أن من الطبيعي أن يكون الموت كقارة، فإن شداندها وأهوالها تذهب بالذنوب التي اقترفتها المؤمن جهلاً وخطأ.

وسئل الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم): هل يحشر مع الشهداء أحد؟ قال (صلى الله عليه وآله وسلم): (نعم من يذكر الموت في اليوم واللييلة عشرين مرة)(١٣٨٩) وقال (صلى الله عليه وآله وسلم): (أكثرُوا من ذكر الموت فإنه يمحصّ الذنوب ويزهّد في الدنيا)(١٣٩٠). وقال (صلى الله عليه وآله وسلم): (كفى بالموت واعظاً)(١٣٩١).

فإن آخر ما يعظ الواعظ أن يقول: إعمل الصلاح، واترك الفساد، فإن وراءك موتاً وحساباً... والموت - تفكّره وتذكّره - يولد في النفس نفس هذا الشعور الذي يولده الواعظ الخبير.

وقال (صلى الله عليه وآله وسلم): (الموت الموت، ألا ولا بدّ من الموت، جاء الموت بما فيه، وجاء بالروح والراحة، والكرّة المباركة إلى جنة عالية، لأهل دار الخلود، الذين كان لها سعيهم، وفيها رغبتهم)(١٣٩٢).

إن الإنسان هبط من الجنة - كما في قصة آدم (عليه السلام) - فإذا ذهب الإنسان إلى الجنة كانت كرتة إلى ما أهبط منه، وفيها من البركة والخير الدائم، ما ليس لشيء غيره إطلاقاً.

وقال (صلى الله عليه وآله وسلم): (إذا استحقت ولاية الله والسعادة، جاء الأجل بين العينين، وذهب الأمل وراء الظهر، وإذا استحقت ولاية الشيطان والشقاوة جاء الأمل بين العينين، وذهب الأجل وراء الظهر)(١٣٩٣).

تشبيه لطيف.. والاستحقاق لا يكون إلا بالمقدمات التي يهيئ الإنسان لها، من تفكّر وتذكّر وعمل وما أشبهه. ولننقف قليلاً عند هذا الحديث لننظر كيف ذكر الموت يؤثر في ميزان الإنسان؟.. فقد ذكر عند الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) رجل، فأحسن الحاضرون الثناء عليه، فقال (صلى الله عليه وآله وسلم): كيف ذكر صاحبكم للموت؟ قالوا: ما كنّا نكاد نسمعه يذكر الموت.. قال (صلى الله عليه وآله وسلم): فإنّ صاحبكم ليس هنالك)(١٣٩٤).

إنه ليست له مرتبة راقية، وكيف تكون له، وهو لا يذكر الموت؟ إنّ من لا يعد نفسه للحساب لا يعمل عمل من يعد نفسه للحساب، والذي يعد نفسه للحساب لا بد وأن يذكر الحساب كثيراً، أريت من يكون له مستقبل خطر، كيف يكون دائماً في ذكره، وإعداد العدة له؟ فإذا أريت من له مستقبل خطير ثم لا يفكر ولا يتذكر حوله، فاعلم أنّه أبله وليس بحازم عاقل.

وسئل الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم): (أي المؤمنين أكيس وأكرم؟ فقال (صلى الله عليه وآله وسلم): أكثرهم ذكراً للموت وأشدّهم استعداداً له، أولئك هم الأكياس، ذهبوا بشرف الدنيا وكرامة الآخرة)(١٣٩٥).

إنّ الآخرة شيء مدهش ثوابها ومدهش عقابها، حتى أنّ أشد الناس اغتباطاً ومقاماً في الدنيا، لا يصل إلى أقل مستويات الصالحين في الآخرة، كما أنّ أشد الناس عذاباً وسوءاً في الدنيا لا يصل إلى أقل الناس عذاباً في الآخرة.. ولذا كان الأكيس هو الذي يحصر أمره في الآخرة، وليس معنى هذا أن يترك الدنيا فإنّ تارك الدنيا بنظر الإسلام ممقوت، بل معناه أن يترك الدنيا التي هي وبال وخبال.

وقال الامام الباقر (عليه السلام): (أكثرُوا ذكر الموت فإنه لم يكثر ذكره إنسان إلا زهد في الدنيا)(١٣٩٦).

-
- ١٣٨٩ - جامع السعادات: ٤٠/٣ .
 - ١٣٩٠ - جامع السعادات: ٤٠/٣ .
 - ١٣٩١ - جامع السعادات: ٤٠/٣ .
 - ١٣٩٢ - جامع السعادات: ٤٠/٣ .
 - ١٣٩٣ - جامع السعادات: ٤٠/٣ .
 - ١٣٩٤ - جامع السعادات: ٤٠/٣ .
 - ١٣٩٥ - جامع السعادات: ٤٠/٣ .
 - ١٣٩٦ - جامع السعادات: ٤٠/٣ .

وقال الإمام الصادق (عليه السلام): (إذا أنت حملت جنازة، فكن كأنك أنت المحمول، وكأنك سألت ربك الرجوع إلى الدنيا ففعل، فانظر ماذا تستأنف)(١٣٩٧) ثم قال (عليه السلام): (عجباً لقوم حبس أولهم عن آخرهم، ثم نودي فيهم بالرحيل، وهم يلعبون)(١٣٩٨) لقد حبس الأموات الذين قبلنا، عن الارتحال إلى الآخرة، حتى نلحق بهم، فإذا التحق البشر كلهم بقافلة الأموات كانت القيامة الكبرى، ثم الجنة أو النار - وقد علمنا إنا نموت جميعاً، فكأنه نودي فينا بالموت - فهذان سببان لأن نجد في العمل الصالح: الأموات الذين قبلنا وهم عبدة، وعلمنا بأننا نموت لكننا مشغولون باللعب واللهو، بالدنيا التي ليست إلا لهواً ولعباً. أليس في هذا ما يستدعي أشدَّ العجب؟!

وقال الامام الصادق (عليه السلام) لأبي بصير: (اذكر يا أبا محمد، تقطع أوصالك في قبرك، ورجوع أحبائك عنك، اذا دفنوك في حفرتك، وخروج نبات الماء من منخريك، وأكل الدود لحمك، فإن ذلك يسلي عليك ما أنت فيه قال أبو بصير: فو الله ما ذكرته إلا سلى عني ما أنا فيه من هم الدنيا)(١٣٩٩).

(نبات الماء) هي الدود، وما أهوله من فجيرة.

من كان لا يظأ التراب برجله*** يظأ التراب بناعم الخد

(تقطع الأوصال): يا الله، لقد كنا نداوي بألف دواء جرحاً صغيراً في جسمنا، فما أهوننا حتى تتقطع أوصالنا ولا دواء؟ (رجوع الأحباء): أين هم، وقد كانوا يهتمون بأمرنا، ويفدون أنفسهم لأقل كارثة تنزل بنا؟ لقد أصبح الانسان في القبر وحيداً فريداً، فلا قريب ولا صديق، إنهم اشتغلوا بأنفسهم، ونسوا من كان يكده ويتعب ويسهر لهم (خروج نبات الماء) لقد كنا نطارد البعوض وذرة من التراب إذا سقطت على وجوهنا، فما هذه الديدان التي تختلف ذاهبة وراجعة من أعز موضع هو المخ إلى أجمل موضع هو الوجه، ثم لا نمك حولاً ولا طولاً حتى في الذب والدفع، وأخيراً أخذت الديدان تأكل اللحوم بكل اطمئنان... يا لها من فجيرة؟ ويا له من هول؟ لو بكينا له طول العمر لم نؤد حقه.

ناداهم صارخ من بعد ما دفنوا*** أين الأسرة والتيجان والحلل

فأصبح القبر عنهم حين سألهم*** تلك الوجوه عليها الدود تنتقل

قد طالما أكلوا دهوراً وما شربوا*** فأصبحوا بعد طول الأكل قد أكلوا

وقال (عليه السلام): (ذكر الموت يميم الشهوات في النفس، ويقلع منابت الغفلة ويقوي القلب بمواعيد الله، ويرق الطبع، ويكسر أعلام الهوى، ويظفي نار الحرص، ويحقر الدنيا)(١٤٠٠).

فالإلزام على الانسان أن يهيئ برنامجاً للموت:

(أولاً) فيتذكر كل يوم صباحاً الموت، ولو مقدار خمس دقائق.

(ثانياً) ثم يعمل بما يقتضي الاستعداد له من الإيمان والعمل الصالح والانقلاع عن المآثم والمظالم.

(ثالثاً) أن يذكر الناس بالموت.

(رابعاً) أن يزور المقابر أسبوعياً ولو مرة.

(خامساً) أن يكتب وصيته ويحضر كفته.

(سادساً) أن يطالع الكتب التي تتعرض لهذا الشأن كل أسبوع ولو مرة.

(سابعاً) أن يحضر الجنائز والمغتسلات والمآثم والفواتح، وما أشبه.

١٣٩٧ - جامع السعادات: ٤/٣.

١٣٩٨ - جامع السعادات: ٤/٣.

١٣٩٩ - جامع السعادات: ٤/٣.

١٤٠٠ - جامع السعادات: ٤/٣.

(ثامناً) ولو تمكن أن يعقد المجالس الدورية المنعقدة من أهل التقوى والصلاح كل أسبوع مرة، لتذاكر الموت فيها ونعي الدنيا.

ذهبت ذات مرة إلى زيارة ثري كان مريضاً، فسألت عن عمره، فقال: ما يقارب المائة، ثم أردف قائلاً: ولكن ليس بي من مرض إلا رخاوة في الركبتين، وهي التي أجلسني عن الخروج عن المنزل!!

وذهبت ذات مرة أخرى إلى ثري آخر كان قد أصيب بالفالج، وعمره ما يقارب التسعين - كما قال أهله - فقال - بلسان يتلعثم من أثر المرض فلا يكاد يفهم كلامه إلا نثفاً مبعثرة -: لقد ذهبت إلى الأطباء فقلوا لي: ليس بك من مرض، إلا (نوم بعض الأعصاب) وقد نذرت أن لو رجعت إلى حالتي السابقة - ويقصد قبل عشرين سنة - أن أفعل كذا!!

ونقل أحد الأصدقاء... إن امرأة معمرة، في دارهم، أصيبت بالسكتة، حتى لم تتمكن أن تحرك من جسدها شيئاً إلا الوسطى والبنصر من أصابعها، تحريكاً بكل صعوبة.. قالوا لها: أوصي.. فقالت: ماذا تريدون مني وليس بي شيء من المرض ألا ترون كيف أحرّك أصابعي!! عجيب أمر الانسان، وعجيب جداً!!!

يرجي المرء ما أن لا يراه***وبين يديه عزرائيل حاضر
انه يهرب حتى من ذكر الموت، وكأنّ الهرب ينفع؟ لكن القلب اذا قسى، وأطبق الجهل على العقل، تكون النتيجة كهذه!

فانظر البيون الشاسع بين القصص المتقدمة وبين قول الامام أمير المؤمنين (عليه السلام): (ما أنزل الموت حقّ منزلته من عدّ غداً من أجله)(١٤٠١) وقول الامام الصادق (عليه السلام): (ما من أهل بيت شعر ولا وبر إلا ومكّ الموت يتصفحه كل يوم خمس مرات)(١٤٠٢) وقول الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام): (والله لابن أبي طالب آس بالموت من الطفل بمحالب أمه)(١٤٠٣).

وقد كان الصالحون ينتظرون الموت، إنتظارهم لمن وعدهم بعد ساعة.
قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): (أحبّ لقاء الله، ولا تكره لقاءه، فإن الله يحب لقاء من يحب لقاءه، ويكره لقاء من يكره لقاءه)(١٤٠٤).

الحياء

إن من الأمور ما يقبح كون الانسان عليه سواء أطلع عليه أحد أم لا؟ ومن الأمور ما يقبح أن يرى الانسان عليه، ومن الأمور ما يقبح أن يتكلم الانسان به.

و (الحياء) هو التحفظ من الأمور الثلاثة.. نعم أخذ في معنى (الحياء) فرض طرف مقابل، ففي الوحدة والخلوة، يكون الحياء من (النفس) كمن يلعب بلحمه فإنه خلاف الحياء من النفس، أو من (الرب) سبحانه أو (الملائكة) مثلاً.. وفي المجلس، يكون الحياء من (الطرف المقابل الحاضر) والقبيح، قد يكون قبيحاً ذاتاً - كالبناح التي تطابق العقل

١٤٠١ - جامع السعادات: ٤/٣.

١٤٠٢ - جامع السعادات: ٤/٣.

١٤٠٣ - جامع السعادات: ٤/٣.

١٤٠٤ - مكارم الأخلاق، ٤٥٣ - جامع السعادات: ٤/٣ نحوه.

والشرع على قبحها - وإن زالت قباحتها لدى الناس لانحراف في عاداتهم، كالتضارط عند الفساق.. وقد يكون قبيحاً لعرف خاص...

وعلى أي حال فـ (الحياء) محبوب و(الوقاحة) وهي ضد الحياء مذمومة.
قال الامام الصادق (عليه السلام): (الحياء من الأيمان، والإيمان في الجنة)(١٤٠٥).
وقال (عليه السلام): (الحياء والعفاف والعي - أعني عي اللسان لا عي القلب - من الإيمان)(١٤٠٦).
و (العي) السكوت، تشبيهاً له بالذي لا يفصح.. فقد قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): (وهل يكب الناس على مناخرهم في النار إلا حصائد ألسنتهم)(١٤٠٧).
وقال الامام الصادق (عليه السلام) أيضاً: (الحياء والإيمان مقرونان في قرن فإذا ذهب أحدهما تبعه صاحبه)(١٤٠٨).

فمن ذهب حياؤه لا أيمان له، ومن ذهب إيمانه لا حياء له، فإن الإيمان عبارة عن مجموعة من الفضائل، فإذا انتقص أحدها لم يكن الإيمان، كما أنّ المركب ينتفي بانتفاء أحد أجزائه.
وقال (عليه السلام) - بهذا المعنى: (لا إيمان لمن لا حياء له)(١٤٠٩).
وقد وكل الله سبحانه حب الناس بالحي العفيف، بخلاف الوقح المستهتر، فإنه لدى الناس مذموم ممقوت.. ولذا يلزم على الانسان أن يواظب حتى يتصف بهذه الصفة الحسنة، وحتى يطرد من نفسه صفة الوقاحة، إن كان منصفاً بها لينال مرضات الله سبحانه، ومرضات الناس.

العصيان

من الناس من يواظب على أمره، حتى لا يخرج عن المنهاج المستقيم، والجادة التي عبدت له، والدستور المقرر، فيكون ذلك ملكة له، لا يصدر إلا عنها، ولا يواظب إلا عليها، ولا يزيغ قيد شعرة وإن مالت به نفسه ذات مرة، أو غلبت هواه حتى تنكب، رجع وتاب، ولزم الشارع مرة ثانية.

ومن الناس من كان أمره فرطاً، إن أطاع فلا عن ملكة واستقامة وإن عصي فلا يبالى بالمعصية.
وهاتان الحالتان توجدان عند كل فئة من الناس الذين لهم منهج خاص، وأمامه طريق مسلك.
وإنما الكلام هنا حول إطاعة الله ومعصيته.

فالإطاعة: جمال واستراحة ونجاح، والعصيان: تنكب وانحراف وفشل..فإن الله سبحانه الذي خلق الانسان والكون هو الذي وضع الدستور والمنهاج على طبق الفطرة، وعلى وفق الحكمة والمصلحة، فكل زيغ عن منهجه سبحانه خبال

-
- ١٤٠٥ - أصول الكافي: ١٠٦/٢ - جامع السعادات: ٤٧/٣ .
١٤٠٦ - أصول الكافي: ١٠٦/٢ - جامع السعادات: ٤٧/٣ .
١٤٠٧ - أصول الكافي: ١١٥/٢ - جامع السعادات: ٤٧/٣ .
١٤٠٨ - أصول الكافي: ١١٥/٢ - جامع السعادات: ٤٧/٣ .
١٤٠٩ - أصول الكافي: ١٠٦/٢ - جامع السعادات: ٤٨/٣ .

وخسارة، خسارة في الدنيا، وفي الدين، ولذا قال تعالى: (وَالْعَصْر، إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ، إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَّصُوا بِالحَقِّ وَتَوَّصُوا بِالصَّبْرِ)(١٤١٠).

قسماً بالعصر والزمان، الذي هو سبب خسر الانسان أو ربحه لأنه إذا مرَّ والانسان مشغول بالطاعة كان في ربح، وإن مرَّ والانسان لاه أو مشغول بالمعصية كان في خسارة: كل إنسان في خسارة، إلا المؤمن العامل بما أمر الله سبحانه، وحيث يمل الانسان كان محتاجاً إلى التواصي بكل من الحق والصبر، حتى يلزم الجادة فلا ينحرف، وحتى يستمر في العمل فلا يقف.

فمن الضروري على الانسان أن يهيئ نفسه للطاعة، ويجنب نفسه عن العصيان. والإسلام قد حذر من المعصية غاية الحذر، في نتف متفرقة من الأدلة، وبين لكل عصيان عقاباً - كما يظهر - من الآيات والأحاديث.

كما حذر عن العصيان والذنب، جملة وإجمالاً. قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) - في حديث طويل -: (إنَّ العبد ليحبس على ذنب من ذنوبه مائة عام، وإنه لينظر إلى أزواجه في الجنة يتنعمن)(١٤١١).

وقال أمير المؤمنين (عليه السلام): (لا تبدين عن واضحة وقد عمّت الأعمال الفاضحة ولا تأمن البيات، وقد عمّت السينات)(١٤١٢).

فعلى الانسان أن لا يظهر سوءاً غيره، وإن كانت واضحة بادية للعيان، وإلا انكشفت عورته، وهل هنالك أحد لا جريرة له، ولا ذنب عليه.

لسانك لا تبدي به سوءاً امرئى***فكلك سوءات وللناس ألسن أما البيات فهو العقاب الذي يأخذ الانسان بليل. إنَّ المسيء يجب أن لا يأمن العذاب الذي ينزل به ليلاً، وإلا فيقلع عن الذنب أو يحوه بالندم والاستغفار.

ومن أعجب الأحاديث ما قاله الإمام الباقر (عليه السلام): فليتنبه الإنسان لذلك، قال (عليه السلام): (إنَّ الله قضى قضاءً حتماً إلا ينعم على العبد بنعمة فيسلبها إياه حتى يحدث العبد ذنباً يستحق بذلك النعمة)(١٤١٣) وقد أخذ هذا الكلام الشاعر، فقال:

إذا كنت في نعمة فارعها***فإن المعاصي تزيل النعم

وحافظ عليها بشكر الإله***فإن الإله شديد النقم

وقال (عليه السلام): (ما من شيء أفسد للقلب من خطيئته، إنَّ القلب ليوافق الخطيئة، فما يزال به حتى يغلب عليه فيصير أعلاه أسفله)(١٤١٤).

إنَّ الخطيئة قد تكون عملاً عابراً، وقد تكون عن ملكة قلبية باعثة على الذنب فإذا صارت الخطيئة حالة للقلب، انقلب القلب عن صفاته ونظافته إلى كدرة نجسة، ويكون حينذاك مبعث كل شر وإثم. وقال (عليه السلام): (إنَّ العبد ليذنب الذنب فيزوى عنه الرزق)(١٤١٥).

١٤١٠ - سورة العصر: آية ١ - ٣.

١٤١١ - جامع السعادات: ٤٩/٣.

١٤١٢ - جامع السعادات: ٤٩/٣.

١٤١٣ - جامع السعادات: ٤٩/٣.

١٤١٤ - جامع السعادات: ٤٩/٣.

١٤١٥ - جامع السعادات: ٤٩/٣.

وقال الإمام الصادق (عليه السلام): (يقول الله تعالى إنَّ أدنى ما أصنع بالعبد إذا أثر شهوته على طاعتي أن أحرمه لذنيذ مناجاتي)(١٤١٦) رأيت كيف يلتذ الإنسان بالتكلم مع الملوك والكبراء، أو العلماء والصلحاء - حسب مجانسة الإنسان وإفته مع كبير أو صالح -! إنَّ لذة مناجاة الله تعالى، أكبر وأكبر، كيف والإنسان في ذاك الحال يناجي أعظم الملوك وأكبر الكبراء؟ فإذا عصى الإنسان الإله، حرم هذه اللذة حتى انه يكون كالمريض الذي لا يعرف طعم الأكلة الشهية.

وقال (عليه السلام): (من همّ بسينة فلا يعملها، فإنه ربّما عمل العبد السينة فيراه الربّ تعالى، فيقول: وعزتي وجلالي لا أغفر لك بعد ذلك أبداً)(١٤١٧).

وقال (عليه السلام): (أما إنّه ليس من عرق يضرب، ولا نكبة ولا صداع، ولا مرض إلا بذنب، وذلك قول الله عز وجل في كتابه: (وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فِيمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُوا عَنْ كَثِيرٍ)(١٤١٨). (١٤١٩).

وقال (عليه السلام): (وما يعفو الله أكثر مما يؤاخذ به)(١٤٢٠).

إنّ المعصية لا بد لها في الدنيا من جزاء، فكيف بالآخرة؟ ولذا يجب على الإنسان العاقل أن يتجنّب العصيان مهما كلف الأمر، وانظر إلى هذا الحديث المروي عن الإمام الكاظم (عليه السلام) قال: (حقّ على الله أن لا يعصى في دار إلا أضحاها للشمس حتى يطهرها)(١٤٢١).

فالعاصي منقوص الرزق، معرض للنكبات، وداره معرضة للخراب، وهل يبطنى به الجزاء؟ كلا، فاسمع إلى هذا الحديث الشريف: (إنّ العمل السيء أسرع في صاحبه من السكين في اللحم)(١٤٢٢) فأبي عاقل يقدم على مثل هذا العمل الذي يسيء إليه في دنياه وآخرته.

وقد يغتر العاصي بما يرى من تأخير العقوبة، ألا فلا يغترر لذلك.

فربّ معصية أتاك عقابها***من بعد لأي حين تلهو غافلاً

فاحذر عقاب الذنب حين أتيته***واقطع عن العصيان إن تك عاقلاً

هذي ديار الظالمين بلاقعا***من بعد ما كانت ثوى معاقلاً

و الإنسان مهما كان نظيفاً نزيهاً، لا بدّ وأن تصدر منه المعصية - ما خلا المعصومين ومن يتلو تلوهم - فإن دواعي

الشهوات، ونوازع النفس، ومغريات الحياة، تجذب الإنسان مهما كان قوياً، ولذا يقول الشاعر:

نفسى وشيطاني ودنيا والهوى***كيف الخلاص وكلهم أعدائي

وانما الفرق بين النزيه وغيره: إنّ النزيه بطيء الخطأ نحو العصيان، سريع الاستغفار والإجابة، وغيره: سريع

الخطأ نحو الإثم بطيء الإجابة والرجوع، قال سبحانه: (إنّ الذين اتَّقُوا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ، وَإِخْوَانُهُمْ يَمُدُّوهُمْ فِي الْغِيِّ ثُمَّ لَا يُفْصِرُونَ)(١٤٢٣).

ولذا يلزم على الإنسان مراقبة نفسه، فإذا زلّ، تدارك الزلّة بالتوبة، وقد أُرصد الإسلام رصيذاً كبيراً للتوبة والتجسيد

إليها.

١٤١٦ - جامع السعادات: ٤٩/٣ .

١٤١٧ - جامع السعادات: ٤٩/٣ .

١٤١٨ - سورة الشورى: آية ٣٠ .

١٤١٩ - جامع السعادات: ٤٩/٣ .

١٤٢٠ - جامع السعادات: ٥٠/٣ .

١٤٢١ - جامع السعادات: ٥٠/٣ .

١٤٢٢ - جامع السعادات: ٥٠/٣ .

١٤٢٣ - سورة الأعراف: آية ٢٠١ - ٢٠٢ .

قال الله تعالى: (... إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ) (١٤٢٤) وقال عزَّ اسمه: (... وَتَوَّابُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعاً أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ...) (١٤٢٥). وقال رسول الإسلام (صلى الله عليه وآله وسلم): (التائب حبيب الله والتائب من الذنب كمن لا ذنب له) (١٤٢٦).

وانظر إلى هذا الحديث الذي يقطر عطرأً وندى، قال الإمام الباقر (عليه السلام): (إنَّ الله أشدُّ فرحاً بتوبة عبده من رجل أضلَّ راحلته وزاده في ليلة ظلماء فوجدها، فالله أشدُّ فرحاً بتوبة عبده من ذلك الرجل براحلته حين وجدها) (١٤٢٧).

إنَّ الله سبحانه لا يفرح مثل فرحنا، ولا يحزن مثل حزننا، وإنما المراد بهذا الحديث، وأمثاله، فعله، تعالى بالعبد فعل الفرحة أو الحزين، أو الغاضب أو ما أشبهه، ولذا قيل بالنسبة إليه تعالى (خذ الغايات، وارك المبادئ) فما هي الغاية التي ينتهي إليها الفرحة؟ إنها الإحسان إلى من أفرحه... وغاية الغضب عاقب من أغضبه وهكذا، والله يفعل الإحسان، أو العقاب، بالنسبة إلى من أطاع أو عصى.

وقال الإمام الباقر (عليه السلام): (التائب من الذنب كمن لا ذنب له، والمقيم على الذنب، وهو مستغفر منه كالمستهزئ) (١٤٢٨) أريت من قال لك: إني نادم من إساءتي إليك. ثم أساء ثانية وثالثاً فإنَّ كلامه هراء واستهزاء، وكذلك من يذنب ويستغفر انه - وإن لم يقصد الاستهزاء - لكنه كالمستهزئ، فليقلع الإنسان من الذنب حتى لا يكون عاصياً ولا كالمستهزئ... نعم تكرر الذنب الذي يعقبه الندم حقيقة لا يضر، فإن الإنسان ضعيف، وكيد الشيطان مغر فربما أذنب الإنسان ثم ندم حقيقة، ثم وقع في إحبولة الشيطان ثانية، وثالثاً وهكذا، ولذا قال الإمام الصادق (عليه السلام): (إنَّ الله يحب من عباده المفتن التواب) (١٤٢٩) يعني كثير الذنب كثير التوبة فكلماً أصابته فتنة ندم وتاب توبة حقيقية.

وقال (عليه السلام): (إذا تاب العبد توبةً نصوحاً، أحبه الله فستر عليه) قال الراوي: وكيف يستر عليه؟ قال (عليه السلام): (ينسي ملكيه، ما كانا يكتبان عليه، ويوحى إلى جوارحه والى بقاع الأرض أن اكنمي عليه ذنوبه، فيلقى الله عزَّ وجل حين يلقاه، وليس شيء يشهد عليه بشيء من الذنوب) (١٤٣٠).

إنه غاية الفضل أن ينسي الله الملكين وما أشبه حتى ذنب عبده حتى لا يكون مهاناً لديهم، أريت إنَّ الإنسان قد يذنب إلى أحد ذنباً ثم يغفر ذلك له ذنبه، لكن الإنسان يبقى خجلاً لديه، لأنه اقتترف إساءةً في حقِّه في زمان؟.

وقال الإمام الصادق (عليه السلام) في حديث: إنَّ الله أعطى التائبين ثلاث خصال، ثم قرأ الآيات الكريمة:

١ - (... إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ...) (١٤٣١).

٢ - (الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ... فَأَعْفِرُ لِلَّذِينَ تَابُوا... وَذَلِكَ هُوَ الْقَوْزُ الْعَظِيمُ) (١٤٣٢).

٣ - (وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلْهاً آخَرَ... يُضَاعَفُ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخَلَّدُ فِيهِ مُهَاناً، إِلَّا مَنْ تَابَ وَأَمَّن... وَكَانَ اللَّهُ غَفُوراً رَحِيماً) (١٤٣٣).

١٤٢٤ - سورة البقرة: آية ٢٢٢.

١٤٢٥ - سورة النور: آية ٣١.

١٤٢٦ - جامع السعادات: ٦٦/٣.

١٤٢٧ - جامع السعادات: ٦٦/٣.

١٤٢٨ - جامع السعادات: ٦٦/٣.

١٤٢٩ - جامع السعادات: ٦٦/٣.

١٤٣٠ - جامع السعادات: ٦٧/٣.

١٤٣١ - سورة البقرة: آية ٢٢٢.

١٤٣٢ - سورة غافر: آية ٧ - ٩.

وقال الإمام موسى بن جعفر (عليه السلام): (أحبّ العباد إلى الله المفتنون التوابون)(١٤٣٤).

ثم إن الإنسان إذا أساء إلى شخص أو حكومة أو ما أشبهه، كان الغالب عدم غفران المسيء إليه، إذا ندم المسيء وأظهر الندم لكن الله سبحانه بفضلته وكرمه، يقبل التوبة ويعفو عن السيئات. ولو كانت كثيرة، فعن القرآن الحكيم: (وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ)(١٤٣٥). وفي آية أخرى: (وَمَنْ يَعْمَلْ سُوءاً أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ غَفوراً رَحِيماً)(١٤٣٦).

وقال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): (لو عملتم الخطايا حتى تبلغ السماء، ثم ندمتم لتتاب الله عليكم)(١٤٣٧).

لو كانت الخطايا أجساماً، فكم من هذه الأجسام تتكدس حتى تبلغ السماء؟ انها لو كانت بهذا المقدار الهائل تكفيه التوبة الصادقة في نفسها ومحورها، بل يبذل الله سبحانه سيئاتهم حسنات - في بعض الأحيان - فهل رأيت أكرم من الله سبحانه، إنه أولاً: تفضل بدون استحقاق، ثم إذا أذنب الإنسان لم يقطع لطفه عنه، ولم يعاجله بالعقوبة وبعد ذلك لو ندم أو اتاب عفى عنه وستر عليه وأعطاه حسنات... إن الأم والأب وهما أرف الناس بالولد، ثم عصاهما الولد، قطعاً لطفهما عنه، ولو خالفهما ثم جاء معتذراً لم يقبل عذره في كثير من الأحيان، لكن الله هو وحده أرحم الراحمين الذي من صفاته الأبدية اللطف والإحسان، حتى بالنسبة إلى أعظم المذنبين.

اسمع إلى هذا الحديث الذي قاله رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): (إن العبد ليذنب الذنب، فيدخل في الجنة. قيل: كيف ذلك يا رسول الله؟ قال: يكون نصب عينيه تائباً منه فاراً حتى يدخل الجنة)(١٤٣٨).

ومثله ما قاله الإمام الصادق (عليه السلام): (إن الرجل ليذنب الذنب فيدخله الله به الجنة، قيل: يدخله الله بالذنب الجنة؟ قال (عليه السلام): نعم إنه ليذنب فلا يزل منه خائفاً ماقتاً لنفسه فيرحمه الله، فيدخله الجنة)(١٤٣٩).

أما بالنسبة إلى كتابة الذنب، فإنه لا يسجل بمجرد إن أذنب الإنسان بل يؤجل لعله يتوب ويؤدب. قال الإمام الصادق (عليه السلام): (العبد المؤمن إذا أذنب أجله الله سبع ساعات، فإن استغفر الله لم يكتب عليه شيء، وإن مضت الساعات ولم يستغفر كتبت عليه سينة، وإن المؤمن ليذكر ذنبه بعد عشرين سنة حتى يستغفر ربه فيغفر له، وإن الكافر لينسى من ساعته)(١٤٤٠) إن الكافر لا يعد الذنب معصية حتى تخز ضميره وتبقى في ذاكرته ويخاف منها، ولذا ينسى الذنب من ساعته.

وقد روي عن الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) حديث يدل على كثرة فضل الله سبحانه بالتائب، وإنه يقبل توبته إلى آخر لحظة من حياته، قال (صلى الله عليه وآله وسلم): (من تاب قبل موته بسنة قبل الله توبته، ثم قال: إن السنة لكثير، من تاب قبل موته بشهر قبل الله توبته؟ ثم قال: إن الشهر لكثير، من تاب قبل موته بجمعة قبل الله توبته، ثم قال: إن الجمعة لكثير، من تاب قبل موته بيوم قبل توبته، ثم قال: إن يوماً لكثير، من تاب قبل أن يعاين ملك الموت قبل الله توبته)(١٤٤١).

-
- ١٤٣٣ - سورة الفرقان: آية ٦٨ - ٧٠.
 - ١٤٣٤ - أصول الكافي: ٤٣٢/٢.
 - ١٤٣٥ - سورة الشورى: آية ٢٥.
 - ١٤٣٦ - سورة النساء: آية ١١٠.
 - ١٤٣٧ - جامع السعادات: ٦٨/٣.
 - ١٤٣٨ - جامع السعادات: ٦٨/٣.
 - ١٤٣٩ - جامع السعادات: ٦٩/٣.
 - ١٤٤٠ - جامع السعادات: ٦٩/٣.
 - ١٤٤١ - جامع السعادات: ٦٨/٣.

فهل بعد هذا من مفرع والتوبة عبارة عن الندامة، فلا حاجة حتى إلى الاستغفار اللفظي، ولذا قال الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم): (كفارة الذنب الندامة) لكن للندامة آثار، فإن من يندم على نهب مال زيد، من آثار ندامته أن يردّ المال إلى صاحبه، ومن ندم على ترك الصلاة أو الخمس، من آثار ندمه القضاء والإعطاء، وهكذا.

واسمع إلى هذا الحديث لترى كثرة فضل الله سبحانه، قال الإمام الباقر (عليه السلام) لمحمد بن مسلم: (ذنوب المؤمن إذا تاب منها مغفورة له، فليعمل المؤمن لما يستأنف بعد التوبة والمغفرة، أما والله إنها ليست إلا لأهل الإيمان، قال محمد بن مسلم: فقلت له: فإن عاد بعد التوبة والاستغفار من الذنوب، وعاد في التوبة؟ قال: يا محمد بن مسلم! أتري العبد المؤمن يندم على ذنبه ويستغفر منه ويتوب ثم لا يقبل الله توبته، قال: فإن فعل ذلك مراراً يذنب ثم يتوب ويستغفر؟ فقال (عليه السلام): كلما عاد المؤمن بالاستغفار والتوبة، عاد الله عليه بالمغفرة، وإن الله غفور رحيم، يقبل التوبة ويعفو عن السيئات فأياك أن تثقنظ المؤمن من رحمة الله)(١٤٤٢).

وقد كان من فضل الله سبحانه على الانسان أن تفضل عليه بقبول التوبة ووسع له في ذلك أكبر توسعة، فاسمع إلى هذا الحديث المروي عن الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) قال: (إن آدم (عليه السلام) قال: يا رب سلطت علي الشيطان وأجريتني مني مجرى الدم، فاجعل لي شيئاً! فقال تعالى: يا آدم جعلت لك إن من هم من ذريتك بسيئة لم تكتب عليه، فإن عملها كتبت عليه سيئة، ومن هم منهم بحسنة، فإن لم يعملها كتبت له حسنة، فإن هو عملها كتبت له عشرأ: قال: يا رب زدني، قال: جعلت لك إن من عمل منهم سيئة ثم استغفر غفرت له، قال: يا رب زدني، قال: جعلت لهم التوبة وبسطت لهم التوبة حتى تبلغ النفس هذه، قال: يا رب حسبي)(١٤٤٣).

وأعجب من هذا الحديث أكثر فأكثر، وإن لم يكن فضل الله عجباً.

قال الإمام الصادق (عليه السلام): (ما من مؤمن يقارف في يوم وليلته أربعين كبيرة، فيقول وهو نادم: استغفر الله الذي لا إله إلا هو الحي القيوم، بديع السماوات والأرض ذا الجلال والإكرام وأسأله أن يصلى على محمد وآل محمد وأن يتوب علي، إلا غفرها الله له، ولا خير فيمن يقارف في يومه أكثر من أربعين كبيرة)(١٤٤٤) ولا عجب من فضل الله سبحانه، أن يغفر للمذنب ولو تكررت منه الخطايا أربعين مرة، في يوم وليلة، أليس الله غفار الذنوب؟ أو أليس يتوب على المذنب، ولو انقلع بعد سبعين سنة من الذنب؟ لكن العجب أن يفوت الانسان مثل هذا الغفران الذي وسع كل شيء.

ولقد عجبت لهالك ونجاته***موجودة ولقد عجبت لمن نجى

إن كل واحد منهما يورث العجب، فكيف يهلك الانسان مع هذه السعة في المغفرة والرحمة؟ وكيف ينجو الانسان مع

هذه المغريات والمهلكات؟.

فعلى الانسان أن يهتم كل اهتمام حتى لا يذنب، فإذا أذنب - والعياذ بالله - فعليه أن يهتم في أن يتوب ولا يعود، فإن

زلت قدمه، فلا ييأس من روح الله، وإنما على الانسان أن يجدد التصميم، ويبدأ الدور من جديد، ويتوب توبة نصوحاً.

١٤٤٢ - جامع السعادات: ٦٩/٣.

١٤٤٣ - جامع السعادات: ٦٩/٣.

١٤٤٤ - جامع السعادات: ٧٠/٣.

الرقابة

أرأيت كيف يراقب الشريك شريكه لنلأ يبخرسه حقه؟ والعدو عدوه لنلأ يغلبه ويهضم حقه. إن الرقابة طبيعية للإنسان، لأجل جلب المنفعة ودفع المضرة وهل هناك أعظم من الخير العام لنفسه وللشركاء أجمع في الدنيا والآخرة؟ وهل هناك ضرر، أنكر من الشر العام لنفسه وللإنسانية جمعاً في الأولى والأخرى؟ كلا! والخير العام يتمثل في خطوط الإسلام التي وضعها لإسعاد البشر، والشر العام يتمثل في مخالفة تلك الخطوط. لذا كان من اللازم على الإنسان أن يراقب نفسه ويراقب مجتمعه لنلأ تحيد نفسه عن منهاج الإسلام ولنلأ يزيغ المجتمع عن الخطوط المبينة في الإسلام.

يقول الله سبحانه: (... وَكَلْتَنْظُرْ نَفْسًا مَا قَدَّمَتْ لِغَدٍ...) (١٤٤٥).

وقال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): (حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا، وزنوها قبل أن توزنوا) (١٤٤٦). وقال الإمام الصادق (عليه السلام): (إذا أراد أحدكم أن لا يسأل ربه شيئاً إلا أعطاه فليأس من الناس كلهم، ولا يكون له رجاء إلا من عند الله تعالى، فإذا علم الله تعالى ذلك من قلبه لا يسأله شيئاً إلا أعطاه فحاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا عليها، فإن للقيامة خمسين موقفاً كل موقف مقام ألف سنة، ثم تلا: (... فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ) (١٤٤٧) (١٤٤٨).

وهل تنقضي خمسون ألف سنة؟ إن عمر الإنسان في الدنيا بمعدل خمسون سنة ويراهنا طويلة، فكيف بمقام القيامة وحدها، وهي خمسون ألف سنة، ألا يجب على الإنسان أن يحاسب نفسه في هذه الأيام القلائل ليأتي آمناً يوم الفرع الأكبر؟

والمحاسبة والمراقبة، بمعنى أن تكون نوايا الإنسان وأعماله تحت الحساب فلا يعمل عملاً ولا ينوي نية إلا ويراقب: هل أن ذلك يعود إليه بالنفع أو الضرر؟ ثم إذا أفلت العمل أو النية عن يده وجاء بما يعود عليه بالإثم تداركه فوراً بالتوبة والعمل الصالح، وقد كان الزهاد يراقبون أنفسهم في كل عمل، ثم إذا جاء الليل حاسبوها ليروا هل ربوا أم خسروا.

١٤٤٥ - سورة الحشر: آية ١٨.

١٤٤٦ - جامع السعادات: ٩٣/٣.

١٤٤٧ - سورة المعارج: آية ٤.

١٤٤٨ - جامع السعادات: ٩٣/٣.

نية العمل لله

القلب مبعث الخير والشر، ولذا قال سبحانه (... أَيْمٌ قَلْبُهُ...) (١٤٤٩) حتى إن العمل الصالح الصادر من الانسان بدون قصد نية، لا يعد حسناً فاعلياً، وإن كان حسناً بذاته، وكذلك العمل السيء الصادر من الشخص بدون نية وعزم، لا يعد قبيحاً فاعلياً، وإن كان في نفسه قبيحاً... فلو أنك في مشيك قتلت عقرباً تريد لدغ إنسان، وأنت لم تشعر بذلك، لا يقال لك: أحسنت، وإن كان قتلك حسناً ولو إنك في مشيك كسرت إناء فقير بدون أن تشعر، لا يقال لك: أسأت، وإن كان الفعل سيئاً بنفسه.

ولذا يجب الاهتمام البالغ بأمر القلب، فهو ميزان الخير والشر والحسن والقبح والجميل والمشوه، فالعمل الصالح إن كان خالص لوجه الله سبحانه، كان خيراً وثواباً، وإن كان مشوباً بالأغراض الدنيوية، كالرياء والسمعة، وحب الاستعلاء، والشهرة والأثانية وجلب المادة، وما أشبه كان باطلاً وموجباً للعقاب كثيراً.

فعلى الانسان أن يصرف إرادته كلها لله سبحانه... ولا يظن ظان إنّه أقل ربحاً من الذين يخالط بإرادته الأغراض إن الأمر بالعكس تماماً، أما خير الآخرة فهو للذين لا يريدون إلا وجه الله سبحانه، وأما خير الدنيا فقد فطر الله الناس على حب المخلص، وكره المراني والذي أشبهه من الذين يعمل لغير الله تعالى.

أرأيت لو علم الناس بأن أكبر العلماء إنما تعلم وعلم وألف لغير الله.. ولو علموا بأن أعظم الزهاد إنما تعبد وصى وصام لأجل دنيا أو جاه أو ما أشبهه، سقط ذلك العالم والزاهد عن أعينهم ولم تكن لهما قيمة في نفوسهم؟.

ولهذا السبب أكد الإسلام تأكيداً بليغاً حول تصفية النية وتخليص العمل.

قال الله سبحانه: (وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ...) (١٤٥٠).

وقال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): (إنما الأعمال بالنيات، ولكل امرئ ما نوى، فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله، فهجرته إلى الله ورسوله، ومن كانت هجرته إلى دنيا يصيبها، أو امرأة يتزوجها، فهجرته إلى ما هاجر إليه) (١٤٥١).

إن كانت الهجرة لله، كان أجر المهاجر على الله، وإن كانت الهجرة للدنيا، كان ثواب الهجرة هي الدنيا، وليس لهذا المهاجر عند الله من خلاف، إنه هاجر للدنيا، فهل يصح أن يطلب ثواب الهجرة من الله؟.

وقد أطلق الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) هذه الكلمة الذهبية حين سمع أن بعض الذين هاجروا إلى المدينة المنورة، حفزهم على الهجرة تحصيل دنيا مرقهة، من مال أو جاه أو ما أشبه... إنهم وإن كانوا عدواً في جهاز الإسلام خصوصاً في يوم غربته، وحين كان يحتاج إلى أكبر قدر من الناصر والسواد لكن الرسول لم يبعث لسادة الدنيا

١٤٤٩ - سورة البقرة: آية ٢٨٣.

١٤٥٠ - سورة الأنعام: آية ٥٢.

١٤٥١ - جامع السعادات: ١١٣/٣.

كالفاتحين، وإنما بعث لإنقاذ الناس من الظلمات إلى النور، فإذا كان من ينصره يريد الدنيا لم يكن له في مقياس الرسول أية قيمة.

وهذه الكلمة الذهبية إكليل على رأس كل من يعمل عمل الآخرة من تعلم العلم إلى التبليغ لرسالات السماء، إلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، إلى إعانة الضعفاء والمعوزين، إلى تأسيس المؤسسات وتكوين المشاريع إلى غير ذلك، فإن كانت أعماله لله ورسوله، أثابه الله جنات تجري من تحتها الأنهار، وإن كانت أعماله لشهرة أو صرف وجوه الدنيا إلى نفسه، فعمله لما عمل له وماله في الآخرة من خلاق، وشر الناس من عمل بإسم الله، وهو يريد غير الله. وقد روي أنه فيما أوحى الله سبحانه إلى داود النبي (عليه السلام) أنه قال: (يا داود لا تتناول على المرادين ولو علم أهل محبتي منزلة المرادين عندي، لكانوا لهم أرضاً يمشون عليها، يا داود لنن تخرج مريداً من كربة هو فيها تسعده، كتبك عندي حميداً، ومن كتبته حميداً لا يكون له وحشة ولا فارقة إلى المخلوقين)(١٤٥٢).

إن المرید هو الذي جعل إرادته رضى الله سبحانه، وهذا أعظم من الكبريت الأحمر، وأهل المحبة هم الذين يحبون الله سبحانه ولم يصلوا تلك المرتبة ودرجة (حميد) كدرجة (مشير) في الجيش رتبة رفيعة جداً، مما لا تصل جميع رتب الدنيا إلى أقل مستواها، ولكن هل بالإمكان تحصيل مثل هذه الرتبة بسهولة؟ إن الإنسان كثيراً ما يتمكن على زمام جسمه، ولكن النادر النادر أن يتمكن على زمام قلبه.

واسمع هذا الحديث الذي فاه به الرسول الأعظم (صلى الله عليه وآله وسلم) حيث قال: (إن الله لا ينظر إلى صوركم وأموالكم وإنما ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم وإنما ينظر إلى القلوب لأنها مظنة النية)(١٤٥٣) إن القلب إذا استقام استقامت الصورة وكان المال بميزان، أما استقامة الصورة وكثرة المال فليستا بميزان صحة الإنسان.

وقال (صلى الله عليه وآله وسلم): (إن العبد ليعمل أعمالاً حسنة، فتصعد بها الملائكة في صحف مختمة، فتلقى بين يدي الله تعالى، فيقول إقوا هذه الصحيفة فإنه لم يرد بما فيها وجهي، ثم ينادي الملائكة: اكتبوا له كذا وكذا فيقولون: يا ربنا إنه لم يعمل شيئاً من ذلك؟! فيقول الله تعالى: إنه نواه)(١٤٥٤).

العمل الذي لا يراد به وجهه تعالى لا فائدة فيه، أما النية لعمل خير ففيها كل الفائدة، فإذا وفق الإنسان أن يحفظ عمله عن الزيغ، فكم له من فائدة؟.

وكما أن نية الخير فيها ثواب، فكثيراً ما يكون لنية الشر عقاب، فقد قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): (الناس أربعة: رجل آتاه الله عز وجل علماً ومالاً، فهو يعمل بعلمه في ماله، فيقول رجل: لو آتاني الله مثل ما آتاه لعملت كما يعمل، فهما في الأجر سواء، رجل آتاه الله مالاً، ولم يؤته علماً، فهو يتخبّط بجهله في ماله، فيقول رجل: لو آتاني الله مثل ما آتاه لعملت كما يعمل، فهما في الوزر سواء)(١٤٥٥).

وقد قال القرآن الحكيم: (... وَإِنْ تُبْذُوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخْفَوْهُ يُحَاسِبِكُمْ بِهِ اللَّهُ...)(١٤٥٦).

وفي زيارة عاشوراء المأثورة: (ولعن الله أمة سمعت بذلك فرضيت به).

وفي الحديث إن الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) لما خرج إلى غزوة تبوك، قال: (إن بالمدينة أقواماً، ما قطعنا وادياً، ولا وطنناً موطننا يغيب الكفار ولا أنفقنا نفقة، ولا أصابتنا مخمصة، إلا شاركونا في ذلك، وهم في المدينة، قالوا: وكيف ذلك يا رسول الله وليسوا معنا؟ قال: حسبهم العذر، فشاركونا بحسن النية)(١٤٥٧).

١٤٥٢ - جامع السعادات: ١١٣/٣.

١٤٥٣ - جامع السعادات: ١١٤/٣.

١٤٥٤ - جامع السعادات: ١١٤/٣.

١٤٥٥ - جامع السعادات: ١١٤/٣.

١٤٥٦ - سورة البقرة: آية ٢٨٤.

١٤٥٧ - جامع السعادات: ١١٤/٣.

وفي الحقيقة أنّ الأمر في الإسلام في باب الخير ليوسع جداً، إنّ القاعدة المطردة عند الناس، بالنسبة إلى الأعمال الدنيوية، إنهم يعطون الأجر بعد تمام العمل، لكن الإسلام يضع الثواب لمجرد النية.

ورود في خبر: (إنّ رجلاً قتل في سبيل الله بأيدي بعض الكفار، وكان يدعى بين المسلمين؟ (قتيل الحمار) لأنه قاتل رجلاً من الكافرين، نية أن يأخذ حماره ويسلبه، فقتل على ذلك فأضيف إلى نيته، وهاجر رجل إلى الجهاد مع أصحاب النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وكانت نيته من المهاجرة أن يأخذ امرأة كانت في عساكر الكفار ويتزوجها، وتسمى أم قيس، فاشتهر هذا الرجل عند أصحاب النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) بـ (مهاجر أم قيس)).

وفي حديث: (إنّ مسلمين تقاتلا، فقتل أحدهما الآخر، فقال الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم): القاتل والمقتول كلاهما في النار، قيل: يا رسول الله، هذا القاتل، فما بال المقتول؟ قال (صلى الله عليه وآله وسلم): لأنه أراد قتل صاحبه).

ولا منافاة بين الأحاديث التي دلت على أنّ من هم بالسيئة فلم يعملها لم يكتب له وزر، وبين ما دلّ على كتابة الوزر إذ الطائفة الأولى فيما لم يأت بالمظهر لما نواه من الإثم، والطائفة الثانية فيما إذا أتى بالمظهر، كما رأينا في هذا الحديث الأخير: إنه أراد قتل صاحبه وتقاتل معه...

وقال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): (إذا التقى الصفان، نزلت الملائكة تكتب الخلق على مراتبهم: فلان يقاتل للدنيا، فلان يقاتل حمية، فلان يقاتل عصبية، ألا فلا تقولوا: قتل فلان في سبيل الله، إلا لمن قاتل لتكون كلمة الله هي العليا)(١٤٥٨) إنّ الله لا يريد إلا تقدم الله بالدين، وليس عند الإسلام (الغاية تبرّر الوسطة).

وقال الرسول الأعظم (صلى الله عليه وآله وسلم): (من تزوج امرأة على صداق وهو لا ينوي إداؤه، فهو زان، ومن استدان ديناً، وهو لا ينوي قضاءه فهو سارق، ومن تطيب لله تعالى، جاء يوم القيامة وريحه أطيب من المسك، ومن تطيب لغير الله جاء يوم القيامة وريحه أنتن من الجيفة)(١٤٥٩).

ولعلّ المراد من التطيب لغير الله، التطيب المحرم، كتطيب المرأة لغير زوجها أو الرجل لاغراء النساء الأجنيات، أما التطيب للمسلمين فهو من النظافة والطيب الذي أمر الله تعالى به.

وقال الإمام الصادق (عليه السلام): (إنّ العبد المؤمن الفقير ليقول: يا رب، ارزقني حتى أفعل كذا وكذا من البرّ ووجوه الخير، فإذا علم الله عزّ وجلّ ذلك منه بصدق النية كتب الله له من الأجر مثل ما يكتب له لو عمله، إنّ الله واسع كريم)(١٤٦٠).

وقال الإمام الباقر (عليه السلام): (نية المؤمن خير من عمله).

وذلك لأنه ينوي من الخير ما لا يدركه، (ونية الكافر شرّ من عمله)(١٤٦١) وذلك لأن الكافر ينوي الشر ويأمل من الشر ما لا يدركه).

فعلى الإنسان العاقل أن: (أ) يعمل الخير (ب) ويكثر من عمل الخير ج - وينوي الخير د - ويكثر من نية الخير، كأن ينوي: أنّه لو كان بإمكانه هدي العالم كلّهم إلى الإيمان والعمل الصالح، وما أشبهه، ليكون من أوفى البرية عند الله سبحانه في الحسنات يوم يلقاه.

١٤٥٨ - جامع السعادات: ١١٥/٣.

١٤٥٩ - جامع السعادات: ١١٥/٣.

١٤٦٠ - جامع السعادات: ١١٥/٣.

١٤٦١ - جامع السعادات: ١٢٢/٣.

حب الله والحب لله

إن كل خير أصاب الإنسان، أو يصيبه في المستقبل، إنما هو من الله سبحانه.
وإن كل شرّ دفع عن الإنسان في الماضي، أو يدفع عن الإنسان في المستقبل إنما يدفعه الله سبحانه.
إذا.. فالله سبحانه أحقّ بالحب، من كل شيء وكل شخص وإذا أحبّ الإنسان الله عن معرفة خلا قلبه عن حبّ سواه،
إذ كل محبوب ما خلاه مجازي لا حقيقة له، وإن شئت قلت يلزم ان تحب الإنسان ما عدا الله سبحانه حباً بالعرض أما
حبّ الله فهو حب بالذات، فمثلاً: إن الإنسان يحب أبويه لكن حبه لهما دون حب الله تعالى إذ أن الله هو الموجد الحقيقي
والأبوان واسطة، والإنسان يحب الأنبياء والصالحين، لأنهم مرتبطون بالله ومقربون إليه، وهكذا سائر أقسام الحب.
أما الحب لله، فهو أن يحب الإنسان كل شيء محسوب لله سبحانه، أما ما يكرهه الله تعالى، فاللزام على الإنسان أن
لا يحبه وإن وصل إلى الشخص من ذلك الإنسان خير وإحسان وأي عاقل يترك الأهم ويأخذ بغيره؟ مثلاً: إذا أحسن إليك
كافر، كان اللزام إن لا تحبه لإحسانه لأنه لا يجمع بين حب الله وبين حب ذلك الكافر، والله أولى بالحب لأنه مصدر كل
خير، حتى ان الخير الذي وصل إليك من ذلك الكافر، مصدره الحقيقي هو الله تعالى.
وقد أمر الإسلام بحب الله وحب من أمر الله بحبه، إرشاداً إلى هذه الحقيقة ففي القرآن الحكيم في وصف المؤمنين:
(... يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ...)(١٤٦٢) وفي آية أخرى: (... وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ...)(١٤٦٣) وفي آية ثالثة: (قُلْ إِنْ كَانَ
أَبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ
إِلَيْكُمْ مِنْ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا...)(١٤٦٤).
وقال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): (لا يؤمن أحدكم حتى يكون الله ورسوله أحب إليه مما
سواهما)(١٤٦٥).
وقال (صلى الله عليه وآله وسلم): (الحب من شروط الإيمان)(١٤٦٦).
وقال (صلى الله عليه وآله وسلم): (أحبوا الله لما يغدوكم به من نعمة وأحبوني لحب الله)(١٤٦٧) وفي دعائه له
(صلى الله عليه وآله وسلم): (اللهم أرزقني حبك وحب من يحبك، وحب من يقربني إلى حبك، واجعل حبك أحب الي من
الماء البارد)(١٤٦٨).
أرأيت كيف يشناق الإنسان إلى بعض مطالب الروح، حتى أن مطالب الجسد تكون في جنبه كالصفر بما للنسبة إلى
العدد؟ وهكذا يكون الإنسان المحب لله تعالى، إن الملائد الجسدية كالماء البارد، والطعام الشهوي، والزوجة الجميلة،
والقصر الفخم وما أشبه كلها تكون حينئذ بمنزلة الأصفار بالنسبة إلى حب الله حتى أنه يرجح رضى الله على تلك
الأشياء لا ترجيحاً عقلياً فقط، بل ترجيحاً خالط روحه وملاً نفسه، إن الإنسان قد يرجح شرب الدواء على أكل الطعام
اللذيذ لكنه ترجيح عقلي، أما ترجيحه لحب ولده على حب إنسان بعيد عنه ترجيح روجي عاطفي بالإضافة إلى كونه
عقلياً أيضاً.

١٤٦٢ - سورة المائدة: آية ٥٤.

١٤٦٣ - سورة البقرة: آية ١٦٥.

١٤٦٤ - سورة التوبة: آية ٢٤.

١٤٦٥ - جامع السعادات: ١٥٣/٣.

١٤٦٦ - جامع السعادات: ١٥٣/٣.

١٤٦٧ - جامع السعادات: ١٥٣/٣.

١٤٦٨ - جامع السعادات: ١٥٣/٣.

واسمع إلى هذا الحديث الذي يكاد يسيل رقة ولطفاً: (لقد نظر الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) إلى أحد أصحابه مقبلاً، وعليه إهاب كعبيش، فقال (صلى الله عليه وآله وسلم): (انظروا إلى هذا الرجل قد نور الله قلبه، لقد رأيته بين أبويه يغذيانه بأطيب الطعام والشراب فدعاه حب الله وحب رسوله إلى ما ترون)(١٤٦٩) انه ترك عطف الأبويين، وما فيه من الرفاه، لأجل الله تعالى، وأخذ يقاسي الشدائد لأجل محبوبه.

وروي: (إنه جاء أعرابي إلى النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) فقال: يا رسول الله متى الساعة؟ قال (صلى الله عليه وآله وسلم): ما أعددت لها؟ قال: ما أعددت لها كثير صلاة ولا صيام، إلا إني أحب الله ورسوله، فقال النبي (صلى الله عليه وآله وسلم): (المرء مع من أحب)(١٤٧٠).

ولا يغرن الإنسان ما يزعمه من ظاهر هذا الحديث، من أن المرء مع من أحب ولو خالفه في الطريقة إذ المخالف في الطريقة لا يسمى محباً وإن زعم الحب، أرايت أن اليهود الذين يزعمون حبهم لموسى (عليه السلام) والنصارى الذين يزعمون حبهم لعيسى (عليه السلام) وربما أجهل عطفياً حباً غامراً تسيل معه دموعهم - إذا ذكروهما - هل يحشرون معهما وهل يكونون في زميرتهما؟.

إن الحب كاذب إذا لم يكن معه عمل، ولو كان هناك عاطفة ورقة، فإن الحب شيء والعاطفة شيء آخر. وفي دعاء كميل بن زياد: (فهني يا إلهي وسيدي ومولاي وربّي: صبرت على عذابك فكيف أصبر على فراقك؟) إن علم الإنسان أن من يحبه ساخط عليه، أشدّ ألماً من الآلام الجسدية، إذ الروح أكبر تألماً من الجسد، ومعنى الفراق البعيد روحاً، لا البعد جسماً فإن الله سبحانه منزّه عن الجسم والجسمانية، وفي دعاء عرفة لسيد الشهداء (عليه السلام): (أنت الذي أدلت الأغيار عن قلوب أحبائك حتى لم يحبوا سواك، ولم يلجأوا إلى غيرك) وقال (عليه السلام): (يا من أذاق أحبائه حلاوة الموانسة فقاموا بين يديه متملقين).

وليعلم الإنسان الذي يريد تحصيل حب الله تعالى انه لا يحصل الحب إلا بالعلم والفكر، فمن المحال ان يحب الإنسان من لا يعرفه، أولاً يفكر في لطفه وحسنه وإحسانه! ولذا يلزم على الإنسان أن ينمي ملكة حب الله في نفسه أولاً: بالعلم بالله وبسعة فضله وكمال قدرته وسائر محامده، وثانياً: بالتفكير والتذكر في لطفه، وإن ما عداه لا يعد شيئاً في قبالة، أرايت لو إنك كنت تحب جندياً واحداً لأنه يدافع عن بلادك ثم علمت أن الحكومة العليا هي التي تدافع وإنما هذا الجندي فرد واحد صغير في جنب تلك القوة الهائلة التي تدير البلاد يجب النفع لها ودفع الضرر عنها كيف تتصرف عن حب الجندي إلى حب الحكومة؟ حتى إنك تقدم رضاها على رضاها، وهكذا يكون من عرف الله سبحانه - ولا مناقشة في الأمثال -.

وقد روي: (إن عيسى (عليه السلام) مرّ بثلاثة نفر، قد نحلّت أبدانهم، وتغيّرت ألوانهم، فقال لهم: ما الذي بلغ بكم ما أرى؟ فقالوا: الخوف من النار، فقال: حق على الله أن يؤمن الخائف، ثم جاوزهم إلى ثلاثة آخر، فإذا هم أشدّ نحولاً وتغيّراً، فقال لهم: ما الذي بلغ بكم ما أرى؟ فقالوا: الشوق إلى الجنة، فقال: حق على الله أن يعطيكم ما ترجون، ثم جاوزهم إلى ثلاثة آخر، فإذا هم أشدّ نحولاً وتغيّراً، كأن على وجوههم المرايا من النور، فقال: ما الذي بلغ بكم ما أرى؟ قالوا: حب الله عزّ وجل، فقال: أنتم المقربون)(١٤٧١).

الجنة نعيم جسدي، والنار عذاب جسدي، أما حب الله فهو نعيم روحي، ومن ذاق ذلك كان أشدّ فرحاً وانبساطاً وانشراحاً ممن ذاق حلاوة النعيم الجسدي، كما أن من خاف قوته وعدم الوصول إليه، كان أشدّ نحولاً وتغيّراً وهولاً، ممن خاف حرمان، الجنة، أو الابتلاء بالنار.

١٤٦٩ - جامع السعادات: ١٥٣/٣.

١٤٧٠ - جامع السعادات: ١٥٣/٣.

١٤٧١ - جامع السعادات: ١٥٣/٣.

وحب الله الذي لا يمكن أن يتصور لذته، من لا نصيب له منه، كالطفل الذي لا يمكن أن يدرك لذة الوجاهة عند السلطان، أو كالجاهل الذي لا يمكن أن يدرك لذة حل المسألة المستعصية، لدى العالم، أو كالأعمى من الأم، الذي لا يمكن أن يدرك لذة المبصرات الجميلة.

أما الحب لله، فهو أيضاً ممّا حرّض (عليه الإسلام) أبلغ تحريض، وبقدر أنّه يوجب رفعة الانسان، مشكل وصعب، فإن الانسان بحكم ميوله واتجاهاته ومصالحه، يذهب يميناً وشمالاً في حبه، أما أن يصرف حبه كله في الله، فلا يحب إلا الله، ولا يكره إلا في الله، فذلك صعب، مشكل جداً.

قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): (وَدَّ الْمُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِ فِي اللَّهِ أَكْثَرَ شَعْبِ الْإِيمَانِ، أَلَا وَمَنْ أَحَبَّ فِي اللَّهِ، وَأَبْغَضَ فِي اللَّهِ، وَأَعْطَى فِي اللَّهِ، وَمَنْعَ فِي اللَّهِ، فَهُوَ مِنْ أَصْفِيَاءِ اللَّهِ) (١٤٧٢).

وقال (صلى الله عليه وآله وسلم) يوماً لأصحابه: (أَيُّ عُرَى الْإِيمَانِ أَوْثَقُ؟ فَقَالُوا: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، وَقَالَ بَعْضُهُمْ: الصَّلَاةُ، وَقَالَ بَعْضُهُمْ: الزَّكَاةُ، وَقَالَ بَعْضُهُمْ: الصِّيَامُ، وَقَالَ بَعْضُهُمْ: الْحَجُّ وَالْعُمْرَةُ، وَقَالَ بَعْضُهُمْ: الْجِهَادُ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ): لِكُلِّ مَا قَلَّمْتُ فَضْلًا، وَلَيْسَ بِهِ، وَلَكِنْ أَوْثَقُ عُرَى الْإِيمَانِ: الْحُبُّ فِي اللَّهِ وَالْبَغْضُ فِي اللَّهِ، وَتَوَلَّى أَوْلِيَاءَ اللَّهِ وَالتَّبَرَّى مِنْ أَعْدَاءِ اللَّهِ) (١٤٧٣).

إن كان الأمر كذلك فإنّ الحبّ في الله والبغض في الله، لا يكون إلا إذا كانت وجهة الانسان مصروفة إلى الله تماماً ومن المعلوم إنّ من صرفت وجهته إلى الله، يتأتّى العمل الصالح تلقائياً، فالجهاد والصلاة والصيام وما أشبهه أثر من آثار الحب في الله.

وقال (صلى الله عليه وآله وسلم): (المتحابون في الله يوم القيامة على أرض زبرجد خضراء في ظلّ عرشه عن يمينه - وكلتا يديه يمين - وجوههم أشدّ بياضاً من الثلج وأضوء من الشمس الطالعة، يغطهم بمنزلتهم كل ملك مقرب ونبي مرسل يقول الناس: من هؤلاء؟ فيقال: هؤلاء المتحابون في الله) (١٤٧٤).

المراد بـ (عن يمينه): إنّه لو فرض شخص في العرش مقبلاً بوجهه على الناس، كان طرفه الأيمن محلّ هؤلاء، ولما كان الكلام مشار شبهة الجسميّة، ضرب (صلى الله عليه وآله وسلم) بقوله: (كلتا يديه يمين) دفعاً لإيهام الجسميّة. وقال الامام السجّاد (عليه السلام): (إذا جمع الله الأولين والآخرين قام مناد فينادي بنداء يسمع الناس، فيقول: أين المتحابون في الله؟ قال: فيقوم عنق من الناس، فيقال لهم: اذهبوا إلى الجنة بغير حساب، قال: فتلقاهم الملائكة، فيقولون: إلى أين؟ فيقولون: إلى الجنة بغير حساب، فيقولون: أي ضرب أنتم من الناس؟ فيقولون: نحن المتحابون في الله، قال: فيقولون: وأي شيء كانت أعمالكم؟ قالوا: كنا نحب في الله ونبغض في الله، قال: فيقولون: نعم أجر العاملين) (١٤٧٥).

وقال الإمام الباقر (عليه السلام): (إذا أردت أن تعلم أنّ فيك خيراً، فانظر إلى قلبك، فإن كان يحب أهل طاعة الله، ويبغض أهل معصيته ففك خير والله يحبك، وإذا كان يبغض، أهل طاعة الله، ويحب أهل معصيته، فليس فيك خير والله يبغضك، والمرء مع من أحب) (١٤٧٦).

وانظر إلى هذا الحديث الذي قاله الامام الباقر (عليه السلام) لتتري قيمة المحبة في الله، قال (عليه السلام): (لو أنّ رجلاً أحبّ رجلاً لله أثابه الله على حبّه إياه وإن كان المحبوب في علم الله من أهل النار، ولو أنّ رجلاً أبغض رجلاً لله لأثابه الله على بغضه إياه، وإن كان المبغض في علم الله من أهل الجنة) (١٤٧٧).

١٤٧٢ - أصول الكافي: ١٢٥/٢ - جامع السعادات: ١٨٥/٣.

١٤٧٣ - أصول الكافي: ١٢٥/٢ - جامع السعادات: ١٨٥/٣.

١٤٧٤ - بحار الأنوار: ٣٩٩/٧٤، ب ٢٨ - جامع السعادات: ١٨٥/٣.

١٤٧٥ - أصول الكافي: ١٢٦/٢ - جامع السعادات: ١٨٥/٣.

١٤٧٦ - أصول الكافي: ١٢٦/٢ - جامع السعادات: ١٨٥/٣.

إنّ الحب في الله، موضوعي، لا طريقي، إذ الحب هو الباعث للخير في الدنيا والسعادة في الآخرة، فأيهم أن يكون المحبوب من آل الله أو من أعداء الله، وكذلك البغض في الله موضوعي وليس طريقياً.

ثم إنّ ملكة الحب في الله والبغض في الله، كسائر الملكات التي تكون قابلة للإيجاد ثم تكون قابلة للإتماء، فإنك إذا أكثرت التفكير في الكون، وإنّ جميع الخيرات من الله سبحانه، وجميع الشرور ليست من الله سبحانه، ثم تذكرت عظمة الله سبحانه وسعة ملكه، لأحبيته حباً يشغف قلبك ويمتزج بروحك ويخالط نفسك، فإن الإنسان مجبول على حب المحسنين وعلى حب العظماء... ثم إذا أحببت الله سبحانه، أحببت كل ما يتعلق بالله، فقد قالوا: (كل شيء من الحبيب حبيب) وإذا غمر قلبك حب الله وحب ما يتعلق به - وهو الحب في الله - كأنه لا بد وأن تبغض ما هو على خلاف الله، وعلى خلاف محبوب الله، وهناك كمال الإيمان والخير في الدارين.

قال الصادق (عليه السلام): (من أحب الله، وأبغض الله وأعطى الله، فهو من كمل إيمانه) (١٤٧٨) وقال (عليه السلام): (إنّ المتحابين في الله يوم القيامة، على منابر من نور، قد أضاء نور أجسادهم ونور منابرهم كل شيء حتى يعرفوا به، فيقال: هؤلاء المتحابون في الله) (١٤٧٩).

فإذا نظّم الإنسان كل يوم، ولو ربع ساعة، للتفكير حول هذا الموضوع، لم تنته سنة إلا ويرى نفسه متّصفاً بهذه الملكة الثمينة التي هي مبعث سائر الفضائل والكمالات، فإذا أحبّ الإنسان ربه، لم يأت بمحرم ولم يترك واجباً، فإنّ الحب يؤسر صاحبه حتى لا يأتي بما يكره المحبوب.

العزلة

يقول الشاعر الفارسي:

(الصمت والجوع والسهرة والعزلة ودوام ذكر الله) هذه الخمسة تكمل الناقصين. والأمر كما قال هذا الشاعر، فإنّ البدن كلما ربي ضعف جانب الروح وقويت البهيمية في الإنسان، وبالعكس كلما ربي البدن، قويت الحالة الملكوتية في الإنسان، وصفى الروح، والأمور الخمسة المذكورة هي التي تربيّ البدن وتقويّ الروح.

فحفظ اللسان عن الكلام، وتخلية المعدة عن الطعام، وإفراغ العين عن المنام، والانعزال عن الأثام، وذكر الله على الدوام، كلها من مصفيات الروح، ومضعفات البدن.

لكن هل يجوز حفظ اللسان عن الإرشاد والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والتعليم والوعظ وما أشبهه؟.

وهل يجوز عدم الأكل حتى يضعف الإنسان عن الواجبات، ويكون بدنه معرضاً للأمراض؟.

وهل يجوز عدم النوم حتى يمرض الإنسان، وينعس عند أداء الواجبات، ويكسل عن إقامة السنن؟.

وهل يجوز ترك الناس بدون واعظ منذر، والفرار إلى الكهوف والثغور؟.

كلا! والإسلام ينهي عن ذلك، ويأمر بخلافه، إنّما المهم الرقابة الكاملة على النفس، حتى لا تنزلق إلى حضيض البهيمية. والأئمة الطاهرون خير أسوة في تطبيق الحياة المتوسطة بين الإفراط والتفريط، فهم كانوا يتكلمون بخير أو

١٤٧٧ - أصول الكافي: ١٢٧/٢ - جامع السعادات: ١٨٥/٣.

١٤٧٨ - أصول الكافي: ١٢٤/٢ - جامع السعادات: ١٨٦/٣.

١٤٧٩ - بحار الأنوار: ٣٩٩/٧٤، ب ٢٨ - جامع السعادات: ١٨٦/٣.

يصمتون وكانوا يأكلون بمقدار تقوية الأبدان وتقويم الأجساد ويجوعون، وكانوا ينامون شطراً ويسهرون شطراً: (كانوا قليلاً من الليل ما يهجعون، وبالأسحر هم يستعفرون)(١٤٨٠) وكانوا يخالطون الناس لإرشادهم، ويعتزلون بقدر، أما ذكر الله قلباً ولساناً، فقد كان يغمر أوقاتهم.

نعم مختلف الظروف والأحوال في تقدير هذه الأمور، فربما كان الظرف ملائماً للصمت، فلا مجال للكلام، وربما كان العكس، فلا مجال للصمت وهكذا سائر الأمور المذكورة، فالعزلة التي كلامنا فيها الآن إن كانت موجبة لحفاظ الانسان من المعاصي والمحرمات فيما لم يكن اختلاطه سبب هداية وإصلاح تكون واجبة... وإن كانت بالعكس كانت محرمة، ولذا ورد قسماً من الأدلة في هذا الباب.

قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): (إن الله يحبّ العبد التقي الخفي)(١٤٨١) وقال (صلى الله عليه وآله وسلم): (أفضل الناس مؤمن يجاهد بنفسه وماله في سبيل الله، ثم رجل معتزل في شعب من الشعاب)(١٤٨٢) وسأل رجل الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) عن طريق النجاة؟ فقال (صلى الله عليه وآله وسلم): (ليسعك بيتك، وامسك عليك دينك، وابك على خطيئتك)(١٤٨٣) وقال الإمام الصادق (عليه السلام): (فسد الزمان، وتغير الإخوان، وصار الأفراد أسكن للفؤاد)(١٤٨٤) وقال (عليه السلام): (أقلل معارفك، وانكر من تعرف منهم)(١٤٨٥) وقال (عليه السلام): (صاحب العزلة متحصن بحصن الله تعالى، ومتحرّس بحراسته، فيا طوبى لمن تفرّد به سرّاً وعلانية)(١٤٨٦) إلى غيرها من الأحاديث التي هي بهذه اللهجة والأسلوب... وفي الحقيقة إن بعض الظروف تتطلب العزلة إذ الاختلاط لا يوجب ألا الفساد والإفساد، كما إن لبعض الناس العزلة لهم خير، لأنهم في المجتمع يفسدون ويفسدون.

أما الظروف العادية، بالنسبة إلى الانسان العادي، فالاختلاط هو اللازم حتى إن العزلة - لاستلزامها ترك الإرشاد، وترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر - تكون محرمة.

ولذا وردت الأحاديث في ذم العزلة، ومدح الاختلاط، قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): (المؤمن ألف مألوف، ولا خير فيمن لا يألف ولا يؤلف)(١٤٨٧) وقال (صلى الله عليه وآله وسلم): (من فارق الجماعة مات ميتة جاهلية)(١٤٨٨) فإن رهبان الجاهلية كانوا يفارقون الجماعة ولا رهبانية في الإسلام، بل سيرة النبي والأئمة الطاهرين (عليهم السلام) خير شاهد للإلفة والاختلاط، لكن الانسان يجب أن يحافظ على دينه، لئلا يغمره تيار الإتحافات التي ينخرط الناس في مسلكها في كل زمان ومكان خصوصاً في زماننا الحاضر.

إن المجتمع قبل سقوط الدولة الإسلامية، كانت قمتها الزهاد، وبعدهم العدول وباقي الهرم العاديون الذين قد تأتي منهم المعاصي الأولية، كالغيبة والكذب، وما أشبه، ولذا كان المخالط يجد - من ناحية الأسوة الصالحة - ومن ناحية المتدينين... أما اليوم فالقمة: العدول، وبعدهم: الفساق - بلوني الفسق البدائية والمغلظة، كالزنا والخمر والقمار وترك الصلاة وما أشبه - وباقي الهرم المنحرفون عقائدياً، والمنكرون للضروريات، وما أشبه، ولذا كانت الاستقامة في مثل هذا المجتمع من أشكال الأمور، لكن، من الضروري على المتدين أن يبقى في المجتمع، ويأخذ زمام الإرشاد والهداية وإلا كان مسؤولاً أمام الله سبحانه.

-
- ١٤٨٠ - سورة الذاريات: آية ١٧ - ١٨ .
١٤٨١ - جامع السعادات: ١٩٧/٣ .
١٤٨٢ - جامع السعادات: ١٩٧/٣ .
١٤٨٣ - جامع السعادات: ١٩٧/٣ .
١٤٨٤ - جامع السعادات: ١٩٧/٣ .
١٤٨٥ - جامع السعادات: ١٩٧/٣ .
١٤٨٦ - جامع السعادات: ١٩٧/٣ .
١٤٨٧ - جامع السعادات: ١٩٨/٣ .
١٤٨٨ - جامع السعادات: ١٩٨/٣ .

الرضا

الكون كله خاضع تحت إرادة الله الواحد القهار، لا يحيد عنها قيد شعرة، فقد: (قالتا أَيْتَيْنَا طَائِعِينَ) (١٤٨٩) وجزء من هذا الكون - وهو الانسان - خاضع لهذه الإرادة الإلهية لا يتمكن أن يحيد عنها قيد شعرة، إلا بقدر ما أراد الله سبحانه فأعطاه الزمام، وأثر الانسان في الكون أقل من أثر النملة على الصفاة الملساء.

إنّ الانسان يتمكن من (البناء) ومن (الطيران) ومن السير بوسائل مختلفة، لكن كم تقدر نسبة هذه الأمور إلى الأرض التي تسكنها؟ فكيف بالكون كله؟.

ثم إنّه قد:

جرى قلم القضاء بما يكون***فسيان التحرك والسكون
إلا في حدود ضيقة جداً شاءت الإرادة الكلية أن يكون للإنسان بعض المصيب (... لِنَسْبُوهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ
عَمَلًا) (١٤٩٠).

فإذا رضي الإنسان بما قدره الله سبحانه، من حياة وموت، وصحة وسقم، وغنى وفقر، وارتفاع وانخفاض، أو ما أشبه، كان مطمئن الخاطر في الحياة، مثاباً بعد الممات وإلا لم يحصل إلا الاضطراب في هذه الدنيا، والعقاب في الآخرة، ولذا يلزم على الانسان أن يدرب نفسه على (الرضا) وينمي في نفسه هذه الملكة الشريفة.

وليس معنى الرضا الاستسلام والكسل وعدم العمل، بل معناه: أن يعمل الانسان حسب المستطاع، وكما أمر الله، في مختلف شؤون الحياة، ثم إذا جاء القدر لم يغضب ولم يسخط وإنما يتقبله بقبول حسن، حتى يوفي في أجره غير منقوص.

وقد أرصد الإسلام لهذه الناحية المهمة أكبر رصيد، ففي الخبر القدسي: (أنا الله لا إله إلا أنا، من لم يصبر على بلاني، ولم يشكر على نعماني، ولم يرض بقضائي، فليتحذ رباً سواي) (١٤٩١) وفي خبر قدسي آخر: (قدّرت المقادير ودبّرت التدبير، أحكمت الصنع، فمن رضي، فله الرضا مني حين يلقاني، ومن سخط فله السخط مني حين يلقاني) (١٤٩٢) وقال موسى (عليه السلام) في مناجاته لله سبحانه: (إي رب أي خلقك أحبّ إليك؟ قال: من إذا أخذت منه المحبوب سالمني، قال (عليه السلام): فأي خلقك أنت عليه ساخط؟ قال: من يستخيرني في الأمر، فإذا قضيت له سخط قضائي) (١٤٩٣).

ولعلّ معنى (يستخيرني في الأمر) أنّه يطلب مني أن أجعل الخير في عمله فإذا عمل بذلك، ورأى ضرراً سخط ما قدّرت له!

١٤٨٩ - سورة فصلت: آية ١١.

١٤٩٠ - سورة الكهف: آية ٧.

١٤٩١ - جامع السعادات: ٢٠١/٣.

١٤٩٢ - جامع السعادات: ٢٠١/٣.

١٤٩٣ - جامع السعادات: ٢٠١/٣.

وقال الإمام الباقر (عليه السلام): (ومن سخط القضاء، مضى عليه القضاء، وأحبط الله أجره)(١٤٩٤) وقال الإمام الصادق (عليه السلام): (كيف يكون المؤمن مؤمناً وهو يسخط قسمته، ويحقر منزلته، والحاكم عليه الله، وأنا الضامن لمن لم يهجس في قلبه إلا الرضا أن يدعو الله فيستجاب له)(١٤٩٥) إن هذا الضمان كبير جداً، لكن الشرط أيضاً مشكل، فإن الرضا المطلق لا يحصل إلا بعد طول المجاهدة.

وانظر إلى هذا الحديث الذي فيه التحذير والترغيب على حد سواء، روي إته أوحى الله تعالى إلى داود (عليه السلام): (تريد وأريد وإنما يكون ما أريد، فإن أسلمت لما أريد كفيتك ما تريد، وإن لم تسلم لما أريد، أتعبتك فيما تريد، ثم لا يكون إلا ما أريد)(١٤٩٦).

وفي الحديث: (إن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) سأل أصحابه: ما أنتم؟ فقالوا: مؤمنون، فقال: ما علامة إيمانكم؟ فقالوا: نصبر على البلاء، ونشكر عند الرضاء، ونرضى بمواقع القضاء، فقال (صلى الله عليه وآله وسلم): مؤمنون ورب الكعبة)(١٤٩٧) وفي خبر آخر أنه (صلى الله عليه وآله وسلم) قال: (حكماء علماء كادوا من فقههم أن يكونوا أنبياء)(١٤٩٨).

وقال (صلى الله عليه وآله وسلم): (إذا أحبب الله عبداً ابتلاه، فإن صبر اجتباه، فإن رضي اصطفاه)(١٤٩٩) ولنقف قليلاً عند هذا الحديث فالله سبحانه لا يحب العبد إلا إذا كان مطيعاً، فإذا أطاع أحبه وهناك درجة أرقى من درجة الحب ولا ينالها إلا الذي يتلي فيصبر ولذا يدرج الله محبوبه بالابتلاء والشدائد إلى هذه الدرجة، فإن نجح وذلك بأن صبر في البلاء فلم يجزع ولم يعمل عملاً يكرهه الله تعالى (اجتباها) أي اختاره، والمختار - كما نشاهد - قسمان: قسم مصقى من جميع الشوائب، وهذا هو (المصطفى) وقسم ليس بهذه المنزلة فالمبتلى أن رضي بالابتلاء - وهو فوق الاصطبار - كان جديراً بالاصطفاء، وهذه درجة رفيعة جداً لا ينالها إلا الأوحدي من الناس وقليل ما هم!

وقال (صلى الله عليه وآله وسلم): (إذا كان يوم القيامة، أنبت الله لطائفة من أممي أجنحة، فيطيرون من قبورهم إلى الجنان، يسرحون فيها ويتنعمون كيف شاؤوا؟ فتقول لهم الملائكة: هل رأيتم الحساب؟ فيقولون: ما رأينا حساباً، فتقول لهم: هل جزتم الصراط؟ فيقولون: ما رأينا صراطاً، فتقول لهم: هل رأيتم جهنم؟ فيقولون: ما رأينا شيئاً، فتقول الملائكة: من آية أمة أنتم؟ فيقولون: من أمة محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) فتقول: ناشدناكم الله، حدثونا: ما كانت أعمالكم في الدنيا؟ فيقولون: خصلتان كانتا فينا، فبلغنا الله هذه المنزلة، بفضل رحمته فيقولون: وما هما؟ فيقولون: كنا إذا خلونا نستحي أن نعصيه، ونرضى باليسير مما قسم لنا فتقول الملائكة: يحق لكم هذا)(١٥٠٠).

إن هاتين الصفتين (الاستحياء في الخلاء) و(الرضى باليسير) في قمة الفضائل، التي ما وراءها قمة، فإن الحياء في الخلاء، يدل على ملكة راسخة في القلب تبعث على الخوف والخجل من الله سبحانه ومن المعلوم: إن الذي يخجل من الله تعالى لا يعصيه وإنما يفعل ما يأمره الله. والرضا باليسير لا يتسنى لكل أحد، وإنما هو صفة راسخة في النفس يرى الإنسان لسبب هذه الصفة إن الله محسن إليه، وإن أعطاه اليسير، وإن ذلك لمصلحة وحكمة، ولو دقت اليوم في المسلمين لوجدت قلة قليلة منهم بهذه الصفة.

١٤٩٤ - أصول الكافي: ٦٢/٢ - جامع السعادات: ٢٠٢/٣.

١٤٩٥ - أصول الكافي: ٦٢/٢ - جامع السعادات: ٢٠٢/٣.

١٤٩٦ - جامع السعادات: ٢٠٢/٣.

١٤٩٧ - جامع السعادات: ٢٠٤/٣.

١٤٩٨ - جامع السعادات: ٢٠٤/٣.

١٤٩٩ - جامع السعادات: ٢٠٥/٣.

١٥٠٠ - جامع السعادات: ٢٠٥/٣.

وقال الإمام الصادق (عليه السلام): (إن الله يعدله وحكمته وعلمه جعل الروح والفرح في اليقين والرضى عن الله تعالى، وجعل الهم والحزن في الشك والسخط)(١٥٠١).

إنّ المتيقن بثواب الله، والراضي بفعل الله، لا بد وأن يرتاح ويفرح بما يأتيه بخلاف الشاك الساخط، فهذه الفضيلة - اعني الرضا - توجب خير الدنيا قبل خير الآخرة، وأي خير احسن من الروح والفرح؟.

وقال الإمام السجاد (عليه السلام): (الصبر والرضا رأس طاعة الله، ومن صبر ورضي عن الله فيما قضى عليه، فيما أحب أو كره، لم يقض الله عز وجل له فيما أحب أو كره إلا ما هو خير له)(١٥٠٢).

وقال الإمام الباقر (عليه السلام): (أحقّ خلق الله أن يسلم لما قضى الله عز وجل، من عرف الله عز وجل، ومن رضي بالقضاء، أتى عليه القضاء، وعظم الله أجره، ومن سخط القضاء، مضى عليه القضاء، وأحبط الله أجره)(١٥٠٣).

وقال الإمام الصادق (عليه السلام): (أعلم الناس بالله، أرضاهم لقضاء الله)(١٥٠٤) وقال (عليه السلام): (قال الله عز وجل عبدي المؤمن لا أصرفه في شيء إلا جعلته خيراً له فليرض بقضائي، وليصبر على بلائي، وليشكر نعمائي، أكتبه يا محمد من الصديقين عندي)(١٥٠٥).

إنّ الله سبحانه لا يريد بالعبد شراً فإذا وصل إليه شيء مما يكره، مما لا يدلّه في ذلك الشيء، كان له من الله أجراً جزيلاً وثواباً جميلاً، أما إذا لم يرض فما الفائدة؟ إنّه خسر الدنيا، كما خسر الآخرة، وأقلّ خسران الآخرة ان لا ينال نصيبه من الثواب، أليس ذلك خسارة كبيرة، ولذا كان أعلم الناس بالله وبحكمه في أموره أرضاهم لقضائه.

انظر إلى هذا الحديث المروي عن الإمام (عليه السلام): انه سبحانه أوحى إلى موسى بن عمران (عليه السلام): (يا موسى بن عمران ما خلقت خلقاً أحب إليّ من عبدي المؤمن، فإني إنما ابتليته لما هو خير له، وأعافيه لما هو خير له، وأزوي عنه ما هو شرٌّ له، وأنا أعلم بما يصلح عليه عبدي، فليصبر على بلائي، وليشكر نعمائي، وليرض بقضائي، أكتبه في الصديقين عندي، إذا عمل برضائي وأطاع أمري)(١٥٠٦).

وقال (عليه السلام): (عجبت للمرء المسلم، لا يقضي الله عز وجل له قضاء إلا كان خيراً له، إن قرض بالمقاريض كان خيراً له، وإن ملك مشارق الأرض ومغاريها كان خيراً له)(١٥٠٧).

وهنا نكتة لا بد من التنبيه عليها، وهي إن بعض الناس يظنون أنّ الرضا بالقضاء يلزم الاتكال وترك الأسباب، والانفلات عن قبضة العطل والمعلول، أليس كل شيء بقضاء وقدر؟ أليس من رضي فله من الله الرضا ومن لم يرض جرى عليه القضاء ولا أجر له؟.

ولكن هذا من أعظم الاشتباه، إنّ الله سبحانه جعل الدنيا دار السبب والمسبب وأمر بالتوصل بالأسباب إلى مسبباتها، لكن هناك شيئين خارجين عن مقدور الانسان (الأول) بعض الأسباب (الثاني) الأمور الاتفاقية، مثلاً الانسان الذي ليست له قوة، لا يتمكن من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وقد يزرع الزارع ولكن الرياح الخارجة عن قدرته تسبب فساد الزرع.

١٥٠١ - جامع السعادات: ٢٠٥/٣.

١٥٠٢ - أصول الكافي: ٦٠/٢ جامع السعادات: ٢٠٥/٣.

١٥٠٣ - أصول الكافي: ٦٢/٢ جامع السعادات: ٢٠٦/٣.

١٥٠٤ - أصول الكافي: ٦٠/٢ جامع السعادات: ٢٠٦/٣.

١٥٠٥ - أصول الكافي: ٦١/٢ جامع السعادات: ٢٠٦/٣.

١٥٠٦ - أصول الكافي: ٦١/٢ جامع السعادات: ٢٠٦/٣.

١٥٠٧ - أصول الكافي: ٦٢/٢ جامع السعادات: ٢٠٦/٣.

فمحل الرضا بالقضاء، هذان الأمران، ومحل العمل والكد والجد، الأمور الإختيارية التي للإنسان شأن فيها وله قدرة عليها.

وكل واحد من الاتكال على القضاء - المزعوم - بعدم العمل والكد، فيما بيد الإنسان طريقه ويتمكن من سببه. ومن عدم الرضا بالقضاء فيما لا إرادة للإنسان فيه، خروج عن سنن الكون وتضييع للواقع، فإذا أصاب الإنسان مرض مثلاً، يلزم أن يذهب إلى الطبيب ويستعمل الدواء، فإذا لم ينجح الدواء وأزمن المرض يلزم أن يرضى بالقضاء، أما عدم الذهاب إلى الطبيب - بزعم أنه قضاء وعليه أن يرضى - أو إذا ذهب ولم يبطل يغضب ولا يرضى، فكلا الأمرين خبال واشتباه.

ولكن ليعلم أنّ هناك من الناس من يشط عن جادة الصواب، ويتكل على الأسباب فقط ناسياً رب الكون وأتاه المقدر والمسير والموصل إلى النتيجة، هذا جهل وزيف وانحراف.

ولو مثلنا الواقع - ولا مناقشة في الأمثال - بإنسان يريد الوصول إلى النجف الأشرف، فاللزام أن يركب السيارة ويسوقها السائق حتى يصل، (أ) فإذا لم يركب السيارة، بزعم أنّ وصوله إلى النجف وعدم وصوله بقضاء وقدر، فلم يتعب نفسه؟ كان إغراقاً من جهة الإتكال (ب) وإذا ركب السيارة وزعم أنّها هي السائرة بلا وساطة سائق، كان زيغاً وظلالاً (ج) وإذا ركب واعتقد بالسائق، لكنها خربت في الطريق ثم لم توصله، فغضب وأبدى عدم رضاه كان من عدم معرفة بالواقع، ولا يفيد غضبه وسخطه.

والنفس المتوسطة التي لا تكون منحرفة إلى أحد الأطراف الثلاثة الزانفة، لا تحصل إلا بعد طول الفكر والروية، وإعمال القوة الروحية، وإذا حصلت كان الإنسان متوسطاً عدلاً، لم يتحسر على ما لا حيلة له فيه، ولا يحزن لما يصيبه حزن أهل الدنيا، ولا يعتمد على الأسباب مما يفسد عليه جمال التوكل وسعة الروح المتطلعة إلى عالم الغيب.

ولذا ورد في القرآن الحكيم: (أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفَ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ) (١٥٠٨) فإنه ليس المراد عدم الحزن مطلقاً، وإلا فقد حزن الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) على ولده إبراهيم (عليه السلام) وحزن الإمام الحسين (عليه السلام) على ولده علي الأكبر (عليه السلام) إلى غيرهما، بل المراد حزن أهل الدنيا الذين يرون الأسباب والمسببات ولا يرون الحكم والمصالح والفوائد الآجلة والعاجلة، والثواب والجزاء، وهكذا الكلام بالنسبة إلى (لا خوف عليهم) فإنه لا ينافي خوف موسى (عليه السلام) من فرعون وملائته، فإن المراد خوف أهل الدنيا الذين يرون (ما وراء عبادان قرية).

وقد ورد في الحديث القدسي ان الله سبحانه قال لداود (عليه السلام): (يا داود ما لأوليائي والهَمّ بالدنيا، إنَّ الهَمّ يذهب حلاوة مناجاتي من قلوبهم إنَّ محبتي من أوليائي أن يكونوا روحانيين لا يغمون) (١٥٠٩).

كما أنّ ما ورد من إنَّ الأمور كلها بيد الله تعالى كقوله تعالى: (...وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى...)(١٥١٠) وقوله سبحانه: (إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ...)(١٥١١) وما أشبهه وكلها ناظرة إلى جهة السير وواقع المسير والموصل، فالله هو الموصل ولكن بالأسباب.

١٥٠٨ - سورة يونس: آية ٦٢.

١٥٠٩ - جامع السعادات: ٢١٦/٣.

١٥١٠ - سورة الأنفال: ١٧.

١٥١١ - سورة الذاريات: آية ٥٨.

التوكل

إيكال الأمور إلى الله من أفضل المقامات التي يصل إليها الانسان، ولا يصل الانسان إلى هذا المقام إلا بعد جد وجهد، ولذا كثير من الناس - بل أكثرهم - لا يرون للتوكل معنى - أو لا يتمكنون أن يصلوا إلى هذا المقام.

ومعنى إيكال الأمر إليه سبحانه، أن لا يحرص الانسان بالإتيان على أكثر من الأسباب الظاهرية، ولا يعتم لما فاتته ولا يحزن إذا لم يصل إلى النتيجة، مثلاً إذا عقل الانسان رجل بعيره في المحل الآمن من السبع والحص ووكل الأمر بعد ذلك إليه سبحانه كان معنى التوكل إته يهدأ باله، فلا يتفكر في أمر بعيره هل يصيبه شيء أم لا؟ وإذا أصابه شيء، لم يحزن حزناً لا يرى في ذلك له مصلحة وأجراً.

أما من لا يعقل بعيره، ويقول: (توكلت عليه تعالى) فهذا خلاف ميزان التوكل، إذ التوكل في الأمر الزائد على الأسباب ولذا لما رأى الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) بعيراً بغير عقل، سأل صاحبه عن السبب وحيث أجاب الإعرابي: بأنه توكل على الله، زجره الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) وقال له: إعقل وتوكل. كما أن من يعقل لكنه لا يرى لله سبحانه دخلاً في حفظه أو يرى أن له دخلاً، لكنه لا يستقر قلبه، أو إذا أصابه شيء حزن وجزع، فهو خلاف التوكل.

وقد يزعم بعض الناس المفرطين: إن التوكل عبارة عن عدم التماس الأسباب، وهذا خيال وجهل، كما إته قد يزعم بعض الناس المفرطين: إن التوكل لا معنى له إذ الدنيا دار أسباب، وهذا أيضاً جهل وزيف، فإن الأسباب ليست هي وحدها الموصلة إلى المسببات، وإنما هناك إرادة قوية فوق الأسباب، هي المقررة للمصير أريت من يزرع، هل هو الذي يأتي بالثمر أو من يباشر هو الذي يأتي بالولد؟ أو من يتجر هو الذي يأتي بالأرباح؟ وهكذا، وإن كان الأمر كذلك فلم كثيرون ممن يزرع ولا يحصد؟؟ أو يباشر ولا ينجب؟؟ أو يتجر ويخسر؟؟.

التوكل إضافة إلى انه أمر واقعي، وإن من الجهل عدم التوكل، فإنه يوجب الارتياح وهدوء البال، واطمئنان النفس. ثم التوكل باعتبار كونه ملكة من النفس تبعث على إيكال الأمور إلى الله - بعد تحصيل الأسباب اللاتقة - يحتاج الانسان في تحصيلها إلى المجاهدة، وإلا فالجزع والحزن والحرص هي الغالبة على الانسان في كثير من الأحيان والأشخاص، كما أن الكسل وعدم العمل والإهمال هي الغالبة على بعض الناس الذين يزعمون انه التوكل، فاللازم على الانسان أن يسلك السبيل الأوسط ويمارس هذا المسلك حتى يكون له ملكة، وهناك التوازن والاعتدال والاطمئنان وارتياح البال، وقد أرسد الإسلام لهذا الموضوع المهم في حياة الانسان جداً، رصيماً كبيراً من الآيات والأحاديث. قال القرآن الحكيم: (... وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ) (١٥١٢) وقال: (... وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ) (١٥١٣) وقال: (... إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ) (١٥١٤) وقال: (... وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ...) (١٥١٥) وقال: (... وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ) (١٥١٦).

١٥١٢ - سورة المائدة: آية ٢٣.

١٥١٣ - سورة آل عمران: آية ١٢٢.

١٥١٤ - سورة آل عمران: آية ١٥٩.

وقال الرسول الأكرم (صلى الله عليه وآله وسلم): (من انقطع إلى الله كفاه كل مؤنه، ورزقه من حيث لا يحتسب، ومن انقطع إلى الدنيا وكله الله إليها)(١٥١٧) ولنقف قليلاً عند هذا الحديث الذي به يتبين سائر الأحاديث أيضاً، لنرى الفرق بين المتوكل وغيره، إذ كثيراً ما يخطر ببال بعض الناس إننا نرى عدم الفرق بين المتوكل وغير المتوكل ففي هؤلاء أغنياء وفقراء وفي أولئك أغنياء وفقراء؟ فكيف يكفي الله مؤنة المتوكل دون من عداه؟.

والجواب إن في الأمر مراحل ثلاث:

أ - مرحلة الهدوء النفسي، ولا شك أن المتوكل هادئ النفس بخلاف غيره، كما تقدم.
ب - مرحلة الأجر والثواب، ولا إشكال في إن المتوكل مأجور دون غير المتوكل.
ج - مرحلة الأمور الدنيوية كالربح والمنصب وما أشبهه - وهذه المرحلة هي مرحلة الإشكال والإشتباه - فنقول: إن التوكل على الله يورث الاستقامة التي هي بدورها تعطي كل أمر حقه من العلاج والتسيبب والجهد له، بخلاف عدم التوكل فإنه يورث عدم الاستقامة الذي هو بدوره يوجب الزيف والإفراط والتفريط.
مثلاً، التوكل يوجب الطلب بقدر، والإنفاق في المصارف المقررة بقدر، وهذا يسبب الغنى والاستقامة في العيش، أما عدم التوكل فإنه يورث التكالب، المنجر إلى الربا والاحتكار والحروب التجارية وغلاء الأسعار والاختلال في التوازن الاقتصادي في البلاد، وما أشبهه.
فالانقطاع إلى الله بالتوكل بقدر، والعمل والتسيبب - كما أمر تعالى - بقدر، موجب لكفاية كل مؤنة، والعيش السعيد، بخلاف الانقطاع إلى الدنيا، فإنه يوجب كل شرّ وبؤس.

وحيث إن بعض الناس يفهم من هذا الحديث وبعض الأحاديث الآتية، تعطيل الأسباب، فنقدم جملة من الأدلة الدالة على لزوم التسيبب، ثم نرجع إلى ما كنا بصدد من فضيلة التوكل، بعد ما تقدم حديث (إعقل وتوكل) قال الإمام الصادق (عليه السلام): (أوجب الله على عباده أن يطلبوا منه مقاصدهم بالأسباب التي سببها لذلك، وأمرهم بذلك) وفي القرآن الحكيم آيات دالة على لزوم الأخذ بالأسباب، كقوله سبحانه: (يا أيها النبي حَرِّضَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ...)(١٥١٨) و(وَلَا تَحَاضُّونَ عَلَى طَعَامِ الْمَسْكِينِ)(١٥١٩) و(أَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ...)(١٥٢٠) و(... خُذُوا حِذْرَكُمْ...)(١٥٢١) و(... وَقُلْ أَعْمَلُوا...)(١٥٢٢). إلى غيرها...

وقد يزعم بعض الناس إن الله هو الذي يأتي بالسبب، أليس هو سبحانه مسبب الأسباب؟ وهذا اشتباه فإن معنى مسبب الأسباب أنه جعل السبب سبباً، لا أن معناه أنه تعالى يأتي بالسبب - مثلاً - الله سبحانه جعل المباشرة سبباً لإنجاب الأولاد، لا إن معناه أنه يأتي بالأولاد بدون مباشرة، وفي المشهورة أبي الله أن يجري الأمور إلا بأسبابها وعمل النبي والأئمة الطاهرين (عليهم السلام) من أقوى الشواهد للزوم التمسك بالأسباب.

فالتحريض بالتوكل، في مقابل من لا يتوكل - وهم غالب أهل المادة - لا في مقابل، من يأتي بالأسباب، كما أمر الله تعالى، ثم يتوكل في الأمور الخارجية عن يده.

١٥١٥ - سورة الطلاق: آية ٣.

١٥١٦ - سورة الأنفال: آية ٤٩.

١٥١٧ - جامع السعادات: ٢٢٢/٣.

١٥١٨ - سورة الأنفال: آية ٦٥.

١٥١٩ - سورة الفجر: آية ١٨.

١٥٢٠ - سورة الأنفال: ٦٠.

١٥٢١ - سورة النساء: آية ١٠٢.

١٥٢٢ - سورة التوبة: آية ١٠٥.

إذا عرفت هذا، فلنرجع إلى سائر أدلة التوكل المرشدة إليه، والمحرضة للتمسك به، قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): (من سره أن يكون أغنى الناس فليكن بما عند الله أوثق منه بما في يده)(١٥٢٣) إن ما في يد الإنسان قد يتلف، أما خزائن الله فلا تنفذ: (ما عندكم ينفذ وما عند الله باق...)(١٥٢٤) (ولله خزائن السموات والأرض...) (١٥٢٥) وقال (صلى الله عليه وآله وسلم): (لو أنكم تتوكلون على الله حق توكله، لرزقتم كما ترزق الطيور، تغدو خماصاً وتروح بطاناً)(١٥٢٦) وليس معنى هذا أن يبقى الإنسان في بيته، بل معناه أن يغدو في طلب الرزق، كما تغدو الطيور، ومن المعلوم أن الغدو مع التوكل يوجب سوق الرزق الحلال الهنيء - كما هو كذلك بالنسبة إلى الطيور - فلا يقال: إن الغدو لا يحتاج إلى التوكل، لأننا نرى غير المتوكل أيضاً يرزق؟.

واسمع إلى هذا الحديث الطريف المروي عن الامام السجاد (عليه السلام) قال (عليه السلام): (خرجت حتى انتهيت إلى هذا الحائط فاتكأت عليه، فإذا رجل عليه ثوبان أبيضان، ينظر في اتجاه وجهي ثم قال: يا علي بن الحسين، مالي أراك كنيباً حزيناً، أعلى الدنيا؟ فرزق الله حاضر للبر والفاجر، قلت: ما على هذا أحزن وإنه لكما تقول، قال: فعلى الآخرة، فوعد صادق يحكم فيه ملك قاهر قادر، قلت: ما على هذا أحزن، وإنه لكما تقول فقال: مم حزئك؟ قلت: ممأ نتخوف من فتنة ابن الزبير وما فيه الناس! قال: فضحك، ثم قال: يا علي بن الحسين هل رأيت أحداً سأل الله فلم يجبه؟ قلت: لا، قال: فهل رأيت أحداً توكل على الله، فلم يكفه؟ قلت: لا، قال: فهل رأيت أحداً، سأل الله فلم يعطه؟ قلت: لا، ثم غاب عني)(١٥٢٧).

ولعل الرجل كان الخضر (عليه السلام) أو من الأرواح الطاهرة وإنما جاء ليقول للإمام السجاد (عليه السلام) تعليماً للناس، فإنهم كثيراً ما كانوا لا يتمكنون من إظهار علومهم إلا بالإسناد.

وهنا كلامان (الأول) أن الخوف كيف يلائم مع علم الإمام بالمستقبل، فإنك إذا علمت أن مريضك يموت أو علمت أنه لا يموت، لا يصح أن تقول: أخاف من موت مريض، بل الخوف للأمر المترقب المشكوك فيه (الثاني) أنه على تقدير صحة الخوف مع العلم، فالإمام المطلع على الثواب والأجر، لا وجه لخوفه.

والجواب (أولاً) إن في بعض الأحاديث: إن الأئمة (عليهم السلام) إذا شاعوا علماً.. فحالهم في علم المستقبل حالنا في رؤية الأشياء، إذا أردنا فتحنا العين لنرى، وإذا لم نشأ لم نفتحها فلا نرى، إذا فمن الممكن عدم مشيئتهم لعلم المستقبل، لمصلحة في عدم العلم (ثانياً) يصح الخوف مع العلم بالمضمر المستقبل، ولذا يصح أن تقول أخاف من الموت، مع أنك تعلم أنه يأتيك لا محالة (ثالثاً) من المحتمل قريباً أن يكون العلم بواسطة الأسباب العادية هي التي تؤثر في الحالات النفسية المعتادة، أما العلم بواسطة الأسباب غير العادية فتارة تؤثر وتارة لا تؤثر مثلاً إنك إذا علمت بأن عملية جرح الولد تسبب له راحة، لا تحزن وإنما تفرح، لأنه علم بواسطة السبب العادي، أما الإمام الحسين (عليه السلام) حيث كان علمه بأن قتل علي الأكبر يوجب له راحة كاملة وكان (عليه السلام) يرى الجنة ونعيمها التي ينعم فيها ابنه الشهيد، بواسطة السبب الخارق للعادة، لم يكن ذلك العلم يؤثر في فرح الإمام (عليه السلام) وإنما كان يحزن ويبكي لقتل ولده - وهذا الجواب دقيق جداً وبه يمكن أن يحل كثيراً من هذا القبيل من الإشكالات -.

(رابعاً) إن العلم بالثواب لا يسبب عدم الخوف، بل الخوف كالألم نتيجة لعالم الجسم، فكما أن العلم بالثواب لا يسبب عدم ألم الجسم من سيف العدو، كذلك العلم بالثواب لا يسبب عدم الخوف الحاصل من مقدمات الخوف، كالفطنة وما

١٥٢٣ - جامع السعادات: ٢٢٢/٣.

١٥٢٤ - سورة النحل: آية ٩٦.

١٥٢٥ - سورة المنافقون: آية ٧.

١٥٢٦ - جامع السعادات: ٢٢٢/٣.

١٥٢٧ - أصول الكافي: ٦٣/٢ - جامع السعادات: ٢٢٣/٣.

أشبهه... ولا يخفى أنّ هذا المبحث مربوط بالفلسفة انسقنا إليه انسياقاً دفعاً، لم يتبادر إلى بعض الأذهان، من أمثال هذا الحديث من الأشكال، والله العالم بحقيقة الحال.

وقال الإمام الصادق (عليه السلام): (من أعطي ثلاثاً لم يمنع ثلاثاً من أعطي الدعاء: أعطي الإجابة، ومن أعطي الشكر: أعطي الزيادة، ومن أعطي التوكل: أعطي الكفاية، ثم قال: أتوت كتاب الله عز وجل؟: (... وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ) (١٥٢٨) وقال: (... لئن شكرتم لأزيدنكم...) (١٥٢٩) وقال: (... ادعوني أستجب لكم...) (١٥٣٠) (١٥٣١). وقال (عليه السلام): (إنّ الغنى والعزّ بجولان، فإذا ظفرا بموضع التوكل أوطنا) (١٥٣٢) وقال (عليه السلام): (أوحى الله إلى داود (عليه السلام): ما اعتصم بي عبد من عبادي دون أحد من خلقي، عرفت ذلك من نيته، ثم تكيده السموات والأرض ومن فيهن، ألا جعلت له المخرج من بينهن وما اعتصم عبد من عبادي بأحد من خلقي عرفت ذلك من نيته إلا قطعت أسباب السموات والأرض من يديه وأسخت الأرض من تحته ولم أبال بأي واد هلك) (١٥٣٣). ثم إن كثيراً من الناس يزعمون أنّ التوكل، لقلقة لسان، وقوله. (توكلت على الله). وهذا زعم باطل، رأيت المريض، لو تلفظ بالدواء ألف مرة، هل كان يكفي ذلك، ويبيله من مرضه؟ حتى يستعمل الدواء كذلك (التوكل) لا ينفع لفظه، إلا إذا عمل به الانسان، وأنمى ملكته في نفسه، نعم قوله: (توكلت على الله) إظهار وإيحاء، وما أكثر فائدتهما، أمّا (الإظهار) فلأنه شعار والشعار مهم جداً، شرعاً وعقلاً و عرفاً، وأمّا (الإيحاء) فلأن الانسان إذا كرّر شيئاً، خصوصاً إذا كان بصوت، أوحى ذلك الشيء المكرر إلى نفسه بالالتزام بذلك الشيء ولعلّ هذا هو سرّ ما ورد في الأحاديث الكثيرة من استحباب التلطف بالفاظ الذكر والدعاء والقرآن وما أشبهه، بالإضافة إلى فائدة (التعلم) و(التذكر). ولذا اعتاد الناس إملاء أذهانهم بالمحفوظات، وإن كان وقت الحفظ قد لا يستفيد الانسان من حفظه شيئاً، إلا إنّ ذلك تذكرة وإيحاء، وما أكثر فائدتهما!

الشكر

هل رأيت إنساناً تقدم إليه (ماء) ثم يشرب، ولا يقول لك شيئاً، كيف تمتعض؟ إنّه ليس بإنسان كامل، وإلا لشكرك وأقلاً، باللفظ فقط؟.

ثم إنت إلى الأزيد فالأزيد، حتى تصل إلى من أنعم عليك بكل شيء وكل شيء، ألا يحق أن تشكره ليل نهار، وسراً وجهاراً وإن لم تشكر، فأنت جاحد كافر، ولا أعني بالكفر كفر العقيدة، فإنه خاص بمن ينكر أو يرتاب في أصول الدين فقط، وإنما أقصد بالكفر كفر العمل، فإن من لا يصلي كافر، ومن لا يحج كافر، ومن لا يشكر كافر، ولذا وردت الآيات والأحاديث في نسبة الكفر إلى هؤلاء وأمثالهم! في حديث ينقله شيخنا المرتضى في كتاب المكاسب: إنّ الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) قال لعليّ (عليه السلام): (يا عليّ كفر بالله العظيم من هذه الأمة عشرة النمام و....).

١٥٢٨ - سورة الطلاق: آية ٣.

١٥٢٩ - سورة إبراهيم: آية ٧.

١٥٣٠ - سورة غافر: آية ٦٠.

١٥٣١ - أصول الكافي: ٦٥/٢ - جامع السعادات: ٢٢٣/٣.

١٥٣٢ - أصول الكافي: ٦٥/٢ - جامع السعادات: ٢٢٣/٣.

١٥٣٣ - أصول الكافي: ٦٣/٢ - جامع السعادات: ٢٢٣/٣.

والشكر فضيلة جميلة، يوجب كمال إنسانية الإنسان، وإلا فالخالي عن الفضيلة، ليس بإنسان إطلاقاً، وإن كان ماشياً على رجلين، فالدبّ وبعض القرود أيضاً تمشي على رجلين، ولذا قال الإمام المرتضى (صلوات الله عليه): ابني: إن من الرجلين بهيمة في صورة الرجل السميع المبصر.

والشكر على ثلاثة أنواع:

١ - الشكر باللسان، بأن يتلفظ الإنسان بلفظه (الشكر لله أو أشكر الله) أو ما أشبهه، بل كل حمد ومدح له سبحانه فهو داخل في إطار الشكر وإن لم يكن بلفظ الشكر.

٢ - الشكر بالقلب، بأن يعرف الإنسان بقلبه، إنّ النعم منه سبحانه، وينوي له شكراً ومدحاً، ويخضع قلباً، أمام منعمه والمتفضل عليه، حتى يكون القلب ذا ملكة للشكر.

٣ - الشكر بالجوارح، بأن يأتي الإنسان بما يليق بالنعم، من الاطاعة، والاجتناب عن المعصية، ولذا قال سبحانه: (... اَعْمَلُوا آلَ دَاوُدَ شُكْرًا...)(١٥٣٤) أي آتوا بالعمل الذي هو شكر.

قال الله تعالى: (مَا يَفْعَلُ اللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِنْ شَكَرْتُمْ وَآمَنْتُمْ...)(١٥٣٥) وقال: (... لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ...)(١٥٣٦) وقال: (فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ)(١٥٣٧) وقال: (سَتَجَزِيَ الشَّاكِرِينَ)(١٥٣٨) إلى غيرها من الآيات ولكن هل كل أحد يعرف قدر النعم، ويأتي بالشكر حقّه؟ كلا، قال سبحانه: (... وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّاكِرُونَ)(١٥٣٩).

وقال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): (الطاعم الشاكر، له من الأجر كأجر الصائم المحتسب) أليس كل واحد قد أتى بشرائط العبودية، وواجب حق الله تعالى؟ واستطرد الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) في بقية الحديث السابق قوله (صلى الله عليه وآله وسلم): (والمعافي الشاكر، له من الأجر كأجر المبتلي الصابر، والمعطي الشاكر، له من الأجر كأجر المحروم القانع)(١٥٤٠) وما ألطف هذا الحديث الذي فاه به الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) حيث قال: (إنّ للنعم أوابد كأوابد الوحش، فقيّدوها بالشكر)(١٥٤١) وقال (صلى الله عليه وآله وسلم): (ينادي مناد يوم القيامة: ليقوم الحمادون! فيقوم زمرة، فينصب لهم لواء، فيدخلون الجنة، فقيل: من الحمادون؟ فقال: الذين يشكرون على كل حال)(١٥٤٢).

وهل من الصحيح أن نشكره على بلانه والبؤس كما نشكره على فضله؟ نعم، فإن الله تعالى لا يفعل بعبده إلا خيراً سواء كان نعمة أو نقمة قل: كل من عند الله، والنقمة في المؤمن أما تأديب أو تخفيف ذنب أو رفع درجة؟ وأيّ الثلاثة لا يستحق شكراً؟.

وقال الإمام السجاد (عليه السلام): (إنّ الله سبحانه يحب كل قلب حزين، ويحب كل عبد شكور)(١٥٤٣) والظاهر: إنّ المراد بالحزين، الذي يحزن لأمر آخرته، أو يحزن لضلال الناس وانحرافهم، وقال الإمام الباقر (عليه السلام): (كان رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) عند عائشة ليلتها، فقالت: يا رسول الله لم تتعب نفسك وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر؟ فقال: يا عائشة، ألا أكون عبداً شكوراً؟ قال عليه الصلاة والسلام: وكان يقوم على أطراف أصابع

-
- ١٥٣٤ - سورة سبأ: آية ١٣ .
١٥٣٥ - سورة النساء: آية ١٤٧ .
١٥٣٦ - سورة إبراهيم: آية ٧ .
١٥٣٧ - سورة البقرة: آية ١٥٢ .
١٥٣٨ - سورة آل عمران: آية ١٤٥ .
١٥٣٩ - سورة سبأ: آية ١٣ .
١٥٤٠ - أصول الكافي: ٩٤/٢ - جامع السعادات: ٢٤٠/٣ .
١٥٤١ - جامع السعادات: ٢٤٠/٣ .
١٥٤٢ - جامع السعادات: ٢٤٠/٣ .
١٥٤٣ - أصول الكافي: ٩٩/٢ - جامع السعادات: ٢٤٠/٣ .

رجليه، فأنزل الله تعالى: (طه ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى)(١٥٤٤) وفي الحديث تنبيهه على انه لا يلزم أن يكون العمل لاجل غفران الذنب، بل ولو علم الانسان أن ذنبه مغفور، كان من شرائط الطاعة أن يعمل شكراً لله تعالى، ثم إن الظاهر أن المراد بالذنب ذنب النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) أمام قريش، فقد فتح الله سبحانه للنبي فتحاً ميبيناً، ومن نتائج الفتح غفران ذنبه السابق على الهجرة والمتأخر عنها، كما هي العادة من الناس ينظرون إلى الرؤساء نظرة الإعظام والإكبار، فيغتفرون بذلك ما يعدونه ذنباً، وهذا استعمال عادي كثير في المحاورات، أما كون المراد بالذنب ذنب الأمة كما ورد، فذلك من المصاديق لكل غفران الذنب، الصادق على ذنب الرسول بالنسبة إلى قريش - كما هو الظاهر من سياق الآيات - وعلى ذنب الأمة، حيث إن ذنب الشعوب يعد ذنب الرؤساء، وكيف كان فللكلام محل آخر.

وقال الإمام الصادق (عليه السلام): (ما أنعم الله على عبد من نعمة، عرفها بقلبه، وحمد الله ظاهراً بلسانه، فلم يتم كلامه، حتى يؤمر له بالمزيد)(١٥٤٥) وقال (عليه السلام): (ثلاث لا يضر معهن شيء: الدعاء عند الكرب، والاستغفار عند الذنب، والشكر عند النعمة)(١٥٤٦) فلا كرب مع الدعاء، ولا ذنب مع الاستغفار، ولا خوف من زوال النعمة مع الشكر.

وقال (عليه السلام): (شكر كل نعمة وإن عظمت أن تحمد الله عز وجل عليها)(١٥٤٧) وليس المراد الحمد باللسان فقط، بل الحمد بقول مطلق، ولذا قال (عليه السلام) في حديث آخر: (شكر النعم: اجتناب المحارم، وتمام الشكر قول الرجل: الحمد لله رب العالمين)(١٥٤٨) وسئل (عليه السلام): (هل للشكر حد إذا فعله العبد كان شاكرًا؟ قال (عليه السلام): نعم، قيل: ما هو؟ قال (عليه السلام): يحمد الله على كل نعمة عليه في أهل ومال، وإن كان فيما أنعم الله عليه في ماله حقُّ أداءه)(١٥٤٩).

وقال (عليه السلام): (كان رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) إذا ورد عليه أمر يسره قال: الحمد لله على هذه النعمة، وإذا ورد عليه أمر يغمُّ به، قال: الحمد لله على كلِّ حال)(١٥٥٠) وقال (عليه السلام): (إذا ذكر أحدكم نعمة الله فليضع خده على التراب، وإن لم يكن يقدر على النزول للشهرة، فليضع خده على قربوسه، وإن لم يقدر فليضع خده على كفه، ثم ليحمد الله على ما أنعم عليه)(١٥٥١).

ومن الجدير بالإنسان أن يعود نفسه الحمد لله، بل ذكره سبحانه في كل مناسبة، نحو: (في أمان الله) و(إن شاء الله) و(عافاك الله) و(أصلحك الله) وما أشبهه. وقد روي أن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم): سأل رجلاً قائلاً: (كيف أصبحت؟ فقال: بخير، فأعاد (صلى الله عليه وآله وسلم) فأعاد الرجل الجواب، فأعاد (صلى الله عليه وآله وسلم) السؤال، فقال الرجل: بخير أحمد الله وأشكره، فقال (صلى الله عليه وآله وسلم): هذا الذي أردت منك)(١٥٥٢) وقد كانت عادة المسلمين الإتيان بذكره سبحانه، وبما أمر حتى جاءت المناهج الغربية فيدكوا كل شيء، حتى هذا.

فقد كان للقاء (السلام عليكم ورحمة الله) ... والآن: أهلاً، أو (هلو).

وللتحية بعد اللقاء: (صَبِّحْكَمُ اللَّهُ بِالْخَيْرِ) أو ما أشبهه ... والآن: صباح الخير...

وللتوديع (في أمان الله) ... والآن: في الأمان.

-
- ١٥٤٤ - أصول الكافي: ٩٥/٢ - جامع السعادات: ٢٤٠/٣ .
 ١٥٤٥ - أصول الكافي: ٩٥/٢ - جامع السعادات: ٢٤٠/٣ .
 ١٥٤٦ - أصول الكافي: ٩٥/٢ - جامع السعادات: ٢٤٠/٣ .
 ١٥٤٧ - أصول الكافي: ٩٥/٢ - جامع السعادات: ٢٣٧/٣ .
 ١٥٤٨ - أصول الكافي: ٩٥/٢ - جامع السعادات: ٢٣٧/٣ .
 ١٥٤٩ - أصول الكافي: ٩٦/٢ - جامع السعادات: ٢٣٧/٣ .
 ١٥٥٠ - أصول الكافي: ٩٧/٢ - جامع السعادات: ٢٣٧/٣ .
 ١٥٥١ - أصول الكافي: ٩٥/٢ - جامع السعادات: ٢٣٨/٣ .
 ١٥٥٢ - جامع السعادات: ٢٣٨/٣ .

وللوعد (إن شاء الله) ... والآن: صار..

وللجواب عن سؤال الصحة: (الحمد لله): والآن: لا بأس أو ينقضي، وهكذا وهكذا...

ثم ليعرف الانسان، ان التوفيق للشكر، والتمكن على الشكر، من نعم الله التي تستحق أن يشكر الله سبحانه من وفق له، ولذا ورد: (إن الله أوحى إلى موسى (عليه السلام): يا موسى اشكرني حق شكري، فقال: يا رب، كيف أشكرك حق شكرك، وليس من شكر أشكرك به إلا وأنت أنعمت به علي؟ قال: يا موسى الآن شكرتني، حيث علمت أن ذلك مني)(١٥٥٣) وورد مثل ذلك بالنسبة إلى داود (عليه السلام)..

وقد أخذ بعض العلماء فقال في منظومة له:

شكراً، وأتى لي بلوغ ما وجب***من شكره والشكر للشكر سبب

ثم إن الشكران كما يوجب المزيد من النعمة، فالكفران يوجب المنقصة والزوال، قال الله تعالى: (... لئن شكرتم لأزيدنكم ولئن كفرتم إن عذابي لشديد)(١٥٥٤) وقال سبحانه: (... فكفرت بأنعم الله فأذاقها الله لباس الجوع والخوف...)(١٥٥٥) وما أعجب هذا التعبير، حتى كان الجوع والخوف لباس يشتمل على جميع أعضاء الجسم، فكل عضو وكل جزء من البدن خانف جائع وهو كذلك فإن الخوف إذا اشتد يحس الشخص إن كل جزء من بدنه خانف، وكذلك الجوع.

وقال الإمام الصادق (عليه السلام): (مكتوب في التوراة: أشكر من أنعم عليك، وأنعم على من شكرك، فإنه لا زوال للنعماء إذا شكرت، ولا بقاء لها إذا كفرت، الشكر: زيادة في النعم، وأمان من الغير)(١٥٥٦) أي تغيير الحال من الحسن إلى السيء.

الصبر

لقد مرّ بنا مراراً، أن الفضيلة هي الوسط بين الإفراط والتفريط، والتحفّظ على الوسط مشكل جداً، فإن الانسان غالباً يميل إلى أحد حافتي الطريق.

والأشياء لها موازين خاصة، ينبغي للإنسان، أن لا يخرج عن تلك الموازين.

فالصبر الذي هو محل الكلام - في هذا المبحث - اعتدال في السلوك، لا عجلة لسبب الخيال والزيغ، ولا تلكؤ يوجب الإحطاط والتأخر، مثلاً، إن أسرع الرجل في زواج ولده قبل البلوغ، كان عجلة وإن أحرّ الزواج إلى بعد البلوغ بسنوات كان تفريطاً للأوان، أما إذا بلغ، زوجته مع صبر وتوئدة وروية، ليختار الزوجة الصالحة، فهذا هو الصبر المحبوب. وبعض الناس يزعم أنه ليس في عمل الخير صبراً! وهذا غفلة عن معنى الصبر، فالصبر ليس معناه التأخير، بل معناه الانتقاء والاختيار، مثلاً: إن من الضروري أن تسرع في محاربة من يريد الانتقاص على البلاد الإسلامية، لكن ليس معنى ذلك إلا أن تبادر قبل فوات الأوان، لا أن معنى ذلك أن لا تعمل الروية والفكر في اختيار الأنقى من الطرق، والأصح من السبل، فالصبر في كل شيء بحسبه.

١٥٥٣ - أصول الكافي: ٩٩/٢ - جامع السعادات: ٢٤٣/٣.

١٥٥٤ - سورة إبراهيم: آية ٧.

١٥٥٥ - سورة النحل: آية ١١٢.

١٥٥٦ - أصول الكافي: ٩٤/٢ - جامع السعادات: ٢٤٢/٣.

والصبر بالإضافة إلى ما ورد فيه من الفضل في الآيات والأحاديث، فضيلة إنسانية تأتي بنتائج مدهشة، في الإتقان وصحة العمل وإصلاح الفاسد، ولذا يلزم على الانسان أن يواظب على هذه الفضيلة، ويقوي ملكتها في نفسه، وقد قسم العلماء الصبر إلى ثلاثة أقسام:

- ١ - الصبر على الطاعة، كالصلاة، والصيام، والحج، وإيتاء الزكاة وما أشبه.
 - ٢ - الصبر على المعصية، كأن يصبر نفسه عن ارتكاب الجريمة واقتراف الحرام.
 - ٣ - الصبر على المصيبة، بأن لا يخرج، ولا يعمل عملاً ينافي الشرع أو العقل أو العرف، انسياقاً وراء العاطفة.
- أما الصبر على الأعمال حتى يأتي بالثمر الشهي، فالغالب دخوله في باب الصبر في الطاعة.
- بل لو دقق الانسان في أعمال البر لوجد كثيراً منها من أقسام الصبر فالتعفف عن الزنا، والربا، وأكل المال الحرام، وسائر الجنايات يحتاج إلى الصبر، وإقام الصلاة والإتيان بالواجبات والمندوبات يحتاج إلى الصبر والتعلم والتفقه والوفاء والحياء، وما إلى ذلك يحتاج إلى الصبر، والمشى مع الناس حتى يصلحهم ويرشدهم يحتاج إلى الصبر، وعدم الجزع في النوائب والمصائب والنوازل يحتاج إلى الصبر، وهكذا، ولذا لما سنل رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) عن الإيمان؟ قال (صلى الله عليه وآله وسلم): هو الصبر!.

وقد حرّض الإسلام على الصبر أكبر تحريض، وأرصد له من الآيات والأحاديث أكبر رصيد، ففي القرآن الحكيم أكثر من سبعين آية حول هذه الفضيلة الرفيعة كقوله سبحانه: (وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أُمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا...)(١٥٥٧) وقال: (... وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ الْحُسْنَى عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ بِمَا صَبَرُوا...)(١٥٥٨) وقال: (... وَلَنَجْزِيَنَّهُ الَّذِينَ صَبَرُوا أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِّ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ)(١٥٥٩) وقال: (أُولَئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُمْ مَرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُوا...)(١٥٦٠) وقال: (... وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ)(١٥٦١) وقال: (... وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ)(١٥٦٢) وقال: (بَلَى إِنْ تَصَبَرُوا وَتَتَّقُوا وَيَأْتُوكُمْ مِنْ فُورِهِمْ هَذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُمْ بِخَمْسَةِ آلَافٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُسَوِّمِينَ)(١٥٦٣) قال: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا...)(١٥٦٤) وقال: (... وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ، الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمُ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ، أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ)(١٥٦٥).

وكل ذلك حقيقة كونية، بالإضافة إلى الإمدادات الغيبية التي يتلقاها الصابرون، فإن الصبر مفتاح الفرج، وقد قال الشاعر الفارسي: إن الصبر والظفر صديقان من القديم، ففي أثر الصبر يأتي الظفر، وقبله قال تعالى: (وَلَمَنْ صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ)(١٥٦٦) وهو كذلك فإن العزم الأكيد هو الذي يوفق الانسان بسببه على الصبر، وانك اذا رأيت العلماء الكبار، والشعراء العظام، والكتاب النابهين، والمكتشفين الكبراء والخطباء البارعين، وغيرهم من الطبقة العلية من الناس، ترى السمة البارزة فيهم التي أوصلتهم إلى تلك المرتبة الرفيعة

-
- ١٥٥٧ - سورة السجدة: آية ٢٤.
 - ١٥٥٨ - سورة الأعراف: آية ١٣٧.
 - ١٥٥٩ - سورة النحل: آية ٩٦.
 - ١٥٦٠ - سورة القصص: آية ٥٤.
 - ١٥٦١ - سورة الأنفال: آية ٤٦.
 - ١٥٦٢ - سورة العصر: آية ٣.
 - ١٥٦٣ - سورة آل عمران: آية ١٢٥.
 - ١٥٦٤ - سورة آل عمران: آية ٢٠٠.
 - ١٥٦٥ - سورة البقرة: آية ١٥٥ - ١٥٧.
 - ١٥٦٦ - سورة الشورى: آية ٤٣.

والمنزلة العالية، هي الصبر، وقد قال أحد الكبار من الساسة: (إن الإصلاح يحتاج إلى الصبر اللانهائي) هذا كله في الدنيا، أما في الآخرة فـ (... إِنَّمَا يُوقَى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ)(١٥٦٧).

و الأحاديث الواردة في فضيلة الصبر، والسيرة النبوية المنهاج العملي للاثمة الطاهرين (عليهم السلام)، في باب الصبر كثيرة جداً، قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): (الصبر نصف الإيمان)(١٥٦٨) وقال (صلى الله عليه وآله وسلم): (من أقل مما أوتيتم اليقين وعزيمة الصبر، ومن أعطى حظه منهما لم يبال ما فاته من قيام الليل وصيام النهار، ولنن تصبروا على مثل ما أنتم عليه أحب إليّ من أن يوافيني كل امرئ منكم بمثل عمل جميعكم، ولكني أخاف أن تفتح عليكم الدنيا بعدي، فينكر بعضكم بعضاً، وينكركم أهل السماء عند ذلك فمن صبر واحتسب ظفر بكمال ثوابه، ثم قرأ (صلى الله عليه وآله وسلم) قوله تعالى: (مَا عِنْدَكُمْ يَنْقُذُ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ بَاقٍ...)(١٥٦٩)(١٥٧٠).

وقال (صلى الله عليه وآله وسلم): (الصبر كنز من كنوز الجنة)(١٥٧١) فكما ان الكنز يوجب رفعة صاحبه في الدنيا، مالاً وجاهاً كذلك الصبر يوجب رفعة صاحبه في الجنة وقال (صلى الله عليه وآله وسلم): (أفضل الأعمال ما أكرهت عليه النفوس)(١٥٧٢) فعدم التكلم باللغو مع شدة رغبة الانسان إلى الكلام وعدم تناول الطعام الزائد فكيف بالحرام مع وفرة رغبة الانسان إليه والقيام في أخريات الليل مع غلبة المنام وأمثال ذلك مما تُكره النفس عليه من أفضل الأعمال الموجبة للقرب والزلقى لدى ذي الجلال.

وقال (صلى الله عليه وآله وسلم): (في الصبر على ما تكره خير كثير)(١٥٧٣) وقال (صلى الله عليه وآله وسلم): (الصبر من الأيمان بمنزلة الرأس من الجسد، فإذا ذهب الرأس ذهب الجسد، كذلك اذا ذهب الصبر ذهب الإيمان)(١٥٧٤) وسئل (صلى الله عليه وآله وسلم) عن الإيمان؟ فقال: (الصبر والسماحة)(١٥٧٥) وروي: (أن فيما أوحى الله تعالى إلى داود (عليه السلام) أنه قال: تخلق بأخلاقى، وإن من أخلاقى إني أنا الصبور)(١٥٧٦).

واستمع إلى هذا الحديث قال (صلى الله عليه وآله وسلم): (ما تجرّع عبد قط جرعتين أحبّ إلى الله، من جرعة غيظ ردها بحلم، وجرعة مصيبة يصبر الرجل لها، ولا قطرت بقطرة أحبّ إلى الله تعالى من قطرة دم أهرقت في سبيل الله، وقطرة دم في سواد الليل وهو ساجد ولا يراه إلا الله، وما خطا عبد خطوتين أحبّ إلى الله تعالى، من خطوة إلى الصلاة الفريضة وخطة إلى صلة الرحم)(١٥٧٧).

وهذه الأمور بالإضافة إلى ما لها من الثواب توجب خير الدنيا والسعادة فيها، فالصبر عند الغيظ والمصيبة يوجب مهابة الانسان في النفوس، والدم في سبيل الله يوجب التقدم والشوكة، وقطرة الدم توجب قوّة الاتصال بالله مما هو رأس كل فضيلة، فإن قوة الإيمان تمنع صاحبها من الدنيايا، وهكذا الخطوة إلى الصلاة، اتصال بالله وهيبة عند الناس وصلة الرحم تأليف وقوة ونظام.

-
- ١٥٦٧ - سورة الزمر: آية ١٠.
١٥٦٨ - أصول الكافي: ٨٧/٢ - جامع السعادات: ٢٨٧/٣.
١٥٦٩ - سورة النحل: آية ٩٦.
١٥٧٠ - جامع السعادات: ٢٨٧/٣.
١٥٧١ - جامع السعادات: ٢٨٨/٣.
١٥٧٢ - جامع السعادات: ٢٨٨/٣.
١٥٧٣ - جامع السعادات: ٢٨٨/٣.
١٥٧٤ - أصول الكافي: ٨٧/٢ - جامع السعادات: ٢٨٨/٣ نحوه.
١٥٧٥ - جامع السعادات: ٢٨٨/٣.
١٥٧٦ - جامع السعادات: ٢٨٨/٣.
١٥٧٧ - جامع السعادات: ٢٨٨/٣.

وروي - عن المسيح (عليه السلام) انه قال للحواريين: (إنكم لا تتركون ما تحبون إلا بصبركم على ما تكروهون)(١٥٧٨) وهذه حقيقة بقدر ما هو تأييد من الغيب، فهل رأيت عالماً لم يسهر، وتاجراً لم يكدح، وملكاً يتلقى البشر من شعبه بدون نصب وعدل..و....و...؟.

وقال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): (الصبر ثلاثة: صبر عند المصيبة، وصبر على الطاعة، وصبر عن المعصية، فمن صبر على المصيبة حتى يردها بحسن عزائها كتب الله له ثلاثمائة درجة ما بين الدرجة إلى الدرجة كما بين السماء إلى الأرض، ومن صبر على الطاعة كتب الله له ستمائة درجة ما بين الدرجة إلى الدرجة كما بين تخوم الأرض إلى العرش، ومن صبر على المعصية كتب الله له تسعمائة درجة ما بين الدرجة إلى الدرجة كما بين تخوم الأرض إلى منتهى العرش)(١٥٧٩) والله وحده يعلم هذه المسافات، ويعلم ما لأصحاب الدرجات الأرقى من الابتهاج والسرور.

وقال أمير المؤمنين (عليه السلام): (بني الإيمان على أربع دعائم: اليقين، والصبر، والجهاد، والعدل، وقال (عليه السلام): الصبر، وحسن الخلق، والبر، والحلم، من أخلاق الأنبياء)(١٥٨٠) وقال الإمام الباقر (عليه السلام): (الجنة محفوفة بالملكاه، والصبر، فمن صبر على المكاره في الدنيا دخل الجنة، وجهنم محفوفة باللذات والشهوات، فمن أعطى نفسه لذتها وشهوتها دخل النار)(١٥٨١) والمراد الشهوة المحرمة.

الى غيرها وغيرها من الروايات الواردة بهذا الشأن.

ثم أن معنى الصبر على الطاعة، عدم إطاعة الكسل، والخور في عدم الإتيان بالطاعة.. ومعنى الصبر على المعصية، أن يصبر نفسه فلا يأتي بالعصيان وإن كان فيه لذة وتاقت نفسه إلى الاقتراف.. ومعنى الصبر على المصيبة، أن لا يجزع بقول سيء أو عمل منافي للحلم.. ومعنى الصبر على العمل، أن يستمر بدون إغارة أهمية للتعب أو كلام الناس والمصادمات.

وما في الروايات، من أن الصبر: الإيمان، أو جزءه، أو نصفه، وكرأسه، أو أمثال ذلك، يراد به مراتب الصبر... والصبر من أهم أسس النجاح في الدنيا والآخرة، فعلى الانسان أن يهتم لتحصيل هذه الفضيلة، أولاً، ثم إنماؤها حتى يأتي بأحسن الثمار وأجمل الآثار، والله الموفق وهو المستعان.

١٥٧٨ - جامع السعادات: ٢٨٨/٣ .
١٥٧٩ - أصول الكافي: ٩١/٢ - جامع السعادات: ٢٨٩/٣ .
١٥٨٠ - جامع السعادات: ٢٩١/٣ .
١٥٨١ - أصول الكافي: ٨٩/٢ - جامع السعادات: ٢٩٢/٣ .

خاتمة

تمّ كتاب (الفضيلة الإسلامية)، والحمد لله رب العالمين.

وقد فكرت ذات مرة، إنه لو كان للوقت متسع، وللتوفيق سعة، لكان بالإمكان إتمام محتوى الكتاب إلى كلّ ما للفضيلة من عرض عريض، كما لا يخفى لمن راجع (الوسائل) و(المستدرک) و(البحار) و(جامع السعادات) ومكارم الأخلاق وغيرها.

ومن الضروري على كل مسلم - فكيف بطلاب العلوم الدينية؟ - التملي من هذا العلم، ثم إقرانه بالعمل بالإضافة إلى سائر العلوم الإسلامية التي هي:

١ - تفسير القرآن الحكيم.

٢ - فقه الإسلام.

٣ - علم الحديث الوارد عن النبي والأئمة الطاهرين (عليهم السلام) في مختلف الشؤون كالأمور الكونية والطب وما أشبهه.

٤ - علم الكلام.

٥ - التاريخ الإسلامي، بشقيه: أعني تاريخ الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) والأئمة الطاهرين (عليهم السلام) وتاريخ حضارة الإسلام بصورة عامة.

٦ - الآداب الإسلامية، وهي من قبيل آداب المأكل والمجلس والحمام والزواج وما أشبهه.

٧ - الأخلاق - التي وضع الكتاب لأجل الإلمام بجانب منه.

٨ - فلسفة الأحكام، وتطبيق العصر الحاضر على المنهاج الإسلامي والمقارنة بين الأحكام والقوانين وبين النظام الإسلامي والنظام غير الإسلامي.

٩ - المقارنة بين الإسلام وسائر الأديان المنحرفة، والمذاهب المخترعة كالبابية وما أشبهه.

١٠ - الدعاء وما يتبعه: فلسفة وقراءة وتطبيقاً.

والله المسؤول أن يوفقنا جميعاً لما يحبّ ويرضى، ويتقبّل هذا الكتاب بقبول حسن، وهو المستعان
كر بلاء المقدسة

محمد بن المهدي الحسيني الشيرازي

مصادر الكتاب

-
- ١ - جامع السعادات: للشيخ محمد مهدي النراقي، جزء ١- ٣، طبعة بيروت ١٩٨٨م.
 - ٢ - أصول الكافي: للشيخ الكليني، جزء ١- ٢، طبعة بيروت ١٣٧٥هـ.
 - ٣ - مكارم الأخلاق: للشيخ الطبرسي، طبعة بيروت ١٩٧٢م.
 - ٤ - بحار الأنوار: للشيخ محمد باقر المجلسي، طبعة إيران وهي مزيدة على طبعة بيروت ١٩٨٣م بثلاثة أجزاء.